سَلَيْمَانُ الْفُلَيِّحْ

الْمُؤَلَّفَاتُ الْكَامِلَةُ



اَلْمُجَلَّدُ الثَّانِي

اعْتَنَى بِهَا:
أُسَامَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْفَلَيِّحِ

سَلَيْمَانُ الْفُلَيّحْ

الْمُؤَلَّفَاتُ الْكَامِلَةُ

اَلْمُجَلَّدُ الثَّانِي (2)



- **الْعُنْوَانُ** الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ – الرِّيَاضُ
- **اسْمُ الْمُؤَلِّفِ** أُسَامَةُ سُلَيْمَانِ الْفَلِيحِ
- **دَارُ النَّشْرِ** مَكْتَبَةُ سُلَيْمَانِ الْفَلِيحِ
- **سَنَةُ النَّشْرِ** 1447هـ / 2025م
- **عَدَدُ الطَّبَعَاتِ** (1)
- **لُغَةُ النَّشْرِ** الْعَرَبِيَّةُ
- **تَنْسِيقُ الْكِتَابِ** أُسَامَةُ سُلَيْمَانِ الْفَلِيحِ
- **تَصْمِيمُ الْغِلَافِ** أُسَامَةُ سُلَيْمَانِ الْفَلِيحِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات



سليمان الفليّح – لم يتجاوز 27 عاماً، لأحدى الأمسيات

اَلْمُقَدِّمَةُ

اَلْمُقَدِّمَةُ

(**المجلد الثاني**) يحتوي على العديد من "المؤلفات والبحوث" كما أشـــرنا في " مُقَدِّمَةُ الْمَشْرُوعِ " في (مـ /1) فـ غالب هذه المجموعة من المؤلفات والبحوث تتمحور حول البداوة والشـعر والتراث أنجزها أبي بجهدٍ شـخصـي بحت امتدَّ لفتراتٍ زمنية متباعدة بفعل الظروف وانشغالات الحياة.

فحسب الترتيب الفني اضطررنا إلى إضافة جزءً من المجموعة الشعرية وكذلك المجموعة الشـعرية الإنجليزية، أي: القصـائد المترجمة ، التي نُشـرت في كتب ودوريات انجليزية.

وأما بخصوص المجموعة الشـعرية العربية المضـاف فجميعها لم تنشـر بأي من الدواوين السـابقة، فكان ينشـرها من خلال زاويتي "هذرلوجيا وأصـارحكم" في جريدة السياسة ما بين الفترة (1974-1984م) فـ لم يكن لهُ رأيّ من عدم نشرها في أي من الدواوين.

إذ تعتبر شخصية أبي -رحمه الله – بـ فوضويتها..شخصية معطاءة للإبداع حتى على سبيل كتابة المقال ،فمجرد أن يدفع القصيدة أو المقال للنشر ينتهي أمره وأحياناً لا يسـتذكرها وخاصـة أن هذه القصـائد نشـرها قبل توقفه عن

الكتابة ، حيث استمر ذلك الإيقاف لأكثر من سبعة أعوام من العام 1983 الى العام 1990م بعيداً عن تفاصيله

***

العرف قانون الصحراء:

ترك أبي العديد من الدراسات ومن أهمها دراسة (العرف قانون الصحراء) فميزة هذا الجهد البحثي البناء وبعث النقاش حول الأفكار والتجارب والبحوث التي قام بها المستشرقون الأجانب الذين جابوا الجزيرة العربية والهلال الخصيب خلال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين الميلادي، وفتح سجال فكري ومعرفي حولها في فترةٍ مبكرةٍ نسبياً (ونعني منتصف السبعينيات وأوائل الثمانينيات الميلادية من القرن العشرين)، التي شهدت رواج وشيوع الصحافة، واقتناء المطبوعات كحالة معرفية جديدة ومندفعة، ولاسيما لدى الأجيال الشابة التي بدأت ارتياد الجامعات وقتذاك، بحيث يمكن أن تشتعل كأفكار للجدل والنقاش والتطوير خصوصاً وأنَّ الفترة الزمنية التي نشر فيها هذا الجهد البحثي منتصف السبعينيات الميلادية من القرن العشرين كانت مفصلية ولافتة في تاريخ منطقة الخليج والجزيرة العربية؛ نظراً للتغييرات السياسية والاقتصادية الهائلة التي غيَّرت شكلَ هذه المنطقة للأبد، حيث أُستكمل بناء مؤسسات الدولة المختلفة نظراً لتدفق الثروات وارتفاع أسعار النفط ،إضافةً إلى عاملٍ رئيس ألا وهو محاولة

حفظ هذه المنظومة القيمية والأخلاقية والقانونية التي سادت لقرونٍ بين أبناء الصحراء ، ونظمت علاقاتهم ورسمت الحدود لسلوكهم وتصرفاتهم وحقوقهم قبل أن يذهب ذلك كله للنسيان .

كما شكَّل هذا الجهد البحثي الذي أنجزه أبي، محاولةً مبكرةً منه لشحذ إمكاناته البحثية التي أنجزت لاحقاً مجموعة طيبة من هذه البحوث والدراسات في مجالاتٍ عدة أنَّ هذا الجهد البحثي ربما أن يُنتقد أو يُؤخذ عليه كان نتيجة ظروفه وإمكاناته وأفكاره ومجالاته الاجتماعية والثقافية حينها.

***

القصيدة الشعبية.. وانعطافاتها المرحلية:

وأما البحث الأخر بعنوان:(القصيدة الشعبية.. وانعطافاتها المرحلية) التي أعدها أبي في نهاية التسعينات الميلادية، حيث تناول من خلالها عدة مواضيع رابطاً بينها حول المراحل التي مرت بها القصيدة النبطية ابتدأ من: مصادر تلك الأصوات الإيقاعية النغميّة مروراً بلغة الشعر والتحولات والانعطافات التي مرت بها القصيدة، مفصلاً أهم تلك المراحل والتأثيرات التي حولت صورة القصيدة النبطية التقليدية الى عدة صور ولوحات فنية مختلفة منذ النشأة حتى نهاية القرن العشرين الميلادي.

بالإضـــافة الى تســـليط الأضـــواء على أهم التجارب الحديثة التي خلقت مســاحات ابداعية مختلفة عما ســبقها، حيث كان لها القبول والتأثير بانتشــار القصيدة الحديثة من خلال وسائل التكنولوجيا المرئية والمقروءة والمسموعة منذ الستينات والسبعينات وانتهاءً بالصحافة الشعبية التي نشأت في أواسط الثمانينات الميلادية. ويوجد لها أيضاً ملحقا منفصل ألحقناه بها حول " قصيدة النبط مفردات العصر" إذ يتناول من خلاله المفردات العصرية الحديثة المستخدمة في بعض قصائد الشعراء حسب التسميات: الآلة تقتحم القصيدة النبطية، القصـــيدة الميكانيكية، الهاتف في المفردة النبطية، الانجلونبطيه، والشـــعراء الساخرون.

***

التماثلات الشعرية:

وكذلك دراسة بعنوان :(التماثلات الشعرية) وهي: تمـــاثـــلات.. الموت دون الشـــعر.. والشـــعر دون الموت." وإنَّ هذا الجهد البحثي والتتبع المعرفي الذي قــدمــه أبي كورقــة بحثيــة في نــدوات المهرجــان الوطني للتراث والثقــافــة (الجنادرية)1997م ونشـــر رحمه الله متفرقات منه في أكثر من مطبوعة عبر مقـالاتـه التي كـان يكتبهـا بانتظـام، فقـد كـان مغرمـاً بإلغـاء حواجز الزمن الشاسعة بين " الجاهليتين " بحسب تعبيره الدائم , الأولى المعروفة وصفاً وذكراً

في التراث العربي، والثانية التي انتهت في القرن العشـــرين، وظل أبي شـــغوفاً حقيقياً باتصـال سـلالات شـعر الغضـب التمرد بشـعرائها العشـاق الشـجعان الـذين أحبهم وأحـب إرثهم ومواقفهم وإبـداعهم وقبـل ذلـك وبعـده تمردهم وغضـــبهم ورغبتهم الحقيقية في شـــيوع وســـيادة وعلو كل ما هو نبيل وقيمي وإنســاني؛ لذا كان هذا الجهد الذي تتجولون بين سـطوره محاولته للتدليل على أن الإبداع الحقيقي والإنســاني النابع من مبدع حقيقي وإنســاني قادر تماماً على التفوق على الزمن وهزيمة الوقت والعبور إلى مبدعين آخرين في أزمنةٍ أخرى إلى حد التماثل "

***

الصعاليك والحناشل:

وإضافة الى ذلك المحاضرات والندوات التي ألقاها أبي والتي تتعلق بـ(الصعاليك والحناشـــل) .حيث أســـتورد أبي " الصـــعلكة والحنشـــلة " من عمق التاريخ والصـــحراء العربية وأعاد بعثها كحركة غضـــب وتمرد بمفاهيمها ومبادئها الفنية والإنسانية الغاضبة وفردانيتها الشديدة مستعيراً أرواح شعراؤها وغضبهم وأحزانهم فكانوا على الدوام إخوته وشـياطينه وندامان الذين يسـتحضـرهم في كل غيبة للصـحراء، ويسـتدعيهم للمثول كلما حانت الفرصـة وكلما فرضـت الظروف وقعها.كانت " الصـعلكة والحنشـلة " عباءته الفنية والشـعرية والمبدئية الجميلة

والكمال الأخلاقي والإنساني بنظره فتتبع ورصد أثارها وشعرها وكتب عنها وعن شعراؤها بإخلاص حقيقي كسليل ثقافي وشعري حضاري وسفارة فكرية إنسانية في العصر الحديث. كانت بداية اهتمام أبي بـــــــ " الصعلكة " و " الحنشلة " أوائل السبعينيات الميلادية من القرن العشرين وفق ما أوجبه حينها صعود الحداثة الشعرية ، فكان الشعراء الشباب وقتذاك يبحثون عن ما يغاير ويميز في إبداعاتهم لذا كانت العودة الى الينابيع الإبداعية والمناجم الشعرية شرطاً من شروط الجماليات وتنويعة أثر لافتة تعطي المشروعية لمبدعها وهكذا كان ارتباطه الشديد بالصعلكة والحنشلة.إذ نضع بين ايديكم هذه المحاضرة "مقاربة بين شعر الصعاليك وحناشل البوادي المتأخرين" التي ألقاها أبي – رحمه الله – في رابطة الأدباء –الكويت من ضمن فعاليات مهرجان القرين الثقافي لعام 2013م.

***

السرة الذاتية لطائر الصحراء:

ومن المؤلفات الأخرى (السيرة الذاتية لطائر الصحراء) التي كتبها أبي – رحمه الله – في جريدة الجريدة – "الكويت" خلال سلسلة حلقات عبر زاويته "هذرلوجيا" مستعرضاً أهم المحطات والذكريات وأهم الأحداث التي مر فيها، بالإضافة الى استذكار أسماءً كثيرة من زملائه واصدقاءه الذي عمل معهم والذين رافقهم منذ

البدايات. كان أبي متحمس جداً لاستكمال "السيرة" إلا أن توقف.. توقف مفاجئ عن الكتابة، لذا استأنفها الى وقت آخر، ولكن كان الأجل أقرب.ابتداءًا في كتابتها من 31 10-2007 إلى 24-09-2008 على مدى عاما لذا نضعها كما هي.

***

مذكرات غزو الكويت:

ونرفد أيضاً سلسلة من المقالات أي: (المذكرات) التي كتبها وهي سلسلة طويلة كتبها إبان أزمة الكويت (1990-1991م) مدافعاً عن الكويت، وأشار الى ذلك العديد من الكتاب والصحفيين ، حيث يقول الكاتب سليمان الفهد (شيخ الساخرين) :" ففي أيام محنة الاحتلال تحول "بو سامي" في الرياض إلى مؤسسة إعلامية كويتية ترفض الاحتلال، وتفضح ممارساته الإجرامية، وتدافع عن حق البلاد في الوجود، وتتماهى مع قرارات المؤتمر الوطني الشعبي المنعقد في جدة عام 1990، وتستجيب لها باستجابة عامة المواطنين وخاصتهم.

باختصار أقول "كانت استجابته لتحدي الاحتلال الغاشم تماثل فعل وممارسة أي مواطن كابد مأساة التيه والعيش بلا وطن وبيت وحارة وكل ما يمثل الوطن

من رموز وقيم، وعلاقات متجذرة، وذكريات، وتاريخ، وماض، وجغرافيا بما فيها من رطوبة و"طوز" وسموم وروائح يعبق بها سيف البحر وفضاء البر.

وأحسبني واحداً من الذين فجعوا بهجرة "بوسامي" ومغادرته بلده بالاختيار نهائياً، لكن الذي عزانا – نحن معشر مريديه – أنه اختار السعودية مقراً ومن ثم موطناً. ولعلي لا أغالي إذا ذكرت بأن فجيعة مغادرته لم تقل عن فجيعتي في أسر ولدي البكر "نواف" الذي نحتسبه شهيداً عند المولى جل شأنه.

ولست هنا في مجال استعراض مشاعري تجاهه، لأنه يخبرها جيداً، فضلاً عن أنها ليست بحاجة إلى إعلان وإشهار".

ويقول الباحث الكويتي جاسم الشمري مؤرخاً لتلك المرحلة:" أن الفليّح الذي كان يقصف بغداد لمدة سبعة شهور بصواريخ أرض جو أرض، بلا رقيب، بلا حسيب، بلا رئيس تحرير، بلا أوراق أو اقلام كان صعلوكاً في جريدة تعرف كيف تتعامل مع عبقرية الصعاليك وكان مجنوناً يتعامل مع شعب يعرف استغلال عظمة الجنون وكان فوضوياً حتى النخاع وتركوه على سجيته يحضر في يوم واحد ثلاث مقالات ويغيب اسبوعاً ويظل اسبوعاً اخر يطل في كل مكتب من جريدة الرياض ويبتسم، وما ان يراني حتى يصرخ اين أنت!؟ ولا اجيب لأنني قبل ساعة واحدة كنت معه، ولكن وحده سليمان الذي تظل كل اسئلته بلا جواب واجوبته بلا سؤال وعتبه بلا غضب بلا حقد، كان بمثابة وزيراً

للإعلام الكويتي في جريدة الرياض يسـأل عن جميع الصـحفيين الكويتيين يحث ويشجع ، ينصح بأسلوب التلميذ لم يلعب دور الأستاذ يوماً لأنه خلق أستاذا.

ويقول: سليمان حرفاً ورأياً لابد من الوقوف امامه بعض الوقت فقد كان أول حرف كويتي في الجرائد السعودية، والعربية وآخر صوت حتى يوم النصر العظيم لقد كان (صـوتاً) لوحده وسياسياً بطبعه (وقبسـاً) من نور لدرجة أن إذاعة بغداد قالت عنه يوماً العميل سـليمان الفليح وظل الاعلام العراقي ينعته بين الفنية والأخرى فقد كان قلماً أقلق نومهم وقلباً نابضاً بحب الكويت.

وأيضًـا يقول الصـحفي الكويتي فارس السلمان : تصـدى الفليّح إثناء الأزمة واصـل حمل تحرير بلاده بلا كلل أو ملل ، وقد كتب عنه الكثير أثناء الأزمة وكتب ضـده الكثير، ولكنه تصـدى بصلابته المعهودة وصلافته البدوية لكل ما كان يعرقل مسيرته البيضاء نحو العدالة والحق،

كتب في الزميلة (الرياض) بشـكل يومي طوال الأزمة وكتب في العديد من الصـحف العربية وسـاهم في العديد من الندوات والمهرجات وعمل في المركز الاعلامي الكويتي في الرياض وتطوع للعمل في عدة مجالات ثقافية من أجل قضية الوطن، هكذا هو سليمان الفليح يأتينا كحصان عربي أصيل تتراءى من خلاله الصحراء بكل شموخها وعزتها.

إذ تعتبر هذه السلسلة كوثيقة دفاعية عن دولة الكويت، فاخترنا كل الحصيلة المتوفرة لدينا من المقالات التي كتبها أبي عبر زاويته في جريدة الرياض حسب التسلسل الزمني.

والحصيلة المجملة (83) مقالاً، حيث يعتبر أبي من أوائل الذين كتبوا دفاعاً عن الكويت باسمه الصريح، على الرغم من تخاذل الكثير من الكتاب والصحفيين في تلك الفترة.

***

حلقات حيّهلا ، المسرحيات ،القصص،والمقدمات التي قدمها:

والجزء الأخير من هذا المجلد يشـــمل مجموعة من حلقات برنامج (حيّهلا) التلفزيوني الذي قدمه أبي في عام 2004م من خلال قناة الواحة الإماراتية، كأول قناة تلفزيونية تهتم بالتراث والموروث الشعبي ، من قصص وأشعار تنوف عن (16) حلقة مختارة تم تفريغها، من انتاج وتنفيذ الكاتب والإعلامي الكويتي صلاح الساير –رحمه الله–. لذا حرصت على جمعها وتضمينها لفرادة مواضيعها ونشرها من خلال هذا المشروع.

بالإضــافة الى الجزأين الأخيرين يتضــمن (المســرحيات والقصــص الســاخرة والمقدمات)؟ التي كتبها لبعض الكتب، لاسيما أنني أجتهد كثيراً بجمع كل هذه الأعمال إلا أنني بلاشك سأكون مقصراً. واستميحكم عذراً مقدما



سليمان الفليّح 2006م

اِسْتِكْمَالًا لِلْأَعْمَالُ الشِّعْرِيَّةُ وَالنَّثْرِيَّةُ

أمامك[1]

(1)

هو ذا أمامك منفردًا،

يضفي جناحيه كطرفي عباءةٍ سوداء.

(2)

هو ذا يقعي على الصخرة،

شامخًا باتجاه الفضاء.

(3)

ها عيناه – وهو يحدق بك – تمرقان عبر صدرك النحيل لتُشعلا خلفك أشجار الصحراء.

إذ ذاك، ارتبك العقب الخشبي للبندقية القديمة المثبت على رمانة الكتف، وانتفضتَ متشنجًا للخلف كسيف فولاذي ينبو للمرة الأولى.

(4)

عينا البندقية القديمة "تمرقان" عبر صدرك القوي، وتُشعلان – خلفه – أشجار الصحراء.

(5)

العباءة السوداء تنتثر مِزَقًا صغيرة في الريح،

[1] السياسة (08 يناير 1982)

ثم تهبط كديمةٍ كثيفةٍ من دماء وريش،

لتحيي الصحراء.

(6)

بعدها هبّت عليك عاصفة من تصفيق أحدثتها أجنحة العصافير المباغتة بالنعيب والدوي.

-ملاحظة-

العُقاب طائرٌ جارح عديم الجدوى والفائدة يعيش على الطيور الأضعف منه!!

من حنّط الصقر العجوز
من أغنى (السلوقي ؟!!)[2]

(1)

في أقصى بقعةٍ ضوئيةٍ محترقة في آخر الأفق الصحراوي الملتهب بلهاث الشمس ثمة (سلوقيٌّ) أزرق يعدو.

(كلبٌ لا يشبه بقية الكلاب،

وحزنه أيضًا ليس مثل أحزانها).

(2)

وخلف غيمةٍ نادحه في السماءِ القصية،

ثمة صقرٌ يحلّق بكسل لا يمت لحركة الطيور بصلة –

ليوازي بتحليقه البليد خَبَبَ الكلب الحزين هو أيضًا.

(صقرٌ لا يشبه بقية الصقور، وكذلك أحزانه أيضًا)

---

[2] السياسة 8 مارس 1982

(**3**)

كان يفصل ما بين حركة الحيوانين المتضادّين خطٌّ أخضر في الغيم،

يشبه -إلى حدٍّ ما - غصنًا حديث المتبرعم (حادّ الأشواك)،

وكان يناثر أشواكه السامّة بطريقة عمودية في كلا الاتجاهين،

ليغرسها رأسًا في جسدي الحيوانين الحزينين،

اللذين لا زالا يمارسان الجري، والتحليق، والقرف الفظيع.

(**4**)

أما ذا ما سألتم عن مبرر حزن الطير،

فلأنّ صاحبَه الجلف استغنى عن مخالبة الحادّة،

حينما أعاله طويلًا في أيام الفقر، والضياع.

أما سبب حزن الكلب،

فمبرره أن صاحبه الفظ أرتحل نحو المدينة،

وتركه يمارس الجوع، والجري في الصحراء.

(**5**)

استدراك:

أمس، وأنا أدخل إلى مبنى شركة الـ(..) القائمة عن التجويع، والابتزاز،

شاهدتُ ذات الكلب يقع على بوابة الشركة،

الذي كان يقبع كضبعٍ نتن،

كأنّ ثمة ثعلبًا يبتسم بخبثٍ مقيت أمام الجدار الرائع.

الديكور الذي يمتد خلف كرسي الرئيس،

وكان الصقر الحزين مُحنّطًا بشكل يثير القهقهة، والدهشة، والحزن.

تفاحة الصحو[3]

من يسمع صراخ كرة النيازك الفضية،

تقفز على ملاعب أطفال الاحياء المنسيّة في أطراف رداء الصحراء؟

(قف!!)

من يقرأ مستقبل صمت الكلمات الملجومة،

في مدجنة الانماط "المعلوكة" في صفحات الذوق؟

(قف!!)

من يرقص من ايقاعات عواء ذئاب الوَعْر،

عبر حفيف الريح المتأوِّدة في دَغَلِ براري الأيام؟

(قف!!)

من يضحك في المذبحة الكبرى

حتى تتساقط منه الأسنان؟

***

اسمع موسيقى الكون وذاتك، حتى تتمزق أذنيك

اقرأ حتى تسفح دم القلب،

---

(3) السياسة (08 سبتمبر 1982)

لتكتسب مقطوعتك الصعبة في بلور الروح.

ارقص حتى تنفضّ أطرافك في الأرجاء.

اضحك،

اضحك...

حتى الموت.

الخروج على طقس المهانة

إلى (ابن جنفان) ... وزهرة االبؤساء

طردوا الشاعر من هذه المدينة فليس فيها متّسعٌ للألم

-لراغون-

***

هاربٌ من (مذلّاتكم)... ابن جنفان أو ..

لائذٌ بين حزن المساكين والصمت،

يعلك - مع جرعتين من الدمع - خبزتَه اليابسة،

أو يئنُّ من الفقر،

والقهر،

حينَ المدائن تُقفل بعد العشية،

يهجع مستسلمًا للعذاب ... / (...)

إلى الربح، لما تئزّ،

ويهتزُّ من شدّة البرد، لما تمرّ الرياح.

ثم ينهض،

مثل العقاب الذي لم يُروَّض ،

لما تداهمه الشمس عند الصباح،

خارجٌ من طقوس المهانات... هو.

سلّحته القصائد بالرفض،

ها انه الآن مؤتزرٌ بالقصيد – السلاح،

ها هو الآن يزهو كطفل،

ويضحك من هول كلّ الأمور،

ويلقي على مسمع الشجر المتوحّش ،

اشعاره المرةَ الوقع،

مبتدئًا بـ الحياة - الكفاح

ها، تطوّحه مدن العصر للقفر،

لما يُشاعيه حُبُّ كلّ المساكين،

أو تستفزُّ عذاباته في السكون الجراح،

ابن جنفان هذا،

فتى ساومته القبائلُ بالمال،

من أجل أن يبتسم – مرة– للوجوه القميئة،

لكنه حين جاؤوا ...

أشاح (!!!)

الوهج

أيّ وهجٍ لهذه الصبيّة ،يجتاح قلبي؟!

يداهمني بين (نار المساكين) والبؤس ... احقار

أهرب...

- أين؟!

ولكن أُحاصر،

أهوِي...

فيحتلّني دفعة واحدة!

قلبُها زهرةٌ من دم الكادحين،

تعرش، ما بين احزاننا والغيوم،

وتملأ بالعطر أجواءنا الفاسدة.

من رآها إذن ؟؟

من يراها.. يراني،

ويعرف سرّ عذاباتي الحاشدة.

إشارة: ابن جنفان وابن ظلهاب، من الشخصيات الخيالية التي يستدعيها الشاعر في بعض القصائد ليسقط حولها.

يخضر عرفج الصحراء[4]

(1)

غريبٌ أمرُ هذه الشجيرة الحزينة...
لماذا وحدها اختارت سكنى الصحراء؟!
لماذا وحدها تستحمُّ بالرمل دون الأشجار؟!
لماذا أرادت أن تكون شجيرةَ كلِّ الفصول.

(2)

أمس اقتلعها من جذورها أحدُ الأغنياء،
استحضر لها رملًا من باريس (!!)
ومن شلالات.. نياغارا ... الماء،
وجلب لها من طوكيو... الزجاج !!
وضعها في مدخل الصالة لحيي السادة تجّار الأعراب.

[4] السياسة (14 أغسطس 1982)

(3)

تضاءلت الشجيرةُ شيئًا فشيئًا،

فاختفت من الإناء،

بحث عنها في الأسبوع الأول..

فوجدها تخترق بلاطَ الصالة،

ضاربةً عروقَها في الأرض..

وكانت خضراء!

وعانقت نجم الظهيرة[5]

إلى (نجم عبد الكريم) والخيبة، ووجع لا يعرفه سواها.

لك القبلة واللعنة

أيها المبتهج الحزين الرائع، ولك الطعنة (!!)

أمس في العاشرة –تحديدًا - تشاجرت مع (فيل) كامل الأعضاء، لأجلك، أيها المخبول، ولأنه، وبكل ما يتمتع وفصيلته القذرة من ازدراءيه فارغة لكل ما هو جاد ومفيد أطفأ سيجارته (الثمينة) بوجهك (!!).

تبرير سخيف لفشله الذريع في حل الكلمات المتقاطعة التي تزدهي بها الصفحة العاشرة (!!)،

ولأنه لم يفهم ما قلت،

أنا بكل ما أملك من تهورات لطالما حذرتني عنها (!!)

اشعلت سيجارة جديدة، ونهضت، لأطفائها في عينه المنطفأة أصلًا،

رغم –حذري الجبان– من مقاومة الأخشبة السفلة الذين يحيطون به حائط صلب من الأذرعة حال بيني وبينه،

(5) السياسة (16 أغسطس 1981)

لكنني استطعت (ببطولة) أن أوصل بصقتي الحادة إلى ذات العين المطفأة

وخرجت رغم كراهيتي لك –بمقت– حين ترتدي عمامة الواعظ،

إلا أنني حينما خرجت –منتصرًا – من مكتبه المأمون عانقت عشرات من البسطاء.

العامل الذي يتفيأ ظل نخلة شحيحة تحت شمس تحرق حتى الأزهار، غاسل السيارات البطل الذي يصمد تحت هذا الجو بصلابة الرجال، فراش الوزارة الذي يتعلق في رقبته النحيلة عشرة أطفال بلا أحذية،

السجين بلا سبب،

الطالب الجامعي،

والمخرج العتيد،

والدكتور.

بعد أن اقتسمنا الرغيف الوحيد –في الشارع العام–

وحدثتك عن (طبائع الورل)،

كنت تقهقه بشكل غريب،

الأمر الذي أحدث تجمعًا صغيرًا من خليط العمال والفعلة،

وافترقنا كلٌ باتجاهه المضاد.

الهدير/ الغناء(6)

لا لونَ غير جهامة الصحراء

لا صوتَ غير أعولاتِ الريح

لا موسيقى غير حفيف ثوبه البالي،

الذي يصطفق في الخلاء الفسيح كعلم يجبره على ممارسة خفقانه الجند.

***

قرر فجأة أن يشطر نفسه إلى نصفين،

ليحدث كل منهما الآخر،

ويلغي وحشية الموقف،

ولكن لا سبيل!!

***

فكر في العمليات (جيدًا) – جادًا - وهو يهرش رأسه الوحيد تحت شجيرة على وشك الموت.

(6) السياسة 19 سبتمبر 1982

***

أغفى قليلاً رغماً عنه فأيقظه فجأة هدير آلات تجري باتجاهه عبر الصحراء.

***

خطف رأسه من تحت الشجيرة، وجرى مرتعبًا كوعل يطارده ملايين الصيادين،

جرى حتى لاحت له نخلة وحيدة في سراب الليل!!

حتى إذا ما وصل إليها وثب إلى أعلاها كالقرد،

وشرع بالبكاء حتى تساقطت منه الأضلاع.

***

أخذ يضحك فجأة، وتوقف عن البكاء...

ثم بهدوء، بهدوء، تناول أحد أضلاعه،

وجزّ به رأسه،

الذي أخذ يتدحرج بسرعة هائلة،

وهو يغني باتجاه هدير الآلات!!

أغنية العراف

حينما صعد (عراف القبيلة) إلى التلة،

ونظر في الغيم،

وبسط كفه المعروفة باتجاهٍ افقي فوق الحاجبين،

وبعد أن حدق مليًّا في شكل السحاب،

أخذ يصرخ بأعلى الصوت: -

ثبتوا الاوتاد،

أرخوا الجبال،

أخفقوا الاعمدة،

أنها قادمة ...!!

ثم انحدر باتجاه المضارب،

وهو ينشد بصوت راعشٍ مضطرب،

ويُوزن قلق:

حينما تأتي الزوبعة كي تغطى سماء القبيلة،

يغدو الكون ليلًا،

تسقط الأقنعة!!

(2)

حينما تأتي الزوبعة
تدوم عبر الخميلة،
وتلقي هدوء المساء الجميل،
وتئزّ بصرخاتها المفزعة،

(3)

حينما تأتي الزوبعة..
يلجم البدو كل الخيول الأصيلة،
لكي يكتمون الصهيل،
لئلا القبيلة في صمتها تسمعه

صراخات هادئة[7]

الأولى (الشظايا)

شظايا زجاجٍ بقلبي،
وورْدٌ حزين يمارس موتاً نبيلًا،
وسرب طيورٍ قتيلة،
ويسكن صمتي غناءً عنيفًا،
وأعوالُ ريحٍ
ووقعُ طبول القبيلة

الثانية (الشهيدة):

من يعيد لحنجرةٍ يقطر الدم منها أغاريدها؟
من يعيد لعيني (أم سليم) امتداد كروم الخليل؟
من يعيد لأرملة العرب القدماء هلاهيلها...؟
من يعيد لتلك اليتيمة (طرحتها)،
وهي تجري برشاشها باتجاه الجموع،

---

(7) السياسة 30 سبتمبر 1982

لتضرم خوذاتهم بالرصاص النبيل؟
من يعيد لها قلبها،
حبها،
ثوبها،
وهي تهوي مطرزةً بالدم العربي الجميل؟
من يعيد لفم الرضيع الممزق ثدي الشهيدة،
تلك التي بعثرتها الشظية فوق الجدار الذي قد أزيل؟!!

الثالثة (الأمهات):

أمهاتي الجميلات،
(عبدات) جدي،
احتشدن ببيتي أمس لعودة أمي،
ضحكن.
ظفرن جدائل (سوسن)
غنين في الغرفة المقفلة:

هلا هلا بك يوم جيتي تخطين   يا زرع قلبي يا بساتين روحي
عادات أهلك يذبحون البعارين   ونجر توالي الليل حسه ضبوحي

انصرفن أمهاتي الجميلات،
وانصرف الفرح البدوي القديم ،
كحنظلة دحرجتها الأصابع بين (البريم).

الرابعة (الجيل):

آه من جيل يحشد يأسه في قلب لا يتسع،
إلا لفسحة الصعاليك..
آه من الذين ليس بمقدور الفقر أن ينفيهم،
من شعاب نشعر فيها بالألفة...
آه منهم..
آه منهم

أفقياً تغني فزاعة الهواء[8]

انظر إلى سطوة العالم بعين،
وانظر إلى نقاء الماء بعين،
فإنك بذلك تلمس وجه الشمس. (9)

***

حين تعصف فيك رياح الزمن الصفراء،
التي تشبه – بقرفٍ تام– وجه الجبان الهلع،
تغدو أنت مثل عصّاة يؤرجحها الهواء الصَّلْف في دورة العاصفة.
ثبّت إحدى يديك على الأرض،
وارفع الأخرى كسيف يمارس رقصاته في الفضاء.
دع إحدى ساقيك راسخة كشجرة مائلة في الترب،
وسدّد الأخرى باتجاه الليل،

---

[8] السياسة 10 نوفمبر 1982

[9] الشاعر المكسيكي أوكتافيو باث – من "قضيته تحت ظلك الشفاف"

والوجوه التي تناهض الصباح.
(أنت بذلك تكون قد صليبًا في الهواء)

***

ثم:
دع أذنك السفلى تسجّل الثرثرات،
وأشرع الأخرى لدويّ الموسيقى، والرعد، والحفيف،
(ولا تنس أن "الموسيقى كمال العالم، وهيئاته".
و(أنت آنذاك تكون قد انجزت نصف مهمتك الشاقة،
وأنت آنذاك- بذلك تكون قد أصبحت،
فزّاعة كهربائية خطرة،
تحرس حقل الحياة من خفافيش الظلمة،
وأغربه البؤس،
وتصعق من يحاول الدنو من غيومك الناصعة.
وأنت آنذاك،
ولكي تُكمل ما تبقى من نفس المهمة،
هيّئ حنجرتك المثقوبة للغناء،
وإيّاك أن تنسى بأن،

(الموسيقى المحمومة هي كمال العالم، وهيئاته،

كمال العالم وهيئاته،

كمال العالم.. وهيئاته..

ومن ثم:

أطلق شجوك المفزع الجميل.

ملاحظة:

تعريف الموسيقى لأكتافيوباث.

لوحات زيتية للصحراء (4)[10]

(1)

يفرد الطائر جناحه المستقيم كالكف الجاهز للمصافحة،

يشطر به الغيمة السوداء التي تجلل البراري،

تندلع كهرباء الآفاق تضاء أشجار (القيصوم)،

يركض كلبُ الصيد وحيدًا في زخّات المطر الوابل.

(2)

امرأةُ الراعي الحدباء

تحمل (جبلاً) من أشجار البَرّ

تطرحها في واجهة (القطبة)

توقد نارًا للأطفال (المتجمّدين)،

"تهيجع" ساكنةً كالحرباء.

---

(10) السياسة 30 أكتوبر 1982

(3)

راعي (الهاف) الأحمر،

غاصت قوائم هافه في الطين،

أسفل الرافعة الفولاذية انكسرت..

غاص الجزء الأيمن في الطين.

(4)

البيت المترامي الأطراف

منسوج من شعر الماعز، والأصواف يشرع (رُبعته) للقادم

ويقدم قهوته المرّة للأضياف.

إشارة:

قطبة، أي القطبة:: بيت صغير

ربعة، أي الربعة: جزء من بيت الشعر

كتابة على الماء[11]

القبائل تبيد صعاليكها

آهٍ من هؤلاءِ الذين يشقّ جدرانَ الذات صليلُ سيوفهم

صليلُ خيولهم

أوطانُ سهامهم القاتلة

التي تدوي في الشعاب السحيقة..

آهٍ من أولئك المفزعينَ الفزِعين،

الذين يتشاجرون في القلب ليُضْجِروا صمت القبائل

آهٍ من براعتهم الشرسة وشراستهم الهادفة،

نَفَسٌ – يا للوقت (!!)

رأيتُ رأيَ العين،

أرتالًا هائلة من المدائن المعتَرِسة تزحف اليهم،

وتعك بهم:

---

[11] السياسة (14 نوفمبر 1982)

واحدًا

واحدًا

وبسحقهم حديدها الضخم.

فها هناك في إحدى الساحات الواسعة كالجرح،

حيث تقبع تماثيل لا معنى لها،

يتمزق جسدُ "الشنفرى" بالطلقات النارية،

وهو يرفع عاليًا وصيّته الأخيرة:

"لا تقبروني، فإن قبري محرّمٌ عليكم،

ولكن أبشري، أمّ عامر!""

آهٍ بالفظاعة!

ذاك الجدُّ الذي يستأثر بجسده الضبع،

وهو لم يدرِ بعدُ أن الضباع قد ارتدت بدلاتٍ أنيقة،

تتدلى منها ربطاتُ عنق باهتة الألوان،

وهي تجوب الشوارع،

وآهٍ من السُّليك،

الذي تجرده المدائنُ بالسلاسل الصدئة – قتيلاً–

على إيقاعِ طبولٍ وعَرَضاتِ القبائل المبتهجة بالنصر،

وها قاتله مرفوعٌ فوق الأعناق الملوية..

يهتف.

"أنا وعقلي سُليكًا بعد مقتله،

كالثورِ يضربُ إذا ما عافتِ البقر،

وكامرأةٍ شاحبةٍ كَالزَّمن،

تُوَلْوِلُ من شرفتها الطيبة".

" كلُّ شيءٍ قاتل حين تلقى أجلك...

ليت نفسي قدّمتُ للمنايا بذلك"

استعادة لوجه (وضحا)[12]

لكِ ألقُ الدلّةِ النحاسيةِ المتوهّجةِ
فوق لهاثِ الوجار المهَيّأِ للاِتّقاد.

***

عُنقُكِ عنقُ غرنوقةٍ
تستريحُ على شيحةٍ يانعة.

***

شَعركِ غيمةٌ تتهادى
فوقَ الرياضِ الجميلة.

***

وجهُكِ قمرٌ
عبرَ ليلِ العباءة...

(12) السياسة 29 نوفمبر 1982

أريجُكِ يسرقُ

من عِطرِ كلِّ الفياضِ عبيرَ الخميلة،

يا جميلة....

يا جميلة...

ويخبّئه في فضاءاتِ روحي القتيلة،

فأحيا،

وأغدو بصحرائك الذهبية،

طيرًا يمارس أبهى أغاريده،

في سماء القبيلة

***

(2)

ليت أنّا انحدرنا مع الإبل

مع جوعها نحوَ (وضحه)

ليتنا استرحنا...

ليت أنّا اجترحنا/ لنا ظلَّ (عليقه)

وبكينا..

المقطع الثاني : للشاعر (أمجد ناصر)

في سماءاتنا الشاسعة[13]

إلى عبد الهادي العجمي:

أيّة أجنحةٍ حادّةٍ نعدمها لـ(لَجْمِ) أفواههم المتّسعة كأفواه الأحذية،

حينما تمنحهم القهوة –التي نجلّها جدًا– مزيدًا من الثرثرة،

واستعادة بطولاتهم الفجّة،

ونصمتُ بأدبٍ جمٍّ،

حتى آخر قطرةٍ من الدلّة،

ولربما (نخدمهم)؟

أيها النقيُّ كورقةٍ خضراء،

غسلتها الريحُ مرة،

وتشاجرتْ مع الطقس،

من أجل مزيدٍ من العواصف والمطر!

---

(13) السياسة 30 نوفمبر 1982

أيّة عَرْضةٍ صاخبةٍ
نَدُكُّ بها الأرضَ،
ونمزّق الغيم بلمعان سيوفنا،
المهيَّأةِ للمعارك المقبلة.

***

عبد الهادي:

تذكّر (بأمل)..

أن لهم كلّ شيءٍ الآن

ولنا (بأمل).. ما سيأتي.

صور صحراوية[14]

(1) الفارس

آه...

من يرث الآن عباءتك الوبرية؟

من يرتديها؟

ومن يحتسي قهوةً بردت في الدلال؟

ومن يتوشّح بالمئزر الجلد؟

من يوقد النار (للهَاشلين)؟

ومن يمتطي فرسًا خلّفتها القبائل (ظاغنة) وهي (ترادي) مهجورةً بالعنان.

ومن يتقلّد (بارودةً) يعتليها الغبار على (واسط) البيت،

لما يشقُّ دخانُ البنادق صدر الفضاء؟

ومن يستعيد لهذي الصحاري الكئيبة،

---

[14] السياسة 12 يناير 1982

يا أجمل الذاهبين إلى آخر الأرض،

ذاك الصفاء القديم.

(2) أغنية امرأة بدوية

آه يا طفلي المريض،

إنّ عينيك المتعطشتان للحياة،

تشبهان عيني جروٍ صغير،

يتلقى رذاذ السماء..

(3) الجميلة

الجميلة التي يحاصرها البدو..

هذه عباءتها علمي،

شعرها: الغيمة القادمة،

ثغرها :فجرهم،

عيناها: غديران لظمأ النوق

قلبها: أرضهم.

الهندي الأحمر الأخير

(1)

منكسرًا

أدخل هذا الهنديّ الأحمر (نيويورك).

يتلفّت في شارعٍ مذهولًا.

مرعوبًا من ناطحة السحب الأولى..

فتقهقه في نهاية الشارع (شِلّة) سُكارى

وتضجُّ بقايا الارصفة الموبوءة بالضحك،

(2)

يستوقفه (البوليس) الفيدرالي.

يطلب من هويته – ان كانت!!

يودعه السجن.

(3)

مسكين هذا الهندي الأحمر...

ها هو يتلفّت مذهولًا بين زوايا السجن

يتذكّر ضيق خيام قبيلته،

يبحث في الجنب الأيسر عن قوس،

يبحث في الظهر الحجريّ

المطلي بأصباغ،

ال(حبلٍ) عن سهم،

لكن...

لما يُضنيه البحثُ اليائس ...

يطلق صيحته المعهودة في السقف

يهتز السقف ، الجدران

يهتز السجن

وقبعة السجّان!

لكن...

يبتلع الصيحة صوتُ مصانع تقنين الطاقة...

هادرة.

يبلع صيحته الصمت.

(4)

مسكينٌ هذا الهندي الأحمر..

لا يملك صوتًا،

مسكينٌ هذا الهندي الأحمر،

مستلب الصوت، مسكين هذا الهندي الاحمر

لا يملك إلا أن ينتظر الموت !!

المخيول[15]

صاحبني زمنٌ فسفوريًا يشعُّ في عتمات المنعرجات الصعبة،

يتألّق أحيانًا كالنيون، ويخفت أحيانًا كالفحم

***

أحيانًا،

كان يعدُّ ذراعًا تحتضن الصحراء،

وأخرى تقبض على أعناق العمائر الشامخة في المدن،

وتنزلق لتخنق الرقاب السمينة

***

صاحبي زمنٌ رائعاً يرتدي (فروتي) و (اخادنه) في الرعاية،

وكثيرًا ما كان يحنث ابدائي (طفلًا كنت)

***

[15] السياسة (12 مارس 1982)

أرتدي عباءته (البرقاء)،

العاجّة بالقمل،

وأقوم بواجبه على أحسن ما يكون.

***

حينما عدت ذات ليلة،

سمعت بأن عمّي الجَلْف،

وجه فُوّهة بندقيته العتيقة الى صدره،

وأمره بالرحيل بلا رجعة.

***

اكتشفت أخيرًا،

كلَّ أسباب الأحانيث والطرد،

(لقد اكتشفه العمّ الفظ،

وهو يغازل إحدى بنات القبيلة الجميلات حد (الخبل)،

والتي كنت اتمناها)

***

من يومها...

ركزت عصاءته في الأرض،

ووضعت عليها عباءته البرقاء،

(مخبولا)،

وبقيتُ الى الآن،

أحفظ اغنيته القديمة!!

***

القطاه تسقط في المدخنة[16]

أيتها المساءات الحديدية،

كالغَمّ،

والمتوالية على آفاق القلب،

كرعود تقصف أعشاب،

الأفراح بـ(دويٍّ) خاوٍ،

لا يفعل شيئًا،

سوى توسيع شقوق عذابات الروح الظمأى للشعر،

الشعر

الشعر.

يا قلبي،

لن يُحيي هذه الروح المقتولة بالجدب الأسود غير ذوي الشعر.

---

(16) السياسة 26 ديسمبر 1982

الشعر

الشعر: الحب

المطر

الخُضرة

الموسيقى

الورد،

الأطفال...

على (قطاة) غريبة،

تسقط في مدخنة،

كان جناحها يخفقان من فتحتي المدخنة.

كانت المدخنة عالية،

بعيدة

لا تصلها الكف.

كان هنالك اصطفاق قلبٍ حزين،

وعينان غريبتان..

تلاشى الجناحان في الدخان.

اصطفق القلب أكثر.

وبكت العينان.

آلامي

أيا آلامي،

كوني عاقلة

يا آلامي

إشارة:

المقطع الثالث لرامبو.

مغلقة هواتف الغيوم [17]

تلك الجمرة التي تتدحرج في الشوارع..

ما بها؟

كانت رجلاً شديدَ القتامة،

ابتلعَ كميةً من النور فتوهج.

إذن.. سأتصل بالريح..

ليش؟!

لكي تُرسل له غيمةً تقتله.

ولكن...

هواتفُ الغيوم مُعطّلة،

بسبب آخر زخة عن مطرٍ اجتاحت البلاد منذ الشهر الماضي..

لا يهم،

---

[17] – جريدة السياسة (01 مارس 1983)

سأرشو طيرًا يؤمن بالنميمة لإنجاز هذه المهمة الملحّة..

يقال إنَّ..

رَفًّا من الطير المهاجر،

كان يُنصت للرجل المتجهم،

فهوى – كاملًا – بين يديه،

يتسابق على فقر النقود المتلألئة في كفّه،

بينما كان هنالك في زاوية من الفضاء الرحب

غراب

ينهي تقريره بعبارة: (والسلام...)

–هامش–

بعد يومٍ كاملٍ مما حدث،

كانت الجمرةُ بحجم الشمس،

والرجل بحجم الصرصار،

والطيور تقرع أبواب الأقفاص،

والغيوم تزداد بياضًا،

والغراب يَهوي محترقًا من صعقة برق(!!)..

مدافع لاصطياد طيور الماء[18]

(1)

هذه السواحلُ المصابةُ بـ(الروماتيز)،

أو هي محتلةٌ بالاشتعال المباغت في عتمة المرحلة.

(2)

تضيقُ النوارسُ، وتلقى قنابلها المستفزّة لاصطياد السمك المعدني،

وتفرُّ زهورَ أقاعي البحار إلى باقة المرآة الرخامية،

إذْ تستقرُّ بسترة فنان يذبحه الغم،

وتذبلُ -مغمومة بالتجاهل-

حيث الفنادق التي لا تستقبل غير لصوص الشركات،

الذين يُشَبِّحون عن عبق الفُلّ والياسمين،

وما همُّهم سوى الصفقات:

---

(18) السياسة 21 فبراير 1983

صفقةٌ للتنقيب عن النفط

صفقةٌ للنساء الوسائط،

صفقات الحوارات الخبيثة،

أو(صفعة) لنقاء الشعراء،

أو صيغة للقاءٍ المؤجل من أجل اكتراء الصحاري،

وإلغاء كلِّ وجوه البداوة.

اضئ يا شعاع البهجة[19]

(1)

تمامًا حينما تُلقي العتمةُ معطفَها الداكن فوق وجه الكون،

تضجُّ العصافير محتجة بصوت واحد ضد الظلام،

تلك تسمى (دورة العصافير)،

وأنا أسميها: الرعب.

(2)

تمامًا حينما تمزقُ أشعة الفجر خيوط المعطف الداكن،

ويتّضح الوجه،

تُغرّد مبتهجة بصوت واحد كل العصافير،

تلك تُسمّى (يقظة العصافير)،

وأنا اسميها: (ثورة العصافير)..

[19] السياسة (04 مايو 1983)

(3)

تمامًا حينما تمزق أشعّةُ الشمس الرأس،

ويتّضح أكثر –حتى (الاجهار)– وجه الكون،

تخرس العصافير،

تلك تسمى سَكْنتها،

وأنا اسميها (لعنتها) !!!

(4)

تمامًا حينما ترتفع الشمس.

تماما ترتفع الأغاريد.

(5)

تمامًا حينما تميل منحدرة باتجاه الغروب،

الشمسُ تميل إلى هدوئها العصافير،

وتنحر ابتهاجاتها الجميلة.

(6)

تمامًا حينما (تسقط) الشمس.

يسقط الغناء ويبتدئ النواح الكئيب

(7)

تمامًا حينما تختفي –كلّيًا– الشمس،

تختنق العصافير ويلتغي ..

كلّيًا الغناءِ

ويبدأ –إذ ذاك تمامًا– تحليق خفافيش الليل..

أمل.... أمل...

أَضِئْ يا شعاعَ البهجة ...

آه ،

يا طيلةَ الانتظار.

الأولئك[20]

(1) امرأة

قمرٌ يتكئ على تمثالٍ من جليد

تمثالٌ تأجّجت في قلبه ذات يومٍ جمرة

ولكنه حينما قدحها عاشقٌ دجّال بنظرة حادّة،

ذاب الجليد من تحت القمر،

وسقط القمر ملطّخًا بالأوحال.

(2) حمامة

حمامةٌ سوداء طارت في السماء.. قلب أسود،

ارتفعت حتى ضاقت بها مساحاتُ سحبه السوداء،

فارتطمت بإحدى غيمات حقده،

[20] السياسة 13 إبريل 1983

فسقطت مبعثرةَ الريش ،واقعت (منتوفة)،

كبدويةٍ تنعي على شاهد مقبرة.

(3) نجمة

النجمة التي كان يتمناها الشاعرُ المخبول.. ما بها؟

ضربتها صاعقةُ الخيانة،

فسقطت نيازكُ متناثرة على رأسه،

فأحرقته ، ورمّدت كلّ قصائده.

استفزاز عذب[21]

مدجّجين بقرنفل المحبّة،

وأشواك الصدقات الحميمة التي تُدمي مشاعرنا البيضاء،

حينما تتطاير نحو قلوبنا الرهوة،

التي تسرح تحت سماءاتها الخفيفة،

طيورُ الألفة، والأوز، والعقبان المبتهجة بالقمم العالية،

التي يتقادح في سفوحها شررُ الحجر الصوّان،

حينما تعدو نحو أعالي أرواحنا غزلانُ الفُجاءة،

وتُحلّق في آفاقها قطاعات الغربة.

آه، يا لأشواقنا المحمومة بتقلّبات طقوس أحبّتنا الزائفين،

ويا لحزننا الذريع،

حينما تنمو على أذرعتنا زهورُ الشعر،

---

[21] السياسة 14 مايو 1983

ويصفعها غبارُ البلادة،

قبل أن يصرخَ عطرُها في أرجاء الأوطان المحتلّة بالتلوث والأدخنة.

ادخلي، أيتها النفثةُ النسائميّة،

رئتَيَّ المثقوبة من حصار الوحشة وسيف الضجر،

وأرجحي غيمي نحو الواحات المحرومة من فرح الأمطار،

ودعيني أُدندن أغنية لعصافير القلب،

أو أُشعل الضلوع بالنحيب.

كوابيس[22]

كقطعانٍ من الذئابِ المشرعة الأنياب، التي تعضُّ -من جوعها- الأحجار،

أو كالنسورِ التي يسقطُها –غائمةَ الرؤيا- الجوعُ، من شاهقات السحاب.

هجمت بالأمس على رأسه المثقل بالأشجان الكوابيس، مدججةً بأسلحة الوحشة،

تناهبت رؤاها البريئة المخالب، والأنياب.

أحسّ بأنه ينهض –سائرًا- في تابوتٍ زجاجيٍّ أزرق، ويسير في الشوارع..

(1) رؤيا

كانت الشوارع تتلوّى كأفعى سوداء، وتنحدر مسرعةً باتجاه البحر،

جارفةً أرانب حديديةً صغيرة، يمتطيها رجالٌ يغطّون وجوههم بكمّامات الغاز،

ويغنّون بصوتٍ مرعب، ترقص على إيقاعه عمائرُ شاهقةٌ اصطفت لتحيتهم فقط!!

(2) رؤيا

من شرفات تلك العمائر، كان النساءُ يزغردن بألسنةٍ فولاذية لها زنينٌ عذب،

---

[22] السياسة 16 مايو 1983

ويُلوّحن لهم بذوائب معدنيةٍ شقراء،

ويتمايلن كالمراوح البطيئة...

رؤيا (3)

حينما اقترب من البحر، رآه أسودَ جامدًا كمطارٍ غادرته جميع الطائرات،

وتنشر على سطح صفحته الهائلةِ السوداء زعانف أسماكٍ مقتولة،

وتجثُمُ في أقصاه سفائن حجريةٌ بيضاء..

رؤيا (4)

استيقظ صاحبنا حينما اصطدم بعمود الكهرباء،

وانحنى يلملم شظايا تابوته الزجاجي.. ويضحك!!

رؤيا (5)

في الصباح، وجد نفسه أمام المحقق المتجهّم،

موقوفًا بتهمة:

(الضحك بصوتٍ عالٍ في مكانٍ عام)!!

الغبار، الغبار[23]

(1)

البارحة وقبل أن يأوي إلى فراشه الوثير أو الحقير- لا فرق- اجتاحت سُحُبُ الغبار مدينته وانعدمت فيها –تمامًا- الرؤية.

نهض كالمجلود بسوط، وأغلق جميع نوافذ بيته الشعبي بمساعدة الأشرطة الحديدية والخيوط، وحاول جاهدًا أن يخدع نفسه (على أنه نام... حتى أيقن أنه نام... فكاد!)..

لكنه سرعان ما فزّ كالملدوغ، واحتجّ على ذاته بشدة،

كيف تخادع ذاتك يا رجل، وأنت الذي طالما شجبتَ المخادعين، والخادعين والخداع؟!

(2)

تناول أحد الدواوين الشعرية الذي لم يكن يبدو غلافه لكثر ما تراكم عليه من غبار وراح يقرأ أشعارًا تتحدث عن الحدائق ،والينابيع ،والزهر..

فطوّح الكتاب، واعتراه القلب..

---

(23) السياسة 17 مايو 1983

(3)

تناول رواية (المسخ) لـ(كافكا)، بالرغم من أنه قرأها للمرة الخامسة،

وطفق يقرأ ويقرأ ..حتى كاد أن يتقمّص شخصية (الحشرة البطل)،

فألقى الكتاب متعبًا..ونام.

(4)

في الصباح الباكر، استيقظ على طرقات الريح،

فرأى زوجته الحبلى – في شهرها الثامن– وطفلته التي لم تتجاوز التاسعة،

بعد تكنسان (الحوش).

فصفعته تداعياتٌ مضجرة:

ماذا لو كانت زوجةُ أحدهم؟ ماذا لو كانت طفلتُه تلك"؟!!

(5)

تأمل الغبارَ الذي تلبّد في عيني زنبقته الصغيرة،

والذي تراكم بشكل كريه على عذوق نخلته المثقلة،

وألقى عليهما التحية.. وخرج إلى دوامه بلا إفطار.

(6)

في الطريق إلى العمل وفي الشارع المزدان بالأشجار والأزهار،

وقف يتأمل أحد القصور، التي رابط في شرفاته عشرات الخدم كالغربان،

وهم يجعلون مكانسهم الآلية وخراطيم المياه،

فأصيب بالقنوط، وأطلق مئات الزفرات،

ثم شرع بعدها..

بالغناء!!!

مناخات، مناحات قلب[24]

(1) المناخات

هذه مناخاتك يا قلب:

جبال، أودية، ضيم،

وبراكينُ حممُها تحرق السحائب الكسولة،

ورعودٌ تصهل في آفاقِ الصحراء الموعودة بالغيم.

***

هذي مناخاتك يا قلب:

زوابعُ... أو نسائمُ... أو دوماتٌ من رملٍ

ترقص عبر فضاءاتِ الروحِ المخبولة... أو (ديم).

هذه مناخاتك يا قلب:

"شيح، أو عوسج أو عرفج أو نفل" أو ريح.

---

[24] السياسة 18 مايو 1983

هذه مناخاتك يا قلب:

حداء، وبكاء، وعواء، و(رزيم)!.

(2) المناخات

هذه مناخاتك يا قلب:

أجيال، أوبئة، أحزان،

وعمائرُ تخرق السحائب...

وعمائمُ كتائب،

تمائم،

جرائم...

وإنسانٌ يقتل إنسانًا.

هذه مناخاتك،

هذه مناخاتك:

هاتيك أفراحي،

وتلك فجائعي... يا قلب.

هاتيك أفراحي وتلك فجائعيّ

موحشون حد الدهشة،

وغريبون حد الرعب،

هؤلاء القساة الذين يضمونك الى صدورهم الصلدة كالأسمنت،

ويضغطون عليك بحميمية مزوّرة،

حتى لتسمع أضلاعك الناتئة تتكسّر،الواحد تلو الآخر،

وأنت هكذا تحاول – باستلاب مرير – أن ترفع بالهواء الخانق اقواس الصدر لئلا يُنسَحق داخلها طائرُ الفرح الجميل (!!)

وآه...

أيها الموحشون المدهشون،

حينما تطوّقون هذا الجسد النّاحل بأذرعكم الأخطبوطية اللّدنة،

وتغرسون بهمجية دامية اظافركم المعدنية السامة،

في هذا الظهر الناحل الطعين،

وتبتسمون ببلادة السلاحف،

مطالبين بعدم التوجّع ... والبكاء.

وآه...

أيها الغريبون حد المرعب،

حينما تعصبون العين لتحولوا بينها وبين انبجاس الدمع،

وتنتزعون بالإكراه – ضحكةً مثل عواطفكم

باهتةً ، وتقهقهون بصفاقة طاغية...

وآه ...

أيها الموحلون بالدخان والغاز والماء،

حينما تلقون بكل عشبةٍ نقيّةٍ في مجرى الـ (....)،

ولا تريدون منها التلوّن أو التلوّث والالتواء

– ٢–

تُدَقُّ المدى في صدرك حتى الأنصال ،

ولا يُراد منك التوجّع

تغرق مُرغمًا بـ الأوحال،

ولا يُراد منك الاحتجاج،

لئلا تُتّهم بالتبرم (!!)

يفترسك الجوع والفقر وحيدًا ،

ولا يُراد منك الانين —

حينما تختفي كل الأكفّ الجاهزة - قَبلاً - للمصافحة —

لئلا تُتّهم بالشره!

تتقاطع فوق هامتك السيوف،

ولا يُراد منك رفع الراس،

لئلا تُنعَت بالجبن

-٣-

أخيرًا: -أطفئ بقبضتك الجمرة..

لئلا تحرق جسدك،

وسِرْ باتجاه البحر،

وارفع رأسك للريح،

لتغرس قرنفلةً في الصحراء

أفوق الأسرة (يموت) نخيل الصعيد.![25]

وأيضا إلى أمل دنقل

معذرة، أمل دنقل...

تذكّر أنني همست لك قبل، أن تأوي مبتسمًا إلى تابوتك الأخضر الأخير:

إنه من الأفضل لنا نحن الصعاليك ألا نغادر – مسرعين- هذا العلم المليء بالبشاعات، لئلا نصبح أشدَّ بشاعة منه،

واذكر أنك كنت تقهقه وتلعنني – ساخرًا –، أليس انهزامًا؟!

أليست خيانة؟!!

آه يا نخلةً هاجرت من أعالي الصعيد إلى القاهرة..

أبهرتنا المدن،

جذبتنا إلى ضوئها كالفراشات،

هُمنا بها،

---

[25] السياسة (24 مايو 1983)

أحرقتنا بنار هواها،

التجأنا لها،

سرقت –إذ تعافي العذابات من أجلها أو إليها–

ضياءآت ارواحنا الطاهرة.

نعم، أيتها النخلة الصعيدية الباسقة،

(التي سرقت ضياءآت أرواحنا) وغادرتنا ،

أخضر تتوهج ، أو تتورد ، أو تزدهي.

فقال إذًا يا أمل:

ما العمل؟!

لنرجع من حيث جئنا.

ليَرْجِع "من حيث جئنا" إلينا

لتحمله في القلوب التي هدّها الأمل المستحيل،

أضَلّ السبيل تلينا ترى ؟!

أم أضللنا السبيل؟!

(سؤالٌ غريب...)

ويبقى الجواب يشاغل ذهني ،

كما السيف الخاصرة..

فـ (انتظرني، امل).

***

إشارة: أعاد أبي نشر هذه القصيدة بعد وفاة صاحبة الشاعر المصري أمل دنقل، حيث أهداه أبي القصيدة وهو على "فراش المرض" في التاريخ 18 يونيو 1982م

القصيدة منشورة في **المجلد الأول**: ص1141

صباح القرنفل[26]

صباحُ القرنفل، أيتها الفارعةُ كصفصافةٍ صارخةِ الاخضرار، حينما تؤرجحكِ نسائم مباهجي النادرة كأنسامِ البراري.

هل تشعرين بالفرح؟!

هل أشعلتكِ بلابلُ أفراحي بأغاريدها العالية؟

وهل ناحت على أغصانكِ الرقيقة حمائمُ أشجاني السوداء؟

أو هل تدفّقتْ بحنوٍّ صامتٍ على جذورك الراسخة مياه الشعر الخضراء،

هل نفض الندى عن وجهك التراب؟!

صباح القرنفل أيتها العابرة كحمامة غريبة تدور تحت السحائب البيضاء كمروحة تحت سقف خفيض!!

صباحُ القرنفل ،أيها الشجرُ البريُّ الهارب من صحرائك الهادئة،لتنمو على أرصفةِ المدن المحتلّة بالضجيج.

صباحُ القرنفل، أيها البحرُ المعطّر بعرقِ الأجيال.

---

(26) السياسة 30 مايو 1983

صباحُ القرنفل، أيها العاملُ الحزين، وأنتَ تهوي بمعولكَ القويّ نحو الصخور.

صباحُ القرنفل، أيها الصباح الذي أرجو لك الديمومة.

صباحُ القرنفل، أيها القرنفل... يا سيّد الأزهار.

تشكيلية[27]

إلى (ح .م العنزي) في زمن القتال بأجمل الرجال سافروا الى خنادق الشمال وخندقي جريدة ، وبندقيتي مقال

- ضوء-:

لرائعةٍ يذكو في ذوائبها الرصاص النبيل،

والمطر الوَبل ،

والأغنيات الجميلة،

ويموج شعرها (النفل) المتضوع عبر سهوب البراري،

وتستأنس من نفثات أنفاسها الأيائل،

قبل أن يمزق أكبادها الفَشَك الهمجي،

لملاكي الأرجواني الأجنحة،

(27) السياسة 18 يونيو 1983

لمفرحتي، جارحتي، الغاضبة، الصاخبة، المفرحه،

لأصابعها،

مرابعها،

للوهج، النهج، القائم ضد الجور

لآلهة الحس، البؤس، الهمس، الهجس،

(قرنفلة البؤساء الحمراء).

التي ليس بمقدور حتى العواصف أن تحني هامتها

أو تبعثر شعرها اللهبي،

ما لم تمسسه كفّي.

-2-

حينما مددتُ كفّي نحو شعرها،

انطلقت أنشودة اهتزت منها المباني،

وغيّرت اتجاهاتها الشوارع،

وتجهّم المارّة.

"شعي يا نار الثورة، وضوّي بالدار،

جمرة بتولّع جمرة وتِشِبّ النار"

أيؤدي الطريق من هنا نحن فلسطين،

أيؤدي الطريق إلى القدس عبر المدائن هذهِ،

لستُ أميز، ولكنني حرت بكل الدروب كما أنتِ

سيدة الأمل الصعب مستاءة حائرة.

لأن فلسطين، ها شعرها الآن يمتد ليلاً،

يغطي جميع العواصم،

من صخرة القدس غرباً،

إلى (اسكندرون) شمالاً،

إلى ارتريا جنوبًا ،

إلى الناصرة.

هكذا أيتها الصعبة الحُلم ،والملح،

تكتمل الدائرة.

حدّقت بي مليًّا،

فأحسست بتخاذل رهيب،

ثم صرخت بها بعد أن استجمعت كل شجاعتي،

"اخفضي جوهريتك الغاليتين عني،

فإنهما تطلقان الرصاص علي"!

-3-

"لا ترتعب" ، قالت :

وقوفًا ،أيها الصديق كالجبل،

فالجبال في شموخها دائمًا على حق.

ولذلك (عليهم) أن يقفوا كذلك –وكذلك عليك أنت.

تهاويت بجسدي الناحل على صدرها الحنون،

وغنيت بأعلى الصوت:

"يا ديرتي حملوا

يا ديرتي شالوا

يا ديرتي وأشعلوا

في القلب نيرانو"

لا تبتئس، سيصبحون مئة مليون،

وسيُشعلون العواصم،

التي لن تمحوهم،

فانتظر لهيبهم القادم.

- هجس:

"يا ليلهم، ليكن فحمي،

توقد هونا في قلبي،

أصهر صلب أعماقي،

فأنا سندان لا ينفك،

ونصل يلمع بالنصر"

- إشارات-

- الأغنية في المقطع الثاني فلسطينية

- الوقوف في (3) لـ مالك حداد، والأهزوجة فلسطينية أيضاً.

- الهجس: ليوجيف أتيلا – المجري-.

قهوة بيد القصيدة[28]

تجيء لتوقظني في الصباح القصيدة،

تُقدِّم قهوتها (القرمزية)،

تجلس بيني وبين القنوط وبين الورق،

فتُزهِر روحي قليلاً،

ويهرب منّي القلق،

***

فأدنو منها لتقبيلها فتفرّ،

وأبقى أحدِّق –عبر الفراغ– أحاول قتل الأرق،

***

ولكنّها حين تأتي مُؤلَّهَةً بالنقاء الخجول،

وتدنو منّي مخبئة –خلفها خنجراً،

(28) السياسة 20 يونيو 1983

فتغمده في الضلوع،

فيغدو - بلون الدماء- (الفُسق)!!

وأبقى أعاني نزيفاً ذريعاً،

يُمزِّق روحي،

منذ ابتداء الصباح،

وحتى ارتفاع النهار،

إلى انكسار النهار،

إلى انتحار الشفق،

[تحوّل دمي إلى أزرق،

يتأجّج

أو يتوهّج،

أو ينطفئ]

ولكنّها،مذ أطَلَّت،

قَفَزَت،

فأخضرَّ دمي،

تورّد،

صار حقولاً من النار والخضرة الدامية،

وامتدّ سربٌ من الطير والشعر حتى الأفق.

الطير وهوادج الفرح[29]

إيماضة

"قلت أرحل،

أسوق خطواتي من (زول) نسي الألفة، أهوم ليل.

أسافر ليل، أتوه من مرفأ لـ(مرفأ)،

أبدِّل ريد بعد (ريدك)،

عشان يمكن يكون (أوفى)

رحلت وجيت ...

وفي بعدك لقيت كل الأرض منفى!!"

– التيجاني سعيد–

***

هذا الطائر الأخضر النَّزِق الذي يُغرّد بين أضلاعي،

(29) السياسة 26 يونيو 1983

حمل بالأمس قفصه الصدري وطار.

فشعرت بأنني هيكلٌ خشبيٌّ يتحرك في الشوارع السوداء بلا روح.

اختبأ طائري في غيمة بيضاء،

هرباً من البواشق والعقبان وكواسر الطير المريبة،

والصواعق التي تحمل ألسنة اللهيب،

وأخذ يمار الارتجاف.

فاجأت السحابة نسمة هوائية أخطأت مسارها الصحيح،

فزوّبعت بنديف الغيمة،

فأمطرت قضبانًا سوداء سقطت كرماح صدئة فوق حقول الروح،

فحطّمت على رؤوسها المسمومة فراشات بيضاء؛

لذلك كانت حقولي مُزهِرة بشكل مخيف.

في الليل عاد طائري الحزين،

وحطَّ على كفي، وذرف قليلًا من الدمع الطازج،

ارتشفته بعطش شَرِه،

فسرَت جداول زرقاء في السهوب القلقة،

وأخذت مُنتشيًا أُغنّي بصوتٍ يشبه النحيب،

ففرَّت الفراشات،

وانغرست في الأرض –حدَّ التلاشي– الرماح،

ونهضتُ لأستقبل نهاري بالتفاؤل العجيب (!!)

في الظهيرة كانت خلايا جسدي النّاحل تضجُّ بالموسيقى

والشعر،

وحداءات القبائل الظاعنة نحو مدائن الفرح.

وكانت ترفرف فوق هوادجهم الملوّنة مئات الطيور البيضاء

وتلتمع فوق أسرجة خيولهم السيوف.

أهزوجة للهنود الحمر

بدءٌ

لقد كان الهنود الحمر أهلَ أمريكا،

وإلى أن تكاثر الغزاة،

فسلبوهم- حتى حقّ الانتماء للأرض المجردة،

أما (الهنود السمر)،

فقد حفظوا لنا الأمس،

واضعناهم اليوم (!!!)

لوحة:

سُحُبٌ راحله باتجاه الجنوب،

تسير الهوينا،

تجرجر اشلاءها في فضاء السهوب.

و تتفرّق مذعورةً في أعالي الجبال،

صراخ طيور...

وثمة وسهمٌ وحيدٌ

يمزّق عبر ارتحالاته للسماء،

الرياح ويسقط... منكسرًا

فيا للمستوط الكبير!!

وثمة في آخر الأفق يجرى حصان سريع،

بالموقع الحوافر ، بالشرار المتطاير منها

وياللارتطاماتها بالصخور،

ويا للتوجع ،هنا، إن تحت الحوافر (ويشد) يعاني نزيفًا ذريعًا وبعض الكسور ...

وإذ ذاك، ثار عجاج، وثار صهيل خيول،

كحدو القبائل الغازية أو كـ (ضبح) النجور،

وثار رصاص كثيف،

ليشعل بالموت كل الجهات،

وظل دخان يمور ...

إشارة:

الويش: نسبة الى قبيلة الاوباش الهندية الحمراء في امريكا .

مشاهد في الظهيرة [30]

(1)

في عزِّ الظهيرة — الحادّة – حيث الكل مضطجعون أو موتى في هذا الوقت بالذات رأيتُ امرأة مكفَّنة ذات عينين تُشبهان غرابين ميِّتين تقود (قبرها الحديدي) السريع باتجاه المدينة التي بدت لي أشبه بمقبرة أخرى.

(2)

تطلّعتُ صوب الرصيف بعينٍ نصف مغمضة، فرأيت شجرةً باسقةً تنفض عن (شواشيها) الغبار فتذكّرتُ رقص البدويات في الأفراح، أو انتفاضات أعراف الخيول النافرة في شدة السباق.

(3)

كان يستلقي تحت الشجرة إياها رجلٌ عجوزٌ تهرّأت يداه، كما تهرأ من مقبضها خشب المعول من شدة العمل، وكان يهجس لربما– بالصغار الحفاة في الوطن أقصى، والمرأة التي تكدح طوال النهار من أجل توفير الخبز والحب لهم.

---

[30] السياسة 30 يونيو 1983

***

في الطريق إلى البحر رأيتُ صادة الأسماكِ الصغار يجرّون مراكبهم الخشبية العتيقة باتجاه (السيف) وكانت تعبق من أخشابها رائحة العرق، والأملاح والعَطَن، وكانت جباهُهم الشامخة تلتمع بالعرق النبيل تحت الشمس.

***

بائعُ الجرائد المبتسم الصغير الذي كان يناولني صحفي اليومية اختفى منذ أسبوع، وحينما سألتُ عنه الرجل المتجهم الذي كان يقف مكانه قال لي بأن والده مات، وذهب ليعيل أسرةً مكوّنةً من عشرة أشخاص.

الأولئك[31]

ها قد رأيتُهم بأكفّهم المتّسخة البيضاء يريدون دروعًا مصنوعةً من الوبر الأسود ويجوبون الشوارع.

كانت أعينُهم تقدح رعبًا وتفيض قلوبهم الصلدةُ حقداً – يا للهول!!

المصابيح كانت تنطفئ إزاء نظراتهم المغولية الشرسة وتهتزُّ هلعًا من حفيف أكفانهم الأزهار.

***

الطيور – يا الله حتى الطيور – قبعت مرعوبةً فوق الأشجار تخفق في حناجرها الأغاريدُ لدى لمحهم.

من هؤلاء الهمجيّون الذين يُطلقون رصاصهم باتجاه النجوم؟ من ذاك الحاملُ سيفًا كي يشطر فيه الشمس، ويقرأ طلاسمه في أسماع الأطفال ؟

***

(31) السياسة (24 يوليو 1983)

ما تلك الجثثُ الحجرية التي تجتاح الحدائق كجراد يغشاه الجوع.؟! ما تلك الأوثانُ الناهضة من كهف التاريخ كي ترفع فوق مدائن الفجر بيارقَ السواد؟!

***

آه، إنّي حزين.

يا للبؤس.

يا للبؤس.

يا للقنوط!!

خذني إلى غابتك[32]

طفلان بريئان أو شجيرتان بريئتان يطرحان الظلّ والأناشيد والأمنيات بانتظار شمس المستقبل كانا.

(2)

دنت له

دنا لها

اتحدا (أصبحا شجيرة واحدة)

أصبح الظلّ أكثر شساعةً ،وأصبحت الأناشيد أكثر إيقاعًا

والشمس أكثر إضاءةً.

(3)

مارست الريح قسوتها في افتراق الغصون.

انفصلت الشجيرتان الرائعتان، وحلّ الفحم.

---

[32] السياسة (08 يناير 1983)

(4)

اقتلعتا

زرعت هي في الصحراء وزرع هو في الغابة.

(5)

القت ثمراً مرّاً له نكهة الشوق، والقى زهرا له ضوعة النفاد.

(6)

بعد عدة سنوات التقيا، تشابكت الغصون مرة أخرى!

بكت الشجيرة، قالت:خذني إلى غابتك المخيفة الرائعة فلم أعد أتحمّل قسوة الصحراء.

طائر الشر[33]

هذا الهُديلُ النحاسيُّ للحمائم الذهبية فوق خرائب الروح أتسمعه يا قلب،

[يا أوسع من فلوات الحرية وأضيقَ من عيش المرتاب]

هل دوى بمنافذ أشجانك مثل صهيل المبرزخ أو أنبت في خفقاتك أزهار الجمرِ،

هل أطلق نحو مجاهلك الوعرة أطيارَ الشرّ السوداء؟

هل أنعم سكنتك الحجرية بالبهجة؟

البهجة

هل قلتَ البهجة؟

هل تعرف كيف تجيء هذي المدعوة بـ(البهجة)؟!

هل هي امرأة

أرض؟

أغنية؟

[33] السياسة 14 أغسطس 1983

زهرة؟!

هل هي عاصفة؟

نهر؟

نار؟

نجمة؟

هل هي حلم يحمل باقات الشعر

وبنفسج ضوء الإشراق ليغسل فيه جوانح حوريات الحب الأسمى،

ليتكحلن برماد (سمندل) نار الطهر، ويطرن بعيداً نحو جزائر فجر الأفراح وينشرن الألفة؟!

هل قلت البهجة؟!

عفواً يا نجم سماء القلق المتراقص بين الأقواس القزحية للصدر المكتظ بسحب الأوجاع..

لا أنت مدار الفجائع

وطائر الغضب

وعناق الظلمة للضوء

وأغنية الوحشة.

تلويحة الى صديق مغادر[34]

(إلى أين، يا طفلَ الكوارثِ الذي ترضعُ من ثدي المآسي وتسكن في رئةِ العاصفة؟!)

إلى أين، أيها المِصرُّ على الانتحاءِ الصَّلْفِ عن سحائب الوطن من أجل سماءات التحليق الأشمل؟!

هل أنفقتَ قبل رحيلك دمع العمر، واحتفظت بزجاجةٍ منه كذكرى جميلةٍ مخزية من وطنك الحبيب؟

(ذكرى) حينما انفتحت حقيبتك بوجه الجمركي كالصّرخة، كاد أن يموت من الضحك حينما قلت له: بأنها "ذكرى" —هو سألك بسخريةٍ مرة.

لم أسمع بأوطانٍ تهدي بلابلها الحزن بهذه الطريقة، أنت أشحتَ عنه ودلفتَ مبهوراً جوَّ الحرية، قبل أن تبصق سكين الحلق وتطلق أغرودتك الكتيمة الأولى.

–شوارع الغربة–

---

(34) السياسة (18 أغسطس 1983)

وفي شوارع الغربة، يا صديقي الكئيب، سترى أطيار الصحراء العربية الناصعة قد تحوّلت إلى أغربةٍ سوداء بفضل أدخنة المصانع والبؤس ولوعة الشوق.

-العصف-

ولما العصف داهمني، يدوي مثل قنبلة، تنامي الخوف في قلبي، ونزل القلب وارتجف، ليلقي وجهي المكدود من ترحاله البدوي عبر الليل من منفى الى منفى.

تفقد[35]

أنت، يا هوه! يا الذي تسير في الشوارع الأفعوانية السوداء بلا هادٍ...

توقف، يا ابن آدم!

هل سلّحت قلبك بفولاذ الصبر.؟

(يا يتيم البراءات، طفل المآسي)

هل أضأتَه بلهائب الأمل؟

تلمّس أضلاعك إذًا.

(هل هي مشعّة كما يجب؟)

إذا كانت كذلك، أسق زهرتك النارية بعطر الشعر، ودَعْ جذورها تمتدُّ في شرايين الجسد، واجعلها تتبرعم أكثر، حتى تصرخ خلاياك بالعبير.

- هكذا فقط، بإمكانك أن تواصل المسير.

---

[35] السياسة (24 أغسطس 1983)

غزالة النفود المضيئة[36]

لا مبالاتك اليوم تقتلني غدًا".

إهداء:

للتي تطعن القلب

في قرنها المشرئبّ

وتمضي تُسابق ريح السهوب

لتلك البراري الفسيحة..

***

للتي طاردتها صقور القبائل

ما راعها الموت، ما استسلمت للعياء،

وما سلكت، حين ضاقت بها الأرض

كلَّ الدروب المريحة...

---

[36] السياسة 9 يونيو 1983

***

ولكنها في التلفّت نحو اليمين

ونحو اليسار،

ولما استراحت قليلاً،

وضاقت بها هذا الحصار الشنيع،

أرتعت في فؤادي الطعين،

وها هي لم تزل مستريحة...

(2)

(CUT)

أُسدِلَ ستارٌ زمني صلبٌ على نقلة درامية طويلة فامتلأت سهوبها بجبال من الإسمنت،بعد أن كانت (قطعانهم تملأ السهوب)، وتنتشر خيامهم في أحضان الروابي كعباءاتٍ تخفق فيها الريح الغبار..

(3)

من هذه "العَنود" الصارخة الجمال، التي تقود سيارتها الضخمة، وتدهس أحلامي الخضراء، وتمضي تجوب الشوارع..

وهي تقهقه بلا مبالاة

..آه..آه..

حزن تقليدي[37]

أكثرُ الطيور حُزناً على الأرض: هي الطيور العربية.

أكثرُ الخيول مَهانةً على الأرض: هي الخيول العربية.

أكثرُ الزهور هلعاً على الأرض: هي الزهور العربية.

أكثرُ الأطفال يُتْماً على الأرض: هم أطفال الأمة العربية.

أكثرُ الأممِ تَعاسةً على الأرض: هي الأمة العربية.

[وذلك لأن: –]

الطيورَ يسقطها رصاص احتراب الأمة العربية.

الخيول تُنهِكُها سياط فض اضطرابات الجماهير العربية.

الزهور تسحقها جنازير دبابات جيوش الأمة العربية.

الأطفال يُيَتَّمون لأسباب تجهلها الأمة العربية.

---

(37) السياسة 23 سبتمبر 1983

يوم دراسي[38]

هو ذا صباح كورال الأناشيدِ النديَّة

[تصدح في روحك موسيقى اليقظة]

تفتح عينيك الهائلتين بحجم الكون

وتنهض:

يا صباح التفاؤل يا كل الأشياء الجميلة.

تقولها وأنت ترى الأطفال ينبثقون كالنواويرِ المضيئة، ويملأون الشوارع،

شرائطُ الصغيرات تخفق تحت ضوء الصباح النبيل، مثل زنابق الأمل

حقائب الصغار تقفز على أكتافهم الرائعة، كالبيارق الملوحة للفجر،

حقول من أزهار تهرول باتجاه المدارس،

طيور فرحة ترفرف باتجاه الشجر،

(38) السياسة 29 سبتمبر 1983

غيوم رهوة تتأود باتجاه البراري،

مباهجُ نقيَّةٌ تجتاح روحك دفعة واحدة.

وفي صباح التفاؤل يا لك من رائعةٍ أيتها المعلمة الباسمة كالقرنفلة الصارخة.

ويا لكَ من قديس أيها المعلم المغتبط بالبذار النزية.

أما أنت ،يا ذا العامل الذي تطرد من طرقات الورد الغبار فلك أريج كل الأزهار

وضوء كل الصباحات،

وتحايا كلِّ الأطفال

وأغاريد كلِّ الطيور.

أجمل الهدايا

1 – تساؤلات قبل انبثاق الدم – بمناسبة يوم العامل –

هل تكفي كل زهور العالم، اللاتي غرستها اصابعكم لتتجمّل فيه مدائننا، أن نظفرها أكاليلَ حول سواعدكم ؟!

هل يكفي العشب الثابت من عرق الكدح أن نجد له أوشحةً خضراء على أعواد معاولكم؟!

هل تكفي السحب البيضاء الرهوة أن تتحول أقمصةً ناصعة تمسح عنكم نهر العرق المالح حين يبلّلكم؟!

هل تكفي أجنحة الأطيار الممدودة تحت الشمس أن تتحول أشرعةً عند الظهر تظلّلكم؟!

2 – اجابة واحدة رباعية الانتشار

– لا – لا – لا – لا، ولكن:

هذه الأيدي البيضاءِ التي تتلوث مِنّا – وبنا – يومياً، أليست تستحق المصافحة؟!

هذه القبضات الملوِّحة في الهواء، أليست تستحق الراية؟!

هذه الأكف التي تفقد أصابعها تحت تروس الآلة من أجل الإنسان، أليست تستحق القبلة؟!

3- بالمناسبة

بالأمس، سقط عددٌ من العمال تحت وطأة التكديس، ولم يبتهجوا بعد بـ"عيد العامل."

فوردةٌ على قبر كلٍّ منهم،

وقبلةٌ على جباههم الممتدة باتجاه الشمس...

4- وبعد

الموت ليس هو النهاية،

والدم ليس هو أجمل الهدايا،

والمجد للمعول،

والراية،

والإنسان.

هكذا أتوزع[39]

ما بين خيمتين موزَّعٌ قلبي

ما بين غيمتين موزَّعٌ دربي

ما بين أزمتين موزَّعٌ حبي

فالخيمة الأولى:

منطلق الفرسان:

إلى مدنٍ صادرت منهم شجاعتهم، والنشيد الحماسي،

ألقتْ بهم للشوارع فاستسلموا للتحجُّر

صاروا – بمرّ الزمان – تكايا.

والخيمة الأخرى:

(39) السياسة 13 نوفمبر 1983

منطلق الإنسان:

إلى مدنٍ صادرتْ منه مدائنه، والبهاءِ السياسي،

ألقتْ به إلى المدافع كيما تُفجِّر، حتى تشظّى،

فصار مئات الشظايا.

ما بين غيمتين

دربي غدًا دربين

إذن ما بينَ بين،

يا شاسع العينين،

ما بين خيمتين،

قلبي غدًا قلبين،

فكيف يا حبّي؟

2. الغيمتان

في الغيمة الأولى:

ارغو إلى برق

يضيء لي ليلي

أهفو إلى مطر

في القيظ يأتي لي

أصغي إلى رعد

يهز في جبلي

في الغيمة الأخرى:

برقي هو البركان

يرج هذا الكون

فترجف الأركان

ليوقظ الدنيا

على أسى شعبي

إذن ما بين بين

يا مشرق الخدين

فكيف يا حبي؟

3. الأزمتان

في الازمة الأولى

آمنت بالفداء

ومبدأ الطلقة

لكن بيت الداء

والغم والحرقة

أن لا أقول الـ(لأ)

لعاشقي الفرقة

في الأزمة الأخرى:

صار أخوتي أعداء

وانقسموا في الأرض

واشتطت الأهواء

في الطول أو في العرض

يا شعب..لأ.. لأ

البعض جزء الكل

والكل جمع البعض.

تعليق على ما سيحدث و(ما حدث)[40]

– الصقران

لا بأسَ أيُّها الصقرانِ الكاسرانِ، ذَوَا الأجنحةِ الفولاذيّةِ الصُّلبة،

اللذانِ لم يُدَجِّنْكُما صَقّارٌ، ثمَّ تحفلا بالحِلفِ الوفير،

ولم تَضَعَا أجنحتكما للخنوعِ، والنومِ، والتدجير.

ولا بأسَ حينما تُبْتَرُ الأكُفُّ المقَنَّعَةُ بجُلودِ الأفاعي

(سُبوقُكُما) القويّة، لتنطلقا تعزفانِ كَبِدَ المغَيَّمِ بحفيفِكما الجميل،

وتنثُرا الريشَ عاليًا في الفضاء، كعاصفةٍ من (بَتَلاتِ) الوردِ المعَبِّر،

ليتأرْجَحَ أسهُمًا في الريح.

***

ولا بأسَ، لا بأسَ، حينما تَعْلَمانِ جيّدًا

---

(40) السياسة 12 مايو 1983

أنّ سماءَ القبيلةِ مُحنَّثةٌ بـ(الرُّخَمِ، والبُومِ، والحِدَاءاتِ الذليلةِ، و(البَواشِقِ) التي لا تحتفلُ إلّا بـ(الرُّخَمِ)، والفطائسِ، والجُثثِ الشديدةِ التَّفَسُّخ، كلُّ ذلك لكي تزدادَ امتلاءً وشِبَعًا كريهًا يشُلُّها عن مزيدٍ من الطيران.

***

ولا بأسَ، حلِّقا أعلى فأعلى،

فـ(فضاءاتُ اللهِ) مُمتدَّةٌ حتّى آخرِ نجمٍ في الدنيا،

وليستْ جميعُ الصحارى صحارى القبيلة!!

2- مقطع من زرقاء اليمامة:

ولما جَزَّ سيّدُهم لسانَ الطفلةِ الحُلوة،

وماتَ الصوتُ في الأوتار،

أرعبهم هُتافٌ هَزَّ رملَ الأرضِ عبرَ الدم، إذ يهتفُ:

(لقد جاءوا)

(لقد جاءوا)

وأنتم مثلما كنتم سُكارى طولَ هذا الليل،

لا تَصْحُونَ من سُكرٍ، كان النّزفُ يُسكِرِكم!

ولم يَبقَ بكم عِرْقٌ من الأذلالِ لم يُنزَف!!...

حلم المخلوق المنقرض[41]

رأيتُ فيما يرى النائمُ أنَّ شعوبنا (المهزومة) تخرجُ من أوطانها كالنملِ،

وتدُبُّ هائمةً في الصحراءِ بلا مأوى، مشوهةً وممسوخةً،

والعالمُ كلُّه من حولها عبر زجاجِ المركباتِ الفضائيةِ يشيرُ إليها بالأصابعِ ويضحكُ.

وحلمتُ بأنَّ مئاتِ الحواماتِ الممتلئةِ بالرجالِ الشُّقرِ المنتفخي الأوداجِ تهبطُ في صحارينا،

وتصطادنا بالشباكِ كسمكِ السواحلِ،

وتبيعنا إلى سيداتٍ أنيقاتٍ (يرطن) بلكنةٍ ببغاويةٍ،

يضعن حول أعناقنا أطواقًا ذهبيةً،

ويتجولن بنا على سواحلِ المصايفِ الدوليةِ،

مبتهجاتٍ بأنواعنا المدونةِ على أطرافِ الأطواقِ.

---

(41) السياسة 20 يوليو 1982

ورأيتُ أنواعًا منا معلقةً للزينةِ في أقفاصٍ خضراءَ تتدلى من سقوفِ صالاتِ قصورٍ لورداتِ الغربِ،

ورأيتُ أصنافًا أخرى تُجرى عليها التجاربُ العلميةُ في أنابيبِ المختبراتِ الدوليةِ في أكاديمياتِ العالمِ الثاني.

ورأيتُ أنواعًا مُحنطةً أخرى تقبعُ – القرفصاء – في متاحفِ الدولِ الكبرى، محفوظةً في أوانٍ شفافةٍ كتبت تحتها بالخطِّ الواضحِ:

"مخلوقاتٌ منقرضةٌ كانت في أواخرِ القرنِ العشرينَ تقطنُ منطقةَ الشرقِ الأوسطِ."

استيقظتُ فزعًا من وحشيةِ الحلمِ، تحسستُ عنقي،

وسرتُ داخلَ الإناءِ المملوءِ إلى نصفه بالدمعِ.

وشايات،إشاعات، دسائس[42]

أيّ زمن هذا، حتى الحديث عن الأشجار يوشك أن يكون جريمة!!

(بريخت)

حديث الشجرة

أمس تسند أحدهم الى ساقي، لاهثًا ككلب كان في عز الظهيرة.

قلت أظله لا بأس،

ولكنني حينما أحسست بلدغة التله الحديدية القاتلة،

أقشعرت أوراقي وانكمشت غصوني،

وانقبضت على بعضي حتى غدًا بلا ظل (!!).

في اليوم الثاني كانت الريح تحمل حفيف أوراقي، والتراب يسجل نبض عروقي، والمياه تقذف الوشايات (بيّ) إلى مصبها الضحل.

في اليوم الثالث رأيت فأسًا مجرمة تهويّ على خاصرتي الخضراء ولم أئن!!

([42]) السياسة (03 يونيو 1983)

في اليوم الرابع أحسست بمئات الحشرات الغبية وهي تنهشني ولم آبه.

في اليوم الخامس تساقطت أزهاري النبيلة ولم أحتج!

في اليوم السادس ذوت أوراقي ولم أصرخ!

في اليوم السابع سقطت لأقتل الحشرات والوشاة والدساسين ولأعمد –عمدا– الفأس في قلب التراب وأستريح!!!

الدرع الكهربائي [43]

التوجه الى قيصر الروم

بكى صاحبي إذ رأى الدرب يلتف كالأفعوان

ولا ينتهي بامتداد الوهاد

فطمأنته أنني قد تعلمت من كاهن بدوي

بأن جميع (الجواد)*

تؤدي الى منهل للمياه

إذا كنت في صحصحان (الحماد)

وبعد فراسخ من حثنا للركاب الكسولة خلف

السراب

رأينا الجراد

(يلوذ بأعضاد تلك المطايا)

و (يفقع) من سطوة الشمس زهر القتاد

[(43)] مجلة العربي –العدد: 375–فبراير 1990م

ولاحت قباب العلوج

تذكرت أيضا بأن جميع الدروب

تؤدي لروما

وهإننا قد هبطنا البلاد

وفدنا على قيصر الروم

ثم استجرنا

وأهدى لنا درعه القيصري

وقلنا: بلغنا المراد

شددنا الرحال مع الفجر

ملنا الى السوق نبتاع بعض النبيذ

وسرنا الى قومنا مع هبوب البراد

العودة:

بكى صاحبي

والمسافة دهر من الحزن

قلت: أجفف دمع صديقي

فمازال بيني وبين صديقي ملح وزاد

مددت يدي نحو جيبي

فكهربها الدرع

فاسّاقطت

و صرخت به:

آه يا سندي

قد فقدت يدي

فاخلع الدرع ثمة نهر من الجمر تحت الرماد

دبت بأوصالنا كهرباء

ارتجفنا

كطيرين ينفضهما البرد

أنبته:

ليتنا قد أفقنا على لعبة الدرع من حيتنا

ليتنا ، ليتنا

قد أطعنا وجيب الفؤاد

فها نحن نثوى بهذي المهامه

لا شجر نستظل به

ولا طائر نستدل به

ولا ناديات بأعلى (عسيب)

سكيننا في ثياب الحداد

ولما استبد بنا السمٌ

شاهدت ضبا يصارع أفعى

فتلدغه

ثم يهرب للحرمل الجبلي

فيفرغ سماً به

كي يعود الى حربها في عناد

تعلمت أن العناد جهاد

وإذ ذاك يا قيصر الروم:

خلعنا درعك المسموم فوق الرمل

تمرغنا كما (الضبان) في الحرمل

وعدنا مثلما كنا

تواصل در بنا نكمل

وها نحن نمضي خفافا الى مجدنا المستعاد

نعيد قرانا السبية من (كندة) الباغية

وتزرع كل البوادي زهورا

ونحكم بالعدل بين العباد..

إشارات:

- الجواد: جمع جادة وهي دروب الإبل في الصحراء
- يفقع: يفجر.

الى أبقي فرح.. من ابقى عيد . الى الوطن [44]

انا مهما اغترابي طال

على هالأرض

حزين وشاعر جوال

لي نجمه تضوي لي

قناديلي

وتناديلي

من الابعاد

ومن أوحيت

انا لبيت

نشرت الروح

فوق الريح

[(44)] نمط التفعيلة العامية – نشر في: 26/2/1987

وصارت للوطن خيمه

وشراييني لها اوتاد

وانا علقت هالفؤاد

لها بلبل الدجى شمعة

وتلاقينا بلا ميعاد

وكان شعري لها غيمه، هطل ديمه

زهور الحب تنبتها

تثبتها

بتريتها

وعطشها للثرى يزداد

أرواحهم هي مخدع الموت

مثل تفجُّرات اضواء البهجة واندلاعها الفجائي في عتمات الرُّوح حين تكون محتلة – حدّ الاختناق – بليل نزق كريه تلاشيه لحظة المصادمة وتغسله بالنور، هكذا تنبجس القصيدة. "اللوحة . الفكرة . الأغنية" .

وهكذا أيضًا يتورد الضوء الصوتي المتراقص الأنيق على وجنة الحياة ...

***

الخاوون وحدهم هم الغبار المقيت الذي يشجب بتلك الوجنة ويمنحها تجهمات الحياة.

وهم وحدهم سبب الملل ، الخمول . التبلد . الترهل . الاختناق . ذلك لأنهم في حديقة الحياة بمثابة الاشجار الكسولة البخيلة الظل – غير الصالحة – اطلاقا – حتى للاتقاد (") ..

***

وهم وحدهم المأوى الملائم للحشرات عديمة الجدوى والأوكار المتخشبة للزواحف والمتسلقات التي تنخر جزع الحياة

***

وهم وحدهم أي "المتغطرسون، الحاقدون،الأنانيون،المدعون، الفارغون ، المتكبرون. الساذجون" ...

***

هم – أخيرًا – وحدهم — الموت: لأن أرواحهم النتنة هي المِندَع الطبيعي له

اشتعال المياه وقصائد أخرى

(إلى سليمان الفهد هذا اللهب الفوضويّ)

(1)

غادرتك السفائن مملوءةً بالبراميل والمال يا آخر العاشقين، كما غادرتني القوافل مشحونةً بالغلال ،فلا تحزنن (!!)

فهذا زمان لصوص البحار،

وعصر من السلب،

والنهب والاحتيال،

وهذا مناخ الدماء الرخيصة.

هذا زمان ازدهار الجيوب الأجيرة،

هذا زمان من الشنق،

والخنق والاغتيال.

وهذا زمان. ترى هل تحن البحار الى النار فيه؟!

وتحلم بالجمر كل المياه النقية، تشتاق فيه إلى اللهب الفوضوي الرمال

سؤال بسيط.!!

وأغرب من ان يجيء الجواب

غريبا يجيء السؤال.

ولكنه سوف يغدو بسيطا، إذا جنّ ليل

وشحت جميع المنارات بالضوء، واستسلم الخانعون

وأومض سيف على الأفق مثل الهلال

واذ ذاك سوف تحن البحار الى النار ان لوثتها البواخر بالزيت واحتج من كثرة الارتحال

واذ ذاك يلتحم الماء بالجمر، ينهلع اللهب الفوضوي ويبدأ طين

السواحل بالاشتعال!!

(2) – شال

يا لـ (الشال)

يلتف على جيد الحلوة

مثل الغيمة حول البدر

-لكن. تخلعه بـ (ريال)!!

إشارة:

سليمان الفهد الكاتب الكويتي الساخر

لي باوسونغ ..من أنت؟

يأتينا من اعماق البحر اذ ينحسر الموج وتغدو الجزر ضحلا يعج بـ . القباقب ، الصغيرة الهلعة التي تدفن نفسها في الطين.

قصيرا يحمل حربة مذيبة وكيسا ممتلئا بالقواقع وفي عينيه الضيقتين يعشعش حزن لا يضاهي.

***

لي باوسونغ . .. هل تحب البحر، ام المستنقعات.

ام العمل الشاق في كبد الصحراء؟

هل تشرب الثلج الذائب في الماء أم تكتفي بالقهوة والشاي ؟

لماذا انت ذات مرة أيها الكوري النزق بصقت القهوة في النار وخالفت بذلك اعراف الصحراء ....

***

لي باوسونغ : لما اتيت الى الصحراء؟!

هل قذفتك إلى هذا المنفى اللاهب شركة احتكارية؟!

ام طوّحك الفقر لتجمع قونا للعيال ؟

الديك اطفالا صغارا ضيقي العيون مثلك ؟!

ام أنك ضد الرمال ..

عدوانيا شرسا تكره البريق اللاهب؟

***

تامل بعينيه الحزينتين غروب الشمس. ودفع جرعة كبيرة من الماء إلى جوفه وحمل كيسه الصــغير النتن على كتفه وســار مبتعدا نحو أضــواء علله الصــغير ، بينما كان بنطاله الأزرق القصير يخفق كعلم في الصحراء.

مرثية الفهد الاخير

كان فهدًا يسلمه الوعر للوعر في دكنة الليل منحدرًا للمهامة تسبقه طلقات القبائل، حاقدة، يتقادح خلف براثنه المعدنية صخر الجبال.

وكان خفيف قوائمه المستدقة عبر الفضاء (يدبلج) صوت الريح بـ(صنج) البخور، بـ(أرزامة الخلج).

كانت عباءته الوبرية فواحة بالرذاذ المتمازج بالشيح، (بالعبس) الرعوى، وبالنفل المتضوع – من شدة الإرْتحال.

كان فهد يسلمه الوعر للوعر.

الوعر للبر،

البر للمدن الصاخبة،

دجنته المدائن.!

إذا أنكر البر أبنائه في اختلاف الزمان.

فهل هكذا كانت العاقبة؟

لم يمته رصاص القبائل، إذ ما انحنى للرصاص، ولكن لهذا الزمان تصاريفه المرعبة.

- أكان يظنّ بأن يسلم الروح بين يدي الطبيب الحديث التخرج؟

- بالقرب من نافذة الصيدلي القبيح.

وهل كان يدري بأن النهاية في إبرة (السستر) الساحبة؟!

إشارة :

نشرها في مجلة آفاق ثقافية – مجلة الجامعة – الكويت - 9 مايو 1982م عبّر لقاء ، أنظر إلى المجلد الثامن ،ص7854

1344

قَصَائِدُ مُتَرْجَمَةٌ
مِنْ كُتُبٍ أَجْنَبِيَّةٍ

Selection of Suleiman al–fulayyih poems

Suleiman al-Fulayyih

The late Suleiman al-Fulayyih, a Saudian-Kuwaitian poet and critic, was born in AL-Hamaad desert located on north of Kingdom of Saudi Arabia, He was working as journalist and writer for many newspapers and magazines in Kuwait and Saudi Arabia. He has seven published works of poetry that have been translated to English, Russian, French, and Serbokian

The Sorrows of Journeying Bedouins

Here they are-my tribe descending from the heights of the past- dust- colored gray eyed
Winds of the future lash them towards oases populated with rainwater
Here they are - like locusts of imminent drought coming from the last lands of the world
They arrived and scattered in this sandy desert like stone
Here they are- sleeping at the borders of the blue clouds
Impoverished they bed down in bramble bushes
They dreamt of dawn and wept as they saw a thunderbolt tearing the darkness
limping in the circle of shut horizons, receding gradually
At dawn, their tears wetted the wind, the earth, and the trees ,
Here they rise to their feet walking towards the limits of big cities
Hungry, thirsty, eating parched bread , drinking putrid water and fire
Here they are at the borders of big cities with hunched backs, broken
spirits, overspread in their shabby worn-out garments ,
Here they are, whiplashed by the horsemen of the Tatar army driving them away from the gates of big cities .
Here they are before the gates, laying down like pieces of hollowed wood .

There they are, extinguished stars at the
horizons of the blue clouds ,
so that in this era, a final curtain comes down
on the tales of the journeying Bedouins.

- **Translated from the Arabic by Tareq Alrabei .Stateless Literature of the Gulf**

The Apprehensions of Corrupt Times

And I have dreamt today, mother
of winds storming the grazing lands
holding back my horses
expelling my camels
lashing me in public with a snake
tying me behind my tribe's campsite
and when thirsty, it serves me my blood
mother, it has stretched in its tyranny

***

And yesterday I saw, mother, horses with
severed heads invading my tribe
And I saw a woman over a banner hoisted
chanting my name
naked, blood-ridden
I saw ruby coloured clouds racing over our
campsite
Showering our tribe's men with firewater and
the spirit of poison .
And I saw you, mother, in anguish
spreading sand between the dead
gathering left over flesh
and I saw a crow as great as the night
crowing around me
circling around the tent, neglecting my
presence
stealing my child
and flying far away
leaving me wallowing in the black sand
I lost my sanity
I saw lions roaring whispers

I saw dogs barking at the sun
I saw voracious wolves
I saw crowds of black ants on flowers
I saw drunken goats

***

And I have dreamt today, mother, of the long tamarisk branches
protruding out of the horses' corpses
turning into yellow buds
smelling of a stony scent
intertwined like the horns of deer
mushrooming like a terminal anxiety
the teeth of the night chews on it
vomiting it on the flowery face of dusk
in the face of whorish times
spitting on a generation's face
and I saw the big cities running across the desert's mirage
hunted by a tiring sense of fear
chased by a terrifying sickness
the devil of estrangement and evil
breaking it stone by stone .
And I saw falcons, black-ear kites, and penguins hovering over the cities I saw the blood of its kin
dripping from the vulture's claws
I saw an eagle hijacking a palace
and saw snakes in the horizon
drawing rainbows
I saw faces on terraces .
wearing ghostly masks
I saw minds on the streets
drinking a salty toast

***

Mother, is this a nightmare or an illusion ?
or is it something approaching, or ...

is this isolating restlessness a dream？
but, since awakening, I felt when laying my
head
on the tent's cord
feeling the grass
like spikes it stings me
The cord severs th neck
and it moves from wasit (middle column)
towards the 'uqda (the knot on
the peg)

***

And I have dreamt, mother, that I was
blindfolded
And my tribe's campsite pilfered
And the heads of my men plastered to the
wall And I saw you mother not crying
Because tears are crucified
and because the 'uqda is now tied to the
wasit.

- **Translated from the Arabic by Tareq Alrabei**

Stateless Literature of the Gulf

Anxieties of
Corrupted Times

…and tonight, Mother, I dreamt of winds
sweeping the pasture ,
quelling my horses ,
expelling my deer ,
publicly lashing me with a snake ,
binding me behind my folk's tents ,
quenching my thirst, when I do, with my
blood ,
and feeding me defeat .
Tonight, Mother, I saw headless horses
invading my people ,
and a woman up on the banner
crying out my name ;
naked, drenched with blood ,
and clouds galloping over our blood-red lands
raining down on our tribesmen with acid
water and venom breath .
Mother, I saw you bereaved
scattering sand
among the dead ,
and gathering crumbs of meat .
I saw a crow as big as night ,
its cawing surrounding me ,
it kept circling the tent, ignoring me ,
then snatched my baby
and flew away, leaving me
wallowing in the dark sand ,
losing my mind .
I saw lions roaring whispers .
I saw dogs howling at the sun .
I saw rabid wolves .
I saw an army of black ants on the roses .

I saw intoxicated goats．
And tonight, Mother, I dreamt of long
tamarisk branches
growing out of the horses’ carcasses，
sprouting into yellow flowers
diffusing a stony scent，
entangling like antlers，
diverging like chronic sorrow，
and were chewed by the night’s molars，
then vomited in the face of the shining dawn，
in the face of these sordid times，
and spat on this generation’s face．
I saw big cities running across the desert’s
mirage，
being chased by exhausted fear，
being hunted by a terrifying sickness，
and crushed to pieces by the demon of
alienation and vice．
I saw falcons, cameleers and cunning warriors
up in the city’s heights，
and I saw the blood of its people
dripping from the talons of an eagle．
I saw a vulture stealing a palace．
I saw a crow eating a tiger．
I saw snakes on the horizon
painting rainbows．
I saw faces on balconies
wearing ghostly masks．
And I saw brains on the streets
absorbing salty toasts．
Mother, is this a nightmare or an illusion？
Or is it something else that’s taking over, or
is this desolate insomnia just a dream？
It’s what I felt while I was awake resting my
head
against the outer rope
and touching the grass，

which stung me like needles this grass
grazed… this rope grazed my throat
as it stretched from knot to knot to the center
pole .
Mother, I dreamt tonight that my eyes were
folded ,
the land of my people pillaged ,
and the heads of my men mounted on the
wall ;
but I saw you, Mother, not crying… because
tears are crucified
and the center pole is tied up in knots .

- **Translated from the Arabic by Mohammad Husayyan**

Being

Till when will we continue

to engage in this madness？

When will we strive, my friend, to be

not as others imagine us

but as we wish ourselves

to be?

- **Translated by Lena Jayyusi and Naomi Shihab Nye**

Women

The women in this country are statues

They have been chiselled out of rock

Their hearts are piled high with emptiness

Their faces are stone and have no features

The women in this country have eyes of glass

They turn the other way and do not see a

thing

The women in this country have lips of lead

Not knowing how to smile they only move

them

When they're agitated

If they so much as glimpse the moon

The women in this country frown

Follies they have, kinships and friendships

But not the slightest trace

Is left on them by these

- **Translated by Lena Jayyusi and Christopher Middlet**

Clouds

What pain
When the heart darkens gloomily
Thick clouds
come crowding my mind, densely
densely ,
gradually .
What sadness when thunder shakes
the mountains of anguish in my heart
violently
violently it comes .
It destroys me ,
this lightning
that gleams in the desert of my
soul
but illuminates nothing!

- **Translated by Lena Jayyusi and Naomi Shihab Nye**

A Pony for the Tribe

When will the promised
pony come, people
ask and ask and more
And more people are
haggling over it, more and
more people aspire
To manage it, more and more
the chatter and the rumours
multiply. When, when
Will the pony come，
the promised pony？
they ask, the bridle makers，
More and more of them
fashion its bridle, the scribes
are all bent on figuring
Its pedigree. It's really
a farce. When will it come，
when, the pony? More，
Plenty of people hope
it won't come at all．
The problem, they argue, is
Its imminence. When，
when will the pony
come? Others wonder —
Those who weave abortive plans
about it, more and
more of them, those who
Busily are rigging
the gallows for whoever
might be riding it．
The farce goes on, the
questions multiply, the plots
and the confusion —

When will the pony
come? I'll tell you. Simply look
at the sky, the clouds
Piling up, their folds
dark, loaded with lightning, when
the lightning flashes ,
Then the pony will come ,
as lightning in lightning ,
thunder and earthquake.

- **Translated by Lena Jayyusi and Christopher Middleton**

TH E NIGHT BIRD

The bird who visited Me at night

In the end of that night scaped from my open

window frightnley

He landed in my small bred

Handle it and fly

I try to shoot my polifs twords him

But I wider stand from his fight that

He had a children.

- **Dubai Poetry Festival 2009**

Opinion

Where ever the senses narrowed

The vision will be wider

When ever a material is hammered

Will be a stronger and shine

Also acorn become a clearer

When it is flower

When you want me to listen to you

You should listen to my opinion

You will not convince my in your

Opinion until it will be logic

Hold the knife in my face to be in my eyes a hero ,

Darlkness am darkness is covered

Astonished from the light and

Become clearer

The sun is covered by a vale

Hay mammoth the age of litter less

Widely spreader

- **Dubai Poetry Festival2009**

GHOST

He go like when he carry
Agoat in this darkness
His eyes like a hall of pistol
And his heart atimed polite
His nows like afire nodge
Take care of your self
Becomes he passes from here
Who Is the vi ctim from us.

- **Dubai Poetry Festival2009**

Depression

When in the heart depression resides

and you pass like a cloud through my mind ,

in my eyes the whole wide world

becomes fly-sized.

- **Translated from the Arabic by Mohammad Husayyan**

A Wooden Baton

The baton，

when one day used brutally by a cop, ran

away from his grip to a tree，

where it became a new branch

flowering with glee，

softly hanging, and began

offering its fruit bountifully.

- **Translated from the Arabic by Mohammad Husayyan**

That's My Desert

To my friend Askar Qrushy
Welcome Welcome my friend
In the desert you can Say
One, Two, Three
You can See
Every things free
Person, bird, Grass, Tree
you can dance with them alone
sing Joke, play
also, you can see
moon, Clouds, and the stars
camel, Fox, falcon
falcon flies away
but, when you are hungry, you can
eat small lamb meat, and rice
on the tray
you can drink Milk, Coffee
and tea
everything you can do
in the desert Be free
except one thing no :
when you hear the mosque
calling you to pray
because that for God
If you do not do that
You will be bad.

- **Translated al-jazirah. 26/01/2012**

Ta' abbaţa Sharran

The one with evil under the pit of his arm (Ta '
abbaṭa Sharran) is chased by the whirlwind
he races the sound grouse birds to the water
streams
which will soon be engulfed by the whirlwind
Ta'abbata Sharran comes, without evilness
under his arm
save for his sword of sorrows
and the hunger of the Ṣa alik and the deprived
He turned back and ran as an arrow racing his
fleeting days.

Translated from the Arabic by Tareq Alrabei
Stateless Literature of the Gulf

al-sulayk ibn sullaka

O deviously shrewd man .
Do you know that your companions have now pushed you into your demise ?
Your blood is still trickling over the sand .
They returned your sword to its sheath, after you were injured And before the end of the battle, they surrendered .
While you have saved last winter's water for them In ostriches' eggs
And you carry on, noble one, practicing sa laka.

Translated from the Arabic by Tareq Alrabei
Stateless Literature of the Gulf

Mujeres

Las mujeres en este país son estatuas
Han sido esculpidas en roca
Sus corazones tienen montones de vacío
apilado
Sus caras son de piedra y no tienen rasgos
Las mujeres en este país tienen ojos de vidrio
Se dan la vuelta y no ven cosa alguna
Las mujeres en este país tienen labios de
plomo
Al no saber cómo sonreír sólo los mueven
Cuando ellas están inquietas
Si cuando con mucho le dan una ojeada a la
luna
Las mujeres en este país fruncen el ceño
Tienen locuras, relaciones y amistades
Pero nada de esto deja en ellas
La más mínima huella

- **Sulaiman al-Fulayyih (kuwaití; 1953). En: The Literature of Modern Arabia. An Anthology. Edited by Salma Khadra Jayyusi. University of Texas Press, Austin, 1988; second printing, 1988. El poema diario Editor Luis Miguel Aguilar**

دِرَاسَةٌ: ايْكُولُوجْيَا الْبَدَاوَةِ..

"الْعُرْفُ قَانُونُ الصَّحْرَاءِ"

مُقَدِّمَةُ النَّشْرِ

ترك والدنا الشاعر والأديب سليمان الفليح جملة جهود بحثية منوعة تمحورت حول البداوة والشعر والتراث الشفاهي أنجزها بجهدٍ شخصي بحت امتدَّ لفتراتٍ زمنية متباعدة بفعل الظروف وانشغالات الحياة، وكان هذا الجهد البحثي الذي عنونه بـ " **دِرَاسَةٌ: ايْكُولُوجْيَا الْبَدَاوَةِ.. الْعُرْفُ قَانُونُ الصَّحْرَاءِ**" كتبه ونشر نصه الأساسي في صحيفة السياسة الكويتية بتاريخ 2 مارس 1977 م بعنوان " العرف العشائري " وحسب ما تسمح الظروف كان يعود إليه مضيفاً ومعدلاً على الورقة الأساسية حتى العام 1984 م ومن ذاك احتفظ به دون تعديل أو إضافة.

ميزة هذا الجهد البحثي حسب ما نظن محاولته رحمه الله , البناء وبعث النقاش حول الأفكار والتجارب والبحوث التي قام بها المستشرقون الأجانب الذين جابوا الجزيرة العربية والهلال الخصيب خلال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين الميلادي، وفتح سجال فكري ومعرفي حولها في فترةٍ مبكرةٍ نسبياً (ونعني منتصف السبعينيات وأوائل الثمانينيات الميلادية من القرن العشرين)، التي شهدت رواج وشيوع الصحافة، واقتناء المطبوعات كحالة معرفية جديدة ومندفعة، ولاسيما لدى الأجيال الشابة التي بدأت ارتياد الجامعات وقتذاك، بحيث يمكن أن تشتعل كأفكار للجدل والنقاش والتطوير خصوصاً وأنَّ الفترة الزمنية التي نشر فيها هذا الجهد البحثي

منتصف السبعينيات الميلادية من القرن العشرين كانت مفصلية ولافتة في تاريخ منطقة الخليج والجزيرة العربية؛ نظراً للتغييرات السياسية والاقتصادية الهائلة التي غيَّرت شكلَ هذه المنطقة للأبد، حيث أُستكمل بناء مؤسسات الدولة المختلفة نظراً لتدفق الثروات وارتفاع أسعار النفط ،إضافةً إلى عاملٍ رئيس ألا وهو محاولة حفظ هذه المنظومة القيمية والأخلاقية والقانونية التي سادت لقرونٍ بين أبناء الصحراء ، ونظمت علاقاتهم ورسمت الحدود لسلوكهم وتصرفاتهم وحقوقهم قبل أن يذهب ذلك كله للنسيان .

كما شكَّل هذا الجهد البحثي الذي أنجزه أبي، محاولةً مبكرةً منه لشحذ إمكاناته البحثية التي أنجزت لاحقاً مجموعة طيبة من هذه البحوث والدراسات في مجالاتٍ عدة سيتمُّ نشرها تباعاً خلال الفترة القادمة, نسأل الله تعالى أن تكون في ميزان حسناته وأن يستفيد من جهوده كلُّ المهتمين والباحثين في هذا المجال هذا مع اعتذارنا عن كلِّ تقصيرٍ مذكرين في الوقت عينه أنَّ هذا الجهد البحثي ربما أن يُنتقد أو يُؤخذ عليه كان نتيجة ظروفه وإمكاناته وأفكاره ومجالاته الاجتماعية والثقافية حينها .

شاكرين ومقدرين لكلِّ من سأل واهتم ودفعنا لبدء نشر هذه السلسلة من الإصدارات والجهود البحثية التي تركها الوالد رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته .

الْمُقَدِّمَةُ [45]

يربطُ الكثير من المثقفين ودارسي علم الاجتماع بين البدائية والبداوة على أنَّ كليهما نمط متأخر من أنماط التطور الحضاري، وبالتالي فإنهما مرحلتان متأخرتان من حياة البشرية. لذا فقد شاع بين علماء الاجتماع –كما يقول أ. علي الوردي [46]– في أواخر القرن التاسع عشر رأيٌ مستمدٌّ من نظرية التطور التي كانت سائدة في الأوساط العلمية حينذاك ألا وهو أنَّ البداوة مرحلة اجتماعية مرت بها جميع الشعوب في تطورها قبل مرحلة الزراعة.

وقد ثبت الآن خطأ هذا الرأي حيث اتضح أنَّ البداوة لا تنشأ إلا في الصحراء وليست هي إذًا مرحلة محتومة مرت بها كلُّ الشعوب. بينما يذهب الباحث الأنثروبولوجي مونتغمري وات[47] – حسب مفهوم (م. ساور) على أنَّ البداوة هي مرحلةٌ ثانيةٌ تأتي بعد الزراعة لا قبلها وقد نشأت في مناطق السهوب الصحراوية حيث تنعدم الواحات وتندر مما جعل قومٌ من رعاة الأغنام والماعز يتفرقون عن القبائل الزراعية ويصبحون بدوًا مستقلين.

---

[45] – مقدمة المخطوطة الأصل

[46] – علي الوردي (1913–1995) عالم اجتماع ومؤرخ عراقي .

[47] – وليام مونتغمري واط (1909 – 2006) مستشرق بريطاني عمل أستاذاً للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجامعة إدنبرة –اسكتلندا.

أمَّا مصـــطلح "البدائية" بوجهٍ عامٍّ وكما تقول "كاثرن بيرندت"[48] – من جامعة أستراليا فإنها تشير إلى الفجاجة وانعدام التطور والخشونة وتدني النوعية . وفي بعض السياقات عدم كفاية الوسائل بالنسبة للأهداف، وتستخدم أحياناً لتؤدي معنى البساطة وعدم التمايز، وكذلك قد تعني طبقاً لاشتقاقها اللغوي (نقطة في الزمان، مبكرة، أولى)، تستعمل للدلالة على ما هو أصلي أو قديم أو من المنبع الصافي، أي: أنها تتصل ببدايات الأشياء، بفجر المجتمع الإنساني.

أما المجتمع البدائي فهو حسب تعريف فرانسيس هسو[49]:مجتمع قليل العدد، صغير الموطن، علاقاته الاجتماعية محدودة، لديه وسائل فنية بسيطة والوظائف الاجتماعية قليلة التخصص يغلب عليه ألا يكون لديه تراث مكتوب.

أما "ستانلي دانميد" إستاذ الإنثربولوجيا في كلية البحوث الاجتماعية – نيويورك فيقول :" إنَّ المجتمع البدائي هو جماعة لها أصول واحدة تتكون من أشخاص متجاوبين بعضهم ببعض وتنمو في الداخل وليس هذا المجتمع تجمعاً. فالتجمعاتُ تنشأ تحت ظل المدنية. وتؤدي وظائف متخصصة وتخلق شعوراً بأنها مفروضة من الخارج أنها كيانات خلقت من قبل أناس يفكرون

---

(48) –كاثرين هيلين بيرندت (1918 – 1994) عالمة أنثروبولوجيا أسترالية معروفة بأبحاثها في أستراليا وبابوا غينيا الجديدة حصلت على وسام بيرسي سميث من جامعة أوتاجو ، نيوزيلندا عام 1980

(49) – فرانسيس هسو (Hsu, Francis L. K) عالم الأنثروبولوجيا (1909 –1999) حصل على درجة البكالوريوس في علم الاجتماع من جامعة شنغهاي .

بشـــكلٍ موضـــوعي، وتقـــوم بوظـــائف موضـــوعية، وتـــؤدي إلى شـــعور أفرادهـــا بالغربة"

الْبَدَاوَةِ

أمَّا البداوة وكما يقول د. الوردي في بحثه المقدم إلى ندوة التطور الحضاري في العالم العربي- الكويت 1974 فإنها :" ليست سوى طريقة للعيش تتصف بالرعي والترحل وراء المراعي كما يقول الدارسون، بل إنها ثقافةٌ اجتماعيةٌ قائمةٌ بذاتها لها طابعها العام ومركباتها الخاصة، وهي تتميز بخصائص ثلاث هي الغزو والعصبية القبلية وتقدير المروءة، ويقابلها في الحضارة المهنة والسلطة الحكومية وتقدير المال" . ثم يفند هذه الخصائص على أنها:

1. من حيث الغزو وكما وصفها ابن خلدون[50] : (بأنَّ البدو أرزاقهم في ظلال رماحهم) أي: أنهم لا يستطيعون زيادة إنتاجهم؛ لأن ذلك موكول للطبيعة؛ لذلك فإنهم مضطرون إذاً أن يتقاتلوا، وذلك تعبيرٌ للأستاذ فيليب[51] حتى:" بمثابة صمام الأمان في الصحراء لتقليل الأفواه الآكلة. ولهذا كلما شح المطر والجفاف كلما زاد الاقتتال".
2. أما العصبية فهي محور الثقافة البدوية؛ لأنه من النادر قيام الدولة أو السلطة الحكومية في الصحراء. ومن هنا فإنَّ رئيس القبيلة يختلف عن الحاكم المدني

[50] – ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (1332 – 1406م) مؤسّس علم الاجتماع وأوّل من وضعه على أسسه الحديثة .

[51] – فيليب ليبنز :رحالة ومستشرق متخصص في النقوش والآثار القديمة قام في رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية 1951م

بكونه متبوعاً لا مســـيطراً أي: أنه يســـتمدَّ نفوذه من احترام أفراد القبيلة له وطاعتهم الاختيارية له، أما الحاكم المدني فهو يفرض طاعته على رعاياه قهراً، وله جنود ينفذون أوامره بالقوة :

3. أما من حيث تقدير المروءة فإنَّ البدوي يحب أن يكون متفضـــلاً على غيره دائماً؛ لأن قبول الفضـل هو نوع من الضـعف على رأيه. ومن هنا فإنه يؤمن بالقول بأنَّ البدوي :(كسـاب وهاب)، وحينما نقارن بين البداوة والحضـارة من هذه الناحية، فإننا نجد فرقا كبيراً فالفرد المدني عادة يفضـــل ادخار المال على ادخار السمعة إلا إذا كانت السمعة مجدية في جلب المال. وفي تعقيب للدكتور محمد الرميحي أســـتاذ الاجتماع في جامعة الكويت "يقول فيه: إنَّ البدو غير متحضرين بالنسبة للقيم والمفاهيم التي نعتقد أنها غير صحيحة. إن للبلد وحضـارة أو ثقافة بالنسـبة إلى العمل والعرض (الشـرف) والملكية، وأن جميع هذه العناصـر تتشـابك في ظل إطار اقتصـادي؛ كما أنَّ المجتمع البدوي لا يرتبط بالأرض بل بالعرض الذي هو قيمة من قيم التكافل الاجتماعي.

الْبَدْوُ

يعـود أغلـب المؤرخـون فيمـا يخـص البـداوة كتـاريخ أول نشـأة للبـداوة كانـت بـين عـامي 1900 و2100 قبـل المـيلاد حينمـا ضـغط الساميون الغربيـون (العموريـون) علـى (البـابليين) عنـدما قـام رعـاة الأغنـام والمـاعز بالخـروج علـى القبائـل الزراعيـة، وشـن العديـد مـن الغـارات الراجلـة عليهـا لنهـب محاصـيلها والتوغـل في الصـحراء إلى أن اكتشفوا الجمل حوالى عام 1100 ق.م.

هـذا الحيـوان الـذي يعتقـد موسـيل[52] أنـه لم يكـن بـرياً حقـاً إلى أن أثبـت ليتمـان[53] مـن خـلال النقـوش والرسـومات الـتي تركهـا آل ثمـود علـى الصـخور علـى أنـه اسـتوطن الجزيـرة العربيـة منـذ آلاف السـنين، كمـا دل أول سـجل بالخـط المسـماري[54] علـى أن البـدو الـذين يركبـون الجمـل (البـدو الآراميـين) وهـم يحـاربون آشـور ناصـربال 880 ق.م. هم سكان تلك المنطقة.

---

[52] – الويس موسيل Alois Musil (1868–1944) مستشرق ورحالة تشيكي .

[53] – لودفيج ريتشارد إنيو ليتمان (1875 – 1958) مستشرق ألماني .

[54] – الخط المسماري هو أقدم الخطوط، وقد ظهر في بلاد ما بين النهرين في الدولة الآشورية .

الأعراب:

أمـا الأعـراب فقـد ذكـرهم التـاريخ منـذ أن حـارب (جنـدب العـربي)[55]، وفي رواية أخـرى (عـربي) الملـك شلمنصـر الثالـث[56] بجيش حشـد فيـه ألـف جمـل، وتشـمل مـادة العـرب الـتي كتبهـا كرومـان مـوجزاً عـن " أرض عـربي " في القـرنين التاسـع الى الســابع. ق. م. وقــد ذكــر أن " عــربي" هــي الطــرف الشــمالي الأقصـى مـن الجزيـرة العربيـة بـين الشـام وبـلاد مـا بـين النهـرين، وتضـم تـدمر ووادي السرحان والعرب هم سكانها.

ويــرى كرومــان وموســيل[57] أن الواحــة الوســطى (أدومــاتو)[58] ألا وهــي (دومـة الجنـدل) في الجـوف كـان يسـكنها ملـوك القبائـل الـذين وردوا في سـفر أراميـا[59] ، الإصــحاح 25 آيــة 24 " (وكـل ملـوك العـرب، وكـل ملـوك اللفيـف السـاكنين في البريـة)"، وهكـذا ارتـبط تاريـخ البـداوة في الجزيـرة العربيـة ارتباطـاً وثيقـاً بكلمـة أعـراب ، وكانـت هـذه الكلمـة لا تطلـق في اللغـات السـامية والعصــور الجاهليــة إلا علــى ســكان المنــاطق البدويــة والواحــات شمــالي الربــع

---

[55] – (جندب – جنديبو) الأمير العربي الذي قاتل الآشوريين .

[56] – ملك آشور (859–824) قبل الميلاد .

[57] – الويس موسيل Alois Musil (1868–1944) مستشرق ورحالة تشيكي .

[58] – دومة الجندل حسب ماورد في النصوص الآشورية منذ القرن الثامن قبل الميلاد باسم (أدوماتو) و (أدومو).

[59] – سفر إرميا ،ثاني أسفار الأنبياء في الكتاب المقدس العبري، وفي العهد القديم المسيحي. يُعرف الكتاب المقدس في الفصل إرميا .

الخـالي، وكانـت تـدل الصـفة خاصـة علـى البـدو الـذين يسـتخدمون الإبـل. وانفـرد الإغريـق بنقـل هـذا اللقـب علـى شـبه الجزيـرة العربيـة بأسـرها بعـد الحمـلات الـتي شـنها الملـك الفارسـي الشـهير دارا[60] ؛ كمـا تـذكره المصـادر الإغريقيـة إذ كـانوا يطلقـون عليهـا اسـم (تـون أرابـون)، أمـا الاجـاش فكـانوا يسـمونها (أرهابتـاي) أي: بلاد الأعراب.

القبيلة:

يقول مارشال ساهلينز [61] :" إنَّ القبائل تحتل مكاناً في تاريخ التطور الثقافي. فقد حلت محل الصـــيادين الذين كانوا أبســـط منها، وحلت محلها الثقافات التي تفوقها تقدماً والتي تدعوها بالمدنيات لكن ليســـت المدنية تقدماً على المجتمع القبلي لمجرد قدرتها على السيطرة بل هي تقدم من التنظيم وتحول نوعي في النمط الثقافي، ويضيف الأنثربولوجي العالمي كريستوفر داوسـون [62] :" وبالرغم من أن القبيلة شـكلٌ بدائي– نسبياً – إلا أنها تملك من أشكال التنظيم الاجتماعي من الفضائل ما تحسدها عليه أنواع متقدمة من المجتمعات إذ يتناســـب هذا التنظيم مع المثال العالي المتمثل بالحرية الشـخصـية واحترام الذات ويسـتثير إحسـاسـاً عميقاً بالولاء والمحبة من جانب أفراد

[60] – دارا الأول، داريوس الأول الملك الأخميني الثالث ،حكم من 521 ق.م إلى 486 ق.م

[61] – مارشل ساهلنز (Marshall Sahlins) عالم أنثروبولوجيا أمريكي في جامعة شيكاغو .

[62] –كريستوفر داوسون Christopher Dawson (1889 – 1970) هو مؤرخ، وعالم اجتماع في الأكاديمية البريطانية .

القبيلة نحو الجماعة ورئيسها. ثم يفرق ساهلينز:" بين القبيلة والمدنية بأنَّ الاختلاف بينهما هو في أبسط معانيه اختلاف بين الحرب والسلم، وذلك لأن المدنية مجتمع قام خصيصاً للمحافظة على النظام، ويعتمد التعقد الاجتماعي بالثراء الثقافي في المدينة على ضمانات السلام المرتكزة على مؤسسات، وبما أنَّ القبليين يفتقرون إلى هذه الضمانات والمؤسسات التي تكفلها، فإنهم يعيشون في حالة الحرب، والحرب هذه تحدُّ من نطاق ثقافتهم وتعقدها وتفسر بعض عاداتهم الغريبة. ثم يفسر ساهلينز حالة الحرب هذه على أنها:" ليست القتال بل هي وضع غير في الزمن وتتكشف فيه إرادة القتال، ولذلك لا بد من اعتبار عنصر الزمن جزءاً من طبيعة الحرب مثلما هو جزء من طبيعة المناخ أي: أنهم يميلون بطبيعتهم إلى القتال".

التركيبة الاجتماعية للقبيلة:

يعتمد التركيب الاجتماعي لدى البدو على القبيلة التي هي مجموعة من الناس تربط بينهم رابطة الدم والقربى والأصل والانحدار من سلالة واحدة، أو هي كما يقول الدكتور(هويت)[63] :" مجموعة كبيرة من الأفراد يحكمون منطقة ما ويتحدثون نفس اللغة ويعترفون بالقرابة فيما بينهم (وينكرون القرابة

[63] – د.هويت مشترق وباحث .

مع قبائل أخرى) !!، أما شابيرا[64] فيقول :" إنها تتكون من عدد من الجماعات المتجاورة يتكلم أعضاؤها جميعاً ما يعتبرونه لغة واحدة فالقبيلة أساساً جماعة لغوية.

أما الدكتور محمد سلام زناتي[65] فيقول:" بأن الناس في المجتمع القبلي ليسوا فئة واحدة أو على حدٍّ سواء بل ينقسمون في الغالب إلى فئات وطبقات فهناك الأحرار وهناك الأرقاء وهناك الفئات (المنبوذة)، وقد توجد فئة أخرى هي بين بين، وتضم النازلين في القبيلة أو اللاجئين إليها من القبائل الأخرى، أما الدكتور محيّ الدين صابر[66] فيقول:" إن القبيلة مشترك مكاني النظام القرابي[67]

ومن هنا فإن القبيلة تنحدر تدريجياً لتصل إلى الفرد بدءاً من القبيلة ، العمارة ، البطن ، الفخذ ، العشيرة، الفصيلة – العائلة ، كما أنه ليس من الحصر بمكان التزام القبيلة بالتعريفات السابقة إذ أنَّ هناك قبائل اتحادية تجتمع وتتحد وتتظافر لتشكل قوة واحدة إزاء القبائل المتحالفة ،إذ أن هذه

---

(64) – مستشرق غربي.

(65) – د محمد سلام زناتي حصل على ليسانس الحقوق من كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية فى يونيو1950، وعين فى أكتوبر 1950 فى سلك النيابة العامة – أرسل إلى فرنسا فى أكتوبر 1951م مبعوثاً من جامعة أسيوط للحصول على درجة دكتوراه(الدولة فى تاريخ القانون) .

(66) –الدكتور محي الدين صابر من أعلام التعليم في السودان، وأول من حصل على شهادة دكتوراه في السودان (ويكيبيديا) .

(67) – نظام القرابي القائم على المكاني ومدى الاتفاق في القيم المعتقدات .

القبائـل هـي عبـارة عـن وحـدات متفاوتـة في الحجـم مـن القبائـل الـتي انـدمجت لتكـون قبيلـة اتحاديـة أصـيله تقـف إزاء القبائـل الأخـرى في الحـروب والغـزوات وقبـل ،لأن تلـك الوحـدات تشـكلت حـول المحـور الأساسـي لأصـل تلـك القبائـل لتشكل وحدة قبلية .

التركيبة السياسية:

أمـا التركيبـة السياسـية للقبائـل فتعتمـد في الأسـاس علـى أن أغلـب شـؤونها تـدار بواسـطة الشـيوخ أو الأمـراء الـذين يعـاونهم مجلـس استشـاري يتكـون غالبـاً مـن عقـلاء القبيلـة، لكـن السـلطة هـي للشـيخ وحكمـه وراثـي أباً عـن جـد، وقـد وصـلت إليـه عـن طريـق شـجاعة أو قـوة أو ذكـاء أو كـرم أحـد أجـداده ، ويورِّث الشيخ الإمارة إلى أبنائه وغالباً ما يستلمها الأكبر.

أمـا مهمـة الشـيخ الرئيسـة فهـي الحفـاظ علـى كيـان القبيلـة وإقامـة علائقهـا مـع القبائـل الأخـرى أو ينـوب عنهـا في المفاوضـات والاتفاقيـات الـتي تزمـع إبرامهـا مـع القبائـل الأخـرى، وكـذلك يقـوم بهجمـة إعـلان الحـرب وقيـادة القبيلـة والمحافظـة علـى وحـدتها وترسـيخ سمعتهـا لـدى القبائـل، وفـرض احترامهـا وللشـيخ احـترام مطلـق بـين أفـراد قبيلتـه، ويطـاع في كـلِّ مـا يصـدر عنـه مـن أحكـام، ويعاونـه بالطبـع في اتخـاذ القـرارات المهمـة كـالحرب والارتحـال والصـلح والغـزو

ومجلس تختاره القبيلة من رجالها المشهود لهم بالاطلاع والحكمة وسداد الرأي وحسن تدبير الأمور والشجاعة والأخلاق والصدق، وهم بمثابة مجلس أعلى للقبيلة يليهم في التركيبة السياسية شيوخ البطون والعشائر الذين ينفذون سياسة الشيخ على عشائرهم، وهم بمثابة حكام إداريون ولكنهم جاءوا بالوراثة، ويتصفون بنفس صفات الشيخ أو رئيس القبيلة لدى عشائرهم .

المجالس:

ويلي شيوخ العشائر في التركيبة الفرسان الذين لهم مجالس تضم وجوه القبيلة يتداولون فيها أمور عشائرهم ويناقشونها، ويعدون المجالس بمثابة (دواوين – ديوانيات) لتداول أمورهم وأمور إبلهم وماشيتهم ومراعيهم، ولهذه المجالس احترامها لدى الجميع بل لها قدسيتها ونظامها الخاص الذي يحرم فيها الاعتداء بالضرب وبالقذف أو بالتكذيب (ما لم يثبت).

وإلا اعتبر الفاعل مخالفاً لأعراف القبيلة مما يستوجب تطبيق العقوبة، كذلك من الأمور المعيبة التحدث بالألفاظ النابية أو القدح أو التجريح أو الجلوس بطريقة مخالفة وعدم النهوض بوجه الرجال أو الخروج عن أدب المائدة أو القهوة أو الاستهانة والتحقير لأيٍّ كان مالم يثبت أمام المجلس بالدليل القاطع موجب ذلك، وكل هذه

الأمور البسيطة هي مستمدة في الأساس من عرف قبلي غير مكتوب كانت القبائل البدوية ولربما لا زالت الكثير منها يعمل به .

العرف القبلي:

هو بمثابة مجموعة من القوانين والأعراف المتعارف عليها والتي تنظم حياتها وسلوكها الاجتماعي وتعمل به كنظام مقدس مصان يحفظه الخلف عن السلف، ويحرصون على فهمه والتمسك به وتعليمه إلى أولادهم، وذلك لأنه يشبه إلى حدٍّ ما قانون قضائي ثابت وإن اختلف بنسبة بسيطة بين قبيلة وقبيلة من حيث التطبيق، لذا فإنَّ هذه الأعراف تتشابه بشكلٍ كبيرٍ لربما حتى لدى القبائل غير العربية ، وهو نظام غير مدون أو مكتوب إلا أنه جاء بناء على حوادث مشابهه يقيس بها العوارف (القضاة) حل القضايا التي يتولون الفصل فيها.

وفي هذا الأمر بالذات يقول علامة الجزيرة أ. حمد الجاسر[68] :" لقد رأيت الطبيعة القبلية البدوية العربية هي في الجزيرة وفي الشام وفي مصر وفي المغرب، واستطعت أن أصل إلى نتيجة أعتبرها غريبة حقاً وهي التماثل الكامل في الحياة الاجتماعية القبلية في مختلف أجزاء البلدان العربية ".

---

[68] – حمد الجاسر (1910 – 2000)، عالم وباحث وإعلامي سعودي، مهتم باللغة العربية والتاريخ والجغرافيا وعلم الأنساب.

العرف الخارجي:

هو العرفُ الذي ينظم علاقة القبيلة مع القبائل الأخرى ويتمثل أساساً في السوابق القضائية والقواعد التي ظهرت تلقائياً ولاقت قبولاً لدى الجماعات التي تتناقلها من جيل لجيلٍ وشعر الناس بضرورة احترامها، ويسود اعتقاد قبلي بأنَّ هذه القواعد أزلية، ولذا ينقسم العرف الخارجي إلى:

أ- الحرب:

وهو من حق شيخ القبيلة يعلنه على قبيلة أخرى أساءت أو اختلفت أو اعتدت أو أعلنت الحرب على قبليته، ويتم إعلان الحرب بالصورة الآتية:

- يعلن الشيخ الحرب.
- يرسل مندوباً لإخبار القبيلة التي ينوي محاربتها.
- يعلم المندوب القبيلة العدوة بعزم شيخه على حربها.
- يرد القبيلة المزمع حربها (النقا) وهو قبولها وتحديها للحرب.
- تكون الحرب بعد ذلك مشروعة.

تباح (الغزوات) من كلا الطرفين، ويقصد بالغزو شن الغارات المتوالية بين الخصمين بدون سابق إنذار وتشريع السلب والنهب

في أيِّ وقــت كــان، أمــا التشــكيل الحــربي لــدى القبائــل العربيــة فيــتمُّ عادةً بالشكل التالي:

- يعيّن أو ينتخب قائداً للجيش (عقيد) لإدارة المعارك، وهو يفضل دائماً من الرجال الذين لهم خبرة ودراية و(حظ) في الحرب.
- يختار (العقيد) نخبة من الفرسان المشهود لهم بالشجاعة؛ لاستشارتهم وتكليفهم بالمهمات القتالية (المنقية)
- يتقدم الجيش (بيرق) القبيلة أو رمزها الحربي (كالعطفة عند الشعلان)، وهي بمثابة هودج مجلل بريش النعام .
- يرسل العقيد (رقيبه)، وهو رجل يختار مرتفعاً عالياً لمراقبة العدو وتحركاته وإرسال إشارات معينة لدى جيشه وهو بمثابة مرصد.
- تقوم مجموعة صغيرة متخفية تسمَّى (السبر) بالتسلل إلى أرض العدو لمعرفة مدى استعداده أو تجهيزاته، وهي بمثابة رجال الاستخبارات الحربية في عصرنا الحاضر.
- يُقسم العقيد جيشه إلى قسمين هما (كمين) و(مغيره)، أما الكمين فهو بمثابة خط الدفاع الثابت والمتحرك الذي يقوم بالالتفاف والوقائع والخطط، أما المغيرة فهم المهاجمون الذين يشتبكون مع العدو، وثمة فريق ثالث مهمته التموين

والمساعدة والإنقاذ، ويسمَّى (الزماميل)، وهم يحملون (الزهاب) على الجمال ويرافقون الفرسان.

ب – الغنائم:

أما تقسيم الغنائم فيتمُّ عادةً بهذا الشكل:

- لكل فارس حصان أو فرس أي: مقاتل يسقطه في المعركة ويشهد على ذلك من حوله.
- له ما استطاع أن يستاق أو ينجو به من خيل أو أبل العدو.
- لكل من ينقذ زميله في المعركة سواء كان جريحاً أو متروكاً في المعركة حصة إضافية من الغنائم .
- كل فارس مسؤول عن مساعدة في اقتسام الغنائم ويعني بذلك (الزماميل)
- للشيخ أو العقيد الحظ الأوفر من الغنائم مهما كانت نتائج المعركة، وخصوصاً ما يحمل عليه (أبيض دفة).

ج – الأسر:

أما إذا وقع أسـير في يد أحد الفرسـان فعلى الفارس أن يعامله معاملة كريمة ويحترمه، ويضـمد جرحه، بل أن على الفرسـان أن يطلبوا من أعدائهم تسـليم أنفسـهم بلا قتال، وذلك بالنداء (عند فلان)، وبذلك يكون مسؤولاً عن أسيره ويسمَّى ذلك (المنع).

د – الصلح:

وبعد انتهاء المعركة يجوز مصالحة القبيلتين عن طريق قبيلة ثالثة تتوسط حتى إذا قبلوا بالصلح أعلن الطرفان القول: (حفار ودفان على كل ما خفي وبان)، أي: أنها مكانة الإشكالات الظاهرة والخفية وإحلال السلام.

هـ – السلام:

إلقاء التحية بالقول (السلام عليكم) يعني: إحلال السلام حتى لو كان بين القبيلتين حرباً وتقابل أحد أفرادهما وألقى على الآخر السلام أي: أن البادي بالسلام ملزم بما قال ولا يجوز له خديعة الآخر أو قتله أو سلبه ماشيته ونياقه، فإذا أخذها بأيِّ وسيلة فإنَّ العرف القبلي يطالبه إذا أنكر بـ (لحس البشعة)، وهي يد الحماس بعد أن تحمر على النار ليتأكد وأن صدقه أو كذبه، وهي وسيلة معروفة لدى البادية كأنه كشف الكذب. ومن هنا فإنه إذا ما ثبت كذبه فإنه يحق للمغدور به استرجاع حلاله أو أخذ حلال أي رجل من عشيرته، ويحرم على المخادع (الدخالة) أي: حق الحماية، ولا يرافقه في عرف البادية رفيق!!

القِرى:

وهو حقُ وواجبُ إطعام الضـــيف إذ لا يجوز بأيِّ حالٍ من الأحوال عدم إطعام الضيف وإلا اعتبر ذلك سمعه سيئة للمضيف إلى الأبد، كما يحق للضيف أن يشهِّر به أينما حل، ويُنبذ من القبيلة ويعدُّ ناقصاً.

أما إذا ادعى الضيف كذباً بأنَّ مضـيفه لم يقم بواجب الضـيافة فيحق للمضـيف قطع لسانه. وهنالك قصه تروي أهميه هذا الأمر في البادية إذ تقول القصة:

إن أحدهم حلَّ ضيفاً على رجل من البادية فلم يجده في بيته، ولم يكن هناك سوى امرأته التي لم تكن تجد شـيئاً تطعم الضـيف، فبكت أمامه وأخبرته سـوء الحال. ولما عاد صاحب البيت من سفره أخبرته المرأة بالأمر.

فما كان منه إلا أنَّ سـأل عن الضيف معرفة من الأوصـاف، وسمَّى ناقة باسمه أي: اعتبرها ذبيحة له. وأخذ يربيها مع أبله حتى توالدت مع مرّ السـنين، وأصـبحت إبلاً إلى أن التقى به فعزل له مجموعة من الإبل وقدمها إليه كثمن لطعامه، فاندهش الضــيف القديم من الأمر، واعتبرها ســابقة لم تحدث في البادية، فطلب منه الذهاب إلى قاضٍ يحكم في هذه السـابقة، فقام العارفة، أو القاضـي، فأمر صـاحب المنزل أن يأخذ ثلاث نياق [لأن المضـــيف عادة ما يذوق طعامه بثلاثة لقم أو أكثر] ثم قدم للضيف ثلث الإبل وأعاد الباقي إلى المرأة وذلك بقياسه على أن الضيف لا يمكن أن

يأكل ثلث الأكل، وأن ما تبقى من الزاد يعود للمرأة، وهذه القصـــة تحكي لنا بدقة عن أهمية هذا الأمر بالنسبة إلى أهل البادية.

عبور أرض العدو:

يكفل العرف القبلي لرجال القبائل عبور أراض القبيلة العدوة إذا ما أعلن الرجل الذي يريد عبور أرض العدو أمام قبيلته بأنه عازمٌ على اجتياز أرض العدو وأنه بوجه (فلان) من القبيلة العدوة – أي: أنه يختار رجلاً معروفاً بالشهامة والقوة من رجال الأعداء. ثم يقوم بالرحيل معلناً لكلِّ من يسأله أو يعترضه بأنه بوجه (فلان). الذي يعدُّ – شرعاً – بحكم تلك الأعراف هو المسؤول عن سلامته في هذه الرحلة شريطة ألَّا يقيم في أرض العدو إلا لسببين رئيسيين هما:

أ- امرأة موضع أي: في وضع الولادة.

ب- فرس مفلي أي: فرس تلد.

ح الرفيق (الخوى):

ولحترام الرفيق أو الخوي لدى البدو أهمية قصوى ولاسيما إذا كان (بعيد الديار ناقل الأخبار).

لذا يحتم العرف القبلي على رجال القبائل الاهتمام برفيق الدرب طول مســـافة الطريق حتى يصل إلى أهله سالماً، ويجب على رفيقه أن يحمله على راحلته إذا لم يكن

لديه راحلة، ويقاسمه زاده ويدافع عنه إذا ما تعرض لأي أذى. ولأنه إذا ما قصــر في حقه فإنه يبقى محتقراً مهاناً بين أفراد قبيلته إلى الأبد بل ويعرضـــهم للذم الدائم والتحقير المشروع في المجالس.

ط. الجار:

وللجار أيضـــاً منزلة كبرى لدى البدو إذ يعدُّ في عرفهم من أهل البيت فمحارمه (نساءه) هي بمثابة أخوات ومحارم جاره وحمايته واجبة ضرورية والقصور عنها جريمة لا تغتفر. وهو المسؤول شرعاً في غيابه عن كل احتياجات أسرته بل والقيام بواجباته القبلية.

اللجوء:

كفل العرف العشائري لإفراد القبائل حق اللجوء أما لدى القبيلة نفسها أو لدى إحدى القبائل الأخرى. ففي اللجوء المحلي يعمد الضعيف إلى القوى لتخليص حقه من قوي آخر، ويجبر العرف القبلي القوي أن يأخذ بحق (مستجيره).

وكذلك يجوز للقاتل أن يلجأ إلى أحد رجال القبيلة بعد اقتراف جريمة حيث يعدُّ في حماه منذ أن يصل (الطنب) أو مسافة رمي آلة ثقيلة، أو مراح الإبل إذ يجب على ملاحقه التوقف عند تلك المسافة، ولا يجوز له

تجاوزها وإلا حق لصاحب البيت قتله؛ لأن القاتل أصبح (دخيلاً) – محتمياً بصاحب البيت حتى لو لم يكن موجوداً، وتسمَّى هذه الحالة بـ (الدخاله) أو (الوجه). ومخالفة هذا البند تسمَّى (تقطيع الوجه).

وتعد من أكبر الجرائم القبلية التي كثيراً ما يُراق فيها الدم. كما يحق للدخيل أن يبقى لدى مجيره (3 أيام) تسمَّى هذه الأيام (المهربات) أي: التي تمكنه من الهرب إلى قبيلة أخرى حتى إذا ما دخل في حماها أصبح لاجئاً لا يحق له العودة إلى قبيلته إلا بعد الصلح أو دفع الدية، أو أن يبقى في (المنفى) مدة قد تصل لدى بعض القبائل إلى (20) أو (15) سنة، وبذلك تسقط الدعوى تلقائياً ولدى بعض القبائل لا تسقط أَبدَاً.

أما بخصوص بعض القبائل لا تسقط أبداً، أما بخصوص (المهربات – أي: أيام الاحتماء الثلاثة – فقد وضعت لـ (فورة الدم) إذ أنَّ أهل القتيل خلالها لا يستطيعون ضبط أعصابهم أو التمييز في سبب القتل.

العرف الداخلي:

أما العرف الداخلي فهو النظام الذي ينظم علاقة أفراد القبيلة فيما بينهم، وهو نظامٌ شاملٌ ومعروفٌ لدى القبائل، ولكن لكل قبيلة تعديلاتها الطفيفة عليه مما يلائم ظروفها الخاصة. وهو بمثابة القضاء لدى المجتمع المدني بغض الخلافات والخصومات والدعاوي التي تحدث بين أفراد القبيلة الواحدة بواسطة رجال يسمون بـ (العوارف)، أو (أهل

الحق)، أو (الطواغيت)، كما شاع بعد الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد ابن عبد الوهاب [69]

العوارف:

أما العوارف فهم الرجال العارفون بالأمور العالمون بمواطنها الملمون بمعرفه الناس، الحافظون التواريخ والأمثلة والحكم ويتصفون بالذكاء وسعة الاطلاع والحنكة والدراية والنزاهة، ومن المستحسن أن ينحدروا من سلالة أو بيت (معرفه)، إذ يتدربون منذ الصغر على هذه المهمة، وتوارثوها أباً عن جد، وحفظوا لأبنائهم حق العمل بهذا العرف، وينقسم العوارف إلى خمسة أنواع هي:

1- عوارف الدم والعرض:

وهم أعلى درجات العوارف ويعدون بمثابة المحكمة العليا، ويطلق عليهم عوارف (المناهي أو المناشد)، ومهمتهم هي الفصل في قضايا الدم والعرض والشرف.

---

[69] – الشيخ محمد بن عبد الوهّاب (1703م – 1791م): عالم دين سني حنبلي المذهب ، يعدُّ من مجددي الدعوة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية حيث شرع في دعوة المسلمين للتخلص من البدع والخرافات ونبذ الشرك.

1- عوارف المقلدات:

وهم عوارف الفصل في قضايا النساء والخيل.

2- أصحاب القلطة:

وهؤلاء هم قدماء العوارف الذين يستشهد بأحكامهم العوارف ويعدون بمثابة محاكم التمييز.

3- عوارف المعترضة:

وهؤلاء مهمتهم تبيان نوع القضية، وتعيين القاضي الذي بإمكانه الفصل فيها.

4- عوارف الحلال:

وهؤلاء مهمتهم الفصل في قضايا الإبل والمواشي وحقوق الرعاة.

قبائل سيناء

أما في قبائل سيناء فينقسم العوارف مثلاً إلى ستة أقسام هي:

1- رجال الصلح وترفع لهم المسائل العامة التى لا يتوفر فيها الشهود، ولا تحل إلا بالتصالح كقضايا القتل والعرض والمال.

2- القصّاص. وهو قاضي العقوبات الشخصية ويكون من قبيلة القصاصين.

3- المنشد وهو للحكم في المسائل الشخصية.

4- العقبي وهو قاضي النساء ويحكم في مسائل الطلاق والمهور والخلافات الزوجية.

5- الزيادي وهو قاضي الإبل والاختلافات حولها.

6- المشّبع وهو قاضي الجرائم المنكرة التى لا شهود لها. والذي يجوز له استعمال (البشعة) في التحقيق وهي (يد المحماس)، كما أسلفنا عندما تحمى على النار.

الجرائم:

أما الجرائم التي تحدث لدى البدو وتعدُّ في حكم الجناية فهي:

1. القتل.

وعقوبته القتل بأيِّ حالٍ من الأحوال [خلال فورة الدم] درءاً لاستشراء الثأر فإن على القاتل أن يلجأ (يدخل) لدى أي رجل من القبيلة، وذلك لتبيان سبب

القتل سواء كان عفوياً أم بقصد. فإذا كان القتل عفوياً فإنَّ القاتل في هذه الحالة لا يجلو أي ينفى عن قبيلته بل يؤدي الدية، ويصالح أهل القتيل.

أما إذا كان القتل عمداً فإنه يقتل. وإذا قبل أهل القتيل الدية وهي حالة نادرة أو مستهجنة لدى البدو فلا بأس أن يبقى القاتل في قبيلته ويسقط حق أهل القتيل. أما إذا لم تقبل الدية فإن عليه الجلاء لدى قبيلة أخرى، ويصبح تحت طائلة القتل إلى أن تمضي المدة المقررة كل قبيلة حسب نظامها، فبعض القبائل تجعل مدة الجلاء عشر سنوات، وبعضها خمسة عشر سنة وبعضها عشرين سنة، وبذلك تصبح الدعوى ساقطة إذ على القاتل أن يوسط أهل الرأي للقبول بالدية، وإذا لم يقبل أهل القتيل الدية، فهم مخيرون إما بالجلاء عن قبيلتهم أو البقاء فيها دون حق بأخذ الثأر.

2. الثأر:

وهو عادة ما يقع على أي فرد من أقرباء القاتل الذين يلتقي معهم في الجد الخامس، ويسمونهم (العصبة) أو قضابة العصاء أو قضابة السلاح وهم الأب، الابن، ابن الابن، الأخ، ابن الأخ، العم، ابن العم، فإذا قتل أهلُ القتيل أيَّ واحد (قتيله) وإقامة قرابة دم جديدة بين الأسرتين لنسيان الماضي.

3. الشرف

شرف البدوي أسرته وخصوصاً نسائه فهن مصونات ولا يمسهن أحد، وعقوبة الاعتداء على المرأة في العرف القبلي صارمة لا ترحم، وضحيتها في الحالتين المرأة، ويقول البدو: (إنَّ المرأة خيرها لزوجها، وعارها لأهلها)، أي: أن أهلها هم المسؤولون عن شرفها بالدرجة الأولى حتى بعد الزواج.

ومجرد الطعن بشرف البدوي يعرض الطاعن إلى قطع لسانه إذا كان كاذباً.

4. الزنا

أما إذا تعرضت المرأة إلى اعتداء خلقي من أي رجل، فإنَّ المعتدي غالباً ما يقتل لأيِّ سببٍ من الأسباب والاعتداءات على أنواع، وأحكامها هي كالتالي:

أ- بالقوة. إذا اعتدى رجل على امرأة بالقوة فإنَّ عقوبة الرجل المعتدي هي القتل، بل ويحق لبعض القبائل تخريب أموال أهل الفاعل لمدة ثلاثة أيام، وأخذ كل شيء لونه أبيض من القماش والفضة والحلال كـ (تبييض) وجه؛ لأن هذه الفعلة (سودت) وجه أهل المرأة!!

ب- بالرضا: يعامل فاعله كفاعل الزنا الذي استعمل القوة.

ت- عاقبة السحر. وهي المرأة التي تأتي بعد مغيب الشمس، وتعلن أنها تعرضت لاعتداء فهذه تقتل ويقتل الجاني.

ث- المتحرية المتطرية. وهي المرأة التي يزني بها ليلاً، ولا تصرخ لتأتي بعد ذلك وتخبر أهلها في الصباح فهذه تقتل.

ج- الصابرة الخابرة. وهي من ارتكب بها الزنا وكتمته، وبعد خلاف مع الزاني أعلنت عنه، فهذه تقتل أيضاً.

ح- الصائحة النائحة. وهي التي لم تسلم نفسها للزاني وبذلك يقتل الجاني.

خ- الراضية: يقتلها أهلها، وعلى أهل الجاني قتله أو التخلي عنه. فإذا ما رفضوا ذلك فإنه يحق لأهل المرأة قتله أو قتل أحد أقاربه ومطالبته بدية ثلاثة رجال.

د- المدعية. إذا ادعت امرأة على رجل من القبيلة على أن حاولها وأراد منها. ففي هذه الحالة تقدم المرأة إلى (البشعة)، فإذا ثبت كذبها فهي تقتل، وأما إذا صدقت فتحضر (بعض القبائل) جملاً بنتف وبره، ويطلى بالقطران، ويوضع عليه الرجل المتهم وهو

نازع لكـل ملابسـه ويشـهر بـه ثم ينـزل عـن الجمـل، ويحـق لأهـل المـرأة قص أو قطع أي جزء أصابه القطران (!!)

الاعتداء على الدخيل:

إذا قتل رجل رجلاً وهرب ثم التجأ إلى بيت أحد أفراد القبيلة فإنه بمجرد وصوله الوتد الذي يشد الطنب أو مراح الإبل لدى بعض القبائل، فإنه يعدُّ في حماية صاحب البيت، فإذا قتله أهل القتيل فإنَّ على صاحب البيت قتل أي واحد منهم.

1. الاعتداء على رفيق الدرب (الخوّي).
2. الاعتداء على الجار (قطع الجيرة).
3. الاعتداء على الضعيف.
4. الاعتداء على النازح وهو الرجل الغريب الذي يعيش لدى قبيلة أخرى.
5. التجاوز على الناصي. وهو الرجل الذي وفد إلى رجل في القبيلة بقصد الاحتماء أو اللجوء أو الحاجة.

الجنح

أما الجنح في العرف العشائري فعقوبتها خاضعة لأهميتها وضرورتها، وهي قلما تصل إلى العوارف؛ لأن الجنح البسيطة يتوسط فيها رجال العشيرة الواحدة ويحلونها فيما بينهم، ولكن على الجاني أن يدخل (يلتجئ) أولاً ثم يتولى مجيره التفاوض مع أهل المجني عليه. ومن الجنح الكبيرة في العرف العشائري.

قطع اليد، ويعدونها عن نصف رجل وكذلك الساق والعين واللسان. أما الجنح الأصغر فهي الجروح والتشويهات. وهذه التشويهات يتمُّ الفصل بها بأن يقف المشوه أمام العارفة، ويرجع للوراء إلى أن تختفي ملامح التشويه، ويحكم له بتعويض عن كلِّ خطوة بينه وبين العارفة برأس من الماشية. أما الاتهام بالكذب.

فهو أيضاً يدخل ضمنها هذه الجنح، وكذلك شهر السلاح والضرب ونتف اللحية إذ أنهم يحسبون عن كل شعره كذا مبلغ، وكسر السن عن شاه، ولكنها على أي حال لا تصل إلى العوارف؛ لأن حكمها معروف إلا إذا رفض المعتدي الالتزام بذلك الحكم وامتنع عن تنفيذه.

حق الخيل:

ويلي الإنسان في الأهمية لدى البدو الخيول والأسلحة، وللخيول احترام خاص، وتقديرها بمثابة تقدير لصاحبها، كما أنه لا يجوز (إهفاء) الفرس

الأصـيلة، أي: أنـه إذا باع أحـدهم فرسـه إلى رجـل آخـر فعلـى الأخـير – عرفـاً – أن يعيـد (فلـو) أو مولـود الفـرس المباعـة إلى البـائع لـدى أول ولادة. ويحـق لـه امـتلاك المولـود الثـاني، وهـو ملـزمٌ أيضـاً بإعـادة المولـود الثالـث إلى صـاحبها الأول البـائع. ثم بعـد ذلـك تصـبح الفـرس ملكـاً كـاملاً للمشـتري، وديـة الفـرس لـدى البـدو، وهـي أربعـة أضـعاف، أمـا أهـم أنـواع الخيـول الأصـيلة لـدى الباديـة فهـي المعنقيـة، العبيـة، الحمدانيـة، الشـرعبية، الهـدباء، الخرسـاء، السـبيلية، أم عرقـوب، العقلاوية، الكحيلة ، أما الميزات الشكلية للفرس الأصيلة فهي:

1- الطويلة الثلاثة " أي: الطويلة الأذن، والعنق، والحزام".
2- القصيرة الثلاثة:" الصلب، والعسيب، والقضيب".
3- العريضة الثلاثة:" الجبهة، والأنف، والورك".
4- الصافية الثلاثة :"العين، الحافر، سراديح".

حق الحلال:

ولمـا كـان الاقتصـاد البـدوي يعتمـد بالدرجـة الأولى علـى ممتلكـات البـدو الإبـل والماشـية، فـإنَّ لهـم قـوانين تحمـي هـذه المواشـي وإلا تعـرض اقتصـادهم للانهيـار، ومـن هنـا أبـيح بـين القبائـل المتحاربـة الغـزو (والحنشـل – الصـعاليك) الـذين

يسطون على أبل الأعداء في حالات إعلان الحرب بين القبيلتين، ولا يجوز للحنشل ممارسة هذا العمل في حالة الصلح وإلا عومل الحنشل معاملة اللصوص. وتلي الخيل في الأهمية لدى البادية "الهجن"، أو "الركائب" ثم الحلال العام.

فمثلاً من قتل ناقة رجل عمداً فعليه أن يعوضه بأربعة، وإذا احتجز أحد حلال الآخر دون إنذاره مسبقاً بعزمه على ذلك، وتسمَّى (الوساقة)، فعليه أن يستدعيه للحق، أو لعل أظرف الأحكام التي تصدر في هذه الحالة هو أن (يعقل) العارفة ناقة ويتركها تزحف، وكل زحفة يجب أن يعوضها (الواسق) عن ناقة هذا إذا لم يعلن عزمه المسبق على الاحتجاز.

وكذلك يعاقب المخادع الذي يخدع رجلاً للترجل عن راحلته للاستيلاء عليها بتغريمه إبلاً بعدد الخطى بين الراكب والمخادع بالتناوب أي: خطوة يأخذ ناقة وخطوة تعدُّ فارغة إلى أن يصل إليه. أما إذا سرق أحدهم حلالاً لشخص آخر فإنَّ لكلِّ رأس أربعة أضعافه.

وإذا عثر البدوي على ناقة أو شاة فعليه أن يعلن عنها بين الناس وإلا عُومل معاملة اللص، كذلك يحرم العرف القبلي على الراعي أن يقبض (شرطه) – أجرته السنوية من صاحب الماشية مالم يتم سنة كاملة. أما إذا أخل بأي أمر من أوامر (معزبه) خلال هذه المدة فإنه يُطرد بلا أجر كان ،

مـثلاً كـأن (يحلـب ناقـة حـذره معزبـه مـن حلبهـا)، أو يتعمـد إيـذاء إحـدى مواشيه أو يهملها.

القضاء (الحق):

يقول الدكتور محمد عبده محجوب[70] في الهجرة والتغير البنائي في المجتمع الكويتي تنص التقاليد البدوية الكويتية (العربية بشكلٍ عام) على أنه في حالة وقوع حادثة القتل فيجب على الوحدة الثأرية التي ينتمي إليها القاتل (وهي وحدة قرابية ترتبط بين جميع الأشخاص الذين ينتمون إلى بعضهم بروابط الانحدار من الجد الخامس وهم الذين يسمون : (الخمسة مساكة النصاب) يجب على هذه الوحدة الثأرية أن تسرع بالدخاله على إحدى الوحدات الثأرية من نفس الدرجة سواء في نفس القبيلة أو من قبيلة أخرى لتكون في حمى التعرض للثأر من (السمين) من أعضائها بواسطة أي شخص من الخمسة الذين ينتمي لهم القتيل.

وتتمُّ عملية الدخالة عن طريق الإجراءات الاجتماعية المعقدة التي يحكمها العرف القبلي ،"وتهدف هذه الإجراءات العرفية إلى إتاحة الفرصة للجماعة التي ينتمي إليها القاتل".

[70] – محمد عبده محجوب (2019– 1940) أكاديمي مصري متخصص في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية حصل على ليسانس الآداب من قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة الإسكندرية.

أما الإجراءات التي أشار إليها الدكتور محجوب فهي عادة ما تتمُّ لدى أغلب القبائل العربية كالتالي:

لدى حدوث أي مشكلة معقدة متعذرة الحل يقوم أهل القاتل أو المعتدى بتوسيط طرف ثالث في المسألة، أو أن يقوم أهل المعتدى عليه في حالة عجزهم عن أخذ الحق بشكوى إلى العارفة أو رجل الحق أو الطاغوت؛ كما سمي بعد الحركة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الجاهة:

يقوم المدعي بتوجيه فريق من عقلاء القوم إلى المدعى عليه معلناً عزمه على رفع قضية ضده. وهنا يتوجه الوفد (الجاهة) أو كما يسمَّى لدى بعض القبائل بـ (البداة) لإبلاغ المدعى عليه بعزم المدعي على رفع قضية ضده فإذا رفض دعواه أرسل له وفداً ثانياً يطلب منه تعيين (وجه)، وهو بمثابة رجل معروف يلتقي عنده المتخاصمان، ويعين لهما القاضي الذي بمقدوره حل المشكلة، وذلك يتمُّ بأن يختار كلٌّ منهما قاضياً معيناً، فإذا لم يتفقا عين (الوجه) القاضي المطلوب أما إذا لم يتمثل المدعى عليه، لجأ المدعي إلى (الوساقة)، وهي احتجاز ما تقع عليه يده من حلال الخصم ريثما

يقبل المقاضاة، فإذا ذهب أحدهم إلى القاضي (العارفة) ، ولم يحضر الآخر أعتبر (مفلوجاً) ودعواه خاسرة، أما إذا كان الغياب بعذر مقبول فنؤجل الدعوة إلى جلسة أخرى .

المحاكمة:

يجتمع الخصمان في منزل القاضي ويجلسان متقابلين ثم يقوم القاضي بتجريدهما من السلاح. فيبدأ القاضي بسؤال المدعي.

بقوله: هات ما عندك يا فلان. فيقوم المدعى بمقدمة بلاغية، وغالباً ما تكون مسجوعة تختلف حسب ثقافته القبلية كأن يقول مثلاً: وش عندك يا قاضينا. اللي بالحق ترضينا، جيتك هدي. ومشيي قدي، أفلح وصلي على النبي "فيقول الجميع الصلاة والسلام عليه" فيكمل حظي وحظك يدخلان على أربعة وأربعين نبي من الظلم والحق الردي، أنا داخل عليك بالمال والعيال من شيء بيّن علي وعليك خفي أنا حاطه بعيونك السود. وربعك العقود وبالمرأة وما تجيب ومنسفات العسيب (الخيل).

ثم يسرد وقائع المشكلة: (وش تقول باللّيّ أشجاه و أنحاه ومن عياه وقل هداه ، ضرب دخيلٍ من دراي لا جبأ علباه".

ثم يدلي المدعى عليه بمقدمة متشابهة، ويسرد أنكاره أو بتبريره ثم يجيب القاضي: أفلحوا وأصلحوا خير لكم. فإذا ما رفضوا الصلح طلب القاضي (الرزقة)، وهي بمثابة رسوم المحاكمة. ثم طلب الشهود شريطة أن تتوفر فيهم الصفات التالية:

1- أن لم يسبق لأحدهم بأن شهد زوراً.
2- أن لم يجبن يوماً ما في معركة.
3- أن لم يكن قد ارتكب خيانة ما.
4- ويحرم من الشهادة في العرف القبلي الشيخ البخيل والعبد المملوك.
5- الأقرباء لا يحق لهم الشهادة.
6- الأعداء.

أما نصاب الشهادة لدي البدو فهو رجلان أو أربعة في القضايا المهمة

(ملبس العباه):

يجوز لأي من المخاصمين تعيين رجل بارع في المفاوضات والدفاع ويسمَّى ملبس عباه – أي بمثابة (روب المحاماة)، وهذا كما يقول العرف القبلي [عليه، حجج وما عليه حرج] أي: يسمَّى مطلوباً بحلف اليمين

كفيل الوفاء وكفيل الوفا:

بعد أن يدفع المتخاصمان الرزقة (الرسوم) يطلب القاضي منهما تعيين كفلاً لدفع ما يقرره فيما إذا رفض أحدُ المتخاصمين حكمه فيعين كلٌّ منهم كفيله، ثم يبدأ القاضي بدراسة القضية. فإذا توصل بقناعة وأدلة وبراهين تدين أحدهم أطلق حكمه، أما إذا لم تتوفر الأدلة وأنكر أحدهم ما هو منسوب إليه فعليه بالقسم.

القسم (اليمين – الحلف)

والقسم عند البدو يتمُّ بعدة أشكال حسب المشكلة فمن هذه الأشكال مثلاً:

أ) القسم الصغير:

وهو أن ينهض المتهم ويمسك بواسط[71] البيت ويحلف بالله وصلاة محمد بأنه لم يفعل كذا .

ب) قسم اليد:

وهو أن يضع القاضي يده على رأس المتهم ويسأله: أقسم عليك بالله وبما (تحوش وتنوش[72] وبالمال والحلال، اليوم بين يمينك وباكر بين متينك، بغيبه

---

(71) – الواسط العمود الرئيسي الذي يثبت به بيت الشعر .

(72) – بما يمتلك من مال وحلال .

علي وبينّه عليك (بالشيء الفلاني) إن أطلعته يسرك وإن أخفيته يضرك، أما صار كذا وكذا. فيجيب أقسم بالله وبمحمد رسول الله ومنفعات العسيب مدرات الحليب والمرأة وما تجيب أنني لم أفعل كذا.

ج) القسم الكبير:

أما القسم الكبير فهو أن يقوم (العارفة)، ويأخذ سيفاً يخط به دائرة ويضعه في منتصفها، ويدخل المتهم في وسط هذه الدائرة ويضع يده على نصاب السيف ويقسم: والله العظيم والسيف الكريم أنني لم أفعل كذا وكذا؛ كما أنَّ هنالك قسم الشملة والنملة لسنا في صدده لأنه يعود إلى الجاهلية الأولى.

الحكم:

بعد ذلك كله يعيد القاضي (العارفة) على مسمع الحضور حجة كل من المتخاصمين ليؤكد لهم حفظهما واستيعابها استيعاباً جيداً ثم يفند كل حجة على حده، ويطلق حكمه على القضية، ويعدُّ بذلك نافذاً.

أما بعض القبائل فتجيز الطعن بالحكم وعلى المتخاصمين الاتجاه إلى قاضٍ ثانٍ فإذا طابق حكمه حكم الأول فتعدُّ القضية منتهية أما إذا خالف سابقه فعليهما الاتجاه إلى القاضي الثالث الذي يعدُّ رأيه هو الأخير وهو الفصل .

الصلح (العطوة)

تعتمد بعض قبائلنا العربية على العطوة، وهي وسيلة الصلح بين متخاصمين أو متقاتلين. فبعد أن تهدأ (فورة الدم) يقوم رجال من (وجوه الخير) الذين عرفوا بالصلاح والجاهة بالتوسط بين أهل المتخاصمين وذلك بالتوجه إليهم لإقناعهم بالصلح وقبول الدية.

فإذا ما تمَّ إقناعهم أرسلوا وفداً آخرَ (جاهية) تتألف من مشايخ القبيلة، ويستحسن حشد أكبر عدد ممكن من القبائل الأخرى للتوجه إلى أهل المجني عليه وتسمَّى (عطوة أقبال) فإذا ما مثلوا بذلك اتجهت الجاهية إليهم وفاوضتهم بالتنازل عن الثأر وقبول الدية فإذا ما حققت ذلك. يقوم فريق من القبيلة لا علاقة لهم بالدم فيأخذون بيتاً لأحد رجال (الحظ) ونصبه ليلاً خلف بيت أهل المجنى عليه ويوقدون النار في الصباح، ويذبحون الولائم حتى ما أن يحل الظهر حتى جاءت (الجاهة) ومعها أقارب القاتل يتقدمهم (كفيل عطوة الأقبال).

ثم يرسل كبير الجاهة إلى أهل القتيل للحضور. وحالما تجتمع الأطراف يقوم أعقل اهل القاتل متقلداً عقاله ومعه خنجرٌ يقدمه إلى أقرب أهل القتيل، ويسلمه طرف عقاله وخنجره ويخاطبه بالقول إنني بالإضافة عن فلان أعترف بأنني قتلت قريبك فلان وها أنا أسلم روحي إليك فإن شئت ذبحتني وإن شئت عفوت عني، واقبل فدية حياتي الدية التي تفرضها علي، عندها على قريب المقتول العقال ويسأله ثلاثاً عن القاتل فيعترف.

فأما أن يتنازل عن الدية أو أن يغرموا ما شاؤا من المبالغ الفخمة. وهنا يتكلم الشيخ بكم تكرمني فيجب بكذا و تكرم الجاهة، ويبدأ العد التنازلي هكذا وإكراماً لوجه الله ثم رسوله، ثم الحضور، ثم البيت، تمَّ الفاء وهكذا إلى أن ترسي الدية.

الزواج

من طرق الزواج في المجتمع القبلي تأتي مسألة (الجيرة أو الحيرة أو الحجرة)، وهي عبارة عن حجز ابنة العم لابن عمها منذ ولادتها لتكون زوجة له في المستقبل، ولا يجوز زواجها بشخص آخر إلا في حالة تنازل ابن عمها أو دفع مهرها له.

أما إذا تزوجت ابنة العم دون رأي ابن عمها فغالباً ما تنشأ مشاكل كثيرة تؤدي إلى القتل. ويهدف البدو من وراء ذلك إلى تقوية العصبة وأواصر القرابة والحفاظ على أصالة العائلة كما أنَّ البدو حريصون أشدَّ الحرص على أصل الزوجة وسمعة أهلها؛ لأنهم غالباً ما يفخرون بنسبهم وأخوال أولادهم لاعتقادهم بأنَّ الخال أكثر تأثير من حيث الطبائع الوراثية على أولادهم.

البدل أو الشغار:

وهـــو أن يتبـــادل الـــرجلين الأخـــوات كـــأن يـــزوج أحـــدهم ابنتـــه أو أختـــه مقابـــل ابنـــة أو أخـــت الرجـــل الآخـــر، وتكـــون العلاقـــة الزوجيـــة في هـــذه الحالـــة مرتبطـــة بمـــدى العلاقـــات الزوجيـــة بينهمـــا فـــإذا مـــا اختلـــف أحـــدهم مـــع زوجتـــه واضـــطر إلى طلاقهـــا فعلـــى بديلـــه أن يـــدفع لـــه مهـــراً. أو أن يعيد ابنته أو أخته إليه.

تعدد الزوجات:

ويحبذ البدو كثيراً تعدد الزوجات ليكونوا أكثر إنجاباً، وذلك لحاجتهم القبلية إلى قوة العصبة وشغرا لأعمال الحياتية التي يتطلبها الوضع القبلي كالرعاية والدفاع والحرب، ولذا يقول البدوي دائماً :(أولادنا للعدو وعبيدنا لنا) . ومن هنا فإن البدو يسمون أولادهم أسماء عجيبة، ويسمون عبيدهم أجمل الأسماء.

المرأة في المجتمع القبلي:

أما المرأة في المجتمع البدوي فبالرغم من أنها اليد العاملة القوية التي تهتم بأكثر أعمال الأسرة، فإنها تعدُّ حسب مفهومهم. مخلوقاً ناقصاً قاصراً محرماً يسمونها (الحرمة أو

العورة)، ويرون فيها أنها ناقصة عقل ودين، فهي حسب رأيهم لا تملك عقلاً كعقول الرجال، بل إن تفكيرها يعدُّ قاصراً، ولا يأخذون برأيها بل يعدون ذلك عيباً.

كما أن على المرأة في المجتمع القبلي أن تذعن للطاعة العمياء دون نقاش، ويحق للرجل ضربها، بل وتطلق أحياناً لأتفه الأسباب و(بالثلاثة)، كما يقولون دائماً. بل إنهم يقرنون أيمانهم أو قسمهم بطلاقها لأي سببٍ مهما بلغ في ضآلته؛ كما أنها لا يحق لها أن ترفع صوتها. فصوتها عورة ووجهها عورة وهي مقتولة لا محالة لأي حادث شرف حتى لو كانت بريئة وذلك غسلاً للعار(!!).

وحتى في أشد حاجات المرأة للرجل فإنه كثيراً ما ينفر من الاختلاط بها كحالة النفاس مثلاً فإنَّ الرجل لا يدنو من زوجته ولا يأكل مما تأكل ولا يراها إلَّا بعد الخروج من النفاس؛ كما أن أغلب الرجال في البادية لا يسمحون للمرأة بأن تذبح الشاة أو تدنو من القهوة أو تشاركهم في الجلوس أو الأكل أو الرأي.

النسب:

يتمسك البدو بشدة على ضرورة التأكد من النسب وذلك حفظاً على المركز العائلي أو الأسرة والمحافظة على أصالتها من الشوائب؛ لذلك يقولون: عرب وليدك عربه، والنار من مقباسها / العز باوراك النسا اللي عريبٍ ساسها.

التعاون:

يشارك البدو بعضهم بعضاً في رفع المستوى المعيشي للفقراء منهم أو المنكوبين فيقدم جميع أفراد القبيلة إلى الفقير كل حسب قدرته من الماشية أو الإبل وتكون بمثابة (منائح)، وذلك لمساعدته على تحمل أعباء الحياة.

كما يساهم البدو مجتمعين في مساعدة ذوي الدية وغالباً ما تقسم الدية على رجال القبيلة. كما يتكاتف البدو في مساعدة بعضهم بعضاً في الارتحال والحلول ودمج المواشي عندما يمرض أحد الرعاة كما يحصب الجميع للتعاون في جزّ الصوف، وكذلك يتعاونون في مساعدة بعضهم في الأعراس والمناسبات، ويساعدون الضعفاء وكبار السن في الري على الآبار، وكذلك يقومون بعمل جمعيات خاصة لمساعدة المديونين أو المحتاجين.

البدو المستشرقون

يقول علامة الجزيرة حمد الجاسر: إنَّ الكتابة عن أية قبيلة من الامور التي يحيط بها الكثير من العراقيل. ولا يدرك هذا الشأن إلا المتبحر في دراسة أنساب القبائل وتاريخها. وهذا أمر يدركه متقدمو المؤلفين، بل يقال إنَّ الثقافة العربية فقدت متسعاً كبيراً من ثرواتها لهذا السبب.

ومن هنا فقد كتب عن البادية مئات الكتاب والباحثون والمستشرقون أو ضباط الاستعمار فمن الكتاب العرب محيي الدين صابر ،ومكي الجميل الغراوي ، ونعوم شقير[73].

أما ضباط الاستعمار فقد كتب منهم، لورنس[74] (أعمدة الحكمة السبعة)، جون كلوب[75] (جندي مع العرب)، ديكسون[76] (عرب الصحراء) و (الكويت وجاراتها).

---

(73) – نعوم شقير (1863 – 1922 م) هو مؤرخ من لبنان .

(74) – وماس إدوارد لورنس (1888 – 1935) ضابط بريطاني اشتهر بدوره في مساعدة القوات العربية خلال الثورة العربية

(75) – جون باغوت غلوب – غلوب باشا (1897 – 1986) ضابط بريطاني عرف بقيادته الجيش العربي الأردني بين العامين 1939 و1956.

(76) – أرولد ريتشارد باتريك ديكسون (1881 – 1959) ضابط عسكري وسياسي ومؤرخ بريطاني ألف عدة كتب عن الكويت وشبه الجزيرة العربية.

وفيلبي[77] (قلب جزيرة العرب). والمقدم مولد (في بلاد الشام مع البدو)، والملازم بوشمان[78] (متعة المعيشة البدوية مع السبعة).

أما من المستشرقين فيجيء، بلجريف[79] (قصه رحلة عام في قلب وشرق الجزيرة العربية، وكارل رسوان[80] (الخيام السوداء في الجزيرة العربية)، وجورج أو غست[81] (صورة من شمال جزيرة العرب، أوبنهايم[82] (البدو)، مس غيرترود بيل[83] (العامر والغامر)، و (من مراد إلى مراد)، و (ألف بيعة وبيعة) وموزيل (موسى الرويلي) — بلاد العرب العمراوية، مونتان[84] (شمر الجزيرة)، حي (الكويت زهرة الخليج، نيبور[85]، بركهارت[86] ، ستيزن[87]، توماس أرنولد[88].

---

[77] -هاري سانت جون بريدجر فيلبي (1885 – 1960) مستعرب، ومستكشف، وكاتب، وضابط استخبارات بمكتب المستعمرات البريطاني.

[78] – الرحالة الفرنسي – البير دي بوشمان .

[79] – يليام غيفورد بالغريف (1888 – 1826)، عالم لغوي إنجليزي ومبشر ، يعدّ من أشهر الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية.

[80] – كارل رينهارد رسوان (1966– 1893) مستشرق ألماني ويعد أحد أعظم خبراء ورعاة الخيل العربي الأصيل.

[81] – جورج أوغست فالين (1852. 1811) مستشرق ورحالة وأستاذ جامعي فنلندي، من أوائل المستكشفين الأوروبيين لجزيرة العرب.

[82] – ماكس فون أوبنهايم (1946–1860) رحالة وعالم آثار ودبلوماسي ألماني .

[83] – غيرترود بيل (1926– 1868)، باحثة ومستكشفة وعالمة آثار بريطانية عملت في العراق مستشارة للمندوب السامي البريطاني بيرسي كوكس في العشرينيات من القرن العشرين.

[84] – مونتان(1954–1893) مستشرق فرنسي.

[85] – كارستن نيبور (1815–1733) مستكشف ورياضياتي وعالم خرائط .

[86] – يوهان لودفيك بركهارت (1817–1784) رحالة ومؤرخ سويسري .

[87] – ياسبر زيتسن (1811 – 1767 م) مستشرق ورحالة ألماني .

[88] – توماس وولكر آرنولد (1930– 1864) مستشرق بريطاني شهير .

وقد تناول هؤلاء الكتاب في دراساتهم وتقاريرهم هذه القبائل كل حسب رؤيته أو مصلحته، أو مصلحة بلاده، فمنهم من كتب الحقيقة ؛كما هي ومنهم من غمره حب هذه القبائل وتعاطف معها، ومنهم من جانب الحقيقة والصواب ليجعل من نفسهم بطلاً أسطورياً بين تلك المجتمعات لدى قرائه وبني لغته. ونحن إذ ندوّن هنا بعضاً من تلك الآراء فلكي يطلع عليها أبناء تلك القبيلة بل في هذا العصر الذي استطعنا فيه أن نفهم أبعاد تلك الكتابات سواء كانت عربية أو أجنبية تاركين لقارئنا اليوم – وبأمانة حرفية – أن يستشف منها ما قصد به أولئك الكتاب دونما أي مناقشة أو تصويب أو موافقة من جانبنا.

رأي ابن خلدون:

إنهم بطبيعة التوحش الذي هم فيه أهل انتهاب وعبث ينهبون ما قدروا عليه من غير فعالية ولا ركوب خطر، ويغرون إلى منتجهم بالقفر والقبائل الممتنعة عليهم بأوعار الجبال بمنجاة من عبثهم وفسادهم أما البسائط متى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة، فهي نهب لهم وهم إذا تغلبوا على أوطان أسرع الخراب إليها؛ لأنهم أمة وحشية (!!)، فينقلون الحجر من المباني ويخربونها لينصبوه أثافيَّ للقدور (!!). وهم أصعبُ الأمم

انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع أهواؤهم .

رأي الدكتور كلوت[89]

من أخص صفات البدوي ولعه بالحرية والاستقلال والمفاخرة بالأصل، إسلامهم على فطرتهم، فهم يخلصونه من قواعد الدين بالسفسطة (!!) مثلاً إذا لم تؤد فريضة الصلاة فلأن الماء ينقصنا للوضوء، وإذا لم نتصدق فلأننا فقراء أحق بالزكاة من غيرنا، وإذا لم نصم رمضان، فلأننا نصوم طول العام من الجوع. وإذا لم نحج فلأن البيت الحرام حيث يصلي الواحد منا (!!).

رأي الأب أنستاس الكرملي[90]

البدوي يصدّق كل ما تقول له من الخرافات والاقاويل الصبيانية لسلامة نيته، يحب الأحاديث الخيالية والأقاصيص الملفقة مما يكثر فيها الأوهام والمجاملات، البدوي قابل لكلِّ شيءِ عظيم فإذا ما عرف العاقل كيف يسوسه أو يقلقه بفكر ظهر له فيه منفعة

---

[89] – نطوان براثيليمي كلوت (1868– 1793) المعروف بـكلوت بك، وهو طبيب فرنسي قضى معظم حياته في مصر.

[90] – أنستاس ماري الكرملي (1866 – 1866) لغوي عربي وضع كتبًا مهمة وأبحاثًا جديدة عن اللغة العربية. كان يرى في الخروج على اللغة العربية خطئًا أصدر مجلتين وجريدة. وتميزت مجلة (لغة العرب) التي أصدرها في عام 1911م، بأبحاثها الأدبية والتاريخية .

،والبدوي لا دليل له إلا سليقته الوقتية، ويحكم على الأمور بموجب ظواهرها ولا يهمه بواطنها. فهو ينخدع بالبوارق وينقاد لما فيه حلية وزخرفة – ثم يستمر الأب في وصفه للبدو ومعرفتهم للموت بقوله: لقد نعت البدو الموت بنعوت ثلاثة هي الموت الأسود

وهو الحتف، والموت الأحمر وهو المرغوب لديهم ألا وهو القتل. والموت الأبيض ألا وهو الطبيعي أو الفطس. والبدوي الضعيف –كما أضاف الأب – هو دنيء خوان، غدار، لئيم، ينضم إلى القوي ويقتل ويغتال من خفره (!!؟)

رأي حافظ وهبة[91]

الحياة الخشنة جعلت القبائل يتقاتلون في سبيل المرعى والماء وهي التي جعلت سوء الظن يغلب طباعهم. فالبدوي ينظر إلى غيره نظرة العدو وليس للبدوي قيمه حربية (!!) تذكر، ولذا كان اعتماد الأمراء على الحضر منهم الذين يصمدون للقتال ويصبرون على بلائه وبلوائه، وكثيراً ما كان البدو شراً على الأمير المصاحبين له. فإنَّ ذلك الأمير إذا ما بدت منه الهزيمة كانوا هم البادئين بالنهب والسلب.

---

[91] – حافظ وهبة (1967– 1889) مستشار الملك عبد العزيز آل سعود –طيب الله ثراه – عمل في الكويت معلماً في المدرسة المباركية، ومن الكويت انتقل إلى الرياض حيث عمل مستشارا سياسياً ثم سفيراً للمملكة في بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية.

رأي خير الدين الزركلي[92]

وهو ينصح الذي يود اجتياز الصحراء:

1. لا تسلم على أحد في طريقك ما لم يبدأك بالسلام فذلك أدعى للرهبة .
2. اهمز جوادك لتظهر عليه علامات النشاط والقدرة على الكر والفرّ ،فإنهم إذا استضعفوا دابتك طمعوا بك .
3. لا تكثر التلفت يميناً أو يساراً فإنهم يشعرون أنك خائف فيعترضوك.
4. كن جهوري الصوت إذا تكلمت مع أحد .
5. ضع بندقيتك أمامك كالمتهيء للشرب .

رأي المقدم الفرنسي مولد

إنَّ البدو إذا تكلموا كذبوا، وإذا تناقشوا واربوا، وإذا تقاضوا ماحكوا، وعندهم الطمع والجشع وحب السلب والنهب وقسوة القلب وحرمان الرحمة وضعف الدين والولع بالخرافات – فهم حسب رأيه. بخلاً إلاّ إذا وجدوا مأرباً في البذل، جبناء إلَّا إذا وجدوا خصماً ضعيفاً، وهم إذا أظهروا الشجاعة للطعان والبراز فما هو في الغالب إلَّا للتبختر والمباهاة والتضحية، وفكرة الواجب مجهولة لديهم، فالبدوي على رأيه أيضاً.

---

[92] – خير الدين الزركلي(1976–1893) كاتب ومؤرخ وشاعر وقومي سوري تنقل الزِّرِكْلي في عدد من البلاد العربية بين دمشق ومكة المكرّمة والرياض والمدينة المنورة وعمّان وبيروت والقاهرة.

إذا كان جلوداً وقنوعاً فلأنه عاجز عن حمل مؤنته إلى أماكن أبعد . أما إذا كان كريماً فلأنه ينتظر أن يقابل بالمثل، وإذا كان نهاباً فإسراعاً في الثراء... ثم يبرر (مولر) أنَّ عطف البدوي على أولاده يجي (على أمل أن يكونوا نواله أعواناً وحماة واولاد البدو لا يحملون عطفاً واحتراماً لآبائهم(!!)، والبنات عندهم أفضل من زوجاتهم، لأنهم سيعرضن للبيع، وهم فرحون لموت المرأة؛ لأن في ذلك سيسبب تبدلاً في الحياة!!.

رأي زهرة ديكسون[93]

لقد كثر عدد البدو على اختلاف درجاتهم ومنزلة قبائلهم ممن يشتغلون كعمال في شركات النفط أو مع الملتزمين الذين يتعاقدون مع الدولة لتنفيذ برنامج من برامجها التطويرية. ومع ذلك فليس بعيداً أن يفضل البدوي أن يعمل كحارس أو سائق أو فني ما دامت هذه الأعمال لا تتطلب منه أن يرهق جسمه وأعصابه إلَّا إذا استطاع أن يحصل على وظيفة كهذه ولا يشتغل كعامل إلا إذا كانت الأمور مغرية عندئذٍ يطيع اعتزازه بقبيلته جانباً.

---

[93] – زهرة ديكسون فريث (1925 –2015) كاتبة بريطانية،و ابنة هارولد ديكسون والسيدة فيوليت ديكسون

بدونا اليوم

لقد ظلت بعض القبائل العربية محافظة على وحدتها القبلية منذ الجاهلية مروراً بالإسلام وحتى أواخر تفكك الدولة العباسية وظهور الدويلات بينما تجزأت العديد منها إلى عشائر وبطون مختلفة شكلت كل منها قبيلة مستقلة بينما اندمجت بعض الأقليات القبلية ونوازع القبائل الأخرى في قبلية شكلت قبيلة واحدة.

ونتيجة للطبيعة الرعوية والتطاحنات والحروب، فقد انتشرت هذه القبائل على امتداد الخريطة العربية، بينما ظلت تحكمها صلة القرابة ووحدة الدم رغم الحدود الجغرافية التي وضعها الاستعمار والذي حاول بكلِّ ما يستطيع تحجيم (الغزو)، وذلك حفاظاً على سلطاته واستعمال بعض القبائل لتنفيذ مآربه القتالية ضد القبائل الأخرى التي تخرج عن طاعته، إلَّا أنه عندما توضحت الحدود الإقليمية بين الدول واقتسام الدول الاستعمارية بلادنا العربية كمناطق نفوذ، فقد أبرمت الاتفاقيات التي تحدُّ من الغزو والتوسع، ولربما التجوال، ومن هنا فقد بقيت العديد من القبائل ضمن الإطارات الإقليمية، وبدأت تتحدد حركاتها منذ أواسط الأربعينات وحتى إنجاز الاستقلال لمعظم الدول العربية، ويمكننا تلخيص المتغيرات الرئيسة في المجتمع البدوي التقليدي كالتالي، وكما يقول الدكتور أحمد الشامخ:

1- قيام حكومة مركزية قوية أدى إلى منع الحروب والمنازعات.

2- منع الغزو.

3- وضع البدو تحت قوانين الدولة.

ويمكننا أن نضيف له أيضاً محاولات توطين البدوي من قبل الحكومات الوطنية كمشروع وادي السرحان الذي قامت به الحكومة السعودية عام 1958 ؛لتوطين قبائل عنزه والشرارات بعد ست سنوات متتالية من الجفاف قضت على 90% من مواشيهم، كما يجدر الذكر أن المملكة العربية السعودية قد ألغت منذ عام 1953 نظام الحِمى الذي كانت بموجبه القبائل تملك حقوق الملكية التقليدية للمراعي الفسيحة ومن هنا فقد أخذ البدو في الجزيرة العربية بالاستقرار والانخراط في الأعمال الحكومية، وتحديث (هجرهم – قراهم) القديمة التي بني بعضها منذ عام 1912 ، والتي بلغ عددها 200 مستوطنة بدوية.

المبرر الأيديولوجي
للوحدة العشائرية

يقول غينا دي ماركوفا في عالم البدو: إنَّ نشوء وصيرورة البداوة قد ترافقا مع تغيرات كبيرة في قاعدة الإنتاج التحتية، وكما هو معروف فإنَّ مثل هذه العمليات تجر وراءها تغيرات مهمه في حقل النظام الاجتماعي أيضاً مفوضاً عن التنظيم المشاعي البدائي للعشائر التي تدير اقتصاداً متحضراً لشكل كامل أو نصف متحضر تشكل النظام البدوي الذي وجد أساساً له في العائلات المستقلة اقتصادياً، والتي كانت بحوزتها ملكية خاصة تتمثل في القطيع (رأسمال) إلَّا أنَّ العائلات هذه لم تستطع العيش بشكلٍ منعزلٍ بل اتحدت في مجموعات بدوية وفقاً لاعتبارات (اقتصادية وحربية)، ونظراً لهذه الاعتبارات توحدت المجموعات البدوية في عشائر ووحدات عشائرية أكثر ضخامة. إنَّ مجموعة الأسر غير الكبيرة مثلها في ذلك مثل العشائر كانت في نظر البدو أنفسهم نتيجة لتفرع أسرة أولية واحدة، وهذا ما أعطى مبرراً أيديولوجياً للوحدة العشائرية على هيئه قرابة النسب ووحدة الأصل.

البنية العشائرية:

ثم يستمر في تناوله النظام الاجتماعي عند البدو الرحل في شرق آسيا بقوله: أما البنية العشائرية ومبادئ تنظيمها فكانت على أكثر ما يمكن من الثلاث مع وربما كانت

الوحيدة الممكنة في ظروف الحياة المتحركة والحروب الكثيرة عندما انحلت بعض العشائر، وظهرت غيرها من جديد مكونة أيديولوجيا كوحدات نسب شكلية. وعلى صعيد الدرجات الدنيا من التنظيم الاجتماعي (مجموعات تربية الماشية وأقسام عشائرية غير كبيرة) ترتبط بعضها بمصالح اقتصادية محددة، أما درجاتها العليا (اتحادات العشائر والعشائر وأقسامها الضخمة، فقد كانت بالإضافة إلى ذلك وحدات سياسية وعسكرية، وترسخت هذه الدرجات ايدلوجياً بواسطة قرابة النسب والزواج الداخلي. أما بالنسبة للتنظيم الاجتماعي فيقول:

التنظيم الاجتماعي:

لقد كان طابع العناصر الوظيفية للتنظيم الاجتماعي والتناسب بين هذه العناصر يختلف بشكلٍ ملحوظ وذلك حسب الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ففي زمن السلام نسبياً وخصوصاً عندما خضع البدو للدول الزراعية إلى نظامهم الاجتماعي في المقام الأول لصالح افتقاد تربية الماشية، وخضع للأنظمة التشريعية النافذة، وزادت خلال ذلك استقلالية المجموعات البدوية والعائلات، وقربت أهمية الروابط الجغرافية، وضعفت الروابط التنظيمية داخل العشائر، وكذلك اندثرت أنظمة السلطة والإدارة العشائرية. واصبحت المشكلات اليومية تحل عبر أكثر المجموعة البدوية هيبة وتأثيراً بمشاركة رؤساء العائلات.

وقد عبر كارل ماركس[94] عن جوهر التنظيم العشـــائري بقوله : (في الواقع تتجمع الطائفة معاً في قبائل الرعاة الرحل، وتمثل مجتمع الأدلاء والقوافل والجحافل، ويتطور شـــكل التكافل بينها في ظروف نمط الحياة هذا). أي: أن هذا التنظيم الاجتماعي يمكن أن يدعى بـــــ :(مشاعي بدوي. لذا تجد أن علاقات مربي الماشية الاقتصادية والاجتماعية مع الدول المجاورة وخصوصاً في مرحلة تطور الرأسمالية قد اثرت تأثيراً مهماً على نظامهم العشائري، وقادت هذه العملية إلى انحلال البداوة وبنيتها العشائرية .

لكن المستشـرق الآخر ابرام برشـيتس فيقول عن تكون الطبقات عند مربي المواشـي الرحل: (إنَّ الإمكانات الاقتصـادية المحدودة لتربية الماشـية الأفقية من جهة وأفضـليات البدو الرحل العسكرية على جيرانهم الحضر وشبه الحضر من الجهة الثانية ساعدا على التطور الواسـع لوضـع خاص في قبائل الرحل يمكن تسـميته بالوزن النوعي السـائد أو المرتفع للنشاط الاستغلالي الخارجي، ويقصد بهذا الأخير أكثر الأشكال بدائية لانتزاع المنتوج الإضـافي (وأحياناً الضروري أيضـاً) النهب العسكري المباشر (الغزو) والغرامات التي تحل مكانها وبشكلٍ خاصٍّ ما ينبع عن هذا من استغلال على شكل إتاوات. ثم يتناول الإتاوة حسب فهمه بالقول:

---

[94] – كارل هانريك ماركس(1883–1818) فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ .

الإتاوة:

ويقصد بالإتاوة في الغالب أي شكل من أشكال الضريبة البدائية المباشر، ولكن بعض الباحثين يسعون إلى التميز بين هذين المفهومين فقد اعتبر م. إيفانوف [95] أنَّ الإتاوة خلافاً للخراج كان يقدمها السكان عموماً ،وتدفع في فترات منتظمة أو غير منتظمة فإذا كانت منتظمة فإنها تعدُّ ضريبة بيد أنَّ الباحث بورشنيف[96] يعدُّ أن الإتاوة في المجتمع الإقطاعي تعدُّ نوعاً من الريع عرضي أو مثبت، ويستنتج أنَّ الإتاوة كمقولة اقتصادية ذات صعوبة كبيرة للتحليل، ولكن (ك. لاشوك) يميز بين (نظام علاقات الإتاوة الإقطاعية الأولية) ونظام الخزينة الإقطاعية العادية. ومن هنا فإن الإتاوة بوصفها تعبيراً عن استغلال خاص فإنَّ الإتاوة ينبغي أن تطلق خلافاً للغرامة على الابتزاز المنظم نسبياً وخلافاً للضريبة والرسم على الابتزاز الذي يجبي من المشاعيات والقبائل الغريبة.

الخوة:

فإذا كانت علاقات الإتاوة شأن الإتاوة نفسها فإنَّ بعضاً منها يسمَّى (خوّه) إذ كان يمكن لأي بدوي شكلياً أن يصبح الأخ الحامي للقرية المتحضرة أو القبيلة شبه المتحضرة، ولكن هذا الشخص كان يتمثل على الدوام تقريباً في أحد الشيوخ أو العقداء وهو إما يستأثر نحوه الحماية، وإما توزع على وجهاء القبيلة كلهم.

---

[95] – فلاديمير إيفانوف (1886 – 1970) مستشرق روسي .

[96] – للباحث الروسي بوريس بورشنيف .

كانت تربو حسب بعض المعطيات على الضرائب التي كانت تدفع للحكومة العثمانية شبه جزيرة العرب كان على التاجر العربي كما يقول الريحاني[97]: أن يدفع الخوه 4 أو 5 مرات لكي يجتاز آمناً 40 ميلاً .

الخوه الدائمة:

وهي بمثابة (الكومسيون) الذي يدفعه إلى الشيوخ تجار الإبل المرتبطين بالقبائل، وكذلك الخوة المفروضة على التجار والحرفيين المتجولين الصغار.

الصّرة:

وهي أحد اشكال خوه الطريق والتي كانت تدفع الى شيوخ القبائل الرحل التي تمر في أراضيها طرق الحجاج السوريين والمصريين

[97] – أمين الرحاني (1876-1940) مفكر وأديب، وروائي ومؤرخ ورحالة، ورسام كاريكاتير لبناني .



سليمان الفليّح – البدايات

دِرَاسَةٌ:

الْقَصِيدَةُ الشَّعْبِيَّةُ

وَانْعِطَافَاتُهَا الْمَرْحَلِيَّةُ

مقدمة

دراسة **" الْقَصِيدَةُ الشَّعْبِيَّةُ.. وَانْعِطَافَاتُهَا الْمَرْحَلِيَّةُ "** التي أعدها أبي -رحمه الله - في نهاية التسعينات الميلادية وهي امتداداً الى دراسة أخرى نشرها في عام 1975م بعنوان "الشِّعر النبطي .. امتدادًا للشِّعر الجاهلي" نشرها في عدّة حلقات في جريدة السياسة تناولت العديد القصائد للشعراء والفرسان كـ راكان بن حثلين ومشعان بن بكر ومحدى الهبداني وسعدون العواجي ونمر بن عدوان وعبيد العلي الرشيد وفهد بن صليبيخ وبصري الوضيحي ومحمد بن لعبون وراشد الخلاوي ومحسن الهزاني وحمد المغلوث وابن ربيعة وحمود الناصر البدر ، فأصبحت بعض أجزائها مفقودة للأسف.

حيث يتناول بهذه الدراسة عدة مواضيع رابطاً بينها حول المراحل التي مرت بها القصيدة النبطية ابتدأ ممن: مصادرتلك الأصوات الإيقاعية النغمية مروراً بلغة الشعر والتحولات والانعطافات التي مرت بها القصيدة ، مفصلاً أهم تلك المراحل والتأثيرات التي حولت صورة القصيدة النبطية التقليدية الى عدة صور ولوحات فنية مختلفة منذ النشأة حتى نهاية القرن العشرين الميلادي.

بالإضافة الى تسليط الأضواء على أهم التجارب الحديثة التي خلقت مساحات ابداعية مختلفة عن ما سبقها ،حيث كان لها القبول والتأثير

بانتشار القصيدة الحديثة من خلال وسائل التكنولوجيا المرئية والمقروءة والمسموعة منذ الستينات والسبعينات وانتهاءً بالصحافة الشعبية التي نشأت في أواسط الثمانينات الميلادية.

ويوجد أيضاً ملحق منفصل ألحقناه في نهاية الكتاب حول " قصيدة النبط مفردات العصر" يتناول من خلاله الراحل المفردات العصرية الحديثة المستخدمة في بعض قصائد الشعراء حسب التسميات : الآلة تقتحم القصيدة النبطية، القصيدة الميكانيكية، الهاتف في المفردة النبطية، الانجلونبطيه، والشعراء الساخرون.

شاكرين ومقدرين لكلّ من سأل واهتم ودفعنا لبدء نشر هذه السلسلة من الإصدارات والجهود البحثية التي تركها الوالد رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته.

مقدمة المؤلف

متوحشاً كان الإنسان الأول في العراء المطلق يركض تحت ضياء البرق وتصرخ فوقه الصواعق وتصفعه الرياح وتبلله الأمطار ويرعبه عواء الضواري وزئيرها المريع، وحينما يقعى أمام كهفه القديم وتهدأ الطبيعة بعد أن ينقشع الغيم يرنو الى النجوم المتلألئة فتهدأ نفسه المضطربة ويروح محدقاً بالقمر الوضاء ليشكره على تلك الطمأنينة التي منحته الهدأة والصفاء.

وحينما يأوي الى مخدعه الحجري يروح في تأملاته القصوى وتساؤلاته الملحة الضخمة ولما ينبلج الفجر يستيقظ على أغاريد الطير وثغاء الحيوانات الأليفة وحفيف الأشجار ونداوة العشب وعبير الزهر وجمال الطبيعة ثم يحدق ملياً بالشمس الساطعة في ملكوت الله ويشعر بامتنان عظيم لمصدر الدفء والحياة.

بالطبع في تلك النقطة البعيدة في سجف الزمان تعلم الإنسان الأول ما يرعبه وما يثير الاطمئنان فيه، ما يحبه وما يكرهه، ما تألفه أذنه وما تنفر منه، ما يشجيها وما يزعجها وعرف ما يحزنه وما يفرحه لمجرد سماع تلك الأصوات، عند ذلك أخذ يقلد تلك الأصوات "حفيف" هدير، ثغاء، عواء، نعيق، بغام" وأصبح يطلق على تلك الأصوات كدلالة على مصادرها الأولى

ومحاكياً لها لـذلك سمى العرب مصادر تلك الأصوات حسب إيقاعها النغمي فسُمي القطا، قطا لصوته (قطا، قطا، قطا) وسُمي الغراب الغاق لصوته (غاق، غاق) وسمى العواء بالعواء لأن الذئب كان يصدر نفس النغمة (عو) وهكذا وحينما تطور الإنسان الأول واخترع أدواته البسيطة أخذ يبحث عما ينجيه من مخاطر الطبيعة فبحث عن معتقدات طوطمية أدت به الى وثنية أسطورية غاية في الغرابة والاستغراب فكان أن تعلق بالشمس التي تأملها ذات يوم وجعل لها رمزاً في الأرض وشبه بها المرأة أو الغزالة وكان ارتحاله "وظعنه" يعني رحلة الشمس ومدارها ورمز للمرأة بنجم في السماء وأسماه الجوزاء لتكون حاضرة في الليل والنهار وجعل للثور البري رمزاً هو برج الثور وكذلك رمز لمرحلة الصيد ببرج القوس وكذلك النسر والقطاه والظليم والحمل والجدي، وكان حينما يخاطب هذه الرموز يتكلم كلاماً غامضاً مسجوعاً يؤثر بمن حوله فيحملهم على الانتباه والإصغاء ويُسمى ذلك الكلام بسجع الكهان، ومن هنا فقد نشأت في الجاهلية الأولى لغة مسجوعه لم تكن إلا المادة الأولية للشعر أو هي التعبير الشعري الأول على أقل تقدير، وبقى الحال هكذا الى أن سقط مضر بن نزار أحد

سلاف العرب من على جمله فانكسرت يده فكان يصرخ من الألم بصوته الرخيم: (وايداه.. وايداه) فأخذ ينتظم صراخه مع حركة الجمل فعرف الحداء كأول ضرب من ضروب الشعر، وبعد أن حدث أول اتصال بين العرب والحضارات السائدة آنذاك كاليونانية مثلاً، كان شعراء تلك الحضارة يغنون الشعر على آلة موسيقية كما كان يفعل هوميروس الشاعر فأخذ العرب بتقليد اليونانيين فغنوا على الربابة التي صنعوها من جلد الذئب، وحينما استورد الجاهليون القيّان والمغنيات كن يغنين على إيقاع "النصب" الذي كن يغنينه في المراثي والسناد" أثناء العمل و"الهزج" على إيقاع حوافر الخيل وبدأ الشعر العربي الجاهلي يتخذ بحوره التي أخذت تتكشف في كل مرة سواء من حركة متح الماء من الآبار أو حركة الخيل أو صعود الجبال أو الانحدار الى السهول، وحينما قتل جساس بن مره كليب بن وائل وغضب أخوه المهلهل مقسماً مره كليب بن وائل وغضب أخوه المهلهل مقسماً على أخذ الثأر وقد تملكه الحزن أخذ "يهلهل الأشعار" وينوع بحورها (وجداً ووعيداً ومراثي).

وذلك باعتبار أن الشعر وليد اللاوعي وباعتباره عالم الخيال المطلق، أو هو كما يقول غاتشيف[98] مطلقاً حكمه على أغلب الآثار الأدبية "أن الأثر الإبداعي يتطور حتى بعد موت صاحبه".

---

[98] – غيورغي دميتريفش غاتشف ، ولد في موسكو عام 1929. حاصل على دكتوراه دولة عام 1959 وعلى دكتوراه علوم فللوجيا عام 1983، عمل باحثاً بأكاديمية العلوم السوفيتية. "الوعي والفن ترجمة نوفل نيوف – عالم المعرفة "

لغة الشعر

ومن هنا فقد برع العرب في الشعر وطوروا بحوره وأصبح وعاء لغتهم وسجلاً لتاريخهم وإعلامهم المتعدد الأغراض والمصور الطبوغرافي لطبيعتهم الحياتية وكل ما يحيط بها من مناخ ووحش وفلك ونبات وقصص وتراث لذلك نقلوا إليه صحراءهم بكل ما تحمله من مجاهل وتفاصيل وأسرار، وأصبح الشعر هو ديوانهم وجهازهم المعرفي الذي حافظوا عليه وتناقلوه من جيل لجيل وهو السجل الحافل بغزواتهم ومعاركهم وعاداتهم وتقاليدهم ولربما كان "مسجل" لهجاتهم القبائلية الى أن جاءت الرسالة المحمدية الخالدة ونزل القرآن الكريم بـ "لهجة قريش" فوحد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين الحنيف لهجاتهم وألغي ما قبح من عاداتهم وهذبهم بنور الحق والمعرفة والعلم، ثم قامت لهم دولة مركزية عظيمة ترفرف عليها راية الإسلام وألقت بظلالها الوارفة على مساحة هائلة من الكرم الأرضية لتشملها بالأمن والأمان، وهكذا بقيت تلك القبائل تحكمها دولة مركزية حتى بعد انتقال السلطة الى الشام على أيدي الأمويين ثم الى العراق على أيدي العباسيين وكان الشعر العربي يواصل ازدهاره واحتفاء الخلفاء به ذلك إجزال العطايا لشعرائه وبدأوا في تدوينه والاعتناء به وأخذوا منه

الحكمة والمعرفة وكتبوا حتى وصفاتهم الطبية به كما فعل ابن سينا، ولكن ما إن انهارت الدولة العباسية وبدأ زمن الدويلات حتى انكفأت القبائل الى صحرائها.

النبيط

وحينما ضعفت قبضة الدولة المركزية على تلك القبائل وبدأت تنأى عن الولاة الذين لم يكونوا من جنسها وهكذا الى منتصف القرن الخامس حينما بدأ بنو هلال في تغريبتهم الشهيرة الأولى نحو بلاد الشام حيث قالوا أشعاراً تفشى فيها اللحن وظهرت فيها العامية فقال أبو العلاء المعري بذلك؟:

أَيـنَ اِمـرُؤُ الـقَـيـسِ وَالـعَـذارى   إِذ مـالَ مِـن تَحـتِـهِ الـغَـبـيـطُ

اِسـتَـنـبَـطَ الـعُـربُ في المَـوامـي   بَـعـدَكَ وَاِسـتَـعـرَبَ الـنَـبـيـطُ

وكان يعني بـ " النبيط " الأقوام من غير العرب، وحينما قامت دول عديدة في شبه الجزيرة العربية كالقرامطة ومن بعدهم العيونيون والجروانيون كذلك لم تهتم هذه الدول بالقبائل العربية وبدأت اللغة تزداد فساداً وظهرت كما تشير أغلب الدراسات مفردة "النبط" مرة أخرى على لسان أبي حمزة العامري في عهد الشريف كبيش بن منصور الشريف الذي ولي المدينة المنورة سنة "725هـ" وذلك بقوله:

"الله من بيت وقصيدة شاعر   عند الأمور المعضلات حميدا

كـــالـــدر الا أنهـــا "نـــبـــطـــيـــة" تحـلـى عـلـى الـتـكـريـر والـترديـدا"

ثم ظهرت قصائد أخرى للعامري نفسه تشي بظهور ما أعتبر فيما بعد القصيدة النبطية كقصديته في مدح الشريف كبيش والتي منها:

"الـفـاطـمـي الهـاشمـي ومـن لـه شـــرف اناف على الســـماك الأعزل

كبش بن منصـــور بن مجـاز ومن "حـاش" المرؤة قبـل عقلـه يكمـل

يا كبش "جبـت" بـدره "مصـــيونـة" عن من ســـواك بهـانشـــح ونبخـل"

ثم بدأت تتوالى مثل هذه القصائد "الشبه عامية" في عهد الجبريين الذين مدح أمراءهم شعراء كالعليمي والكليف والسمين و جعيثن اليزيدي على نفس النسق العامري في القصيدة، كذلك ظهرت في دولة المشعشعين قصائد الشريف بركات التي تنحو نفس المنحى، فها هو يقول في قصيدة قريبة من الفصحى:

"ليـا أنبـحتنـا من قريـب كـلابـه ودبـت من البغضـــاء علينا عقـاربـه

نحـيـنـاه بأوراك المـطـايا ويممـت بنا صـــوب حزم صـــارخات ثعالبه

بيوم من الجوزاء يســـتوقـد الحصـــى تلوذ بأعضـــاد والمطـايا جخـادبـه"

القصيدة النبطية في
العهد العثماني

وحينما سيطرت الدولة العثمانية على أغلب الأقاليم العربية لم تول القبائل البدوية أي اهتمام سوى جمع الضرائب منها مما عرفت تلك الحقبة بـ "عصور الظلام" والجهل وفي تلك المرحلة الممتدة الأكثر من خمسة قرون ظهر شعراء مثل راشد الخلاوي الفلكي الشهير الذي تعتمد مجمل قصائده على النمط الهلالي "والبيت المهمل" أي ذو القافية الواحدة.

وكذلك فعل جبر بن سيار وبديوي الوقداني وغيرهم ثم بعد ذلك أخذت القصيدة العربية توغل في عاميتها وحتى أواسط القرن التاسع عشر حيث ظهر شعراء الحاضرة "كعبد الله الفرج ومحمد بن لعبون، وابن ربيعة وابن عفالق وابن جعيثن" الذين كانوا هم الآخرون يدونون أشعارهم باعتبارهم متعلمين استفادوا من ثقافتهم الدينية ودراساتهم الفقيهة واطلاعهم على دواوين المتنبي والبحتري والمعري حيث نهلوا من تلك المراجع ما أبهر العامة وانعكس على أشعارهم بشكل خاص فهاهو ابن لعبون مثلا يقول:

"أمـي وأبـوي اللـي رمـوني بالأسـباب يا ليتهـا عقـب الحمـال اسـقطت بـه"

يقارب ما قاله المعري بقوله:

هـــــذا جنـــــاه أبي علـــــيّ ومـــــا جنيـــــت علـــــى أحـــــد"

أما عبد الله بن ربيعة الذي دخل مع نظيره ابن لعبون في "نقائض" تشبه ما بين جرير والفرزدق فهاهو يقول في قصيدة قريبة من الفصحى:

لا رعـــى الله بارد الجـــاش بايـــد عمـــره قضـــى مـــا بـــين ذل وتنكيـــد

لا عادهـــا مـــن وابـــل الوســـم عايـــد وان عادهـــا ياعـــل وبلـــه جلاميـــد

الشعراء الفرسان

وكان هنالك في الجانب الآخر شعراء البادية الفرسان الذين كانوا يمارسون حياتهم البدوية ويقودون قبائلهم في حروب قبلية طاحنة بسبب الماء والكلأ والغنيمة ويمتاز شعر هؤلاء الفرسان بصلابة المفردة والحكمة والاستنهاض القبلي ويقترب شعرهم كثيراً من حيث المعنى وبداوة المفردة من شعر أسلافهم الجاهليين كما مجدوا الصعلكة وأعادوها كإحدي مفاخرهم السلفية القديمة ويكاد أن يتماثل شعرهم مع شعر الجاهليين والصعاليك تحديداً فها هو الفارس الشجاع شليويح العطاوي يقول:

لا والله الا شـــوشـــــت بيّ هـلالـه تقول شـــافت فوق خدي وســـومي

مســـوده وجـهـي لـواهـيـب لالـه من كثر مـا انطح لهيـب الســمومي

تماماً كقول الخطيم العكلي:

فَـذاكَ الَّـذي اِسـتَنكَرتُ يا أُمَّ مالِـكٍ وَأَصـبَحتُ مِنـهُ شـاحِبَ اللَـونِ أَسـوَدا

وَإِنّي لَماضـــي الهَـــمِّ لَـــو تَعلَمينَـــهُ وَركـابُ أَهـوالٍ يُخـافُ بِهـا الـرِدى

وكذلك يقول محدى الهبداني:

دار بـــــدار ولا علينـــــا تحاديـــــد وارزاقنـــــا رب الخلايـــــق ضـــــمنها

فأن الشنفرى يقول:

وفي الأرض مَنْـــأىً للكـــريم عـــن الأذى

وفيهـــا لمـــن خـــاف القِلـــى مُتعـــزَّلُ

وقد برز من الشعراء الفرسان: مشعان بن هذال وتركي بن حميد وخلف الاذن ومحدى الهبداني وشـليويح العطاوي وراكان بن حثلين وسـعدون العواجي وعبد الله العلي الرشيد وغريّب الشـلاقي وشـايع الأمسـح ومشـاري بن ربيعان وحمد الغيهبان وغيرهم من أبطال الصحراء وزعمائها.

شعراء القرن العشرون

بعد هذه الطبقة من الشعراء الفرسان ظهرت في بدايات هذا القرن وحتى أواسطه كوكبة من شعراء الحواضر العربية كالمدن والقرى والإمارات الصغيرة أمثال عبد الله بن سبيل وحمود الناصر البدر وسليم بن عبد الحي وسليمان بن شريم وصقر النصافي والعوني والمغلوث والسياري والصعيليك وأبو زويد ثم برز بعدهم شعراء مجيدون أمثال فهد بن صليبيخ وإبراهيم بن جعيثن وفهد بورسلي.

ويمتاز شعر هؤلاء الحاضرة بجزالة اللفظ وجودة العبارة وقوة المعنى ودخول المفردات الأجنبية التي تسللت والتي دخلت في ثنايا قصائدهم التي تجنح في بعضها للنقد أو التحريض كما لدى العوني وحمود الناصر البدر وفهد بن صليبيخ والنقد الساخر لدى فهد بورسلي، والنصح والغزل كما هو لدى النصافي والمدائح الفريدة كما لدى (الصعيليك) ووصف الهجن كما لدى أبوزويد والاثارة والتأليب كما لدى العوني في حربياته الشهيرة وكذلك قصيدته المعروفة "الخلوج" التي قيل أنها أعادت كل أهل القصيم الذين كانوا يقيمون في بلاد الشام الى بلادهم وتركوا جميع تجاراتهم ومصالحهم، كما اشتهر عبد الله بن سبيّل بقصائده الغزلية الجميلة

التي تركز في أغلبها على علاقة "البدو بالحاضرة" وذلك لأن أغلب أهل نجد في ذلك الوقت كانوا "يبدون" في فصلي الشتاء والربيع ثم يعودون الى قراهم في الصيف كما اشتهر ابن سبيل بطرائقه ونوادره مع صديقه الشاعر المطوع سعيدان أما فهد بن صليبيخ فكان شاعراً محرضاً هجاء سليط العبارة، أما حمود الناصر البدر شاعر الكويت فقد اشتهر بقصائده الرصينة القوية والحربية لا سيما قصيدته التي يستحث فيها مبارك بن صباح في حروبه والتي غناها في زمنه الفنان عبد الله فضالة والتي مطلعها " يا راكبين أكوار ست تبارا " كما اعتمد هذا الجيل من الشعراء على العبارة الغزلية الرقيقة التي ترتكز على الترادف والجناس والطباق والتلاعب اللفظي كما هو لدى الشاعر سليم بن عبد الحي كقوله مثلا:

"حـــايـــرٍ مـــتـــكـــايـــرٍ مـــتـــكـــدّرٍ   من قـدر خمســـــة عشـــــر عـامٍ عليـل

عـيشـــــــتي مـاء الـقـراح ومـهـنـتي   مـعـتـلـي رؤوس الـنـوابي بالـعـويـل

كـن دك الجـاش من شـــــــد الغرام   تـقـل دك ريـل وإلّا رجـد خـيـل"

شعراء الستينات

وفي الستينات من القرن العشرين تألق بشكل خاص محمد الأحمد السديري الذي كان مدرسة خاصة أثرت المكتبة الشعبية بدرر القصائد العظيمة التي أصبحت على كل شفة ولسان والتي ساهمت في تكوين الذوق الشعري لدى أهل البادية والحاضرة على حد سواء لا سيما وأنها جاءت تحمل حكمتها وتميزها الخاص وله مؤلفات عدة مثل "أبطال من الصحراء" و "الدمعة الحمراء" وكتاب "الحداء" و "الملحمة الزايدية" وديوان السديري ومن أبياته المشهورة.

كم واحـدٍ لـه غـــايةٍ ماهرجـــــها　　　يكنها لـو هـــو للأدنيـن محـــتاج

يخاف من عوجا طــوالٍ عوجــــــهــا　　　هرجة قفا يركض بها كـل هـــــــرّاج

يقضـــب عليك المخطيه من حججها　　　حلوٍ نباه وقلبه أسود مـــن الصـــاج"

وله الحكمة الشعرية الشهيرة:

لا خـاب ظـني بالـرفـيـق المـوالي　　　مـا لي مشـــاريـه على نايـد النـاس

لـعـل قصــــر مـا يجـيـلـه ظـلالي　　　ينهـد من عـالي مبـانيـه للســـاس

كما اشــتهر الامير عبد الله الفيصــل الذي جمع بين ابداعه الفصــيح والعامي وطبقت شـهرته الآفاق واسـتطاع أن يوصـل شـعره الى مدائن الثقافة وعواصـم الأدب كالقاهرة وبيروت ودمشق كما غنى كلماته أشهر مطربي عصرهــــ ولعل من أشهر قصائده:

" تمنيتـك البـارح على هجعـة العربان ابســهر معك في نورا خوك القمر سـاعه
لعلـك ترد الروح للعـاشـــق الولهـان قليـل العزا وروحـه من البعـد ملتـاعـه
زرعنـا بـذور الحـب في ملتقى الخلجـان على ســـاحل ابحر يوم الايام جمّاعه "

وله القصيدة الشهيرة التي منها..

"أنا بـلـيـت بحـبـكـم مـن هـبـالي والا انـت ظـلٍ مـالنـا فيـه منزال
خيرك لغيري والشـــقـا والعنـا لي والمشـــكـل اني عـارفٍ كـل الاحوال
ارمــي بـروحــي في بحـرك الـزلالي وتنســفني أمواجك على يابس الجال"

كما ظهر في تلك الفترة الشاعر عبد الله بن لويحان الذي اشتهر بالمساجلات مع كبار شخصيات عصره وله من الرديات الشهيرة مع أقرانه الشعراء الكبار

"كما ابتكر وزناً جديداً يعرف "باللويحاني" نسبة له وكذلك اشتهر أحمد الناصر الشايع وكذلك اشتهر في تلك الفترة الأمير سعود بن محمد ومرشد البذال ومحمد الخس وسالم بن تويم وعبد المحسن الرفاعي وشليويح الشلاحي كما كانت تلك الفترة تحتفي بشكل خاص ببروز شاعر مبدع كان علامة لعقد يليها من الزمن ألا وهو الأمير خالد الفيصل الذي يعتبر صوتاً مميزاً في القصيدة العمودية الجديدة فهو أحد أهم الأصوات التي أخضعتها للرقة والعذوبة والسلاسة والتدفق وطوعتها للغنائية وجعلتها لغة يومية تمس الوجدان وتلهب العاطفة التي أصحبت والى يومنا هذا وعبر مفرداته الشفافة لغة القلوب وخفق الأفئدة وشجو الفؤاد كما كان هناك صوت استثنائي في حركة القصيدة النبطية بدّل ايقاعها المتناغم منذ انطلاقاتها الأولى مع خفاف الإبل وحوافر الخيل الى العجلة الدائرية التي أخذت ترسم على الرمال ايقاع الآلة الحديثة "السيارة" ولم يعد كسالفه الشاعر النبطي "يشدّ" الذلول بل أخذ يشد الوانيت، ونعني بذلك الشاعر المدهش حقاً "بندر بن سرور العتيبي" الذي تميزت قصائده برنين خاص تسمع من خلالها هدير الحديد وصليل المعادن فيها هو يقول عن وانيته:

"الله على اللي يوم يفتـل "عموده"　　　يطلع ثرى أرضٍ بعّـد القيض مـاهـا

لا اونس ثقيـل الترس يرخي عضــوده　　　شـــيهانةٍ ترخى العضـــود لعشـــاها"

وكذلك قوله عن وانيته أيضاً:

"مـا رهموا لـه في الكراجـات ترهيم　　　ولا قــط فـك أديـتره يـنـفـخـونـه

والله لو اقضـــــب طـارتـه يالمغـانيم　　　فـلا اقـلـد بالـذي يصـــــنـعـونـه"

القصيدة الأسطوانية

وفي العقد الأول من الستينات ظهرت القصيدة النبطية مطبوعة ولأول مرة على تسجيلات صوتية "اسطوانات" ثم انتقلت القصيدة النبطية الى مرحلة الغناء على الآلة مثل العود وسواه ولربما كانت تلك المرحلة نتيجة لما بدأه عبد الله فضالة في غناء قصيدة حمود البدر لذلك اندفع شاعر شاب مغامر هو حجاب بن نحيت ليسجل قصائده الجميلة بمصاحبة العود على اسطوانات صوتية وقد أشجى حجاب عقداً كاملاً من الزمن بالطرب الأصيل والمفردة الرقيقة التي تعاملت مع عصرها آنذاك وأدخلت عبارات زمنها في جسد القصيدة النبطية مثل المفردات الأجنبية "شاشة، كاميرا، سيارة، طيارة، تلفزيون" وقد كان حجاب رائداً في هذا المجال كما واكبه شاعر آخر هو خلف بن هذال الذي سار على نفس الطريق رغم ما اعترض هذين الشاعرين من عراقيل اجتماعية إلاّ أنهما تمكنا من اقناع المجتمع بضرورة ورقي الفن وكذلك كان هناك شاعر آخر اتخذ نفس السمت ألا وهو مفرح الضمني الذي رفع عقيرته بالغناء متحدياً كل عوامل التعوق قائلاً: "غنى يقول الضمني، طرد الهوى ظالمني، والشوق ما يرحمني يا ربي ويش الحيلة" وقد أبدى الشعراء الثلاثة شجاعة هائلة في ذلك الزمن لأن المجتمع البدوي كان

يرفض فكرة الفن بل يعتبرها مهنة مهينة إلا أنه من خلال هذه الأصوات الرائدة استطاع الانصياع للتذوق الفني وأثر هؤلاء الشعراء في ذوق العامة واقنعوا الجميع بضرورة الفن وأصبح لا يخلو بيت سواء كان في المدينة والبادية من اسطوانات حجاب أو خلف أو الضمني.

الشعر المذاع

في أواسط الستينات بدأت الإذاعات المحلية لا سيما في الكويت والمملكة تستقطب العديد من شعراء النبط من خلال برامج اسبوعية تولى إعدادها رواد أوائل مثل: منديل الفهيد ومحمد الشلاحي وابراهيم اليوسف في المملكة وسعود بن غانم الجمران وصالح منصور العليان وسليمان الهويدي في الكويت، وكان لمنديل الفهيد وسعود الجمران تحديداً تأثير قوي لما يمتلكان من ثقافة شعبية هائلة واطلاع في التاريخ والأدب وفي هذه المرحلة أفرزت تلك البرامج الشعبية شعراء كثيرين هنا وهناك إلا أن شعراء هذه المرحلة يركزون على الغزل والمديح والمقناص فقط.

وهكذا استمرت هذه البرامج تقدم قوافلاً من الشعراء حتى بداية السبعينات كما ازدهرت في تلك الفترة "المحاورة" والمساجلات والردّ ولعل من أهم الشعراء الذين برزوا بشكل واضح في أوائل السبعينات حتى أواسطها مثل شبيب جعيلان ورضا بن طارف ومحمد الردعان ومزيد السريحي ومبارك الطومي وصحن جوبان وحميد فحيمان وحميد الذيابي وفلاح الحنَان السبيعي ورشيد الزلامي ونجر العتيبي وشباط الظفيري وغالي الشيباني، وفهد بن فردوس، وحباب السندي، سمير بن صليهم

وقد برزت هذه الأسماء في الكويت ولا نستطيع الاحاطة بالأعداد الكبيرة للشعراء.

الشعر المرئي

وكذلك قامت الى جانب البرامج الإذاعية برامج تلفزيونية لفنون البادية احتشد من خلالها العديد من الشعراء وكان يعد هذه البرامج رواد أوائل مثل سليمان الهويدي وصياح العدواني ومحمد العزب، كان ذلك في الكويت.

أما في المملكة فبالطبع كان هنالك رواد أوائل أدوا رسالتهم ولكننا عرفنا فيما بعد شباباً ظهروا في مرحلة تالية في الثمانينات مثل الحميدي الحربي ومحمد بن سبيل ومهدي بن عبار وأعقبهم عناد المطيري، أما الرواد في الكويت فقد أعقبهم معدون شباب كطلال السعيد ومسلم البحيري، وقد أفرزت تلك المرحلة أسماء شابة في الكويت مثل هزاع بن زيدان وسعود الفهد وذيب الشمري وفاضل بن غشم ومجبل الحشاش وسيف الخلفان وجمعان الرشيدي ومبارك بن شافي وحمد المطبوخ ومتعب السعيد، وجابر الجعدبي، مساعد البراك، سعد الفهم، فهد الهويدي، محمد عبيد العجمي، زيد بن غيام، عبيد العامر.

إرهاصات الحداثة الشعبية

وتغريداً خارج السرب قام مجموعة من الشعراء الشباب بكسر القالب التقليدي للقصيدة العمودية منذ أوائل السبعينات وحاولوا كما حاول أقرانهم شعراء الفصحى أن يكتبوا القصيدة الحديثة وتحديداً قصيدة التفعيلة وكان أول هؤلاء الرواد سعد الثوعي، سليمان الحماد، ثم تلاهم بالطبع أحمد السعد وفايق عبد الجليل ونايف المخيمر وابراهيم خفاجي وعبد الرحمن النجار وبالرغم من أن مغامرتهم كانت محفوفة بالمخاطر إلا أنهم سرعان ما استحوذوا على إعجاب الشباب الذين كانوا هم المعبرون الحقيقيون عن رغبتهم بالتطوير والتحديث.

وبغياب سليمان الحماد الذي أصدر "بعد المطر" وعدم مواصلة النشر فيما بعد وانقطاعه الكلي عن الساحة الشعرية ورحيل المرحوم نايف المخيمر الذي كان صوتاً حداثياً مميزاً أحدث ديوانه الأول "غرشه عطر" دوياً هائلاً في الأوساط الشعبية والثقافية وتلقفه العشاق والمراهقون والشباب إلاّ أن نايف امتطى موجة الشعر القومي فيما بعد وأصدر ديواناً يعتمد على شعر التفعيلة يحاكي فيه ما كان سائداً في ذلك الوقت من الشعر الثوري الذي يستحث الجماهير بعد

النكسة لليقظة واسترداد الكرامة المهانة، وحينما لم يجد ذلك الديوان ذلك الاهتمام فقد عاد مرة أخرى الى الشعر الشعبي الحديث إلاّ أن ظروفاً سرعان ما أخذت تمر به فتوقف كلياً عن الشعر ونذر نفسه للدعوة في سبيل الله مع الدعاة المسلمين الذين يجوبون الأرض لهداية الشعوب المتخلفة في افريقيا أو مجاهل الهند ثم تاب نايف عن قول الشعر وجمع كل دواوينه من المكتبات وأحرقها أما أحمد السعد فقد واصل الإصدارات والنشر وكتابة الأغنية الحديثة بشكل رائع وتواصل مع الصحف في الكتابة الفنية وكان له حضور جيد في الأوساط الثقافية والفنية إلاّ أنه سرعان ما انهمك في العمل الوظيفي وانقطع عن الساحة الفنية أما فائق عبدالجليل الذي يعتبر تجربة مميزة فقد واصل الإصدارات والنشر والأغنية وأثر في جيل كامل الى أن حل الغزو وأسر فايق عبد الجليل –رحمه الله– ومن هنا فقد بقى من الرواد الأوائل وبثبات صلب والى يومنا هذا.

سمو الامير بدر بن عبدالمحسن الذي استطاع بما يملكه من روح مبدعة ورؤية حديثة ثابتة وقناعة استشرافية نحو آفاق المستقبل ووعي معرفي عميق، استطاع أن يواصل مسيرته متفرداً وسط المزاج التقليدي العامي ونجح في تخطي كل المعوقات التي تعترض كل ما هو حديث وذلك بجعل تلك القصيدة الشعبية الحديثة تأخذ موقعها الريادي المستقبلي منذ السبعينات وحتى اليوم بل أخذت

تتسلل بكل براعة نحو الحسّ الجمعي العام وتكون اغنيته المعبرة عن كوامنه الغامضة في اقاصي اللاشعور وذلك حينما اصبحت كلمات تلك القصيدة هي سحر الاغنية الحديثة أيضاً وبالطبع لم تأت ريادة الامير بدر قفزاً في الهواء فقد استطاع اولاً هضم ارثه اللغوي والمعرفي واستوعب التقليدية تماماً لينطلق من خلالها الى قصيدة العصر.

الشعر المقروء

وفي مرحلة السبعينيات أيضاً بدأت الصحافة تفتح أبوابها للشعر الشعبي ولربما كانت هنالك تجارب سابقة لا نغمطها حقها إلاَ أن من أهم رواد الصحافة الشعبية في المملكة هو الشاعر راشد بن جعيثن الذي استطاع أن يصنع جيلاً شعرياً كاملاً من خلال توجيهاته ونقده والأخذ بأيدي الاصوات الجديدة.

أما في الكويت فيعتبر الشاعر طلال السعيد ولربما ناشي الحربي بعد فترة قليلة، هما رئدان الصحافة الشعبية وذلك من خلال إشراف طلال على صفحة في مجلة عالم الفن و إشراف ناشي على صفحة في مجلة "مرآة الامة" ثم اخذت أغلب الصحف تخصص صفحات للشعر الشعبي الذي لقى اقبالاً منقطع النظير من القراء لذلك ظهرت في المملكة صفحات هامة في بداية الثمانينات وكان لها دورها الكبير في خلق مناخ شعري جيّد اصبح فيه الشعراء يعبرون عن ذواتهم وإن كانت اغلب قصائدهم تعبر عن همومهم الشخصية ولربما الهموم الوطنية احياناً ولعل من ابرز تلك الصفحات هي التي كان يشرف عليها محمد بن زين

بن عمير وعبدالله الثميري وعبد الله الزازان والحميدي الحربي وخضير البراق وعبدالله الشمراني ومهدي بن عبار ومتعب العنزي ثم عناد المطيري ونايف العتيبي وخالد السياري وعبدالله بن عبار.

وفي الكويت ظهرت في بداية الثمانينات صفحات كان يشرف عليها حمود البغيلي ونايف الحربي "الرأي العام" ثم غالي الذايدي في الملحق ومسلم البحيري في مجلة "النهضة" وصالح السعيد في الأنباء ثم الأسير الشاعر محمد المطيري.. وعبدالله العجمي في الرسالة وتبعه عبيد العجلاني فيما بعد، ويوسف محمد العنزي في اليقظة، ومهنا الشيباني في صوت الخليج ونصار الخمسان في الوطن، وغازي صفوق في المجالس وعبيد العامر في مرآة الأمة تالياً.

شعراء الاحداث

وقد أفرزت تلك المرحلة ظاهرة جديدة في الشعر الشعبي في الكويت ألا وهي ظهور شعراء يكتبون الهم الوطني والسياسي ويتناولون الأحداث القومية والقضية الفلسطينية بلغة تتناسب مع ماهو مطروح في الساحة السياسية آنذاك وبعيداً عما عرفته الساحة الشعبية من شعر يتسم في غالبه بالمديح والغزل ولعل من أهم رموز تلك المرحلة حمود البغيلي وعبدالله الردعان وذيب الصقري الذي كان مقلاً بالنشر وكذلك صديقه سلطان المطيري.

وقد برز خلال الصفحات الشعبية في الجرائد عدة أسماء هامة مثل علي القهيدي وعاشق الليل وعلي الزعبي وفالح الهاجري وعلي المهمل ومبارك بن شافي وإن أختلف بعضهم عن سابقيتهم من شعراء الاحداث.

كما برزت عدة أصوات نسائية اتخذت أسماء رمزية مثل: غيوض، وضوح، عابرة سبيل، تنهات نجد، فتاة الوشم، أغاريد السعودية، نجدية، خليجيه، العروس الأسيرة، هتان ريميه، منيره الحمد. ثم تلي هذه الكوكبة في مرحلة الثمانينات

والتسعينات أسماء مضيئة مثل: همس، فاتن عبد العزيز، مليحة الفودري، غريبة الدار، الراسية، ألماسة.. والعديد من الأسماء الأخرى المميزة.

تداخل الأصوات

في الثمانينات أنفتحت الصحافة الشعبية في الكويت على نظيرتها في المملكة وأصبحت أغلب الأصوات المميزة تنشر هنا وهناك بحيث لا يستطيع المتتبع لتلك المرحلة تحديد منطقة (بروز) تلك الأسماء والتي كان لبعضها شهرة أولية في السبعينات مثل عبدالله السلوم الذي أحدثت قصيدته الأطلال وقعاً ابداعياً هائلاً في مضمون القصيدة الشعبية كذلك برز عبدالله بن عون، وعبدالرحمن العطاوي وعبدالله بن عبار وعبدالله السياري ثم تلتهم كوكبة هامة من الأسماء المبدعة مثل الحميدي الحربي وماجد الشاوي وحمد الاسعدي ومتعب العنزي وعبدالله العليوي وأحمد الناصر ثم اعقبتهم أسماء لا تقل ابداعاً وتوهجاً مثل صنيتان المطيري وعناد المطيري وعلي المفضي وعبدالعزيز الحسن وسعيد بوملحه وعواد بن طواله واحمد الجريفاني وسعد الهمزاني، عثمان المجراد، خالد بن يزيد، عبدالله حميّر، عبدالله السميح، عبدالعزيز المتعب، بندر الشدادي، والمرحوم سعود بن بندر الذي كان يشكل حالة شعرية نادرة أضفت على جميع مجايليه أجواء حميمه من الصداقة والوفاء وروح النقاش والعناية بالشعر وذلك لما يتصف به المرحوم من شاعريه نقيه وايثار نادر وكرم فريد.

الصفحتان المدرستان

وفي منتصف الثمانينات في الكويت برزت صفحتان هامتان تعتبران منعطفاً هائلاً في مسيرة القصيدة الشبابية (الحديثة) وذلك لما كان بينهما من تنافس حاد نحو تقديم الأفضل والازدهاء بالأصوات الجديدة المدهشة وقد ظهرت هاتان الصفحتان في جريدة السياسة وكان يتولى إعدادها الشاعر ناصر السبيعي وفي ملحق جريدة القبس وكان يتولى إعدادها نايف الحربي وكان لهاتين الصفحتين دور بارز في النهضة المفاجئة بالقصيدة الشعبية إذ اخذت القصيدة من خلالهما تتخذ مساراً جديداً نحو التجديد من حيث المفردة والمعنى دون المساس بالهيكل التقليدي للقصيدة وكانت الأصوات التي انطلقت منهما تشي بحداثة جميلة تتنفس لغة عصرها وتعمل على الغاء اللهجات القبلية ضمن جو تنافسي يحثهما نحو تقديم كل ما هو أفضل وقد قدمت هاتان الصفحتان أسماء هامة لم تزل تتوهج بألق أخاذ وتتربع في سماء الإبداع ومن هذه الأصوات الرائعة: فهد عافت، ناصر السبيعي، مسفر الدوسري، فهد دوحان، بدر الحمد، سليمان المانع، سعود السبيعي، صالح الظفيري، خلف الحربي، نايف صقر، محمد عواد، مساعد الرشيدي، طلال الرشيد، محمد العريعر.

وقد تميزت هذه الأصوات بفرادتها على المستوى الشعبي وذلك لأن كل صوت منها اتخذ لوناً خاصاً به يميزه عن بقية الشعراء ففهد عافت مثلاً تميز بحداثة واعية مارست التجريب التفكيكي واقتحام النص ومحاولة تهديم هيكلية القصيدة عبر قصديّه مدركة تحاول أن تتبنى تجربة خاصة سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون وبلغه مغايره تأتي من أجواء القصيدة الحديثة الفصحى لكي تتواصل مع الحركة الشعرية المتجددة عن طريق ربط ماهو شعبي بما هو فصحوي، وقد استطاع باقتدار أن يطلق صوته الذي لا يشبهه أحد.

أما ناصر السبيعي فقد أتى من عفوية صافية ولغة نقية تعكس شفافيته الخلابة وروحة الطفولية فقدم قصيدة رومانسية مجنحة تدلف الى سكينه الشعر بهدوء رهيب لكنها سرعان ما تضيء عوالمها بنور خفيت يكشف مناخات سريه رهيفة في الروح البشرية قد لا يصل إليها أي شاعر آخر.

أما مسفر الدوسري فتتميز قصيدته بحس حضاري سام ونفحه إنسانية نبيلة ورغم بساطتها اللفظية إلا أنها تخترق الوجدان بطريقة سحرية غير مفسره وتتكئ على فهمه على أن الشعر هو فيضان المشاعر القوية من تلقاء نفسها والتي تتخذ لها مجرى سحري ينفذ للصميم أو بعبارة أكثر دقة أنه يتعامل مع الشعر على

طريقة الفهم الجمالي له حينما تكون (غايته تنويم القوى العاقلة وقيادة النفس الى حالة استسلام وفرح داخلي ونشاط هادئ) يوقظ الكوامن الجميلة في الذات البشرية.

أما سليمان المانع فأن أهم ما يميز قصائده هي (مباشرتها الشعرية) وعلو نبرتها الايقاعية وجرسها الغاضب ونزقها المعبر عن رفض الضياع الذي يكتنف قطاعاً كبيراً من الشباب الذين تعبر عنهم قصائده والتي يرون فيها تعبيراً حاراً عما يختلج في صدورهم.

كما أن الجزء الآخر من قصائد المانع ترفل بعذريه الكلمة ونصاعتها ولربما فطريتها الإنسانية هذه السمة التي أتكأ عليها وكانت أرضية نبيلة لانطلاقته وسر جماهيريته التي لم يحظ فيها شاعر مثله من مجايليه وأن كان الاغتراب الذاتي الذي عاناه الشاعر طويلاً والذي تلمسه في وجدان جيله رفداً جارفاً أمده بتدفق شعري هائل إلاّ أن البتر (المتعمد) للصلات الحميمة مع كونه الشعري ومنابعه الإبداعية قد يكون له الخطر الداهم على شاعريته ان لم يتدارك ذلك في ابداعاته القادمة.

الغدير– المختلف

ثم ظهرت في الكويت لأول مرة وفي أواخر الثمانينات تحديداً مجلة الغدير التي نقلت نجاح صفحة القبس الشعبية بما فيها من أسماء الى مجلة شعبية متخصصة تولى تحريرها نفس (المايسترو) الأول نايف الحربي ليوسع من نشاطه التأسيسي لحركة شعرية جديدة وذلك لما يملكه من ذائقة (شعرية) محضه، إلاّ أن هذه المجلة ما أن أخذت تؤدي دورها الفاعل إذ سرعان ما صدرت بجانبها (مجلة المختلف) التي نقلت هي الأخرى نجاح صفحتي السياسة بما فيها من أسماء أيضاً الى مجلة شعبية متخصصة ومنافسة للغدير وتولى تحريرها نفس المايسترو الأول الذي كان السبب في استقطاب أهم الأسماء المبدعة في الساحة والتي أصبحت تزداد تألقاً يوماً إثر يوم وذلك لما يملكه من درأيه تامة في صناعة نجوم الشعر ونعني بذلك الشاعر ناصر السبيعي إلاّ أن الغدير قد تعرضت الى كبوات مالية فادحة ساهمت في شل حركتها أكثر من مرة.

بينما واصلت المختلف المسيرة لتكون المجلة الوحيدة في الساحة والتي استطاعت بفضل خبرة صاحبها وعلائقه الوطيدة أن تشق دربها السليم لتصبح من أكثر

المجلات مبيعاً في المنطقة وأن تبني لها قاعدة قرائية هائلة مما جعلها محل استقطاب لكل الأصوات الواعدة التي سرعان ما تأخذ تألقها لتصبح بعد مدة من الزمن من أهم الأسماء الشعرية في الساحة.. وبالرغم من أن المختلف سرعان ما تغامر بالرهان على مظان الإبداع إلاّ أنها سرعان ما تكسب الرهان لذلك أصبحت مناخاً خاصاً استقطب منذ بداية التسعينات وحتى اليوم هذه الكوكبة المضيئة من الأسماء أمثال: مهدي بن سعيد، عبيد الأزمع، فهد المبدل، ناصر القحطاني، ضيدان بن قضعان، ذعار بن محيا، منصور الحربي، عاقل الزيد، متعب التركي، زعل الرشيدي، نايف بندر، نايف الرشيدي، وفي أواخر التسعينات قدمت أصواتاً شابه جديدة مثل ناصر القعيمه، هلال المطيري، رشيد الدهام، فلاح السبيعي، خالد المريخي، نواف بن عصاي، حاكم المعلا، عمري الرحيل، فالح الدهمان، فيصل بن طواله، ناصر المطيري، فيصل بن مجفل. ودعاس الرويلي

الرياضية وقصيدة

المفردة الواحدة

كما برزت في أواخر الثمانينات ظاهرة جديرة بالملاحظة لو قيض لها الإستمرار لكانت تأسيساً لحركة (سريالية) في قصيدة النبط شأنها في ذلك شأن شقيقتها الفصحى لو لم يكتنف تلك المحاولات العبث المحض والاستسهال الفني ودخول الحرتقات اللغوية الفارغة والاعتماد على غرائبية (المفردة) دون الالتفات الى فنية النص وشعريته وكان يشرف على تلك الظاهرة في جريدة الرياضية سعد زهير الذي تحلق حوله مجموعة أسماء هامة مثل محمد النفيعي والحميدي الثقفي ونايف الجهني ومشرف الشهري إلاّ أن هذه الأسماء وقبل أن تشكل مجموعة شعرية سرعان ما أنفلشت وتفرقت في الصحف وفي المجلات وأعلن بعضها عبثتيه وبراءته من هذه التجربة الغضة على اعتبار أنها كانت مجرد لعبة لفظية غير جادة ثم استلم الإشراف على هذه الصفحة من بعده محمد الكثيري الذي استقطب أسماء كثيرة من الشباب ذوي التجارب الجديدة.

المجلات

وبالطبع ظهر في التسعينيات مجلات شعبية اخذت موقعها في تشكيل حركة الساحة الشعبية مثل مجلة "فواصل" التي أسسها الشاعر المبدع طلال الرشيد والتي دخلت معركة المنافسة مع المجلات الرائدة باقتدار كبير واستطاعت أن تأخذ موقعها المميز ومجلة "مشاعر" التي أسسها الكاتب جابر القرني ومجلة "اصداف" التي أسسها الشاعر عبدالله حميّر ومجلة "سيوف" لناصر الشليمي ومجلة "القلم" الذي أسسها الشاعر غالي الذايدي واخيراً مجلة "قطوف" التي يرأس تحريرها الشاعر فهد عافت.

قصيدة النثر
تطل برأسها

وتماماً كما مر على القصيدة العربية الفصحى من مراحل فأنني أعتقد جازماً وبعدما أصبحت قصيدة التفعيلة أمراً واقعاً في الساحة الشعبية على ايدي العديد من الشعراء فأنني اراهن على ان الشاعرين محمد الرطيان وطلال حمزة باعتبارهما تجربة خاصة اخذت تلفت الانظار فأنهما يتجهان الآن الى كتابة القصيدة الشفوية "النثرية" ولربما يكون ثالثهما عواض العصيمي في بعض قصائده لاسيما قصيدته الأخيرة التي نشرها في "قطوف" أقول ذلك لأن الشاعرين "الرطيان – حمزة" يجنحان الى كتابة القصيدة المكثفة والتي تتسم احياناً بالعمق والسخرية والتلاعب اللفظي في أحيان أخرى والانفلات الكلي من أسس التفاعيل.

بحيث بدأت قصائدها تقترب من القصيدة النثرية وإن لم يتخلصا كلياً من سطوه الايقاع الذي يبدو أنه قد بدأ يسبب لهما تذمراً ضمنياً لا يستطيعان الافضاء به بالرغم من انهما يحاولان التملص منه للانطلاق نحو الشعر الصافي.

المنعطفات الهامة

يبقى القول أخيراً إننا تتبعنا "ظعن" القصيدة الشعبية وارتحالاتها على جسد التاريخ منذ بداياتها الأولى وحتى يومنا هذا ولكننا سنتناول في الفصل القادم أهم المنعطفات الحادة التي شاكست رحلتها السرمدية.. وسنقف عند أهم علائم تلك المنعطفات في قراءة نقدية متأنية تشمل أهم الاسماء التي شكلت تلك العلائم مع التركيز على أهم التجارب الشبابية التي تشغلنا اليوم معتمدين في تلك القراءة على النقد الجمالي باعتبار أن الالسنة الحديثة وباتجاهاتها المختلفة "كالبنيوية والتفكيكية والتشريحية والاسلوبية" تدخلنا في اشكالات استغلاقيه تؤدي بنا الى متاهات لا يمكننا الفكاك منها من خلال صعوبة قاموسها النقدي، كما أن تجربتنا "الحداثية – الشعبية" مجازاً لا تحتمل مثل تلك المناهج النقدية وإن كان ذلك لا يمنع من الاستئناس ببعض تلك المناهج حينما تتطلب طبيعة بعض النصوص تطبيقها.

بالإضافة الرطيان وحمزه تدفقت أصوات شابه مبشره رغم قلة نشرها مثل دامث الرويلي ود.سعد الماضي وعبد الله الفلاح بالإضافة الى أصوات واعده أخذت تتأثر في المجلات الشعبية المتناثرة هي الاخرى والتي أخذت تغرق الاسواق بكمّ

هائل من الشعر الذي طغى غثه على سمينه الأمر الذي ينذر بانحسار المد الشعري وانطفاء مجده الإعلامي الذي خطى به في فترة الثمانينات والتسعينات إذا لم تضمحل الواسطة والمحسوبية والشلليه والمنفعة هذه الأمور التي تعتبر هي المفصلة القاتلة للإبداع.

- قصيدة النبط ومفردات العصر
- الآلة تقتحم القصيدة النبطية
- القصيدة الميكانيكية
- الهاتف في المفردة النبطية
- الانجلونبطيه
- الساخرون

قصيدة النبط
ومفردات العصر

حينما ملّ الشاعر والفارس الشجاع تركي بن حميد أمير قبيلة عتيبة من صلف القصائد الحربية والتعبوية التي كانت متبادلة بين قبيلته وقبيلة قحطان وهو الشاعر المتمكن والقائد القدير أراد – وعلى طريقة الشعراء اللبنانيين الذين جاؤوا بعد الحرب الأهلية – أن يكتب قصيدة فنطازية ساحرة تهشّم وقار القصيدة النبطية التقليدية الجادة فقال في قصيدة سريالية عبثية غريبة:

يا راكب اللي ما يداني الصفيري ... هميلعٍ من نقوة الهجن سرساح
امه نعامة واضربوها بعيري ... جا مشبهانٍ على خفّ وجناح

آنذاك تلقف القصيدة عدوه اللدود ابن قرملة أمير قبيلة قحطان والذي يقدّر بطوله تركي جيداً فرد عليه ساخراً:

يا تركي بن حميد وش ذا البعيري ... ما تجلبونه كان تبغون الأرباح
لا صار له خف وجناح ويطيري ... اسألك بالله كيف راعيه ما طاح؟!

بالطبع في ذلك الزمن كان ابن قرملة يتعجب من مطيه تطير، ولم يسقط راكبها ولم يكن قد سمع بمطية (حديدية تطير)!! بل وتحمل عشرات الركاب ونعني بذلك الطائرة التي كانت ضرباً من الخيال المحض في ذلك الزمن لدرجة أن أهل إحدى قرى نجد كذبوا أحد التجار الذين كانوا يجوبون الأرض حينما حدثهم أنه ركب (داخل غرفة حديدية طارت به من نيودلهي الى بومبي).

وكان شقيقه التاجر الآخر في المجلس فلم يجد بداً من تكذيبه بقوله إنه يعني السفينة!! رغم أنه هو الشاهد الوحيد الذي شاركه في رحلة الطائرة تلك أو الغرفة الحديدية الطائرة.

وحينما خرجا عاتبه شقيقه بعنف على تكذيبه له أمام القوم قال له: نحن تجار عرفنا بالصدق. وهذه الحقيقة (الطائرة) لا يمكن لهم تصديقها، لذلك قلت إنك تعني لأن عقولهم آنذاك كذلك لا تستوعب ذلك، بل تقف عند حد الاقتناع بالسفن.

من هنا فقد كان الاثنان تركي بن حميد والتاجر النجدي بحاجة ماسة لكي لا يُكذّبا الى قصيدة عبد الله بن عبار التي كتبها في هذا العصر والتي يقول فيها:

يا راكب الـــلي كنهــا الطير وأن طــار   مــن وارد الكــنــفــيــر واشــنــطــنــيــة

كـنـفـيـر لا شالـت مـع مـدرج الـقـار   صـوت الـمحـرك كـا رعـود بـرديـة

كنفيـر شـفـت المـروحـة يـوم تـندار   مثـل الـرحـا بيـديـن خـطـو الصبيـة

كنفير طــارت والسماء مابــه اغــبــار   الـجـو صـافـي نـسـمـتـه ذعـذعـيـه

كنفير طـارت والـدخن خلـفـهـا ثـار   فــوق المطــار اللي تشاعـــل ضويـــه

كنفير تشعـل بـالـدجـا ليـت الأ نـوار   كـــنــه لـمـيـع الـبـرق وقـت المسيـة

كنفير تــجــري بــالهــوا تــقــل تــيــار   وســط الـفـضــاء مــا تلحقــه مدفعيــة

كنفير مــثــل طــرازهــا مــا بعــد صــار   كـنـفـيـر مـافـي بـالـمـديـلات زيــه

كنفير تأخذ بـــالـــنسانـــيس محـــدار   تــشــق مــوجــات الأجــواء الـفـضـيـة

كنفير لا ناضــت مــع الــجــو مشــوار   تــوصل غـريـب الــدار لــديـار حـيـه

كنفير عـــن مسيـــرهـــا تنشـــر أخبـــار   وبالبوصلــة تــمشي لــحــروة نــويــه

كنفير مثـــل الطيـــر فـــر من الأوكـــار   طــالــع خـيــال الـصـيـد بـالمهـمـهيـه

كنفير تشـــدا اللي عـــلى صيدتــه غـــار   واختـــار مـــن جـــول الحباري حظيـــة

كنفير تجـــري بالفضاء عبـــر الأبحار   مــا درهــمــت بــالسهـلة الجـرهـديـه

كنفير مـن يـبي السفـر فـوقهـا سـار **ركـابـهـا يـرتـاح مـيـه بـمـيـه**

نـوت عـلى الأقـلاع والـرب سـتـار **يـصـونـهـا الـرحـمـن رب الـبـريـة**

ملاحـهـا مـن نـقـوة الـغـوش طـيـار **يطـوي المسافة فـي خلال ضحويـه**

يأخذ رسالـة مـن يميـن ابـن عـبـار **مضمونها شـعـر وسـلام وتـحـيـه**

مـهـداه لـلي صاغ منـظـوم الأشعـار **الـقـرم ابـن عـايـد عـريـب السميـه**

عبد الرحمن لـلي لـه عـلـوم واذكـار **الـولدعـي راعي الصخـى والحمية**

مـن راس لابـة مـا يهابـون الأخطار **صيـد الحـمـايـل عـزوتـه ولـدعـيـه**

لكن الشاعر هنا رغم أنه استعمل أحدث وسائط النقل ليوصل رسالته الى صديقه واستعمل مفردات عصره وتعامل مع معطيات زمنه إلاّ أن ذاكرته السلفية لابد أن تعود به الى عصر تركي بن حميد وابن قرملة حينما يمتدح صاحبه عبد الرحمن الذي يرجع أصله وأصل الشاعر الى قبيلته:

ويلان من عـدنان من صـلـب نزار **من سـاس وايـل أصـلهم تغلبيـه**

عنـد اللزوم إلى اعتلوا قـبّ الامهـار **يـدعون سـربات المعـادي شـظيـه**

أي أن ذاكرته تعود به من حيث لا يشعر الى الحنين الى (اعتلاء قب الامهار) بعد أن اعتلى الطائرة وأجاد في وصف تقنيتها انسجاماً مع عصره. والأمر لا يتوقف هنا عند هذا النموذج (العبّاري) بل يتعداه الى كون القصيدة النبطية قد تناولت مفردات عصرها منذ بدء التعامل مع الرموز والأشياء والدلالات واللغات الأجنبية بدءاً من العهد العثماني مروراً بالمستعمر الحديث (الإنجليزي والفرنسي) ثم مرحلة استقرار المدن ودخول القوميات واللهجات واللغات إليها لكون المدن الخليجية تحديداً هي مواطن جاذبة للعمل والتجارة من كافة أنحاء الأرض.

لذلك دخلت حتى الى لهجات أهل البادية التي يفترض أن تكون أقرب الى اللغة الأم الفصحى من غيرها، دخلت إليها مفردات أجنبية انتقلت إليها من المدن فدخلت حتى في تراكيب القصيدة النبطية، ولعل أول المفردات الأجنبية التي استخدمت في القصيدة النبطية هي أسماء البنادق التي حلت بدلاً من أسلحة أهل البادية التقليدية كالسيوف والرماح والدروع لاسيما في فترة الحرب العالمية الثانية حيث أصبحت العواصم العربية تزخر بالأسلحة التركية والإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها. وأصبح البدوي يتفاخر بقومه الذين أصبحوا:

مبرقعـــــــينٍ روســـــــنا بالبواريـــــــد　　　　وشــلفٍ تلامــع فــوق روس الرمــاحي

أي أنهم في هذه الصورة المتناقضة في مرحلة الانتقال للتعامل مع الآلة الجديدة (البارود) لم يتخلوا بعد عن الشلف والرماح وهي مرحلة التقاء السلاحين. ثم أخذ البدوي يفخر بالبندقية ويمتدحها مثلما كان يشيد برمحه وسيفه تماماً كما قال (القرقاح):

مـرحـوم يا عـودٍ شـــــراهـا لي	**من واحـدٍ جـابهـا للســوق جـالبهـا**
حـديـدهـا واذكـر الله كـنـه ريالي	**كن الحيـايا تطوى في مقـاضــبهـا**
الـيـا لـفـونا مـن المـقـنـاص زعـالي	**أحـد مـدح بنـدقـه وأحـد يعـذر بها**
مع بندقٍ ضربها ماضٍ له أفعالـــــــي	**مخضـــب عقبها من ضـــرب شـــاربها**

ثم أخذت لفظة البارود وأنواع الأسلحة وماركاتها تدخل إلى القصيدة البدوية النائية بصرائحها الموغلة في مفرداتها الطبيعية، إلاّ أن التطور الذي حصل في مطلع هذا القرن ودخول الآلة الحديثة إلى حياة الناس لتتحدث بصوتها التقني ويصبح لها أي إيقاع كما كان لحركة الهجن إيقاع فعرف أهل البادية الهجيني تماماً كما عرفوا حركة وإيقاع الخيل ونقرات حدواتها على صخور البراري ليعزفوا على

نغماتها (الحداء) ومن هنا فقد استخدموا البارود والرصاص. كما يقول الشيخ (طراد الملحم):

رصاصهم كنّه لميع البروقي وبارودكم سوا عليكم رزاله
بارودكم بخشوم ربعي نشوقي عطر البنات اللي تنثر أقذاله

ورغم نتانة رائحة البارود إلاّ أن الشاعر هنا يتحدى هذه النتانة ويعتبرها عطراً مادامت سلاحاً يحار فيه الأبطال. أما الشاعر البدوي فيحث قومه على دك البارود لمحاربه الضابط التركي المسمى آنذاك (بالمغربي) وذلك بقوله:

يا عيال دكوا البارود للمغربي مخ الحديد
لابد من يوم يعود يفرّق وديد عن وديد

أي أنه يعتبر البارود هو (مخ الحديد) ولبّه وعقله، وهكذا أخذت المفردة العصرية – الغريبة آنذاك تتوغل كثيراً في القصيدة النبطية كقول

أحدهم وهو يتحدث عن المسدسات التي كانت تسمى آنذاك الرداني: (مفردها الردنية) :

يا محـــــلا جـــــوز (الــــــرداني) ومجـــــــزّر يزهـــــــى عليـــــه

للأسمــــــــر اللــــــي قادهـــــا والمـــــوت مـــــا يطـــــري عليـــــه

لكن الشاعر الآخر يتحدث عن نوع آخر من المفردات الجديدة بالنسبة له ونعني بذلك (الموازر) وهي نوع من البنادق، لذا نسمعه يقول:

مــــن أشـــاعر جينـــا صـــايلين تســـــــــمع رزيم مهـــــــــارنا

إن ســـاعف الـــرب الكـــريم (بالمـــــــوزر) ناخـــــــذ ثارنا

وليس الأمر وقفاً على الأسلحة فقد دخلت أسماء غريبة على أدب العرب الشفاهي في البادية كالألقاب التركية الجديدة مثل: البيك والأفندي والياور، فهنا أحد شعراء شمر يتحدث عن عجيل الجربا الذي أعطته الدولة العصملية رتبة (الياور) فيقول:

اللـــــي يـــــبي شـــرب اللــــبن ينـــــزل علـــى (اليـــاور) عجيـــل

كـــل يـــوم ياخـــذ لــــه عـــرب   يـــــومي لشـــــمر بالشـــــليل

أما معنى (الياور) فيفسره الشاعر بن دوخي بقوله:

تـــــوني لقيـــــت الغيهـــــبي   ليـــــث تقفـــــى ســـــربته

يا دهـــــام (ياورنا) عجيـــــل   مـــن (لنـــدن) جتنـــا رتبتـــه

كذلك دخلت مفردة (الريل) أي القطار كما يقول سليم بن عبدالحي:

حـــايرٍ متكـــاير متكـــدرٍ   لي قــدر خمســة عشــر عــامٍ عليــل

كــن دك الجــاش مــن شــد الغــرام   مثـل حـسَ (الريـل) والا رجـد خيـل

أما النوري بن شعلان فيدخل مفردة (التيل) أي سلك الهاتف حينما كان سجيناً لدى الدولة التركية بقوله:

يا راكـب مـن فـوق طـلق اليـميـني   ماوصـــفوا مثله من الجيش مشـــدود

يسبــق شـريـط التـيـل للمنـتـويـني   وإليا شـــبكته بالرســـن يطلب الزوود

وكما أدخل النوري مفردة (التيل) هنا فإن ساكر الخمشي يدخل أكثر من مفردة في قصيدته الغرامية التي يقول منها:

يا مل قلبٍ تايه يوم اراعي	**خلّي نظم قلبي بخيط (الماكينة)**
بعيون (كالساعات) خرسٍ وساعي	**ساعات سعاي بالأوصاف عينه**
دمعي درجِ من فوق عيني وضاعي	**مثل الخرز من سبحةٍ قاطعينه**
انا بلاي مطنّشاتٍ مقاعي	**(اقعاي ربعٍ للنظر حافظينه).**

أي أن (خله – خليلته) قد نظمت قلبه كما تخيط آلة الخياطة السلك، تلك الخليلة ذات العيون الوسيعة كالساعة والتي أبكته فأنهل دمعه كخرز المسبحة التي انبترت، كل ذلك من أسباب خليلته ذات النهود "المقعيات" كرجال يسددون بالبنادق على هدف ما.

فإذا كانت أعين صاحبة الخمشي كالساعات العادية فإن أعين (صاحبة) الشاعر الكويتي خميس الشمري كساعة الربان حينما يصرخ بها:

قلـت اوقفي لي وإرفعي البوشـــيّـة خليني أروي ضـــامر العطشـــاني

الخـد ياضـــي لي بـرق وسمـيـه والعين تشـــبـه (ســـاعـة الرباني)

وغـير البنـادق والريـل والتيـل والسـاعة فـإن شـاعرنا هـذا الـذي نحتفـي بـه ابن لعبون قد أدخل مفردة (الدربيل) وذلك بقوله:

تاقف هـل التيجـان عنـده والاكليـل واهـل العمـايم من نوالـه تســوّل

والنســر في جو الســماء تقل (دربيل) حتى انتضـــى بــه مثـل طير المحوّل

وابن لعبون يستخدم كثيراً مفردات عصره الحديثة آنذاك كقوله أيضاً:

دار عليها (ســردق) العزّ منصــوب دار العـرب والـروم دار الاجـانيـب

دار خـدمهـا دولـة (الكرج) والنوب مـا نابهـا الطـاغي بجنـده ولا نيـب

مـن هنـا يمكننـا القـول إن كـل النمـاذج الـتي ذكرناهـا قـد جـاءت في قصـائد بدويـة جافـة تشـي بصـحراويتها القاحلـة، إلاّ أن بعـض شـعراء المـدن قـد هذبوا حتى العبارة الصحراوية وأدخلوا عليها مفردات عصرهم الرقيقة.

الأمـر الـذي كـان يتمنـاه الشـاعر الغَـزِل الرقيـق بصـري الوضـيحي والـذي يشـبه موقفـه موقـف الشـاعر علـي بـن الجهـم حينمـا تمـدن فتشـبب (بعيـون المهـا بـين الرصـافة والجسـر)، كـذلك الأمـر ينطبـق علـى الوضـيحي الـذي يتمـنى أن يعـيش في المـدن حـتى لـو امـتهن (ندافـة القطـن) لكـي يـرى جميلات المدن ومن هنا نسمعه يقول:

يا لـيتـني نـداف قـطـنٍ وابـيـعـه متحضــريٍ في وســط انا ســوق راوا

واشــــوف غزلان يردن الشـــريعـة يلبســـن ثوب (الزبرقـان) الغنـاوا

راعي (الكريشـــــة) ريف قلبي ربيعـه عليـه (بيبـان) الضـــمـاير تهـاوا

فمفـردات كـ (نـداف قطـن)، (ثـوب الزبرقـان) (الكريشـة) – نـوع مـن الأقمشـــة – (بيبـــان) الضـــماير كلهـــا مفـــردات حضـــرية دخلـــت علـــى مفرداتـه الصـحراوية فرققتهـا كثـيراً رغـم رقتـه كشـاعر غـزلي يحسـن اسـتخدام أدواته البدوية.

والوضـيحي حينمـا يريـد ذلـك فإنـه يريـد تمامـاً رقـة الحاضـرة ومفـردات شعرائها كفهد الخشرم في ساميته الشهيرة:

البارحة ما ذقت حلو النوم طول الليل افكر على اللي بالحشـــا زمّت نهوده

لابس عباة منكســـه والثوب نص الويل ومفصـــلٍ النفنوف يا مقبل على (الموده)

أو قول صاحب السامرية الكويتية القديم الذي يصف خد محبوبته وصفاً آخر بقوله:

بالخرمســيه ضــو خده كما (الكشــاف) مــا هوب دويني يبيعونــه ويشـــرونــه

الى صـــفا لي ريف بالي ما علي خلاف يالله عســى بيض تدش الســوق يفدونه

أول قول الشاعر الحضري الآخر:

ترى الهوى يـذبح الرجّـال يا منيره يموت من ســـبَتك من عرض ما ماتِ

يا بو شـــفايا طعمها كنها (الشـــيره) بالوصــــف والاّ على مثلي عســـيراتي

أو كما يصف ابن لعبون (خد) محبوبته إذ آثرت المدن في نبطياته فيقول في إحدى قصائده:

ســـقى صـــوب الحيـا مزنٍ تهـامي عـلـى قـبر بـتـلـعـات الحـجـازي

ابــو زرقٍ عــلــى خــده عــلامــا تحـلاهـا كـمـا نـقـشٍ (بـغـازي)

أي أنه يصف وشم حبيبته كالنقش على العملة العثمانية السائدة آنذاك.

الآلة تقتحم القصيدة النبطية

وفي منتصف هذا القرن وبفعل تعامل الإنسان البدوي مع الآلة ودخول المفردات الأجنبية كالإنجليزية والفارسية والهندية والفرنسية إلى لهجات أهل الخليج وبفعل توافر الآلة التي دخلت إلى حياة الإنسان دخولاً لا مناص منه، فقد تعاملت القصيدة مع هذه الآلة لاسيما السيارة باعتبارها بعد البندقية أكثر استخداماً لدى أهل البادية ومن هنا أصبح شاعر البادية يقول:

حـــــسَ التراكـــــتر يونســـــــني　　　لا يا بعـــــــد حنـــــــة الناقـــــــه

أو كما تقول بخوت المرية:

ياحن قلبي حن (ماكٍ) مع الطلعــــــات　　　لا عشِّــقه بالعايدي و(الدبل) جره

حمله ثقيل وحملوا فوقه (البايبات)　　　وراعيه يدعس (بنزينه) ولا سـره

أو قولها عن حركة السيارة الفورد (الهاف) لا سيما المروحة:

مـل قلـبٍ فرّ وافتَر مثـل (المروحـة)　　فرّهـا (فرد) جـديـد قوي (ســـيرهـا)

أو قولها الآخر:

تل قلبي تل (فرد) على (ســـبر العجل)　　عشِّـــقه راعيـه والحوض تحته قد ملاه

إن تســـنّد (عشِّـــقه) ثم لدّه (بالدبل)　　وإن تحرر ريَّحـه لين ياصـــــل منتهـاه

القصيدة الميكانيكية

ثم جاء في الستينات الشاعر المبدع بندر بن سرور ليتعامل تعاملاً مباشراً مع الآلة فأصبحت مفرداتها تهدر في جل شعره، بل إن إيقاعه الشعري قد اتسق تماماً مع حركة الآلة، تماماً كما اتسق شعر الأقدمين مع حركة الخيل أو الإبل، وأصبحت الآلة – لاسيما السيارة الوانيت – جزءاً مهماً من حياة بندر تخاطب معها وأسند إليها شعره وتغنى بحركتها الميكانيكية وانتشى بسلوك أجزائها الحديدية لدرجة أن بندر حينما أحس بدنو أجله امتطى وانيته وأوغل في الصحراء وفككه جزءاً جزءاً ووجد ميتاً بجانب القطع المتناثرة التي أحبها وتغنى بها وعاشرها أكثر من البشر الآخرين. فها هو يتحدث مثلاً عن هيكل الوانيت:

آه يا فيحان من بعد المسافة　　　بين نجد وبين ريعان الحوّية
راكب اللي يعجبه يوم حافه　　　زين صوته (بالسيور المعدنية)
زين الصناع شغله بالكيافه　　　ناسجٍ (حوضه) على ذوق (الحنية)

ثم يتحدث عن مسيرة هذا الوانيت بشاعرية فذة وبمماثلة غزلية عجيبة:

ياهل الونيت اللي يبي مشـــتل البيب … مــادق صـــــدره بالخـطـوط الـغـزيـرة

يـوم يـتـخـثـع مـع محـير الأداعـيـب … يشــــدي تخثـع جـادل في حــريـره

لاتجـربـونــه مـايـبي الـفـرت تجـريـب … قــد جربــه بالـبـيـت الأبـيـض خبيره

ثم يتحدث عن ميكانيكية هذا الوانيت مشـــبهاً حركة الآلة بحركة الطير – الشيهانة:

الله عـلـى الـلـي يـوم يـفـتــل عـمـوده … يطلع ثرى أرضٍ مبعـد القيض مــاهــا

لا ونس ثقيــل الترس يرخى عضـــوده … شـــيهــانــهٍ ترخي المتون لعشــــاهــا

كذلك يتحدث بندر عن لوعته الغرامية بحرارة كما ترتفع حرارة الوانيت وذلك بالقول:

يا ســـخيّف الـذرعـان انا منك مخطور … مثلي ومثـل اللي غـدا لـه بـديره

(بفردٍ) مخيف وحـدّه الحمـل والجور … زاع أســـود المــاء لين ولـع (انبـيره)

ولا يتوقف بندر عن الملامسة الخارجية للوانيت بل إنه يفصل أجزاءه بدقة فها هو يتحدث عن (السطاب):

ما ياصــله ياكود فورد عليه (اســطاب) **ليا حاســـب الســـوّاق تقدح مواخيره**

صـنّاعه بياطير الكفر لابســين (الكاب) **عصـــاة اليهود اللي مشـــاريبها (البيرة)**

وها هو يتحدث عن أنابيب البنزين وشمعات الاحتراق:

يا منير دوك الهـاف واخـذ الفواتير **وافحص عليـه ودخلـه للكراجي**

اللي يبي بنزين ركـب (مواســـير) **واللي تبيـه النـار بـدل (بواجي)**

ويتحدث عن "البلف" و"الأمبير":

يا راكـب من فوق صـــاف (البلوفي) **مقعـد (أمبير) الزيـت نيم الحرارة**

فـراق مـا بـين الـقـلـوب الـولـوفي **(فورد) كما ويـل الســحايب غباره**

ويتحدث عن السيّور – القوايش هكذا:

راكـب اللي يوم طـب من النفودي **كن صـــلفـات الهبـايـب عج ويلـه**

صـــوت (ســيره) يوم غنى (للعمودي) **صـــوت ذيـبٍ وايق براس الطويلـة**

ويتحدث عن خزان البنزين:

الله على اللي يهيض القلب منهاجه   من مصنع البيت الأبيض ورده زيني

إليا عوت قربته ثم ارتفع تاجه   ما عاد أبي اللي مع الطرقه يسليني

ويتحدث عن كاربراتير والمقود:

يا هل الوانيت اللي على مدقره ميم   نقل الرياض الخط ما توصلونه

ما رهموا له في (الكراجات) ترهيم   ولا قط فك (أديتره) ينفخونه

والله لو اقضب (طارته) يالمغانيم   فلا اقلد بالذي يصنعونه

ولا يقتصر شعر بندر بن سرور على الوانيت فقط بل إنه يتحدث عن مفردات عصره كقوله:

قم سو فنجانٍ ترى الشاي (ليبتون)   والماء شريعه والهواء مستهيدي

مقيالنا في طلحة فيّها دون   نوجٍ سموم ونوج بردٍ جليدي

تسوى حياة اللي سوأة (التلفون)   من شبته بين العجايز بريدي

وكذلك سخر بندر من اكتشاف النفط الذي جعل بعض الخاملين يكتفون بمنتجات وخيرات النفط دون أن يعتمدوا على أنفسهم وذلك بالقول:

سلط على النصراني اللي لقى الزيت   يا عل نبع الزيت معمي عيونه

لـــولاه تحتـــاج المراجـــل شـــفاليت تحتـــاج شـــيء يقصـــر النـــذل دونـــه

وكما تحدث بندر وغيره عن السيارة والوانيت ها إن الشاعر القدير عبد الله بن عبار يحشد مجموعة من المفردات في قصيده واحده حيث قال فيها:

يـا راكب الـلي عـارف مـبلغـه بيـش عـزاه للـمـفـلس يـمـره عـلـى مـاش

مـا يشـــتريـه اللـي أموره تنـاويش متعنـدٍ راعيـه يبي الثمـن (كـاش)

مــا يشتـريــه الــلي أمــوره تـــناويــش مــتعـنــدٍ راعيـه يـبي الـثـمــن كـاش

مـــا زاودوا بـــه بالحراج المغـــــاشيش مشـحـــــون من ميناه ما طب الأوراش

مـا صـار فـي تلميع بـديـه نـقـاريش ولا خربشـــه حمل التريله والأونـــــاش

يـــلمع كما بـــرق المـــزون المـــراهيش ولا كـمـا لـمع الـمـصـّور بـالأفـلاش

جــاهــز مجــهــز لــلسفــر والمطاريش يــا ســرِع مشــواره إلــى راح طّــراش

وتمتدح سائق الوانيت عربته المتواضعة التي ينقل بها الوافدين الهنود:

يا مـا حلا الوانيـت في قلـه المـال في شـــارع فيـه المـواتـر قـلـيـلـه

هــذا ولــد بــوتــو وهــذا ولــد لال وهــذا رفـيـق تــو جـابـه كـفـيـلـه

أما الشاعر المعروف حميد الذيابي فيصف السيارة:

يا راكب اللي حرف (جى. ام) يزهاه لادق سـلفه غادي له هديري

مفحوص الباككس والزيت مع ماه ومعلق بين القزوز السبيرى

لادق سلفه والبساتم مصفاه قامت بلوف النار تزفر زفيرى

الهاتف

والمفردة النبطية

دخل الهاتف في المفردة النبطية وذلك عبر بعض أغنيات الشاعر علي القحطاني ليتحدث مع محبوبته على الهاتف الدولي:

على الهاتف الدولي بعيد المســـافات　　　يــكــلــمــني المجــمــول زيــن الــبــنــاتي

بينما الذي لا يملك هاتفاً دولياً مثل محمد محسن فأنه يعاتب حبيبته هكذا:

وش عــلام الخــط قــولي يا هــنــوف　　　أتصــــــل دايم ومحــدن يــرفــعــه

مـــلـــت الارقـــام مـــني والحـــروف　　　ما حصــــل لي صـــوتك العذب أسمعه

وبعد الهاتف جاء دور البيجر أو (البليب) فهاهو أحد الشعراء الكبار المعروفين يقول:

حبيـــــــبي بــــــو ثمـــــان لـــــولي　　　أفـــــرحتني وأزعلـــــت عــــــذالي

ان لقيــــــت الخـــــط مشـــــغولي　　　دن لي بالنــــــــــــــــــــدا الآلي

ولكن الشاعر الصديق صلاح الساير يستخدم مفرده أكثر تطور من الهاتف إلا وهي الفاكس لكي يخاطب محبوبته بلغه توائم سرعة عصره وسرعة الحب أيضاً لذا يقول:

ميلـــــــي يا حلـــــوه ميلـــــي صـــــوب الســـــماعة ميلـــــي

جيتـــــــــك بالتلفـــــــون جيـــــــني بالفاكســـــــميلي

أما صاحب البيجر الساخر فيقول عن بحيرة:

البيجر اللي مـا طلع رقمهـا فيـه لا واحســـايف دفعتي لاشـــتراكـه

أو ذاك الذي يحتد متوعداً بقوله:

البيـجر اللـي مـا يجـاوبـك راعيـه ودك تكســـر بيجره فوق رأســـه

اما ذلك الشاعر الساخر الذي ينتظر صاحبه لكي يشاركه لعبه البلوت فيقول له:

سمعـــــني صـــوتك يابـــو فـــواز والاّ ابي اسمعـــــك صـــــوتي

واشـــرلي لـــك البيجـــر الهـــزاز واشـــري علـــى ضـــحكتك مـــوتي

وتصـــير في اللعـــب مـــا تعتـــاز (تصـــــن) وتجيــــب (كبـــوتى)

ولعل من أحدث المفردات استخداماً في القصيدة النبطية هي فودة الحاسب الآلي الذي يعتبر آخر مبتكرات الاتصال والذي يستخدمه شاعرنا هنا بقوله:

نويـت اســتعمـل بحبـك نظـام الحـاســب الآلي

نـويـت ادخـل بـرامـج مـلـتـقـانا كـل عصــريـه

نـظـام أدخـال يحـفـظـهـا بـلا تـزويـر واشـــكـال

على دســـكٍ كمـا لو كـان مطبوعـات صـــوتيـه

حـقـوق الـطـبـع تحـفـظ بالأول وانـت بالـتـالي

واحـذر من اعـاده نســـخهـا نســـخـات عـاديـه

أخـاف بســـاعـه الموعـد أضـــيع ومـا تيهيـالي

وانا في عـــالم (غـريــنـش) مـــالي ذاكـــره حـيــه

لـذلـك قـلـت أبـدخـلـهـا الحـاســب الآلي

يـبرمجـهـا عـلـى كـيـفـه ويخـرج فـكـرتـه لـيـه

مـدام أنـك مع الموضــــات رجلـك كعبهـا عـالي

انا عـنـدي نـظـام الـلـي أبـد مـا (يخـرّش) المـيـه

أما الشاعر سالم سيف الخالدي فيتحدث عن الاخطاء المطبعية في نشر قصائده وها هو يخاطب الكمبيوتر

يا كمبيوتري مـالـك ومـال شـــعري   تـكســـــره وفى كـل مـره تـعـيـبـه

كـل القوافي مـا صـــخـه مـا تســـري   وأنت الســـبب في هـا الامور العجيبة

الانجلونبطيه

لعل أول دخول للمفردات الأجنبية في القصيدة النبطية كما يقول سعيد كمال جاءت من خلال استخدام لها الشاعر عبد الله الهيهي حينما كان يخاطب هانماً تركيه بقوله:

يا هـانم انا دخيـلـك عـلـمـيـني (بـير دغســــان)

ابـغـي اتـعـلـم كـلام الـترك واهـرج بالـرطـانـه

واعزم عليكم تفضــــل عنـدنا في جـال بســـتـان

أنــتـه مـعـلـم تـدق الـعـود وآن في الـكـمـانـه

قالت لي (ســكتر ســكيرم ترس) ما بغي البدو صــبيان

لازهم على الترك تقضـــهم كمـا قضـــم اللبـانـه

ويشير الباحث الحصيف صديقنا ابراهيم الخالدي في كتابه الموسوم والمتفرد المستطرف النبطي أن من أقدم الاستخدامات للغة التركية أيضاً هو قول بديوي الوقداني مقدراً قيمة شداد راحلته بقوله:

فضّـــــه مـلـبـس قـيـمـتـه (يـوز ســـــكـيّـس)

لــو كــان (بـــكـــي يـــوز) مـــا هـــو بـــغـــالي

والكلمة الأولى كما يقول الخالدي تعني مائه وثمانية والثانية مائتين. ثم عندما حل الإنجليز الفرنسيون في المنطقة العربية بدلاً من العثمانيين كان المجاهدون السوريون يهتفون ضدّ الفرنسيين بقولهم:

ديغـــــــول خـــــبّر دولتـــــــك باريـــــــس مـــــــرابط خليـــــــا

بينما الفلسطينيون كانوا يهتفون للمستر دل بقولهم:

دبرهـــــــــا يا مســـــــــتر (دلّ) بلكـــــي علـــى أيـــدك متنحـــل

ولكنها لم تتحل الى الآن بفضل دل ودولته واعوانه ثم ومع وجود شركات النفط الأجنبية وبدء بشائر التعليم في اللغة الإنجليزية كان العامة في الجزيرة العربية يرددون القصيدة الشهيرة:

أي (ســـي) بـــرق وراء الطـــايف مـــي بي علـــى ديارهـــم مـــي بي

وجـــدي علــــى مـــاي وايــــف اسمـــول مـــا شـــالت البيــــبي)

بعدها أخذ الناس يرددون:

إذا كمهـــرت مـــن اوتٍ لـــروم فســــــــدادن ولا تســــــتند أبا

أسرى البيت الشهير:

بلـيس قـف مـي يا أريـش العـين حبـه (بيكـوز) حبـه منـك تشـفي جروحـي

والذي جاراه الصديق عبد المحسن البشير بقوله:

كـــم هـــير يا الـــترف ونســـني بيكـــــــوز أنا ضـــــــايقٍ بالي

وأذكر في هذا الصدد أنني كتبت في أوائل السبعينات الى الصديق مطلق مساعد العجمي قصيده بالنبطية الإنجليزية حينما كان يدرس في الولايات المتحدة أقول فيها على ما أذكر:

يا راكـب مـن عـندنا فـوق بـوينـغ متوجهـه من يمنـا صـــوب (يو. اس)

وإليا اشــلعت مع غطاريش (مورننغ) وتــوازنــت بالجـو ثمٍ خـذت لانــس

ملفـاك ابو را كـان مع اول ايفننغ | **و (قف هم) على خشمه (كيس بتركس)**
واليـا اســترحـت من التفـاكير والثنغ | **وقهواك من فنجـان عمـك ابن هرس**
أعطـه كتـابٍ وكـل مـا فيـه نتنغ | **واهرج معـه من قبـل يعزمـك للـدنس**
وقـل لـه ترى كـل العلاقـات كـاتنغ | **مـا بيننـا وممكن نضـــيع خوتـك اكس**

قد جارى هذه القصيدة المرحوم الصديق حمد السعيدان الملحق الإعلامي الكويتي في لندن آنذاك وكذلك الشاعر عبد الرحمن النجار ولكنني لم أحتفظ بالقصيدتين اللتين كانتا سبباً للعديد من القصائد المتلاحقة من الآخرين وقد انتشرت بعد ذلك قصيدة لشاعر مجهول يقول في أبياتها:

يا ناس مع قلب الشـــقا (هـاو تودو) | **من دون (افري دي) حـالي عجيبـه**
كلمـا نصـــحتـه قـال يا عرب (نو) | **عيـا اللعين لكلـمتي يســـتجيبي**
(فيفتين) عمره (اونلي) لا تحســـبو | **(ميـبي) زياده يـوم أو نـقـص (ميـبي)**

وكذلك لاختلاط الجاليات الآسيوية مع سكان المنطقة فقد حاول أحد الشعراء أن يتحدث بالأوردو مع سائق آسيوي وذلك بقوله

لا يا صـــبي بنغـال وش خفـه الـدم　　　وراك بالشــــارع تســـوي عـلامـة

تـعـكـس شـــوارع ســـيرنا وأتـرنّم　　　أيضــــاً وتهـدنيـا عليهـا ابتســـامـه

كم صـــــدمـهٍ ذا ليوم كم قطو تـدعم　　　ســـبحـان ربي كـاتـبٍ لـك ســـلامـة

فرد السائق البنغالي

صـــــديق انا مســـكين مـا فيـه يفهم　　　مـا فيـه أنا معلوم ســـنهو ســـلامـة

واحــد ســــهر زنزان مـا فيـه يعلم　　　أنـتـة بـلـد مـا فـيـه يـفـهـم نـزامـه

ثم جاء دور الشاعر الساخر الصديق حمود البغيلي ليقول بالإنجليزية:

لا (لوكس) لاديسكان (لازيزت لاتاتب)　　　يقـدر يخلي قلبـك ابيض علينـا

إذا القلوب (بلاك) ما تنقلب (وايـت)　　　واللـي ســـواتـك مـا نحبـه يجينـا

أما أشهر قصيده مليئة بالمفردات الإنجليزية والتي تعتبر بمثابة قاموس مصغر فهي لشاعر اسمه حمدان العتيبي إذ يقول فيها:

قوم جورجِ وجون واعينهم صـــغر مـا تـعـرف لـتر جمـتـهـم بالـكـلام

عـــنـدهـــم الام سمــوهـــا (مـــدر) ولابــو (فــاذر) قــلــيــلــن الــرحــام

ولا (بدىِ) جسمك و(باك) اسم الظهر واليــدين (الهــانــذر) (والفنقر) أبهــام

والغنم هي شـــيــب والكـــاو البقر واللحم هو (ميت) والـــــ (بون) العظام

والدجاجه (هن) والــــــ (هوك) الصقر والـــــــــ (بجن) قالوا ترى اسم الحمام

وشمس ربي (صف) والـــــ (مون) القمر والشـــهر سموه (مـانـث) و(يير) عـام

والـدقيقـه (منـت) والســـاعـه (اور) و(هـولـدي) عـطـلـه و (ديـوتي) دوام

والـــــــــ (بريد) الخبز والسكر (شـقر) والعسـل (هاني) و (سـوب) اسـم اليدام

والشجر (تريز) والنهر الـــــــــ (ريفر) والســـماء (ســكاي) و(كلاود) الغمام

والنجوم (ستارز) والطقس الــــــ (وذر) والضــو (لايت) و (دارك) اسـم الظلام

وكـلـمـه (فـلاور) تـرى تـعـني الـزهـر وكـل عشــــب (قراص) لوانـه رمـام

والرمل هو (سـاند) و(سـتون) الصـخر والحديد (المثل) والـــــــــــ (ولدر) لحام

وكل غرفه (روم) والـــــ (هاوس) القصر وباب بيتك (دور) والـــ (روف) الطمام

ولـــو عـــلـــى بــلــداهم دايم مــطــر مــا تســــاوي ديره العـرب الـكـرام

الساخرون

قد لا تجد السخرية في الشعر العربي القديم إلاّ لدى بعض الصعاليك مثل أبو خراش الهذلي الذي رثى ساقه التي لدغتها أفعى وكان من عدائين العرب وقال في ذلك:

لعمرك والمنايا غالبات على الانسان تطلع كل نجد
لقد اهلكت حين بطن انفٍ على الاصحاب سافاً ذات فقد

أو لدى تليد الظبي الذي كان لصاً خارباً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وأكثر جناياته وتُهمه الكثيرة قال

ولو أن بعض الناس يفقد امه لقيل احتواها في الرحال تليد

وذات مره قُبض عليه وامره عمر بأن يبني مسجداً فقال تليد

تبدّلت من سوق الأباعر في الضحى ومن قنص الغزلان بني المساجد

وحينما تاب نهائياً عن الصعلكة قال

ألا قل لأرباب المخائض أهملوا فقد تاب مما تعلمون تليد

ومثله الأحيمر السعدي الذي يقول

وأني لا استحي من الله أن أرى　　اطوف بجبل ليس فيه بعير

وأن اسأل المرء اللئيم بغيره　　وبعران ربي في البلاد كثر

ونجد السخرية متنازه هنا وهناك في أشعار صخر الغي أو الخيزوان ابو مسعود بن خرشه هذا الشعر الذي لا ينتج الاّ عن المرارة وسوء العيش أو شكوى الزمان ولكننا نشاهد اولى بواكير هذا الشعر في عصر الدولة الأموية وفجر الدولة العباسية مثل ابو دلامة الذي دخل الى الخليفة معمما وهو يقدم نفسه هكذا

ألا أبلغ إليك أبا دلامة　　فليس من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة كان قرداً　　وخنزيراً إذا نزع العمامة

اما أبو الشمقمق الذى عاش في الدولة العباسية فيقول واصفاً حاله

أنا في حالٍ تعالى الله　　ربي أي حالِ

فلقد افلست حتى　　حل اكلي لعيالي

ولقـــــد اهزلـــــت حـــتى **محـــت الشـــمس خيـــالى**
مـــن رأى شـــيئاً محـــالاً **فـــأنا عـــين المحـــال**

وسأله أحدهم عن عنوانه فقال

فمنزلي الفضـــاء وســقف بيتي **سماء الله أو قـطـع الســحـاب**
أن جئـت مسـلـمـاً يوماً علي **دخـلـت عـلـي مـن دون باب**
لأني لم اجــد مصـــراع بابٍ **يـكـون مـن الســمـاء الى الـتراب**

وكذلك قوله

لـيـس إغـلاقـى لـبـابي أن لي **فيـه مـا أخشـى عليـه السُـرقـا**
إنمـا أغـلـقـتـه كـيـلا يـرى **ســوء حـالي مـن يجـوب الـطرقـا**
مـنـزل اوطـنـه الـفـقـر فـلـو **دخـل الســارق فـيـه سُــرقـا**

وقد ساد هذا اللون الشعري بعد انفلات الدولة العباسية وظهور الدويلات وبرز العيارون والشطار والحرافيش وخصوصاً في مصر فها هو عبد الحميد الديب الذي لا تيل فقراً عن أبي الشمقمق بقوله

أذلـه الـدهر لا مـال ولا ســكن فتى تزيـد علـى أنفـاســه المحن
ثـيـابـه كـأمـانـيـه ممـزقـة كـأنها وهـو حـيٌّ فـوقـه كـفـن
كـأنـه حكمـة المجنون يرسـلـهـا من غير قصـد فلا تصـغى لها أذن

وقال أيضاً عن حجرته البائسة:

أفــي غــرفتي يا رب أم أنا في لحدي ألا شـد مـا ألقـى مـن الزمن الوغد
لكـم كنت أرجو غـرفة فأصبتـهـا بنـاء قديم العهـد أضيق من جدّي
تـراني بـهـا كـلّ الأثـاث فـمـعـطـفي فـراش لنـومـي أو وقـاء مـن البـرد
وأمــا وســاداتـي بـهـا فـجـرائد تـجـدد إذ تـبـلى عـلى حـجـر صلد
تـعـلمت فـيـهـا صبر أيوب في الضنا وذقـت هـزال الجـوع أكثر من غاندي
جــوارك يــا ربـى لمـثـلي رحـمـة فــخــذني إلى النيران لا جنة الخلد

اما محمد حمام الذي كان كاتباً ورفضت تنشر له الصحف فأصبح قصاباً فيقول:

لا تلمني يا سـيدي شـرَفَ الدِّين إذا مـا رأيتَـني قَصَّـاباً
كيف لا أشـكرُ الجزارةَ ما عشـت حِفَاظـاً وأَرفـضُ الآدَابا

وبِهـا أضـــحَـتِ الـكـلابُ تُـرَجِّـيني   وبالشِّـــعـرِ كـنـت أرجـو الـكِـلابا

ويقول عن فقره

امـا الـفـلـوس فـبـالأحـبـة أخـلـق   والـقـرش أقـرب لـلـفـؤاد وألصـــق

لم يـبـق في جـيـبي ســـوى تـعـريـفـة   والله يمــنــح مــن يشـــاء ويــرزق

لما قصـــدت البنك أطلب ســـلفة   قــالوا أبتعـد فــالبنـك لا يتصـــدق

شـــاورت للتــاكســـي اريــد ركوبــه   فمضـــى يبرطع كــالحـمــار وينـهـق

الســـائقون دروا بإفلاســـي فمــا   يــقــفــون لي لــو أشـــرِ وأزعــق

وحينما استضافه أحد الاصدقاء متكفلا مؤنته قال له:

ثقلـــــت عليـــــك مــــؤونتي   إني أراهــــــــا واهيـــــــــة

فــــــأفرح باني ذاهــــــــب   متوجــــــــه في داهيــــــــة

اما أمام العبد الذي كان اسود وهو قائل البيت الشهير

لــو كـــان شـــعــري شـــعـيراً   لاســــتـحســــنــتـه الحــمــيرُ

لــكـــن شـــعـــري شـــعـــور   هـــل لـــلــحــمــير شـــعـــور

وسأله الشاعر خليل مطران ذات يوم عن عدم الزواج فقال

يا خـلـيـلاً وانـت خـير خـلـيـل **لا تـلـم راهـبـاً بـدون دلـيـل**

انا لـيـلٌ وكـل حســـنـاء شمـس **فـاجتمـاعي بهـا من المســتحيـل**

وذات مره طلب من الشاعر احمد شوقي أربطه عنق بقوله

(دزيـن) أو بـعضــــهـا بـكـنـيـنـن **ليكن الكمـال تـل فضـــلـك أليق**

شـــدوا إذن عنقي بحبـل عطـائكم **مـاتـقـدرون بشـــرط ألا تخـنـقـوا**

وللعبد القصيدة الشهيرة:

وجاع كشــكول وجدي في هوى الغيد **أبغي به (شــورباء) الوصـــل في العيد**

ملاعق العـذل للأسمـاع قـد قرعـت **قرع المعـاول في صـــم الجلاميـد**

فـلـفـلـوا رز حـبي في طـنـاجـركـم **وانجزوا ســكبه في صــحن مقصــودي**

عنـدي أزيز المقـالي في مطـابخكم **ألـذّ مـن نـغـمـات الـنـاي والـعـود**

وهو القائل أيضاً هذا البيت الطريف

طـعـامـي كـان قـبـلاً لحـم عـجـلِ **فصـــار اليـوم من خبـزٍ وفجـلِ**

فـأن قـلـتـم لمـاذا قـلـت أني **على قـدر البســـاط أمـد رجلي**

اما في الجزيرة العربية لاسيما في البادية فتكاد أن تنحسر السخرية بشكل كلي وذلك لتجهم حياة أهل البادية وقسوة الصحراء وان كانت لا تعدم من الساخرين فها هي الشاعرة مويضي البرازيه تتمنى زوجاً بهذه المواصفات على غير عادة الفتيات البدويات اللواتي يطمحن الى الزواج من الفرسان إلا أن مويضي تريد:

اريد مندسٍ بوسط الجماعة   يرعى غنمهم والبهمُ البعارين

واذا نزرته راح قلبه رعاعة   يقول يا دافي الحشا وش تريدين

وأن قلت له هات الحطب قال طاعة   عجلٍ يجيب القدر هوا المواعين

ولو أضربه بالمطرقة في كراعه   لاهوب شاكيني ولا الناس دارين

وقد أطلق على أولئك الرجال المطيعين لزوجاتهم رجال مويضي، أو ذلك الشاعر الذي كان يغازل تلك الفتاه البدوية والتي كانت تسوق حمارها فلم تلتفت إليه إلاّ ساخرة بالقول إذ أوقفت حماري بشعرك فأنني سأحبك وهنا قال الشاعر

يا بنت هيا من ثمانك عطينا   لا واهني يا بنت من نشهن نش

فكان الحمار أن يتوقف ثم أكمل

يا عـود مـوز نابـتٍ بالـبـطـنـيـا اللـي ليـا جـاه الهواء قـام يهتشّ

فتوقف الحمار كلياً. وكذلك كان هنالك الشاعر فجحان الفراوي الذي حلّ ضيفاً على رجل غبي فانتبهت زوجته الذكية الى أن الضيف هو فجحان ونبهت زوجها الى ضرورة اكرامه وكان فجحان يسمع ذلك وبعد أن تناول فحجان العشاء قال له المضيف الغبي ماذا قلت شعراً يا فجحان هيا اسمعنا فقال فجحان ساخراً

مـاني عـلـى بـدع المثـايـل بخيـلـي وهرجٍ على غير النشـــاما غثـا بال

وكان يقول له :

الله على اللى هرجهم يســـتوى لي اللـي اليـا شــــدوا بعيـدين منزال
ومعزيي عندي ســوات الفـــــصـيلي وانا اشــــهـد انـه ثور مـا هو برجـال

أما في الحاضرة فقد اشتهر حميدان الشويعر الذي يعتبر رائد القصيدة الساخرة ومن ذلك قوله:

احــــد مبســـــوط ومكيــــــف ياكـــــــــل ويــــــــنعم في داره

لا جـا مــن الســوق مغلــدم   يلقـــــى لـــــه درة محـــــاره
يلقـــى عـــذرا يســـفر وجهـــه   تجلـــي همـــه هـــو و اكـــداره
مـــا يـــوم قالـــت وش عنـــدك   ترضـــى بايســـياره واعســـاره
وان جـــاب شـــوى اقنعـــت بـــه   وان مـــا جـــا شـــي عـــذاره
واحـــد عنـــده ضـــبعة غابـــه   انطـــل مـــن عنطـــل حـــوارّه
يســـمع حســـه مـــن بالمجلـــس   كنـــــه في راس المنـــــاره
تقلـــب عينـــه ثم تحضّـــرم   هرجـــه نبـــذ وبـــه حجـــاره
الا ومـــع ذا قشـــرا شينـــه   اشـــين مـــن قبعـــرة الغـــاره
ايـــا هـــذا وايـــا ذاك   يا جـــارك الله بجـــواره

الشـعر السـاخر والسـاخرين مـن الشـعراء منـذ الجاهليـة وحـتى عصـورنا المتـأخرة هـذه واليـوم سـنتحدث عـن السـاخرين بـدءاً مـن القـرن الماضـي وحـتى اليـوم وسنحصـر موضـوعنا بالاخوانيـات لأننـا لـو فتحنـا باب الشـعر السـاخر لمـا أغلقنـاه لحلقـات عـده. المهـم أنـه قـد عـرف مـن أطـراف الإخوانيـات السـاخرة بـين الشـاعر الكبـير عبـد الله بـن سـبيل وصـديقه سعيدان المطـوع إذ كـان ابـن سـبيل أمـيراً لبلـدة نفـي بينمـا كـان

سعيدان هو مطوع البلدة وقد كان المطوع يدرس الطالبات فكتب يوماً على لوح ابنة ابن سبيل هذه الابيات:

هيض علي جويدلٍ ما تغطى   يلعب مع الصبيان بام الخطوطي
يا شبه غرنوقٍ مع جول بطا   بطر البحر مهو ببط الشطوطي
كنه على شوك الهراس يتوطى   والاّ الميابر يوم بالرجل يوطي

وقيل إن ابن سبيل حينما رأى ذلك كتب للمطوع سعيدان ما يلي:

مطوعٍ يا مال كشف المعظى   ياخذ على رقي المناء شروطي
يسره على ورع وهو ما تغطى   يلعب مع الصبيان بام الخطوطى

ثم استمرت المعركة بين الشاعر والمطوع على هذا النحو إذ قال المطوع يوماً

لا ضاق صدري قمت أصوتّ لنوره   هاتى حطب وارميه للجار والضيف
من قبل ولد اللاش يبدي بشوره   حمست من بن اليمن غايه الكيف

فرد ابن سبيل على المطوع:

مطوع يا كبر هوله وجوده   مشراه في دور السنه مدّو نصيف
ودلاهم دب الليالي مهجوره   وخطارهم ما غير ابو زيد وحنيف

وحنيف هذا أعتقد أنه حنيف بن سعيدان الذي قال فيه الشاعر ولربما هو نفسه المطوع:

خمسه عشر فنجان لحنيف صبيت لو كان بطنه قربه قد ملاها

فأجابه حنيف وهو شاعر مجيد أيضاً

لا تحسب أني من دلالك تقهويت ما تنقه الشراب من كثر ماها
يا موصي الحرمه على صكه البيت تقول مهو فيه. وانته وراها

المهم أننا ما زلنا في الحديث عن الشاعر والمطوع والشاعر إذ مره زار المطوع مطوع العين وهي هجرة قريبه من نفي فقال ابن سبيل مستشيراً صديقه العتيد.

مطوع نفس وافق مطوع هل العين والكل منهم الله أعلم بدنيه
يا لله يا خالف على اللي مصلين ورا مطوعهم وهم خابرنيه

فرد عليه سعيدان:

اللي يسبون الائمه شياطين من التسعة اللي خربوا فى المدينة
ونعم به وإن كان ما سدّ نعيمن ما يذبحون الاّ الفتاه السمينة

ويعنون بالفتاة البكرة الفتية من الإبل. أما الشاعرين الكبيرين صقر النصافي وسليمان بن شريم فقد حصل بينهما محاورات ومساجلات كثيره ولكننا نذكر منها أن صقر النصافي رأى مجموعه من الفتيات في السوق وقمن بالسلام عليه ولكنه لم يتغزل بهن فقال له سليمان بن شريم مازحاً:

الا يا صقر يا صقر الندم يا مرتخي الجنحان

علامك يوم مرتك الحباري ما تدميها

عليهن من ملابيس الغوى من سوق ابن رشدان

نفانيفٍ من الموده جديداتٍ مطاويها

فرد عليه صقر النصافي:

انا ماني بطير ما يصيد الصيد يا سليمان

يبات بجوعُ الجنحان بالتكفنيج موذيها

أوقّع لين اشوف اللي تسر القلب والاعيان

وابادرها غجلان مقره فى ثناديها

وهذه مكاذبات بين الشاعرين الساخرين عيد بن مريح وسليمان الرشيدي إذ يقول سليمان:

تبيني اكذب لكن أني ما قدرت اكذب عليك

تبينى اســـرد ســـالفه من ســـبعميه ســـالفه

أقدر أقول أني لقيت بعير يأشر في تريك

واقـف علـى رجليـه الاربـع ترتجـف متخالفـه

فأجابه عيد:

أقدر أقول أني لقيـت انســـان لـه علبـه بريك

عيشـــى على جنوط التواير والتواير تالفـه

أحرفك وأصـرفك واضـحكك واضـحك عليك

وأضـــربـك عوج الـدروب ومـا كرهـت توالفـه

أما أبرز ســاخرين متألفين منهما الشــاعران ضــيدان بن صــبحان العجمي والشـاعر المرحوم سـعد بن حسـين العجمي فقد جمعت بينهما صـداقه غريبه فالأول ضيدان رجل كبير بينما سعد فقد كان شـاباً يرحمه الله وكانت بينهما قصـــائد وجبرت رائعة الى أن توفي ســـعد يرحمه الله في عام 1992 فهاهو ضيدان مثلاً يقول لصديقه وقد شك أنه تمليك ثروة في البنك:

عطنــا من اللي يا ســـعــد ربي عطــاك

عــنــدك فــلـوسٍ في الــبــنـوك ونايمــه

وانا رفــيــقــك دايم وامشـــــي وراك
مــا أدري مــتى تمــطـر سمــاك الـغـايـه

فرد عليه سعد

اللي عطــاني خير بالشـــحــذه بلاك **هــذي عطــايا الله وذي قســـــايـه**
يومـك حســـود وتو مــابين رداك **مــا عنـدنا لـك مـا يفطر صــــايـه**

فقال ضيدان:

أظن من زارك بيتــك مــا نســـــاك **ولا ظـن مـثـلـك تّـنسـى قـدايـه**
يا رجــل فكـر زيـن والـرب يـهـداك **عــزّم تــرى الـرجــال مــن عــزايـه**

فرد سعد غاضباً:

تعش عندي جعل ما تأكل عشــــاك **عســـى تعشـــاك الطيور الحــايـه**
واللي لنا جابك عســـى يقلع مداك **والـــلـى يـبى فــرقــاك محــدٍ لايـه**

فقال ضيدان:

لا تحــســـب أنّا قــاعــدين في رجــاك **وعــاد الجمــل يمشـــي على قوايـه**
يالله يالمــعــبــود. جــارك ودخــلاك **راحـت خســـاره ذا الصـــبي تمايـه**

وهما أصحاب الردية المشهورة التي تقول:

ضـــيدان ما ودك نشـــكل عصـــابه　　　نحـتـل بـعـض بـنـوكـهـا والمحـلات
امـا يجـي لي ولـك قـدر ومـهـابـه　　　ولا تـبـيـتـا بـيـات الشـــريـفـات
والرجـل ودك يشـــتهر في شـــبـابـه　　　بالـطـيـب والاّ بالـعـلـوم الـرديان
مايهتـنـي بـاكـلـه ولا فـــي شـرابـه　　　الين تطلع صـــورتـه في المجـــــلات

ولكن ضيدان رد عليه:

لا تحســـب إنا يا ســـعد وســـط غابه　　　هـلـلـي تـروالـك تـراهـن عـمـارات
وموضـــوعك اللي جبت كله غرابـه　　　والظـاهر أنـه ســـابع المســـتحيلات
واخـاف لا تنبح عليـك الكلابـه　　　ثم هـات نســـلم من مخاليبها هـات
ويا بوك عمرى مـا دخلـت النيابـه　　　ومن العمر مـا باقيٍ كثر مـا فـات

ويماً ما حصل سعد على مباح صديقه ضيدان وبداء يساومه بقوله:

يا رب ذا المســـبـاح راعيـه يهـديـه　　　والهـدو حـنـا حـاضـــريـن بـرده
مـا ظنتي يبخـل علّي صـــاحبـه فيـه　　　ولاظن يخلف ســـلم خـالـه وجـده

فرد ضيدان:

لا تنهـب المســـباح من كف راعيـه   ومعزبـك يا شـــيخ يرفض بشـــده
وان شــفت باله ضـــايقٍ لا تحاكيه   وعلى الـدروب الضـــيقـه لا تحـده
وضـــيف نرحـب بـه وعقبـه نقهويـه   وضـــيف قهوتـه عنـدنا نـدير خـده

الشِّعْرُ النَّبَطِيُّ هَلْ هُوَ
امْتِدَادٌ لِلشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ
نَشْرُهَا عَامَ 1976م

الشِّعْرُ النَّبَطِيُّ هَلْ هُوَ امْتِدَادٌ لِلشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ[99]

ثمة مجموعة من الافتراضات المنطقية القائمة تطرح نفسها دائماً بطريقة عفوية، وتأتي كنتيجة مباشرة للتساؤلات الأدبية المستمرة التي تبحث عن الهوية الأساسية "للشعر النبطي"، باعتباره أحد الألوان الأدبية البارزة في شكل الشعر الشعبي في بلدان الخليج والجزيرة العربية، بحيث أصبح هذا الشعر سمة أصيلة من سمات الأدب في هذه البلدان.

ولأن هذا الشعر منبثق أصلاً من اللهجة العامية الشعبية التي تتحدث بها شعوبها، إن لم نقل أهل البادية منهم الذين هجروا حياة التنقل والترحال، واندمجوا اندماجاً كلياً في المدينة مع المحافظة الشديدة على الجوهر الأصلي للهجة البدوية، فقد عجز هذا الاندماج السريع عن إخضاع اللهجة البدوية للتطورات الحياتية التي شملت جميع مرافق الحياة في هذه البلدان.

ومن هنا بقي الشعر النبطي محافظاً على شكله القديم، يُنظم على نفس الأسس والبحور القديمة التي كان يُنظم بها في السابق، فالذي يتأمله حالياً سيلاحظ مبدئياً أنه شعر في غاية الصعوبة من حيث المفردات، والإيقاع، والتركيب البنائي للقصيدة.

---

[99] –إشارة: نُشرت هذه الدراسة في يناير عام 1976م على عدة حلقات في جريدة السياسة، ويبدو أنها لم تكتمل، إضافةً إلى ندرة المصادر التاريخية في تلك الفترة، والاعتماد على ما كان يحفظه الكاتب من أشعار متوارثة، غير أننا سنوردما توافر لدينا منها. أسامة

ولكن الذي يقوم بدراسته على مهل وبعمق، سيخرج بنتيجة واضحة، وهي أنه يحمل ألفاظاً قاموسية مرتبطة ارتباطاً وراثياً وثيقاً بالأدب الجاهلي القديم. لذا سنقوم هنا بإلقاء نظرة دراسية سريعة على هذا النوع من الشعر من حيث الوجهة التاريخية، والأدبية، والمغالطات البحثية العلمية.

كما نتناول هنا بعض النماذج الشعرية التي تحمل أهم سماته الرئيسية: "النبط". فبإرجاع هذه الكلمة العربية الأصلية إلى المعاجم والقواميس سنجد أنها تعني نبع الماء وتدفقه. أما الأنباط فهم قوم من العرب أقاموا دولتهم في البتراء التي تقع في الجهة الجنوبية من الأردن، والنبط هم قوم ينزلون بين العراقيين كما تذكر بعض كتب التاريخ.

لكن المؤرخين وبعض البحاثة المهتمين يختلفون دائماً في تثبيت نسبة هذا الشعر، فبعضهم يقول إنه يُنسب إلى معناه الحرفي.

وبعضهم ينسبه إلى الارتباط، وهكذا بقي الاختلاف قائماً بينهم حتى يومنا هذا. لكن القول الأكثر شيوعاً هو أن هذا الشعر شعر عامي كسائر الأشعار الشعبية في الوطن العربي. غير أن الذي يدرسه، كما قلنا، سيخرج بعدة نتائج تؤكد أنه امتداد زمني للأدب الجاهلي، وهذه النتائج هي:

1- بما أنه الشعر الوحيد الذي ينظمه أهل البادية الذين لم يختلطوا بالشعوب الأخرى، ولم يخرجوا من إطار (الصحاري العربية)، ولم تخالط لغتهم أية لغة أو لهجة أخرى، بل ظلوا محافظين على لغتهم النقية المتوارثة من جيل إلى جيل منذ أزمنة

الجاهلية حتى يومنا هذا، فإنه سيتبادر إلى الذهن أنه أدب وراثي منذ الجاهلية، وأنه امتداد للأدب الجاهلي.

2- المفردات والألفاظ التي يتكون منها هذا الشعر هي مفردات وألفاظ قاموسية قديمة وموغلة في القدم، مما يدعونا إلى القول بأنه شعر جاهلي، مع مراعاة التغيرات اللفظية البسيطة التي طرأت على بعض الكلمات ولم تغيّر من جوهرها. وذلك بخلاف لهجات أهل المدن في الوطن العربي. فمثلاً، لنأخذ هذا البيت النبطي ونبحث عن كلماته في القاموس كلمةً كلمة، لنجد بالتالي أنه من الشعر الجاهلي. وهو لأحد الشعراء النبطيين يصف (الهجن) فيقول:

دُغمِ الخشوم عيونهن تشعل أشعال   غُرِّ المسـامح درباتٍ مع البيد

فكلمة (دُغم) تعني: "أدغمتُ الفرس" أي أدخلتُ اللجام في فمها، والأدغم هو الأسود. وكلمة (خشم) تعني أنف، وبذلك يصبح معنى صدر البيت: أن هذه الهجن سوداء الأنوف وعيونها تشتعل اشتعالاً.

وأما عجز البيت: (غرّ المسامح درباتٍ مع البيد) فمعناه على النحو الآتي: كلمة (غرّ) للجمع، ومفردها (أغرّ) وهو الأبيض. وكلمة (المسامح) صفة للوجوه السمحاء الكثيرة الجود. وكلمة (درباتٍ) بالتنوين تعني سالكاتٍ للدروب. وكلمة (البيد) تعني الصحاري.

وبذلك يصبح معنى البيت: أن هذه الإبل سوداء الأنوف، عيونها تشتعل كالنار، ووجوهها بيضاء، وهي تسلك دروب الصحاري. وهذا ما يجعلنا نقول إن الشعر النبطي شعر جاهلي

3- يعتبر الشعر النبطي هو الشعر الوحيد بين الشعر العامي الذي يستعمل حركات الضم والنصب والرفع في الكلمات، كما لاحظنا في المثال السابق في كلمة (داربات)، وهذا يدعم قولنا السابق.

الشعر النبطي يقوم على بعض البحور الستة عشر التي أوجدها الخليل بن أحمد، وأبياته تحافظ محافظة شديدة على دقة الوزن والإيقاع، لكنه يستعمل أحيانًا بحورًا خاصة مشتقة من نفس التفاعيل الأساسية، ولكن بإيقاع خاص، وهذه البحور تسمى: (الصخري، والخمشي، والهجيني)، إلخ، وتؤدى جميعها على الربابة. ومن هنا يمكننا القول بأن الشعر النبطي هو شعر عربي أصيل، ويختلف الدارسون في نشأته وتطوره.

نظراً لقلة الدراسات التي تناولته، لم تتوفر حتى الآن كل الإجابات الكاملة للتساؤلات المطروحة حوله، باستثناء ما قدمته بعض الدراسات القليلة التي قام بها المهتمون، أمثال: الدكتور أحمد الضبيب، والأستاذ روكس العزيزي، والأستاذ شفيق الكمالي. لكننا سنتناول هنا بعض وجوهه البارزة عبر تسلسله الزمني في جولة سريعة تلقي بعض الضوء عليه كأدب جميل له متذوقوه وناظموه.

الشاعر النبطي:

لقد كان الشاعر النبطي على مر العصور هو الدائرة الإعلامية للقبيلة التي ينطق باسمها، وتنقل صورتها للقبائل الأخرى، بالإضافة إلى كون الشاعر النبطي يؤرخ للقبيلة وقائعها، وهو بمثابة السجل التاريخي الذي يتناقله الأبناء عن الآباء.

وكانت القصيدة الواحدة كفيلة بإشعال نار الحرب بين قبيلتين، ومن هنا تأتي أهمية الشاعر النبطي، الذي ما إن يحل في أحد المضارب حتى يأذن شيوخها بإكرامه وحسن ضيافته حتى ينالوا مدحه، لأن الشاعر النبطي لا يحابي ولا يجامل، ولا يخشى في الحق لومة لائم. وهؤلاء الشعراء عادة على تدرجات متفاوتة، فمنهم الشاعر الفارس، ومنهم الصعلوك، ومنهم العاقل، ومنهم الشيخ، وعلى ذكرهم التمثيل.

الشعراء الأبطال:

فعلى رأسهم هؤلاء الشاعر الفارس راكان بن حثلين، ومشعان أخو جحلة، ومحدى الهبداني، وسعدون العواجي، وغيرهم مثل نمر بن عدوان، وعبيد العلي الرشيد، وهؤلاء الشعراء يتميز شعرهم بالبطولة والحماسة والاعتزاز.

الشعراء الصعاليك:

وهناك مجموعة أخرى من الشعراء يطلق عليهم مجازاً لقب الصعاليك كـــ فهد بن صليبيخ، وبصري الوضيحي، وخضير الصعيليك، والسريحي، وهؤلاء يتصعلكون في البوادي فيمدحون ويهجون، ويجوبون الصحارى متنقلين بين القبائل.

الشعراء الحكماء

وأما الشعراء الحكماء فأشهرهم: ابن لعبون، وراشد الخلاوي، وحمد المغلوث، وابن ربيعة، والعفالق، وحمود الناصر البدر، ومن الشعراء الغزليين محسن الهزاني.

نماذج الشعر النبطي:

وسوف نستعرض منها بعض النماذج الشعرية من هذا اللون وسنقوم بدراستها ، لنتعرف على ملامحها الرئيسية، ونقف كذلك على جانبها التنوعي من حيث الفخر والمديح والغزل والوصف والجوانب الإنسانية.

شعراء الفخر:

ومن أبرز هؤلاء الشعراء تميّزًا يأتي الشاعر والفارس راكان بن حثلين، وهو النموذج الرائع الذي يجسد البطولة والشجاعة، فقد كان من أشهر فرسان الجزيرة العربية، وقد أسرَه الوالي العثماني وسجنه. ومن داخل السجن أرسل قصيدته المشهورة إلى قبيلته (العجمان)، يقول فيها:

يقول قوال المعاني ابقرطاس ... بين الدلم وخشوم قصر الابجادي

حول الطبيعة ورا ذيك الأطعاس ... وبين الحشوم النايفه والحمادي

والبارحة ما غضت العين بانعاس ... الا وعلى خدي مطرها حشادي

إلى أن يقول في منتهى الفخر والتواضع:

زدنا وعدينا ورا الحق باقياس ... وعشنا بحد السيف في كل وادي

يا طول ما صـدنا على عوج الأضـراس   وصـيور من صـاد النشـامى يصـادي

كما تصل الاهزوجة الحزينة لقبيله (....) من أروع الابيات الحماسية التي (...) القبائل العربية والتي يقول فيها:

يوم لحق الأمير، وحلّت الشـــوبه   مـا هقينـا، على الـدنيـا،لنـا تالي

لحقت الخيل بـــــ(التومان) مركوبه   واقفت الخيل، معها الدم شـــلالي

من صـــلاة الضـحى، ياغافر التوبه   لين غـابـت،وحنـا هوش وقتـالي

هجننـا،مـا ركبهـا،كـل زاروبـه   كود من هو،عريـب الجـد والخـالي

(يبدو جزء من النص مفقود)......

.... ثم ينتقل الى هذه القصيدة:

***

كبارٍ عثانين النضـــا كنهـــا جمـــال   بخفافها تسمـــع صريـــخ الجلاميـــد

وطنات من حال وخفيفات من حال   مثـــل القطـــا لاوردن للمـــواريـــد

وسيقانهـــن باثفانهـــن تقـــل سيّـــال   عيـــدان سيّـــالٍ برتهـــا المباريـــد

والكل منهـــن خفهـــا كنـــه ريـــال   عوص مواطيها مواطـــــي مفاريـــــد

دغم الخشوم عيونهن تشعل اشعـــال   غرّ المسامع داربـــاتٍ مـــع البيـــد

الجانب الإنساني:

وللشعر النبطي ملئ بالمواقف الإنسانية التي تصور مآبي اهله بدرجات متفاوتة من الحزن والتي لا تخلو من نغمة التفاؤل والكبرياء حتى في أســـوأ الأحوال فهذا لحد الشعراء غزاه المشيب والعجز ورآه أحد الشبان فاخذ يضحك عليه مما اثار هذا الرجل العجوز بأبيات جاء فيها:

انا رجليــه مـن الـكـبر تـوجعني   وقمت اتعكز على عوجِ المشاعيب

ســــرحـت بالأذواد لـو اتـعـبـني   وصبرت على برد الشتا واللواهيب

ماعشـت بالشـخذات هي والتمني   عشـــرين عام خادمن للمعازيب

يامشـــحن الزينـات مـا يجهلني   ولولا الكبر يابوك مـابي عـذاريـب.

المرأة في الشعر النبطي:

والشـــعر النبطي كـأي أدب رفيع لا يخلو من ذكر المرأة التي تنمو دائما في ذهن الرجل وتكون ملهمته الســـاحرة التي تفجر ينابيع الجمال من عينه (....) والابداع

في وصفها حتى الشعراء الابطال أعطوا للمرأة الكثير من شعرهم فهذا راكان بن حثلين يعود من ديار الاتراك متفائلاً كطير الصحراء يغني لناقته:

يافاطري خبي طوارف طميه   الى زمالك لون خشم الحصاني

خبي طميه والفياض العذيه   وتنحري برزان زين المباني

خبي خبيب الذيب بالجرهديه   ياطالع الشبان والشوف داني

آصل اخو نوره لزوم عليه   قبل الحبيب وقبل قاصي وداني

ولي قظيت اللازم اللي عليه   الواجب اللي ماقظاه الهداني

حط الجدي على ورك المطية   فوق نحرها عن سهيل اليماني

نبغى ندور طفلة عسوجية   ريحة نسمها كالزباد العماني

فلما وصل بلاده وسمع بأن إمرته تزوجت من غيره قال بمنتهى الكبرياء:

لومي على الطيب ولومه عليه   وراه يأخذ عشقتني ما تناني

ليته صبر عامين والا ضحية   والا توقع صاحبي ويش جاني

اما قعد راكان بالمهمية   والا يجي يصهل صهيل الحصاني

خزي وأنا راكان زبن الونية   مايشرب العقبات كود الهداني.

وهذا وقد ابدع العديد من الشعراء في وصف المرأة البدوية والتغزل بها حتى أصبحت قلوب العاشقين ويشدهم الى بعضهم بأوصر علاقة الحب بينهما فهذا الشاعر المبدع حمود الناصر البدر يصف حبيبته:

عذب اللمي مدعوج مريوش الاعيان حلو السجايا يوسفي المعاني
قتال بأطراف النظرين طعان تلاف مذهبني وهو معشراني
أبو تليل دالع فوق الامتان يغذي عليه المسك والزعفراني
لاحص، لا لولو، لاحب رمان حاوي جميع الزين صافي الثماني

يبقى القول هنا ان الشعر النبطي هو لون اصيل من ألوان الأدب العربي لم يخضع للتأثيرات اللفظية التي اثرت في مجزى لغتنا العربية واثقلتها بالاصطلاحات الحديثة التي ستذهب بالكثير من سماتها الاصيلة، ولكنه يمكن فوق ذلك أدب منسي مهمل لم يتسن له حتى اليوم من يكتب عن اصالته.

1534

دِرَاسَةٌ:

تَمَاثُلَاتُ الْمَوْتِ دُونَ..

الشِّعْرِ وَالشِّعْرُ دُونَ الْمَوْتِ

اَلْمُقَدِّمَةُ (100)

"إذا كان ارسطو يقول : بأن الشعر أكثر حقيقة من التاريخ "فان الشاعر أكتافيو باث(101) Octavio Paz يقول أن "الشعر ينفي التاريخ" بل ويكسب الانسان في النهاية وعياً بأنه شيء آخر وليس مجرد عبور زائل، والشعر حسب "باث" تجربة، شعور، عاطفة، حدس، فكرة، بنت المصادفة، ثمرة للحساب الصعب أعلى من أشكال الكلام، لغة بدائية لخلق قواعد جديدة، "جنون، جذل" رجوع لطفولة.

اما الناقد والشاعر صلاح ستيتية(102) ، فيرى أنه لابد أن يكون للشعر حزمة أو هالة ضوئية من الأشياء المباشرة واليومية ،يراقب جميع حوادث التجربة المعاشة من المنظور الكلي منظور المجموع وهو منظور يتصل بالعابر الابوي وبجميع الحياة والموت في نظرات يكمل بعضها بعضا ، ثم أن عليه أي الشعر أن يمنح لكل وجود وكل لحظة وكل ململوحة وكأنها الأكثر صوابا وعدلاً. أي الأكثر ايلاما والأكثر أمانة ،وهذا بالطبع ما يعرفه الآخرون عن الشعر،ولكن الشعراء وحدهم هم من "عبر الفرح،عبر اللذة، عبر الحب، عبر الموقف"وذلك نحو رهيب.

---

(100) – المقدمة الأصل.

(101) – أُكتافيو باث (1914-1999) شاعر وأديب وسياسي مكسيكي، حصل على جائزة نوبل في الأدب لسنة 1990

(102) – صلاح ستيتية (1929 – 2020) شاعر وكاتب وناقد فني وأدبي ودبلوماسي لبناني

اما القصيدة بحد ذاتها فهي المحارة التي تصدح فيها الموسيقى العالم وما القوافي والاوزان إلا ترددات وأصداء الهارمونية الكونية ، تعليم اخلاق، قدوة كشف ،رقص، حوار بأصوات متعددة ،صوت شعب ،لغة رهيفة طاهرة وملتاثة مقدسة وملعونة ،شعبية وفئوية ،جماعية وفردية ،والقصيدة قناع يستر الفراغ وهذا وحده دليل على عظمة المجد المصنوع لكل عمل انساني.

اما كي تجيء القصيدة أو اللحظة الشعرية، فأنها حسب "باث: أيضًا لحظة مركبة ،تحرك، تدل، تدعو، تؤاسي. وهي جوهرياً علاقة تناغمية بين متضادين فهناك دائماً شيء من العقل في لحظة الشاعر المشبوبه بالانفعال ويعني بذلك "الانفعال المشبوب في رقصة العقلاني".

أما الشاعر فهو مكتشف الدلائل قبلياً، فاذا كان الفيلسوف بالمعنى العادي للكلمة هو المحلل الكيميائي بالمعنى الرياضي فأن الشاعر هو محلل الاسرار الخفية ، بالمعنى الرياضي يكتشف المجهول بدءاً من المعلوم، والشاعر هو الكائن الذي يسمح له بنقل غير المحتمل وتصوير الشيء كما يجب أن يكون أي أن على الشعراء أن لا يتغنوا بالوردة بل عليهم أن يجعلوها تتفتح في أشعارهم وذلك لأن الشاعر الذي يتلذذ بما في صدره من مشاعر ولا يشغل نفسه بالتأمل والخلق يصبح أنساناً منخوباً مائع العواطف فالشعر في الأساس هو حقيقة رفيعة ووهم جميل لكنما الشاعر الحقيقي الذي استثناه افلاطون من الطرد من جمهوريته هو الشاعر "عف اللسان، سديد الرأي، هادئ النسق

،يحاكي الخير ليس الا" أما الشاعر الذي "يعلم" الوهم فعليه مغادرة تلك المدينة.

الشاعر ..الحقيقة:

على من يعتزم اليوم قول الحقيقة ضـــد الافتراء والقبح ولكي يقولها كاملة عليه أن يتغلب على خمس صـــعوبات على الأقل كما يقول "بريخت Bertolt Brecht [103]": وهـذه الصـــعوبات هي أن تكون لـديـه الشـــجاعة ليقول الحقيقة وهي في كل مكان مخطوفة وأن يتمتع بالذكاء لاستكشافها وهي في كل مكان مستترة وأن عليه أن يحولها الى سلاح طيع. وقدر من الفطنة في اختيار هؤلاء الذين تصـــبح الحقيقة بين أيديهم ذات فاعلية وقدر من الحيلة لنشرها ويقصد بذلك الحيلة الفنية الشعرية تحديداً.

" الصدق الشعري:

كارلايـــــل[104] ThomasCarlyle " يقـــــول: أن مـــــا يجعـل الانسـان شـاعراً هـو صـدقه في الأسـاس. هـذا الأمـر الـذي قتـل المتنـبي حينمـا كمـن لـه مجموعـة مـن قطـاع الطـرق ولكـز حصانه بغية الفرار ولكن خادمه بدر نبهه الى أنه القائل:

---

[103] – برتولت بريشت (1898-1956) شاعر وكاتب ومخرج مسرحي ألماني

[104] – توماس كارلايل Thomas Carlyle (1795-1881) كاتب ومؤرخ اسكتلندي.

أَلخَيْـــــلُ وَاللّيْــــــلُ وَالبَيْــــــداءُ تَعرِفُنــــــي
وَالسّــــيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَـــــــمُ

ممـا جعلـه يلـوي عنـان حصـانه ويقـول قولتـه الشـهيرة : "قتلتـني قتلـك الله" ثم ألـتحم بالعصـابة ممـا أدى الى مقتلـه الفظيـع ومـن هـذا المنطلـق سـنتطرق هنـا الى صـدقية الشـاعر ومصـداقية الشـعر ،الموقـف الصـادق ،وصـدق الموقـف لكـل مـن الشـعر والشـاعر حـتى لـو أدى بـه الى المـوت أو كـان سـبيلاً لـدرء الموت.

موقف أول .. بوشكين Pushkin

وكمـا قتـل المتنـبي صـدقه مـع الشـعر فـأن "بوشـكين[105] AlexanderPushkin "الشـاعر الروسـي الكبـير قتلـه صـدقه مـع الشـعر أيضًـا حينمـا انـبرى لـه أحـد النـبلاء في بـلاط القيصـر وأخـذ يغـازل زوجتـه الجميلـة مسـتفزاً أياه:بأنـك غالبـاً

[105] - ألكسندر بوشكين 1799-1837 ومؤسس الأدب الروسي الحديث.

تقول ما لا تفعل وحينما احتد الشاعر لهذا الموقف الصفيق دعاه للمبارزة فمات بوشكين ليقرن القول بالفعل.

موقف الشاعر البلغاري[106] :

" هريستو بوتيف Hristo Botev " الذي كان رمزاً للمقاومة ضد الاحتلال الأجنبي لبلاده وحينما ألقى عليه القبض ووضعوا الحبل في عنقه النحيل وكانت المظاهرات تطوق السجن طلب منه السجانون أن يخرج للمتظاهرين ويدعوهم لفض المظاهرة لقاء اطلاق سراحه وانقاذه من حبل المشنقة ولكنه حينما خرج قال للجماهير المحتشدة هاتفاً بها:

إلى الامام يا شعبي العظيم

حتى تتحرر بلادنا من المستعمرين

أن مات كراسوف

فبينكم الالاف الأفضل منه.

موقف الشاعر التركي:

[106] – هريستو بوتيف (1848– 1876) في أواخر القرن التاسع عشر، ويُعتبر في الوقت الحالي أفضل شاعر بلغاري في تلك الفترة

"ناظم حكمت[107]" الذي كان يقاوم العسف والاضطهاد وبشعره العظيم من اجل بلاده تركيا ولما أراد "الجندرمة" اهانته اخرجوه من السجن وربطوه في أسفل السفينة واطلقوا المجاري والمراحيض عليه وحينما وصلت القذارة حد العنق، رفع عقيرته بالغناء متغزلا بسهوب بلاده تركيا وهضبة الأناضول هكذا:

"يا أزهار تركيا
ياحقل الأناضول
حتى لومت في هذا المكان الحقير
فسيبقى عطرك ينعش روح الشعب .

(107) – ناظم حكمت (1902 – 1963) شاعرًا تركي عارض الإقطاعية التركية وشارك في حركة أتاتورك التجديدية بعدها عارض النظام الذي أنشأه اتاتورك وسجن في السجون التركية حتى 1950، فر إلى الاتحاد السوفييتي.

مواقف الشعراء والفرسان

وكما أن الشعر صدق في الأساس والشاعر موقف في الأصل فأن تاريخنا الشعبي هو الآخر حافل بالمواقف الرائعة ومليء بالقصائد الخالدة التي قتلت أصحابها أو التي أوقفت سفك رجال القبائل المتناحرة فجسدوا مقولة "كارلايل" وموقف افلاطون فما هو.

محدى الهبداني مثلاً يخرج مطروداً من قبيلته "عنزة" بعد أن حرض فلاحي الأراضي التي يسيطرون عليها لرفض دفع الجزية والخاوة لهؤلاء البداة الذي يأخذون حقا ليس لهم مما أدى تمرد الفلاحيين على شيوخ القبيلة فقرروا طرده ونفيه في الأرض فالتجأ الى قبيلة " شمر" العدوة التاريخية لعنزة أيام اصطراع القبائل والتجأ الى شيخها الفارس الشهم عبدالكريم الجربا الذي أحسن وفادته واكرم لجوؤه وهيأ له سبل العيش الكريم لما عرف عنه من الكرم وبينما كان الشاعر نازلاً في قبيلته شمر وقرر أميرها عبدالكريم أن يغزو عنزة قبيلة محدى ،وكان عبدالكريم يلقب "بسكران المجانين" نظراً لشجاعته الفائقة فاصطحب صديقه الشاعر المنفي في الغزوة وحينما أراد الغزو والراحة في احد الأمكنة وكانت من اطلال قبيلة الشاعر تذكر الشاعر أهله فانشد على الاطلال :

يا دار ويـــن الــلــي بــك الــعــام كــالــيــوم

مــا تــقــل مــرك عــقــب خــبري نجــوعــي

خـالٍ جـنـابـك بـس يـلـعـي بـك الـبـوم

مـا كـن وقـف بـك مـن الـنـاس دوعـي

شــفـت الرســوم وصـــار بالقلـب مثلوم

وهـلــت مــن الــعــبرة غــرايــب دمــوعــي

ويــن الجــهــام الــلــي بــك الــعــام مــردوم

وظـعـون مـع قـدوة ســــلـفـهـا تـزوعـي

أهـــل الـــرباع مـــزبـــنـــة كـــل مضـــيـــوم

وأهـــل الـــرمـــاح مـــظـــافـــريـــن الـــدروعـــي

راحـــوا لـــنـــا عـــدوان وحـــنـــا لهـــم قـــوم

ولا ظــنـــتي عـــقـــب الـــتـــفـــرق رجـــوعـــي

وان صـــــاح صـــيـــاحٍ من الضـــــد مزحوم

تجـيــك دقــلات الســـبـــايا فـــزوعـــي

صـــــفـــرٍ يـكـاظـمـن الأعـنـه بهـن زوم

يخـلـــن ســــكـــران المجـــانـــين يـــوعـــي

فغضب سكران المجانين، عبدالكريم الجربا من هذا الموقف المفاجئ ولكنه وتكريماً لموقف الشاعر الصادق ولسمو نفس الشيخ عبدالكريم قرر الرجوع والنكوص عن هذا الغزو.

موقف ثانٍ .. محمد العوني:

حينما كان أهل القصيم مشغولين بالتجارة في بلاد الشام الأمر الذي كاد أن يفرغ القصيم من سكنها مما جعلها مطمعاً للقبائل التي أخذت تهين ماتبقى من سكان الحاضرة ارسل الشاعر محمد العوني قصيدته المشهورة " الخلوج" الى بني قومه اللاهين بالتجارة والمال محرضاً إياهم على العودة الى أرض الوطن لإنقاذه من القبائل والتي جاء بها:

خلـــوج تجـــذ القلـــب باتلـــى عواهـــا

تكســـــر بعـــــبراتٍ تحطـــــم ســـــلالها

ثم يستمر في القصيدة على لسان الناقة الى أن يقول :

دار بنجـــــد جنـــــة كـــــان قبـــــل ذا

ومـــن صـــكته غـــبر الليـــالي عنـــا لهـــا

هـــي امنـــا واحلـــو مطعـــوم درهـــا

غـــــدتنا وربتنـــــا وحنـــــا عيالهـــــا

تلقـــى علينـــا الجـــوخ والشـــال فوقنـــا

وهـــي عاريـــة تبكـــي ولا احـــد بكـــى لهـــا

الى أن يصف قومه اللاهين في بلاد الشام حيث الثراء والتجارة آنذاك:

لا جيـــت ســـوق العصـــر ياتيـــك غلمـــه

تخـشـع بــزيــنــات الــبريســـــم انــعــالهــا

مـــير داركـــم مـــن عقـــبكم تنـــدب الثـــرى

تبكــــي علـــى الماضـــين واعـــزتا لهـــا

شـــيبانكم تضـــرب علـــى غيـــر موجـــب

مـــن عقـــب كبـــر الجـــاه تنتـــف سبالـــها

فاستجاب جميع أهل القصيم لهذه الصرخة المدوية وتركوا التجارة والمال وعادوا الى بلادهم لإنقاذها من الطامعين من القبائل .

موقف ثالث.. قريبان الرويلي:

كـــان "قريبـــان الرويلـــي " الشـــاعر بـــدوياً عـــابراً فمـــر بمضـــارب الشـــيخ ابـــن سمـــير وكـــان ثمـــة عـــداوة بـــين قبيلتـــه وقبيلـــة الشـــاعر (الرولـــة) بالـــرغم مـــن أن القبيلتـــين مـــن أصـــل واحـــد إلا انـــه وجـــد شـــيخاً مـــن قبيلـــة أخـــرى لاتمـــت للقبيلتـــين بصـــلة وكـــان الأخـــير

يحـرض ابـن سمـير علـى الاتحـاد لمحابـة قبيلـة الشـاعر مسـتغلاً خلاف القبيلتين فنهض الشاعر مرتجلاً :

ياشــيخ يامخلــي ســروج المهــارا
جلســت عــدوانك بكرســي وطنــا
تــرى الجــهــل مــايســتــوي لــلــكــبــارا
نبغــى نصــلح نيتــك مــن جهلنــا
تــرى رفيقــك مــن كبــار النمــارا
ياكلــك كنــه باللقــاء عجــز عنــا

فاضـطرب المجلـس وانفـض واجهضـت المـؤامرة وهـرب الشـيخ الضيف واصطلحت القبيلتان لهذا الموقف.

موقف رابع.. مغثيّ الجلعودي:

كان الشيخ (ابن هذال) شيخ عموم قبيلة عنزة غاضبا من عشيرة الدهامشة احد فروع عنزة وقد اضطرت سنوات المحل هذه العشيرة من الاقتراب من مضاربه وكان الحديث في مجلس الشيخ يدور حول خلافه مع الدهامشة ومسألة توجههم الى المنطقة التي ينزل بها فقام شاعر منافق يحرض ابن هذال على الدهامشة بقوله:

اللابـــة اللــــي عـــن لوازمـــك غيّـــاب

احـــرص علـــيهم يا مضــــنة فـــؤادي

مايشـــتهونك غـــير طيحـــات الارطـــاب

أيام تصــــــفير النخــــــل والجــــــوادي

إلا أن الشاعر"مغني الجلعودي" اساءة هذا التحريض السخيف على الدم الواحد فقام وانشد قصيدة مضادة تذكر الجميع بانهم من اصل واحد حتى وان اختلفوا لبعض الأسباب بقوله :

ياشـــيخ أنـــت البيـــت وحنـــا لـــه اطنـــاب

مـــير المحـــل فـــرق جميـــع البـــوادي

وإليـــا وصـــل يا شـــيخ بالحـــرب نعـــاب

نمشـــي البيـــاض وناصـــله بالســـوادي

يجونـــك اللـــي كـــنهم زمـــل الاجـــلاب

رصاصـــهم مثـــل الـــبرد بالشـــدادي

أولاد علـــي ليـــا حضـــر حـــزم لكـــراب

(انجـــر) ســـفينة باللقـــاء والجهـــادي

فسمح الشيخ للدهامشة بالنزول في مرابع القبيلة وحلت المحبة والوئام بدلاً من البغضاء بسبب صدقية الشاعر وجرأته.

صدق السمو الإبداعي

لكن هذه الحيرة سرعان ما يبددها "هارمز وورث" في تعريفه لإنسانية الشعر وصدقه إذ يقول: "عندما يشتمل العمل الشعري عواطف إنسانية مشتركة بين جميع الشعوب والأمم والحضارات مهما اختلفت بها الأزمنة فإنَّ الإنسانية هنا تعني أنَّ الشخصيات والمواقف والأفعال الفنية تظل ذات معنى مشترك في جميع الثقافات فكيف إذا كانت من ثقافة واحدة وبلغة واحدة".

كما أنَّ نجاح العمل الشعري مرهونٌ بتصوير الشخصية الإنسانية في أقصى حالاتها الإنسانية، لذلك تجد من يطالع الأعمال الشعرية العظيمة التي حظيت بشهرة عالمية سوف يقع على حقيقة مفادها أن ثمة عناصر مشتركة بين هذه الأعمال.

فالكوميديا الإلهية لدانتي تشبه رسالة الغفران للمعري والأيام العشرة لـ"جيوفاني بوكاشيوGiovanniBoccaccio" مؤلف ديكاميرون Decameron تشبه ألف ليلة وليلة" زمن يقرأ سيرة الشاعر الفرنسي بودلير CharlesBaudelaire فأنه سوف يفاجأ بأنه كان يكتب ما يكاد أن يكون طبق الأصل عما كتبه الشاعر الأمريكي " إدغار آلان بو EdgarAllanPoe " فها هو ذا صديق بودلير "فرانسوا مارشيه" يروي عن بودلير أنه حينما

اطلـع علـى إدغـار آلان بـو اخـذت يـداه ترتعشـان وتتقلصـان وكأنـه أصـيب بمـس مـن الجـن بيـد أنها هـذه المـرة ليسـت رعشـة الجسـد المضـطرب ولا همسـة الغرائـز الدنيئـة المرتبطـة بـذكرى زنجيـة تتلـوى تحـت لسـعات السـياط الحارقـة بـل ارتعاشـات علـويا يكـاد يكـون موسـيقياً سـلما مـن المراسـلات الذهنيـة ونشـيداً يرتفـع فـوق البحـر علـى بعـد ثلاثـة الاف ميـل وينـادي ..أخـي أخـي ..أنـك أنـت أنا. أي ان الأرواح الصادقة المبدعة تلتقي على مر العصور

الصدق والصعلكة

ولعل اصدق الشعراء في تاريخنا الادبي هم الصعاليك الذين يقرنون القول بالفعل، والصعلوك هو الفقير الذي لا مال له، وتصعلكت الابل خرجت اوبارها وانجردت ،وصعاليك العرب ذؤبانها (أي ذئابها)، وهم فئةٌ خرجت على وضعها الطبقي والاجتماعي لتأخذ ما ترى انه حق لها من الأغنياء الذين اتخمهم المال وسمنهم فهم كما يوقل أحدهم:

وَمَـــــن يَفتَقِـــــرْ مِنّــــا يَعِـــــش بِحُســــامِهِ

وَمَـــن يَفتَقِـــرْ مِـــن ســـائِرِ النـــاسِ يَســـأَلِ

وَنَحـــــــنُ وُصِــــــفنا دونَ كُـــــلِّ قَبيلَـــــةٍ

بِشِـــــــدَّةِ بَأسٍ في الكِتـــــابِ المُنَــــــزَّلِ

وَإِنّا لَنَلهـــــو بِالسُـــــيوفِ كَمــــا لَهَـــت

فَتَــــاةٌ بِعِقـــــدٍ أَو سِـــــخابِ قَرَنفُـــــلِ

وهم جديرون بهذا الموقف الأخلاقي في مجتمع لا يعرف إلا القوة والسيف لذلك يقول عروة بن الورد:

وسَـــــائِلَةٍ أيـــــنَ الرَّحِيـــــلُ وسَــــائِلٍ

ومِـــنْ يَسْـــأَلُ الصُّـــعْلُوكَ أيـــنَ مَذاهِبُـــهْ

مَذاهِبُـــــــــهُ أَنَّ الفِجـــــــاجَ عَريضَــــــــةٌ

إِذا ضَـــــــنَّ عَنــــــهُ بِالفَعـــــالِ أَقارِبُـــــه

والصعاليك رغم فقرهم وقطعهم الطرق فانهم كسابون وهابون كما يقول أبو الملثم في رثائه صخر الغيّ:

شَــــــهّادُ أنْدِيَــــــةٍ حَمّــــــالُ ألْوِيَــــــة

قطَّـــــاعُ اوديـــــةٍ ســــــرحانُ قيعــــــانِ

يَحْمـــــي الصِّـــحابَ إذا جَـــدَّ الضِّــــرابُ

القـــــائلينَ اذا مــــــا كيَّـــــــلَ الهـــــاني

ويَـــــتْرُكُ القِــــــرْنَ مُصْــــــفَرّاً أنامِلُـــــــهُ

كَـــــأنّ في رَيْطَتَيْـــــــهِ نَضْـــــحَ أُرْقــــانِ

يعطيــــكَ مــــا لاتكــــادُ الَّــــنفسُ تســــلمهُ

مــــنْ الــــتَّلادِ وهـــــوبٌ غـــــيرُ منَّــــانِ

تماثلات

الشعر يعيد نفسه.. بين العامية والفصحى

جاء في أيام العرب من أيام بكر على تميم في " يوم الوّقيط"[108] أنَّ ناشب بن الأعور بن بشامة العنبري كان أسيراً في بني سعد، وقد تجمعت اللهازم "البكريين" لتغير على تميم وهم غارّون فقال:" أئتوني برجل أوصيه بأسيركم خيراً"، وكان لدى قومه حنظلة بن الطفيل أسيراً مثلما هو أسير لدى البكريين الذين أعدوا للحرب، فقالوا له :"على أن توصيه ونحن حضور" وحينما جيء بالرسول وامتحن حمقه قال له: "اذهب إلى قومي وقل لهم: إنَّ يحسنوا إلى أسيرهم فإني عند قوم محسنين إلي مكرمين لي" وقل لهم :" فليعقروا جملي الأحمر، ويركبوا ناقتي الصهباء بآية ما أكلت معكم حيساً، وأخبرهم أنَّ العوسج أورق، وأن النساء تشكت"، وليعصوا همّام بن بشامة سيدهم فإنه مشؤوم محدود، وليطيعوا هذيل بن الأخنس فإنه حازمٌ ميمون.

وكان بذلك يعتمد على ذكاء هذيل، فأتاهم الرســـول وأبلغهم فقالوا:" ما نعرف هذا الكلام فقد جن الأعور بعدنا، فوالله ما نعرف له ناقة صـــهباء، ولا جملاً أحمر"، فشـخص الرسـول وناداهم هذيل بن الأخنس فقال:" لقد بين لكم صـــاحبكم أن ترتحلوا عن الصـــمّان (جمله الأحمر)، وتتجهوا إلى

[108] – يومٌ كان في الإسلام بين بني تميم وبكر بن وائل ،قال ابن بري:الوّقط اسم موضع .لسان العرب (لسان العرب)

الدهناء ناقته الصـــهباء؛ لتحرزوا منها، فقد جاءتكم أخلاطٌ من الناس (الحيس الذي يعنيه)، أما العوسج أورق فإنَّ القومَ قد لبسوا السلاح، وأما تشكي النساء، فيخبركم أنهم عملن شكاء يغزون به، والشكاء هو :(القربة) وحدث ما حدث.

وقد عيّر جرير الخطفي بني دارم فيما بعد بأسر ضرار وعثجّل في تلك الوقيعة بقوله:

أغـمـامَ لـو شـــهـدَ الـوقـيـطَ فـوارســـي
مــا قــيــدَ يُـعـتَـلُ عَـثـجَـلٌ وَضِـــرارُ

وجاء في أيام العرب الأواخر من أيام عنزة :(وهم سلالة بكر نفسها) أن جديع بن هذال كان أسيراً ولم يكن أحد يعرف خبره ، فمرَّ بقوم آسريه بائع متجول فطلب جديع من آسريه أن يوصي البائع إلى قومه لإرسال علاج له فقال للبائع:" اذهب إلى هدلان العبادي وهو من أقصى عنزة، وقل له أن يرسل لي (الدُوّى) – تصغير دواء – فإنَّ بطني تؤلمني من ماء مورد (وذكر اسم المورد)، وحينما وصل البائع إلى ديار عنزة، وأخبر هدلان قال هدلان:" أنا لست حواجاً إنما كان يستشيرني بأمور الحرب ، إنَّ صاحبكم يقصدكم بالدواء أنه لدى قوم على ذلك المورد .

فسارت جماعة جديع وحدثت معركة وفك أسر جديع. انطلاقاً من هذه التماثل القصصي في الأحدوثة والشعر، رغم الانزياح الزمني بين الواقعتين وغرابة التكرار، فإنَّ المتأملَ في تاريخنا الشعبي الشفاهي يلحظ تماثلاً هائلاً بين أحداث كثيرة وأشعار لا حصر لها وقعت في الزمانين وبين العربين الأوائل والأواخر، وان اختلفت الصياغة قليلاً، فإذا كان تاريخ العرب مكتوباً بالفصحى فإنَّ تاريخ قبائلنا العربية المعاصرة يتناقل شفاهياً بما في ذلك ما يرافقه من شعر يكتب بالعامية، تلك العامية التي لو أمعنّا فيها النظر لرأيناها فصحى في الأساس فما زالت بعض المفردات الفصيحة الغارقة في القدم ترد في لهجات أبناء القبائل العربية المعاصرة، وهذا يدل أن فصحى أهل البادية أخذت تنحو إلى العامية بحكم الاختلاط واللهجات والاحتكاك مع أهل الحواضر والتجار والحجاج والدراويش بل إن بعض القبائل النجدية قد مارست النزوح مراراً وبشكلٍ يبدو لي إلى أقاليم مختلفة كالعراق والشام، ولربما وصلت إلى حدود الترك وفارس ناهيك عن بعض الأقوام الذين يتحدثون لغات مختلفة كالسريانيين والكلدانيين واليهود والأكراد عدا عن فترة الحكم العثماني التي عادت خلالها قبائلنا العربية، وبعد أن انفلتت من قبضة الدولة المركزية إلى جاهليتها الأولى وعادت للغزو والسلب والنهب من جديد وعادت أيام العرب وحروبهم إلى عهدها الجاهلي، وانبثق من خلال هذه الحياة عودة صارخة للصعاليك الذين عرفوا في العصر الحديث بـ (الحناشل) أو (الحوف)، وصارت الصعلكة مهمة مشرفة لدى العرب الأواخر، واعترت نوعاً من البطولة ليس

من الشرط أن يمارسها مخلوع بل سيد وفارس، بل أصبحت إحدى مقومات الرجولة والفروسية.

ثم عمد الرواة إلى خلط حكايات ومواقف الجاهلية الأولى بحكايات ومواقف الجاهلية الثانية. كما أُعيد استحضار روح ومغامرات شخوص جاهليين لإلباسها أشخاصاً يعيشون في الجاهلية الثانية – لذا ليس بمستغربٍ أن تضاف بعض الحكايات والمواقف إلى أي فارسٍ في الجاهلية الثانية، وليس بالعجيب أن تضاف بعض مواقف تأبط شراً مثلاً إلى شخصية شليويح العطاوي ومواقف الشنفرى إلى محدى الهبداني، ومواقف مالك بن الريب إلى مشعان بن زبدان وهكذا.

ولكن الذي يثير الاستغراب حقاً هو التماثل الشعري لهؤلاءِ الفرسان الذين عاشوا الجاهلية الثانية مع أجدادهم شعراء وفرسان الجاهلية وصعاليكها حتى إن الدارس ليحار فعلاً من هذا التناسخ العجيب والتقابل المدهش والتماثل الذي يدعو إلى العجب ولا سيما فيما يخص النصوص وإن نزعت نصوص المتأخرين بعداً قليلاً عن الفصحى.

مالك بن الريب ومشعان بن زبدان:

ملك بن الريب الذي كان يعيش في العصر الأموي والشاعر البدوي الذي عاش في أوائل القرن العشرين مشعان بن زبدان وتحديداً مصرع الشاعرين وقيام

كل منهما برثاء نفسه وهو يحتضر فما بالك حينما استتابة سعيد بن عفان عن ممارسة الصعلكة وقطع الطريق وارسله في جيش الى ماورا نهر جيحون لفتح سمرقند والثاني شاعر بدوي يغزو مع قبيلته بحثاً عن الماء. فإذا كان عدو مالك الثلج كما يقول:

هَبَّــــت شَمَـــالٌ خَريـــفٌ أَســـقَطَت وَرَقـــاً
وَاِصـــفَرَّ في القـــاعِ بَعـــدَ الخُضـــرَةِ الشـــيحُ
فَارحَــــل هُـــــديتَ وَلا تَجعَــــل غَنيمَتَنـــــا
ثَلجــــاً تُصَــــفِّقُه بِالترمِـــــذ الـــــريحُ
إِنَّ الشِــــتاءَ عَــــدوٌّ مــــا نُقاتِلُــــهُ
فَارحَــــل هُـــديتَ وثــوبُ الــدِفءِ مُطــروحُ

فأن الثاني أي مشعان كان عدوه العطش والصحراء اللاهبة كما يقول:

الجـــــيش مضـــــمي ولـــــه حنـــــه
مـــــامن عـــــذر يالعمـــــاراتِ

ولما كان مالك بن الريب يسير الى أن لقى حتفه متحدياً الموت فأن مشعان قد قاده الصدق الشعري الى الموت. حينما ألتقى الجمعان للاحتراب حول موارد المياه فغمره احد السفهاء بأن الامر ليس شعراً يا مشعان بل رصاص من صنع الألمان مما حفز الشاعر لنزع ملابسه وأخذ (القلص) أي الدلو والتوجه للأعداء ليسقط صريعاً في سبيل الشعر وكان ارثى مشعان نفسه وهو يحتضر موصياً اخاه:

يا حجـــــــــي هـــــــج الركايـــــــــب
بالظـــــــلما والقـــــــمر غايـــــــــب

نـــــــبي نـــــــدور القرايـــــــــب
والســـــــالم منـــــــا جابنـــــــــه

يا حجـــــــــي بالـــــــك تونـــــــــا
تـــــــرى الزرفـــــــات الحقنـــــــــا

أفطـــــــن لا يوخـــــــذ ظعنـــــــــا
ولا اخـــــــو مشـــــــعه وطنـــــــــه

أن جـــــــتكم مشـــــــعه تصـــــــيحي
عطوهـــــــا العلـــــــم الصـــــــحيحي

قولولـــــــه خيّـــــــك ذبيحـــــــي

تماما كما رثى مالك بن الريب نفسه بقصيدته الشهيرة:

فيــــا راكبـــــاً إمـــــا عرضـــــتَ فـــــبلِّغن
بـــــني مالـــــكٍ والريــــــبَ ألا تلاقيـــــا
وبلِّـــغ أخـــــي عِمــــران بَــــردَي ومِئـــــزري
وبلِّــــغ عَجُـــــوزي اليـــــومَ أن لا تـــــدانيا
تـــــذكّرتُ مَـــــنْ يبكـــــي علـــيَّ فلـــم أجـــدْ
ســـوى السـيفِ والـــرمح الـــرُّدينيِّ باكيــــا
وأشـــــــقرَ محبوكـــــــاً يجـــــــرُّ عِنانـــــــه
إلى المـــاء لم يـــترك لـــــه المــــوتُ ســــاقيا

وبذلك صدق كل من الشاعرين للشعر وللموقف الشعري والأمر لا يتوقف على هذين الشاعرين فقط بل أن هناك العديد من الشعراء الشعبيين الذين عاشوا نفس حياة اسلافهم لاسيما في فترة الحكم العثماني لدرجة تحير الدارس والمتأمل به ، لاسيما اذا ما عرفنا بأن شعراء البادية لم يطلعوا على تاريخ اسلافهم لكونهم أميين.

الأحيمر السعدي .. ساجر الرفدي

لذلك كانوا يترفعون عن اخذ الشيخ والمرأة والرجل الضعيف ويتعمدون نهب الباخلين كما يقول الأحيمر السعدي الصعلوك:

وعيّابـــــة للجـــــود لم تـــــدر أنّـــــني

بإنهـــاب مـــال البـــاخلين موكـــلُ

وهم قريبو الشبه من أحفادهم صعاليك البادية المتأخرين ،فهاهو "ساجر الرفدي" يغزو احدى قرى الفلاحين ويستاق ابقارهم فيلحقه من يقول له ألست أنت القائل :

مـــاني معودهـــا لكســـب الشـــواوي

ولا رددت فـــرق البقـــر بالزويـــه

فقال بلى وارجع ما أخذ من الفلاحين البسطاء ليصدق مع شعره ومع نفسه.

ومـن هنـا نجـد تشـابهاً كبـيراً بـين الشـعراء الفرسـان الـذين عاشـوا نفـس حيـاة اسـلافهم الجـاهليين واقـترب شـعرهم وحيـاتهم مـن شـعر حيـاة اسـلافهم الصـعاليك السـابقين ممـا يـدعوا الـدارس والمتأمـل للحـيرة والتمحـيص ولنأخـذ مـثلاً هـذه النمـاذج المتشـابهة مـن صـعاليك كـلا الفترتـين الفـترة الجاهليـة والفـترة

العثمانية باعتبارها جاهلية ثانية حيث عادت القبائل العربية إزاء ضعف الدولة الى السلب والنهب والاغارة والصعلكة ، لذلك خرج جيل جديد من الصعاليك الشعراء الذين ربطوا القول بالفعل والذين تماثل حياتهم وشعرهم حياة وشعراء اسلافهم مع اختلاف الزمانين .

الشنفرى الأزدي.. ومحدى الهبداني:

فلو أخذنا مثلاً الشنفرى والشاعر الفارس محدى الهبداني والذي غضب كلٌّ منهم على قبيلته، أو غضبت منه وعليه لرأينا الشنفرى يقول بعد الخلع في لاميته الشهيرة:

أقيموا بني أمي صدورَ مَطِيكم
فإني إلى قومٍ سِواكم لأميلُ

بينما يقول محدى:

يا ربعنا هيا نوينا المحاويل
نروح عن دار العيّا والضلالة

ويقول الشنفرى عن نفس المكان الذي اتخذه مقر صعلكته:

وخـــــرق كظهـــــر الـــــترس قفـــــر قطعتـــــه

بعـــــــاملتين ظهـــــــره لـــــــيس يعمـــــــل

بينما يقول محدى:

أقعـــــد علـــــى مقـــــر خفـــــي مواريـــــه

برهراهـــــةٍ مـــــا يأصـــــله كـــــود حايـــــل

ويقول الشنفرى:

وفي الأرض مَنْـــأىً ، للكـــريم ، عـــن الأذى

وفيهـــا لمـــن خـــاف القِلـــى مُتعـــزَّلُ

بينما يقول محدى:

اخـــــترت عـــــن دار المهـــــونات بالبيـــــد

وخليـــــت دار الـــــذل للـــــي ســـــكنها

ويقول الشنفرى:

ولكـــنَّ نفســـاً مُـــرةً لا تقيـــمُ بـــي

علـــى الضَّيـــم إلا ريثمـــا أتحـــوَّلُ

يقول محدى:

نويـــــت أهــــوم وكافــــل العبـــــد باريـــه

نفســــي عيـــوف ولا رضـــيت الفشـــايل

أي أن نفسيهما حرتان ولا تقبلان الضيم .ولعل الأعجب من ذلك أن الشنفرى يصف حصانه بالقول:

أزِج زلـــــــوجٍ هَـــــــزرفيٌ زفـــــازف

هِـــزف يبـــذ الناجيـــات الصـــــوافنا

بينما يصف محدى جمله بقوله

عـــــنسٍ ســـبرسٍ بالســـواد الوغطســـــي

قطـــــاع دوٍ هـــــــوذلي سوســـــــحاني

عروة بن الورد/الخطيم العكلي شليويح العطاوي:

وكذلك الأمر ينطبق على شليويح العطاوي الذي تشابه شعره مع كثير من شعر الصعاليك الجاهليين بالرغم من بعد المدة الزمنية بينه وبينهم واختلاف الظروف فإذا ما كان عروة بن الورد يقول:

أُقسّــــمُ جســــمي في جســــوم كثـــيرة

وأحســــو قـــراح المـــاء والمـــاء بارد

فإن شليويحَ يقولُ:

لا قلــــت الوزنـــة وربعـــي مشـــافيح

أخلـــي الوزنـــة لربعـــي و أشـــومي

أي: أنه مثلما يؤثر عروة أصحابه على نفسه في تقسيم الغنائم، فإن شليويح يؤثرهم عليه حتى في شرب الماءِ بواسطة "الوزنة"، ويبقى ظامئاً.

كذلك نجد تشابهاً شعرياً بين الخطيم العكلي وشليويح إذ يقول الخطيم مخاطباً أم مالك حينما استنكرت شحوبه من كثرة الغزوات:

فَــذاكَ الَّــذي اِستَنكَــرتُ يــا أُمَّ مالِــكٍ

وَأَصبَحــتُ مِنــهُ شاحِــبَ اللَــونِ أَســوَدا

وَإِنّـــي لَماضـــي الهَـــمِّ لَـــو تَعلَميـــنَهُ

وَركـــابُ أَهـــوالٍ يُخـــافُ بِهـــا الـــرِدى

أي: أنه يبرر لها هذا الشحوب بأنه ركاب أهوال يخاف منها الموت، فإن الأمر كذلك بالنسبة لشليويح حينما يخاطب "هلاله" التي استنكرت سواد وجهه من لهيب الشمس إذ يقول:

يا عيـــــد دونـــــك شوَّشَـــــتْ بي هلالـــــة

شـــافت بـــوجهي يا عضـــيدي ســـــهومي

وجهـــــي مســـــــودته لواهيـــــب لالـــــة

مـــن كثـــر مـــا نـــنطح لهيـــب الســـموم

وكما سخرت أمامة وهي امرأة من الخطيم وأجابها:

فَـــلا تَســـخري مِـــنّي أُمامَـــةُ أَن بَـــدا

شـــــحوبي وَلا أَنَّ القَمـــــيص تَقَـــــدَّدا

إِذا نامَ أَصـــــحابي بِهـــــا اللَيـــــلَ كُلَّـــــهُ

أَبَـــت لا تَـــذوقُ النَـــومَ حَـــتّى تَـــرى غَـــدا

كذلك يجيب شليويح المرأة التي سخرت منه بقوله:

يا بنـــت ياللـــي عـــن حـــوالي تســـالين

وجهـــي غـــدت حـــامي الســـمايم بزينـــه

أســــهر طـــوال الليـــل وانـــتي تنـــامين

وان طـــاح عنـــك غطـــاك تســـتلحفينه

أي: أنَّ الخطيم وشليويح يعزوان شحوبهما أمام المرأتين لما يتعرضان له من الشمس وسهر الليالي وكثرة الغزوات تحت وطأة القيظ. وان اختلفت بهم السبل وتعددت البلدان والمواقع والأزمنة ولكنهم يبقون يجسدون لنا الموقف الصادق والشعر الصادق والنموذج الخالد على مر الازمان .

شعراء متشابهون

وتماماً كما قال صخر الغي يتوعد تأبط شراً وكلاهما فارسٌ وصعلوك هذا محدى يتوعد خلف الأذن وكلاهما فارس، فصخر الغي يقول:

فَـــــإِنَّ ابــــــنَ تُــــــرنا إِذا جِئــــــتُكُمْ

أَراهُ يُــــــــدافِعُ قَــــــــولًا عَنيفــــــــا

وَلا أَبغِيَنَّــــــــكَ بَعــــــــدَ النُهــــــــى

وَبَعــــــدَ الكَرامَــــــةِ شَــــــرًّا ظَليفــــــا

فإن محدى يقول:

يــــــا خلــــــف الآذان بالــــــك تغبــــــا

يذكــــــر لنــــــا عنــــــدك قعــــــودٍ جلابــــــه

كما أنَّ شليويح "يخلي الوزنه لربعه ويشوم" ها أن أبا خراش الهذلي يقول:

واغتبــــــق المــــــاء القــــــراح فــــــانتهي

إذا الــــــزاد أمســــــى للمــــــزلج ذا طعــــــم

مخافــــــة أن أحيــــــا بــــــرغم وذلــــــةٍ

وللمـــوت خـــير مـــن حيـــاة علـــى رغـــم

وكذلك يقول أبو خراش:

وَإِنّي لَأَهـــــدي القَـــــومَ في لَيلَـــــةِ الـــــدُجى

وَأَرمـــي إِذا مـــا قيـــلَ هَـــل مِـــن فَـــتىً يَرمـــي

يقول شليويح:

ان قيلـــــــو ربعـــــــي بخطـــــــو الســـــــلالة

انا رقبيـــــــــتهم بعـــــــــالي الرجـــــــــومي

وإذا كان حريث بن عتاب ناهب سجستان يقول عن نفسه:

غُــــــــلامٌ قُلَيعِــــــــيٌّ يَحُــــــــفُّ سِــــــــبالَهُ

وَلِحيَتُــــــــهُ طــــــــارَت شَــــــــعاعاً مُقَزَّعــــــــا

غُــــلامٌ أَضَــــلَّتهُ النُبــــوحُ فَلَــــم يَجِــــد

بِمـــــا بَـــــينَ خَبـــــتٍ فَالهَبـــــاءَةِ أَجمَعـــــا

فإنَّ شليويح العطاوي يقول:

طـــــارت عمايمنــــــا وطــــارن الاجعــــاد

وتبيـــــنن عقـــــب الغيـــــا بالبيــــاني

ويقول أيضاً في قصيدة أخرى:

واضـــوي اليـــا صـــكت علـــيّ النـــوابيح

واللـــي قعـــد عنـــد الركـــاب مخـــدومي

ويقول أبو النشناش:

إِذا مـــا غَنمنـــا مَغنَمـــاً كـــانَ قِســـمَةً

وَلَمَ نَتَّبِـــــع رَأيَ الشَّـــــحيحِ المتـــــارِكِ

ويقول شليويح:

واليـــــا رزقنـــــا الله بـــــذود المصـــــاليح

يصـــير قســـمي مـــن خيـــار القســـومي

ويقول فضالة بن شريك:

أقـــــول لغلمـــــــتي شــــــدوا ركـــــابي

أفـــــارق بطـــــــن مكــــــة في ســــــواد

ســـــــيبعد بيننــــــا نـــــص المطـــــايا

وتعليــــــــــــــق الأداوي والمــــــــــــــزاد

يقول شليويح:

ياهـــــــل الركايـــــب علقـــــوا فــــــوقهن زاد

حطـــــوا علــــــيهن مـــــــن خفـــــاف الا واني

يامــــــاهن مــــــن غـــــب الاثنـــــين ميعـــــاد

لا مالـــــــت الفيـــــة علــــــى المســـــــنحاني

ويقول قيس بن الحدادية:

وأبنـــــا بإبــــل القــــوم تحـــــدى ونســـــوةٍ

يبكـــــين شـــــلواً أو أســــيراً مجرحــــــا

غــــداة ســـــقينا أرضـــــهم مــــــن دمائهـــــم

وأبنـــــا بأدمٍ كـــــن بالأمــــــس وضحــــــا

ويقول شليويح:

واليـــا حصـــل عنـــد الركايـــب ضـــلاله

انا نطـــــيح للعيـــــال القرومـــــي

وكـــم شـــيخ قـــوم ناثـــرين دلالـــه

وغنايمـــه بايمـــان ربعـــي قســـومي

ويامـــا عطينـــا كـــل وضـــحا جلالـــه

نمشـــي علـــى عاداتنـــا والســـلومي

نماذج أخرى

ومن هنا فإننا إذا ما أخذنا محدى الهبداني وشليويح العطاوي كنموذجين للتماثل والتشابه بين أقرانهم الجاهليين، فإنَّ المسألة لا تتوقف إلى هذا الحد بل تتعداه إلى تطابقات وتماثلات أكثر لدى شعراء آخرين فها هو المرار الفقعسي يقول:

فَيــــا مُوقِـــدَي نارِي ارْفَعاهــــا لَعلَّهـــا
تُضـــيءُ لِســـارٍ آخِـــرَ اللَّيـــلِ مُقـــترِ
وَمـــــاذَا عَلَيْنــــا أنْ يُوَاجِـــــهَ نارَنَا
كَـــرِيمُ المُحَيَّــــا شــــاحِبُ المُتَحَسَّــــرِ

بينما يقول دغيم الظلماوي:

يا كليـــب شـــب النـــار ياكليـــب شـــبه
يا كليـــب شـــبه والحطـــب لـــك يجـــابي
باغٍ الى شـــــــــبيتها واضـــــــــلهبه
تـــدعي لهـــا ربعـــن ســـراتن غيـــابي

وكذلك إذا كان مالك بن الريب يقول:

فَفِــــي الأَرْضِ عَـــنْ دَارِ الْمَذَلَّــــةِ مَـــذْهَبٌ

وَكُــــلُّ بِــــلاَدٍ أَوْطَنَــــتْ كَــــبِلاَدِي

فإنَّ محدى يقول:

دارٍ بــــــدار ولا علينـــــا تحاديــــــد

وأرواحنــــا رب الخلايــــق ضـــــمنها

وتماماً كما يقول الخطيم:

وَتيهـــاءَ مِثكـــالٍ إِذا اللَيـــلُ جَنَّهـــا

تَزَمَّـــلَ فيهـــا المـــدلِجونَ عَلـــى حـــذرِ

فَـــلاةٍ يخـــافُ الرَكـــبُ أَن يَنطِقـــوا بِهـــا

حِـــذارَ الـــرَدى فيهـــا مُهَوِّلَـــةٍ قَفـــرِ

كَـــأَنَّ سُـــــهَيلاً نارُهُ حـــينَ أوقِـــدَت

بِعَليـــاء لا تَخفـــى عَلـــى أَحَـــدٍ يَســـري

وَتَشـــــهَدُ لي العـــوذُ المَطافيـــلُ أَنَّـــني

أَبـــو الضَـــيفِ أُقـــري حـــينَ لا أَحَـــدٌ يَقـــري

هنا رميح الخمشي يمتدح ابن مهيد بقوله:

بليـــل الشـــتا كنـــه نهـــار مـــن الصـــيف
بغربيـــة تلقـــا بهـــا شـــرد الغـــيم
عـــوج لحـــاهم مـــن لطمهـــم مشـــانيف
غـــير والـــتلطم والســـوالف مصـــاويم
يزمـــي لكـــم بيـــت يخـــوف ليـــا شـــيف
تســـمع ورى القـــاطع ضـــريس الخـــداديم
بيـــت الصـــخا بيـــت النـــدى مكـــرم الضـــيف
ذبايحـــــه جـــــل البكـــــار المـــــراديم
كلـــن يـــبي مثلـــه ولا هـــي علـــى الكيـــف
يجـــــود مـــــره ثم ينكـــــل لياضـــــيم

والأمـر لا يقتصـر علـى شـعراء الباديـة وفرسـانها المتقـدمين، بـل يشـمل أيضـاً شـعراء الحاضـرة الـذين ينظمـون الشـعر النبطـي، ويتضـح الأمـر جليـاً وبشـكل واضـح لـدى أمـير شـعراء النبـط محمـد بـن لعبـون، فـإذا كان ابن لعبون يقول مثلاً:

ضـــــــحكتي بيـــــــنهم وانا رضـــــــيع

ماســــــوت بكيـــــــتي يـــــوم الـــــــوداع

فإنَّ أبا العلاء المعري يقول:

إن حـــــــــزناً في ســــــــاعة المــــــــوت

أضــــــعاف ســــــرور في ســــــاعة المــــــيلاد

وكذلك يقول ابن لعبون:

أزورك وجلبــــــاب اســـــود الليــــــل دفــــــتي

وأعـــــود وحاشـــــية ابـــــيض الصـــــبح ســـــروالي

فإنَّ المتنبي يقول:

أزورهـــــــم وســـــــواد الليـــــــل يشـــــــفع لي

وأنثـــــــني وبيـــــــاض الصـــــــبح يغـــــــري بي

وكذلك يقول ابن لعبون في توبته:

كـــــل شـــــيء غـــير ربـــــك والعمـــــل

لـــــو تزخـــرف لـــــك مـــرده للـــــزوال

فإنَّ لبيد بن ربيعة يقول:

ألا كـــــل شـــــيء مـــا خـــلا الله باطـــــل

وكــــــل نعــــــيم لا محالــــــة زائـــــلُ

ويقول ابن لعبون:

ودارٍ أخـــــذها والقنـــــا يقـــــرع القنـــــا

كمـــــا دار بالقطـــــب الشـــــمالي نجومهـــــا

ويقول المتنبي:

ودارٍ أخـــــذها والقنـــــا يقـــــرع القنـــــا

ومـــــوج المنـــــايا حولهـــــا مـــــتلاطمُ

***

السليك بن السلكة مشعان بن عيد الشيباني:

ويورد أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني:أغار السليك بن سلكة على بكر ابن وائل، وكان من العدائين المشهورين، وسمعوا به وأخذوا يتصيدونه فشرب من الحوض حتى ثقل وطاردوه، فلجأ إلى خيمة فتاة اسمها "فكيهة"، واحتمى بها وأجارته وقال في ذلك:

من الخفرات لم تفضح أخاها
ولم ترفع لوالدها شنارا
كأن مجامع الأعضاء منها
نقا درجت عليه الريح هارا
يعاف وصال ذات البذل قلبي
ويتبع الممنعة النوارا
فما عجزت فكيهة يوم قامت
بنصل الصيف وانتشلوا الخمارا

ويقول منديل الفهيد**(109)** في الجزء الرابع من آدابنا الشعبية : كان مشعان ابن عيد الشيباني من المشهورين بالحيافة والشجاعة، وكان من العدائين المشهورين، وفي إحدى حيافاته نذرت به امرأة بعد أن

(109) – منديل بن فهيد بن منديل الفهيد (1338هـ-1425هـ) شاعر وراوي سعودي اهتمّ بالأدب الشعبي بتدوينه وتوثيقه في العديد من الأعمال الورقية والصوتية .

استيقظت فلحقوه فسقط في (خباره)، فأدركوه فتبادلوه بأسلحتهم يمزقونه حتى تيقنوا أنهم أماتوه، وقد كتبت له حياة فقد زحف آخر الليل إلى البيوت، فشعرت به صاحبة البيت فأدخلته إلى ذرا البيت . وفي الصباح أرادوا دفنه فمنعهم صاحب البيت واعتبره جاراً له فعالجه حتى برىء وبهذه المناسبة قال :

ضويت يوم الابل هبهب ضريبه

في ليل برد وتالي الليل ممطور

بغيت مرحول الفريق اغدي به

وغلب نصيب اللي كما قايد الحور

عيا نصيبي لا يبطل نصيبه

وصبر اليا جاني من الرب مقدور

قلنا مسبقاً إنَّ الأدب الإنساني يتواصل، ويتماثل عبر الأجيال مهما اختلفت الأماكن والأزمنة واللغات باعتباره اللغة المشتركة والتجربة المشتركة لسائر شعوب الأرض، وهذا ما يميز الأدب الشامل عن الأدب الذاتي في رؤيتنا الكلية للثقافة العالمية

تماثلات إنسانية

دولفورين نياما ، سلطين الحبلاني ، الشاعر دوفو Du Fu

يقول الشاعر المنغولي "دولفورين نياما:"

هنالك أثفية ثلاثة

متقابلة على بعض الرماد

أوقدها أحدهم بعنف وحرارة

ولكنها على جانب الجادة المهجورة

أصبحت ذكرى قديمة لقوم رحلوا

لربما كان يجلس حولها أب وأم وابن

أب وأم وابن

ولكنهم

تفرقوا في البوادي.

ويقول الشاعر البدوي "سليطين الحبلاني:

يـــا دار ويـــن الـــلي نـــزل بـــك ولا عـــاد
هـــــذا مطـــــب وجارهـــــم والهـــــوادي

بــــس الثــــلاث مراكيــــات وتعــــاد
ومــــا بيــــنهن تــــذري ذواري الســـمادي

ويقول الشاعر الصيني Du Fu دوفو:[110]

يتراءى لي هذا الصقر بأصابع حاذقة

يحدق مقطباً كالهمجي العابس

ناهضاً كفيه قليلاً

ليندفع نحو فرائسه ما إن يسمع صرخة منك

لينقض على جحافل الطيور التي تغطي السهول

ليغطيها بالريش والدماء.

(110) – الشاعر دوفو (ت 770 م) من أعظم الشعراء الصينيين .

ويقول الشاعر البدوي:

واطـــيري اللـــي كـــن عينـــه ســـنا كـــير

ومـــخالبه مـــن كـــثر الادلاء دوامـــي

يـــشدا غـــلام مـــشلح لـــه علـــى بـــير

متـــحيزم يـــسقي صـــياما ظـــوامي

لا صـــار مـــا بـــين الســـلف والمضـــاهير

وحبـــاري كثـــر الجـــراد التـــهامي

هـــوى عـــليهن يـــنثر الـــريش تـــنثير

وعـــلي انـــا تـــجميعهن بالعســـامي

وهـا أنَّ شـاعرنا محـدى الهبـداني يقـيم معـززاً مكرمـاً لـدى أحـد الشـيوخ بعـدما غـادر قبيلتـه مكرهـاً إلى أن وصـل إلى جـوار شـيخ آواه وأكرمـه، وأحتفـى بـه وبالـرغم مما لقيـه مـن الحفـاوة والكـرم إلا أنَّ الشـاعر سـاءه أن مضـيفه كـان يفـرض علـى أهـل القـرى القريبـة خراجـاً يؤدونـه، فقـال قصيدة يحرض فيها أهل القرى على التمرد حيث قال:

أنـــتم عـــرب مـــن روس قـــوم عرايـــب

وشـــلون ترضـــون الخنـــا والرذيلـــة

مـــــن مــــالكم تؤخـــــذ خـــــراف وحلايّـــــب

يا جبـــــــنكم يا كاســــــبين النفيلـــــــــة

ولــــو هـــــم بـــــني عمـــــي ولـــــو هـــــم قرايـــــب

ممشـــــى الخطـــــأ نشـــــوف بـــــه كـــــل ميلـــــه

أي: أنَّ الشاعر يرفض الخطأ مهما كان حتى لو كان من أبناء عمومته على الآخرين , هذا الموقف يشبه موقف أريش أفريد[111] الشاعر الألماني اليهودي الأصل؛ لأنه هو الآخر هاجم قومه اليهود لأنه رأى فيهم قوماً معتدين على قوم آخرين هم العرب، ومن هنا فقد خاطب قومه اليهود بقوله:

بالأمس عندما كنت مضطهدين

من قبل النازين

كنت واحد منكم

ولكنني اليوم لست كذلك

لأنكم أصبحتم تضطهدون الغير

بالأمس كانت أمنيتكم أن تصبحوا شعباً بين الشعوب

واليوم بعدما أصبحتم كذلك

---

(111) – إريك فريد 1921 – 1988 شاعر ومترجم وكاتب يهودي، واحد من الممثلين الرئيسيين في الأدب الألماني بعد الحرب العالمية الثانية. وهو أيضاً أفضل مترجم لكتابات شكسبير في تلك اللغة.

ها أنكم تغدون كالشعب الذي سفك دمكم –يقصد النازين-
بالأمس صحتم بالمنهزمين أخلعوا أحذيتكم
وطاردتموهم في الصحرا
ولكنهم بالرغم من ذلك (لم ينحنوا ولم يركعوا لكم مثل الضحايا).
واليوم أضحت صنادلهم رمالاً، وبقيت آثار أقدامهم العارية على الصحراء
وهكذا ستظل إلى أن تمحي تماماً آثار دباباتكم وقنابلكم..

***

إذا كنا نتساءل عن سر تكرار هذه الأحداث والمواقف بين زمنين ونمطين مختلفين في حياتين متباعدتين، وإذا كنا نؤمن حقيقة بأنَّ التاريخ يعيد نفسه، فإنَّ الشعر كما يقول اكتافيوبات Octavio Paz:" ينفي التاريخ بل ويكسب الإنسان في النهاية وعياً بأنه شيءٌ آخر وليس مجرد عبور زائل "، ومن هنا فقد حفظ الشعر سير هؤلاء الفرسان الأفذاذ وجعلهم ينسخون بعضهم البعض .



سليمان الفليّح – البدايات

نَدْوَةُ الْحَنْشَلَةِ

أستورد أبي " الصعلكة والحنشلة " من عمق التاريخ والصحراء العربية وأعاد بعثها كحركة غضـب وتمرد بمفاهيمها ومبادئها الفنية والإنسـانية الغاضـبة وفردانيتها الشـديدة مسـتعيراً أرواح شـعراؤها وغضـبهم وأحزانهم فكانوا على الدوام إخوته وشـياطينه وندامان الذين يسـتحضـرهم في كل غيبة للصـحراء، ويستدعيهم للمثول كلما حانت الفرصة وكلما فرضت الظروف وقعها.

كانت " الصـعلكة والحنشـلة " عباءته الفنية والشـعرية والمبدئية الجميلة والكمال الأخلاقي والإنسـاني بنظره فتتبع ورصـد أثارها وشعرها وكتب عنها وعن شـعراؤها بإخلاص حقيقي كسـليل ثقافي وشـعري حضـاري وسـفارة فكرية إنسانية في العصر الحديث.

كانت بداية اهتمام أبي بـــ " الصعلكة " و " الحنشلة " أوائل السبعينيات الميلادية من القرن العشـرين وفق ما أوجبه حينها صـعود الحداثة الشـعرية ، فكان الشـعراء الشـباب وقتذاك يبحثون عن ما يغاير ويميز في إبداعاتهم لذا كانت العودة الى الينابيع الإبداعية والمناجم الشـعرية شـرطاً من شـروط الجماليات وتنويعة أثر لافتة تعطي المشـروعية لمبدعها وهكذا كان ارتباطه الشديد بالصعلكة والحنشلة.

ونضـع بين ايديكم هذه المحاضـرة "مقاربة بين شـعر الصـعاليك وحناشـل البوادي المتأخرين" التي ألقاها أبي – رحمه الله – في رابطة الأدباء –الكويت من ضمن فعاليات مهرجان القرين الثقافي لعام 2013م

الحنشلة

حنش في اللغة الافعى وحنش الشيء صاده والمحنوش المسوق مكرهاً وحنشه شاقه وطرده ونحاه من مكان إلى آخر.

ما أن ضعفت الدولة العباسية آخر أنواء إمبراطوريات العرب والتي كانت تضبط الحاضرة والبادية على حد سواء بسطوه الدولة المركزية، وما أن دخلت الاقوام الاخرى للتحكم الحواضر العربية حتى أنفلتت القبائل وعادت الى جاهليتها الاولى من حيث الغزو والغنيمة فقط وتركت (السبيّ) كونه من أسوأ أخلاق العرب.

أقول إن القبائل (شرّعت) الغزو من جديد وأخذت تمارسه بشكل عنيف ضد بعضها البعض، بل (شرعت) – حرب (المناخات) التي تستمر لوقت طويل حتى (تأكل الإبل اوبارها) لطول المكوث إزاء حرب فيها كر وفرّ إلى أن ويفرم طرفُ الطرف الآخر.

ثم بعد ذلك تتاح (الحنشلة) بين القبيلتين المتصارعتين، وان ينسلّ الحناشل – الذين يشبهون فرسان الجاهلية الاولى لخطف إبل الخصم بشكل فردي أو جماعي لا يتعدى الـ (ثلاثة أشخاص أو أربعه لا أكثر ويكون أحدهم (العقيدة) والآخر أو الآخرون يكونون (الحياف) أو (الحوف) الذين يتسللون لاختطاف الابل وينعس طريقه آسلافهم القدماء الجاهليين فها هو الفارس والحنشولي الكبير شليويح العطاوي يقول:

كـم ليلـة عقلتهـا تضـرس النيـب　　　وانا اتـوحى نـبح كلـب الجماعـة

اهـدي الحـامي واخطـر الاطانيـب　　　وانـدس مهاويـة الجمـل باندفاعـه

ويقول حنشولي آخر من قبيله عنزه أسمه راضي القصّاد العنزي:

أطا مواطيّ الذيب واعدي معاديه　　　اركض برجلين سـباق اخفـافي

وأطلق من الـذود المعقـل نواديـه　　　وأفـرّح الـلـي بـرتجـيـنى خـلافي

أي أنـه مثـل اسـلافه العـدائيين الـذين يمتـدحون أرجلهـم مـن شـده العدو والسرعة كما يقول ابو خراش الهذلي.

فـدى لكمـا رجلي أمي وخـالتي　　　بسـعيكما بين الصـفا والأثائب

وراضـي القصّـاد هنا تمسـك بأخلاق الصـعاليك الأولين الكسـابين الوهابين حينما يقول (وأفرّح اللي برتجينى خلافي).

ومن فرسـان وحناشـل "الجاهلية الثانية" فطحان الجياش الذي كان يحنشـل بمرافقه أبنته الطفلة اليتيمة الأم والتي تحمل معه الزهاب اذ يخاطبها هكذا:

يا رفيّعه يازين صـوت المغنيّ على جهاجيلٍ مع الصـبح سـراح
يا رفيعه كل النجوم أدمحني وحتى قمر عشـرين يا رفيعه طاح
وحنا على سـج النّضـا مانوني نسـري عليها لين فلاج الاصـباح
من حب (وضـحا) للحوير تحنّي نضـوي عليها مرخصـينٍ للارواح
كم خيرٍّ من راس رمحي يوني يا رفيعه خلّوه فالمعتلج طاح)

ومن الحناشـل في الجاهلية الثانية شـايع الأمسـح ذو العين الواحدة وغريبّ الشـلاقي ودبيّ الحربي ومريبد العدواني وصـاهود بن لامي وعذاّل الشـقلّي وجمل بن لبده ومحدى الهبداني ومهجهج الرفيعى وسـلطان بن عزير (ملحق المخليات) وحمد الفيهبان المري الذي يقول مخاطباً صديقه عفيشه:

ودي أغني قام ينهاني عفيشـه وأنا لولا الغناء ما يسـتر بالي
البحر ما الله كتب لي فيه عيشـه جعل رزقي فوق مومية الحبالي

أي الهجن وممارسـه الحنشـلة على أطراف الربع الخالي شـرق المملكة حيث القبائل المتاخمة لقبيلته آل مرة والتي تنجع حتى شـواطئ الخليج ، وبالطبع كل ما ذكرت من

الحناشـــــل الأبطال الذين تعتزّ فيهم قبائلهم على عكس أقرانهم الجاهليون التي تنبذهم قبائلهم وتهدر دمائهم أيضًـــا لكثر جرائرهم وجرائمهم في عرف قبائلهم والتي ينقمون منها أشـدّ انتقام لقاء ذلك النبذ والإقصـاء ولربما المهانة أقول إنه ثمة فرسـان وحناشـل كثيرون في الجاهلية المتأخرة ليس بمســـتطاع الباحث أن يلم بهم بل وحتى أن يتذكرهم قدر المستطاع.

ولكن كل الممارسـات الخارجة عن القانون قد وضـع لها حدّ فى الثلاثينات الميلادية من القرن المنصرم بسبب الاتفاقيات الحكومية وسلطات الضبط لاستتباب الأمن في الصحاري العربية.

الحنشلة السوداء

كما قلنا سابقاً في مقاربتنا بين الصعاليك والحنشل في الجزيرة العربية فأن هناك في السودان مثلاً حناشل لهم نفس المبادئ ويسمون هناك (الهمباتا) وهي تعني (نهب وسلب الإبل فقط وهي تعتبر آنذاك في نهاية السلطنة الزرقاء من ارفع ضروب الفروسية وحياه أولئك الحناشل على غرار حياه أسلافهم الصعاليك القدامى وابناء عمومتهم الحناشل العرب ولهم نفس السلوك والقيّم مثل "**نهب الغني البخيل وعدم التعرض للفقير والمرأة والرجل العاجز**" ويلتزمون بالمرؤة والنجدة والشهامة.

ولعل أبرز من تناولوا هذه الظاهرة الباحث الراحل الاستاذ (الطيب محمد الطيب) ولعل أشهر القبائل التي تمارس (الهمبتة) الجعليين والبطاحين والشكريه في شرق النيل وكردفان وهذه القبائل الأصيلة لا تعترف بالشاب إذا لم يمارس الهمبتة.

ومن سلوك الهمباتى أنه يشرك في الكسب المحتاج واليتيم والارامل والفقراء ومن أشهر أولئك الحناشل السود ود أضحويه الجعلي وطه الضرير ود التركاوي وودعمران. ودفكاك والعطا ودحليلات وعبدالله بن حريكه.

ومن نماذج.. شعر الهمبتة

ما قاله الطيّب ود أضحوية:

لليله النفس أمست حزينه وعامده	وما بتسلى بي برقع حميدة وحامده
فارقنـــا الرباعـــة أبّان قلوبا جامـــده	ناس طه اللحو ضوء القبيلة الهامده

ويقول همباتى آخر:

ما بتدبي لي عنز الفطيم والشـاي	وبعرف سوق بكارن دلتن داداي
بضـــرب ما برايي بخالف الهداي	بعرض عن قراناتن بهز بي ام ياي

أي أنه يترفع عن أخذ الماشـــيه التي تحلب للطفل وهي لا يعرف الاّ نهب النياق. تماماً مثلما يقول الشـــاعر والفارس ســـاجر الرفدي الذي يقول عن فرسه:

ماني معّودهما لكسـب الشـواوي	ولا رددت فرق الغنم في الزويـه

وكذلك يقول أحد الهمباتة بنى حمر:

البكره العليهـا الطقـة والطبـاعـة	انا بعيش فيها ســيبك من هموم وزراعة

وهذا يشبه قول شاعر عنزي يأنف من الزراعة ويبجل الحنشل بقوله:

الزراعـــــه زراعـــــه جـــــدنا　　مـــــاهي لا بجنطـــــه وشـــــعير

اليســـــرى لعنـــــان الفـــــرس　　واليمـــــنى للشـــــلف الشـــــطير

ويقول همباتى ثالث:

عند المقسم نومنا ؤيوم نتضاري　　من لفح الســـــموم بهـــدومنـــا

وهذا يقترب من قول شليويح العطاوي:

واليا رزقنا الله بذود المصـــــاليح　　يصير قسمي من خيار القسومي

واضوي اليا صكت عليّ النوابيح　　واللي قعد عند الركاب مخدومي

وهكـذا ماتـت الحنشـلة تمامـا، وأصـبح ضـربا مـن الماضـي، وتغـيرت حيـاة إنسـان مـن حيـاة البـداوة إلى حيـاة المدنيـة، وانخـرط في الوظـائف العامـة يكسـب رزقـه الحـلال بعـد أن كـان قـبلا يكسـب هـذا الـرزق بالحـرام عـن طريـق الغـزو والحنشـلة واليـوم ونحـن نـنعم بكـل هـذا والأمـن والاستقرار



سليمان الفليّح – البدايات

السِّيرَةُ الذَّاتِيَّةُ

لِطَائِرِ الصَّحْرَاءِ

تعريف النشر

"السيرة الذاتية لطائر الصحراء" هي سلسلة من المقالات كتبها أبي – رحمه الله – في جريدة الجريدة – الكويت، عبر زاويته " هذر لوجيا" مستعرضاً من خلالها أهم المحطات الحياتية والعملية وأهم الأحداث التي مر فيها، بالإضـــافة الى ذكر أسماء الكثير من الزملاء والأصـــدقاء الذي عمل معهم والذين رافقهم منذ الســتينات الميلادية الى نهاية الثمانينات الميلادية. كان أبي متحمس جداً لاستكمال "السيرة" إلا أن توقف .. توقف مفاجئ عن الكتابة ، لذا استأنفها الى وقت آخر ولكن كان الأجل أقرب. ابتداء أبي في كتابتها من 31 10-2007 إلى 24-09-2008 على مدى عاما لذا نضعها كما هي.

راجع/ الممقدرمة م/ج 1

بطالة الغُزاة

في أواخر الستينات الميلادية من القرن المنصرم تركت المدرسة المتوسطة وأنا أتأبط بدلاً من الكتب المدرسية روائع الأدب العالمي مثل «البؤساء» لفيكتور هوغو، و«دكتور زيفاكو» لباسترناك و«المعطف» لغوغول وروايات شارلوت برونتي «مرتفعات ويذرنج» و«ذهب مع الريح» و«الدون الهادئ، ثم «بين القصرين» و«خمارة القط الأسود» لنجيب محفوظ وجميع أعمال محمد عبدالحليم عبدالله الذي لا أعرف اليوم كيف توارى عن المشهد الروائي وكان بالنسبة إلى جيلي أهم من نجيب محفوظ وإحسان عبدالقدوس ويوسف السباعي، لكنه بالطبع ليس أهم من يوسف إدريس الذي كنا نراه روائياً تقدمياً وأكثر «شبابية» من الآخرين. أقول حينما تأبطت تلك الكتب وهي الحصيلة التي خرجت بها من «العلام» كله ـــ على ما يقول إخواننا المصريون ـــ قبعت في ديوانية عمي «سعين بن باطح العنزي» المشهور بـــ «أبي المزنوك» في عشيش «الشدادية» وتفرغت لـــ «صب القهوة» لـــ«الشيّاب» الذين يفدون إليه يومياً من مختلف القبائل والذين كان يدور جل حديثهم عن الغزوات القبلية و«الحنشلات» والصعلكة التي كانوا يمارسونها ضد بعضهم البعض قبل استتباب الأمن في المنطقة وصدور قوانين منع الغزو في بداية الثلاثينات من القرن الماضي.

وأصبح الغزاة الآن يمارسون البطالة واجترار الماضي، التعيس بالنسبة إلينا، السعيد بالنسبة إليهم، والذي أصبح مجرد ذكريات يفخرون بها ويتندرون على بعضهم حينما ألقوا رماحهم وسيوفهم وسلموا بنادقهم إلى السلطات. كنت أصغي أحياناً بشغف حين تحتدّ بينهم المناقشة حول من أوقع صاحبه عن الفرس أو «الذلول» بطعنة نجلاء غير قاتلة، وكيف منعه «أسره» ووفر له الأمان في ساحة الوغى رغم أنه من الأعداء. وكنت أتعجب كيف يكشف أحدهم للحاضرين عن طعنه صاحبه الذي يقابله الآن في المجلس ويحتسون القهوة معاً بكل أمن وأمان ويضحكون من سخريات القدر في ذلك الزمن، ذاك الزمان الذي جعلهم أحبة وأصدقاء لهم ذكريات حميمة مشتركة. لذا تجد في ديوانية «أبي المزنوك»:" الفارس الظفيري، والفارس الشمري، والفارس المطيري.

بالطبع كلهم الآن فرسان أو «قتلة» متقاعدون، بل لصوص عتاة يمارسون الحنشلة و«السطو» على إبل بعضهم بعضاً في السابق ويعتبرون ذلك ضرباً من البطولة مثلما كان يفعل أسلافهم الجاهليون. واليوم إذ أستعيد وجوههم المتجهمة وجباههم العالية ولحاهم الجليلة الشمطاء أحس بقصور فادح لأنني عرفت أهميتهم فيما بعد.

حينما كبرت وتوسع اطلاعي على تاريخ المنطقة، وجدت بعض أسماء أولئك الغزاة ووقائعهم ترد في بعض مؤلفات المؤرخين المتأخرين من

الأجانب الذين كان لهم دور سياسي في المنطقة مثل (دكسون)، وغلوب، وليتشمان والحاج عبدالله (فيلبي). إنني أحس الآن بقصور؛ لأنني لم أكن حقيقة أعرف أهمية أولئك الرجال الذين كانوا جزءاً من التاريخ.

إلاّ أنني أبرر ذلك القصور وعدم الاهتمام بأنني كنت حينما ينشغلون في (المعاياه) و(المعايرة) والنقاش أفتح كتاباً من روائع الأدب العالمي أستغرق في قراءته وأنا أجلس خلف الوجار أو (الوجاق) أو موقد النار وأقول في نفسي: يا للمتخلفين!! لكنني ـ أحياناً ـ كثيراً ما أجد نفسي مشدوداً بانشداه إلى وصف موقف تاريخي كان اثنان منهم شاهدين عليه، وكان كل منهما آنذاك في صف عدو الآخر كما هي طبيعة القبائل وزعمائها في ذلك الزمان، وأعني بذلك منذ مطلع القرن العشرين حتى الربع الأخير منه الذي أصبحت فيه تلك الأحداث العاصفة مجرد ذكريات نجترها اليوم.

وكان عمي أبو المزنوك ـ رحمه الله ـ، وكما يذكره جيداً الصديق والزميل وابن قبيلتي سعود راشد العنزي الذي سوف يجيز هذه المقالة، شخصية طريفة لم تفارقه (اللثمة أو اللطمة) الجزئية التي تغطي نصف وجهه حتى مات، كان راوية رائعاً، وشاعراً ساخراً، وعاشقاً أزلياً حتى قبل أن تغيبه

الأيام، وأنا إذ أستشهد بـ (أبي راشد) فلأنه قد أدركه في سنواته الأخيرة إذ كان جاراً له في مدينة الجهراء، ولكنه لم يكن يدرك أنه (جوّاب آفاق) خطير.

أقول: إن ذلك الوضع المتناقض بالنسبة لي أي نزوعي الثقافي التقدمي وتطلعي إلى المستقبل من جهة كانت تجاذبه من ناحية أخرى (ثقافة الصحراء!!) التي تشدني إلى الخلف. ولكنني ـ ولله الحمد ـ استطعت أن أوازن بين التجاذبين، وأستفيد من ثقافة المدينة وإرث الصحراء كما قال أستاذي الراحل خالد سعود الزيد ـ طيّب الله ثراه ـ: (تلتقي المدنية بخبرتها، والبداوة بفطرتها في شخص العبد الله)، وبالرغم من أن المفردة الأخيرة (العبد الله) هي من حقوق الملكيات الصحفية الخاصة بصديقنا الكبير أبو نواف ـ سليمان الفهد (ما غيره) والذي سأتحدث عنه لاحقاً باعتباره المفتاح الذهبي لي في الدخول إلى عالم المدينة.

حينما كنت (أقعد) في ديوان عمي لمجرد تقديم القهوة لـ (شيبان البدو) باعتبارهم آخر (فلول) الغزاة بعد أن نزعت الحكومة المركزية بنادقهم ورماحهم، وترجلوا عن خيولهم المطهمة، وهجنهم النجيبة، وذلك عبر اتفاقيات سلام تحدّ من الغزوات القبلية أبرمت في الثلاثينات من القرن الماضي بين دول المنطقة ـ أقول إنني حينما كنت أجالس أولئك (الكهول ـ العُتاة) الذين تشم من

أحاديثهم (الشـــائقة) غبار المعارك وتســـمع صـــليل الســـيوف وأزيز البنادق و(هلاهيل) الصبايا لهم في الزمن الغابر كنت كثيراً ما أهرب في خيالي من خلال قراءاتي للروائع العالمية ـــ أثناء حديثهم ـــ أحياناً إلى مرتفعات وذرينغ، أو (نهر كواي)، أو ثلوج ســـيبيريا غير عابئ بما يقولون هذا إن لم أســـتفزهم أحياناً وأشاركهم بكل محبة ـــ وأقول لهم إنه من العدل تسليمكم للإنتربول الدولي أو محكمة الأمن باعتباركم مجرمي حرب وقتلة ولصـــوصـــاً؛ الأمر الذي يجعلهم يتوحدون فجأة ضدي رغم خلافاتهم القبلية (السابقة) و(يشنّون) عليّ (غارة) شعواء كما كانوا يفعلون في السابق، ويمطرونني بوابل من الشتائم بدلاً من وابل من الرصـــاص، كما كانوا يفعلون وذلك بقولهم: هل تعتبر الفارس قاتلاً؟ هل تعتبر (الحنشولي) لصاً أيها المتمدن (الجابان)ـــ أي الجبان ـــ يردفون ممتدحين بعضـــهم البعض، هل تعتبر «فلان الفلاني أخو فلانة راعي الفلانة» لصـــاً أيها (الرخمة)؟! إن ليلة من ليالي (حنشلاته) تسوى زمانكم هذا كله، وبعد أن أثير عاصفتهم الهوجاء أنفحهم فنجاناً من القهوة فيهدؤون، ويقولون: ولكن أحسن ما فيك أنك تعمل القهوة لنا، ولست من (الشباب الطايش) و(المتخنفسين) ويقصدون بذلك الشباب الذين كانوا آنذاك يطيلون شعورهم على طريقة فرقة (البيتلز) الإنجليزية التي اشتهرت في عقد الستينات، وبالطبع كان السبب في إطالة شعورهم هو أن أحد عازفي الفرقة (أصلم) أي مقطوع الأذن؛ ولذلك كان يســـتر هذا العيب بالشـــعر المنســـدل على صـــدغيه، وهكذا جاملته فرقة البيتلز

وأطال أفرادها شعورهم لكي تتوحد (الجوقة)، وكان أن أصبح مشهدهم موديلاً لشـــباب ذلك الزمان. وبالطبع كان أولئك (الشـــيبان) الغزاة يعيبون على (الشباب) إطالة شعورهم وهم كانوا يربون (الجدايل) ويفخرون بها(!!!)

الصعلوك في الجيش

لم يكن ينقذني من هذا الروتين المتناقض (قراءاتي وسوالف الشيبان) سوى مدرس اسمه أحمد العتيبي (الله يذكره بالخير) كان يحب هذه (السوالف، وكان يأتي أحياناً لأخذ (حصة) من التخلف عصراً... ويُدرّس حصة في التقدم صباحاً للتلاميذ، ثم يذهب (يكدّ) على سيارته (العبري) ـــ أي التاكسي في المساء؛ لزيادة دخله الشهري، وكان بمثابة المنقذ لي؛ إذ يصطحبني أحياناً؛ لنتحدث وهو (يكدّ) عن الرواية والشعر والثقافة أو نفتح حواراً مع أحد الركاب ليحدثنا عن رواية واقعية من خلال تجربته في الحياة، ثم في نهاية (المكدّة) نتناول بعض السندوتشات و(الكندراي) ــ مشروب كان ينافس البيبسي ــ ثم نختار فيلماً هندياً في سينما الفردوس ـــ وكان ذلك قمة (الوناسة) في ذلك الزمان. وبالطبع لم يستفد أحمد، ولم أستفد أنا بأن يصبح أحدنا روائياً مثل (تشيخوف) أو تولستوي أو ديكنز؛ وذلك لأنني دخلت إلى السلك العسكري، وأحمد انتقل من مدرسة العضيلية إلى مدرسة أخرى، وانقطعت بيننا الصلات؛ إذ إنه ليس في ذلك الوقت من يملك منا (موبايلاً) أو هاتفاً نقالاً، بل حتى تليفوناً عادياً للتواصل والاتصال!

منذ النصف الأول للقرن المنصرم (العشرين) كان الالتحاق بالجيش الكويتي (غاية المنى)، بل كان الحلم الأمثل لكل أبناء البادية في الخليج والجزيرة العربية

وبعض البوادي المحاذية لهما والتي يتجول فيها أبناء القبائل التي تنتمي إلى الجزيرة العربية، وكان القبول في ذلك الجيش الباسل يستند إلى التحقق من الأصل القبلي للفرد الذي ينوي الالتحاق بشرف خدمة الكويت، بل كانت هنالك لجنة من الضباط الذين ينتمون لتلك القبائل مهمتهم التحقيق مع المتقدم للالتحاق بالجيش؛ للتأكد من هويته (القبلية) إن لم يكن يحمل الجنسية الكويتية، وفوق ذلك تُعرض طوابير جميع الذين أنهوا إجراءات القبول على اللواء الشيخ صالح المحمد الصباح، وكان خبيراً بالقبائل، ولديه فراسة نادرة في معرفة الرجال، وكان أن كدت أخفق مرتين بالدخول إلى ذلك العالم الحلم ــــ الجيش الكويتي ـ ففي المرة الأولى كانت بسبب اللياقة البدنية التي تُوجب أن يكون وزن الجندي (50 كغم) فما فوق، وكان وزني آنداك (49 كغم)، فأشار علي أحد الرجال ــ الله يذكره بالخير ــ أن ألتهم كيلو موز قبل الدخول إلى الطبيب، وكان أن قبلت بنصيحته فاجتزت الاختبار.

أما المرة الثانية فهي أثناء عرض المقبولين نهائياً على الشيخ صالح الذي كان يرفض المتقدم لمجرد الشكل، بل أحياناً حتى الصورة في الملف؛ ففي أثناء مروره بين الطوابير وكان شخصية مهيبة، وله كاريزما قيادية قلما توجد في الرجال؛ لذلك ما إن توقف أمامي حتى حدجني بنظرته النفّاذة الحادة وحاجبيه المقطبين، وسألني على الفور (من أين أنت يا بوعيون زرق؟!)، وقبل أن أقول له أنا (عنزي) انطلقت جملة من أحد المدربين الذين كانوا يسيرون خلفه بقوله: ابن

عم يا طويل العمر!! فأدار وجهه عني وحدق بالمدرب بعيني صـقر يقدح منهما الشــرر، وقال له بغلظة: ومن ســألك أنت؟ ثم أكمل مســيرته يتفقد الطوابير. وفهمت فيما بعد أن المدرب الذي أخذته النخوة القبلية كادت أن (تطير رتبته العســكرية وكان برتبة (عريف)، ولكنه قال للشـيخ بكل شـجاعة: لأول مرة يا ســيدي تخذلك فراســتك، ولم أكن أريد لك ذلك؛ لأنك إن كنت تشــك في (أصــلنا كلنا أبناء هذه القبيلة التي تخدمك بإخلاص)، فشـكك في أصــل هذا الرجل جائز؛ لأننا (نخصّه ونقصه) فلم ينبس الشيخ صالح بكلمة واحدة سوى: انصــرف يا عريف، وهكذا التحقت بالجيش الكويتي الباســل، والذي كان منذ التأســيس جيشــاً عظيماً انتقائياً احتوى على خيرة الشــباب من أبناء القبائل العربية الأصيلة.

التحقت بالجيش الكويتي الباســل، وأقول الباســل فعلاً لأنه قد شــارك في كل الحروب العربية الإســرائيلية على جبهات القتال منذ عام 1967م حتى عاد إلى أرض الوطن في 1974 بعد حرب اكتوبر المجيدة وكان أداؤه رائعاً على الجبهتين المصــرية والســورية وقد ســقط منه الكثير من الشــهداء الأبرار الذين امتزجت دماؤهم الطاهرة بدماء إخوانهم العرب دفاعاً عن حرب الاســتنزاف وخصــوصــاً على الجبهة الســورية الأمر الذي أتمنى من خلاله أن يســجل القادة العســكريون الذين شــاركوا في تلك الحروب من الضــباط الكويتيين تفاصــيل وذكريات تلك المشاركات لأن التاريخ لا يحفظ إلاّ ما يُسجل على صفحاته من أفعال.

أقول التحقت بالجيش الكويتي في عام (1970م) وبعد التخرج من مدرسة التدريب وعملي لسنة واحدة ككاتب سلاح ثم كاتب في جناح الرياضة في المدرسة اسندت رئاسة الأركان العامة للمقدم الراحل وجيه المدني طيب الله ثراه، مهمة تشكيل ركن التوجيه المعنوي في الجيش الكويتي، وكان (أبي طلعت) وجيه المدني -يرحمه الله- خبره في تشكيل بعض ألوية الجيش الكويتي، وكان حينها قد عاد بعد صدمة تاريخية تلقاها من جامعة الدول العربية حينما اكتشف كما كان يقول دائماً أنه (لا أحد من العرب يفكر جدياً بتحرير فلسطين وأن العرب سيصالحون يوماً الاسرائيليين)!!!

قول تلقى (الصدمة حينما تطوع بعد استئذانه أمير الكويت أن يلتحق بأحمد الشقيري لتأسيس جيش التحرير الفلسطيني وقد ضحى أبو طلعت يرحمه الله بكل الامتيازات التي حصل عليها من الكويت باعتباره فلسطينياً مخلصاً لوطنه الأم – فلسطين – كـ (الجنسية الكويتية والرتبة العسكرية – مقدم آنذاك) تلك الامتيازات التي كانت (حلماً خرافياً) لأيّ عربيّ في ذلك الوقت وفوق ذلك لبّى أبو طلعت رحمه الله النداء ولكنه سرعان ما عاد من جامعة الدول العربية مخذولاً – لما كان يجري خلف الكواليس واستعاد بأمر من أمير البلاد كل امتيازاته الكويتية السابقة وبقي يرحمه الله مخلصاً للكويت حتى توفاه الله، وأذكر أن أبناءه حملوه مريضاً عاجزاً أثناء الاحتلال العراقي للكويت إلى أرض المملكة العربية السعودية ولكنه كان يلح عليهم أن يعيدوه إلى أرض الكويت ليحتضن ترابها

جثمانه الطاهر وبالفعل كان له ذلك لأنه كان كما أعرفه عن قرب يعشق الكويت حتى الموت.

وحينما شكل أبو طلعت التوجيه المعنوي كنت قد تعرفت في مدرسة التدريب على القاص الإماراتي المبدع محمد حسن الحربي وكان يكتب حينها الخواطر التي تشبه القصص القصيرة وكنا آنذاك مجرد جنديين لنا اهتمام بالأدب وكنت أُسمعه ما أكتب من الشعر ويطلعني على ما يكتب من القصة، فسمع بحكايتنا (وجيه المدني) ونقلنا من المدرسة إلى ركن التوجيه وكانت تلك النقلة هي الباب الشاسع إلى عالم الإعلام.

قرر وجيه المدني يرحمه الله إدخالي إلى دورة في التحرير الصحفي في جريدة السياسة الغراء وذلك لتأهيلي (مراسلاً حربياً) أما محمد الحربي فقد أدخله إلى دورة في الإذاعة لينقل رسائل الجنود الصوتية إلى أهلهم وذويهم من الجبهة (المصرية) ومن خلال تلك الصداقة التي ربطتني بالحربي فقد أتيح لي أن أتعرف مبكراً على كتابات أدونيس وصادق النيهوم وعبد الله القصيمي وكولن ويلسن وإسماعيل فهد إسماعيل وكل الكتاب المثيرين في ذلك الوقت بالرغم من أن عقولنا (الغضة) وثقافتنا المتواضعة لم تكن تحتمل استيعاب تلك الأعمال ولم أكن أعرف كيف كان الحربي يتوصل إلى هذه الأسماء إلى أن اكتشفت أنه كان يستعيرها من مكتبة الصديق الراحل المقدم خضير محمد الحربي يرحمه الله والذي

كان مثقفاً نادراً في ذلك الزمان، ثم صار لدينا رافد آخر هو المكتبة الكبيرة التي كانت تزدهي بأمهات الكتب والتي أسسها الأستاذ (وليد كرداسي) بأمر من وجيه المدني وكان وليد هو أول من دربني على صياغة الخبر وأتيح لي أن أتعرف من خلاله على نجوم الصحافة في السبعينات كالأستاذ خالد قطمة ونجيب عبد الهادي يرحمه الله وبشير بوارش ومصطفى أبو لبدة وكان الجميع مبهورين بـ (ولدٍ فلته) اقتحم عالم الصحافة، جاء من عشيش المقوع اسمه (حسين العتيبي) إذ كان أول عمل صحفي له بمثابة (خبطة صحفية) أخذ يتحدث عنها الجميع ألا وهي استطلاع جريء عن (البغاء في العشيش) وقد نشره إن لم تخني الذاكرة في مجلة اليقظة التي كان يملكها آنذاك الأستاذ (أبو نضال – خالد قطمة) وفي أول لقاء لي مع خالد قطمة طلبت منه أن (يعرّفني) على ذلك الشاب البدوي القادم من عشيش المقوع والذي أصبح حديث المجتمع وأعني بذلك الصديق – لاحقاً – حسين العتيبي فما كان من أبي نضال إلاّ أن (نادى) حسين العتيبي وعرّفني به وقال لي أرجو أن تصبح صحفياً جريئاً مثله ما دمتما بدويين قادمين للمدينة من العشيش ثم ربطنا بتحقيق مشترك هو تغطية مناورة للجيش الكويتي في الصحراء الأمر الذي جعلني أعرف (أبا ناصر – العتيبي) جيداً في تلك الرحلة التي ربطتني بصداقة أبدية معه حتى اليوم والتي كانت مفتاحاً للدخول إلى عالم (الـ عبد الله) سليمان الفهد الذي كان نجماً (ملعلعاً) في سماء الصحافة في أوائل السبعينات كما أن (المقادير) أو صدفة الأقدار قد جمعتنا (جميعاً– أبو

نواف الفهد – وحسين العتيبي وأنا) في بلاط جريدة السياسة أو على (بلاطها) حينما كنت متدرباً فيها وكانت حينها تعج بنجوم الثقافة والأدب والفن والإبداع (أحمد الربعي – عبد اللطيف الدعيج – عبد الله النفيسي – ناجي العلي وعبد الله المحيلان، سميح سماره، صالح عباس، مصطفى أبو لبدة، محمد زين، جلو دلال وزجها الراحل (قاسم أفيوني)، أبو الخير – يرحمه الله –

قلت إن جريدة «السياسة» في مطلع السبعينات الميلادية كانت تعج بالكتّاب المبدعين من مختلف المدارس والاتجاهات، وذكرت منهم الصديق الدكتور أحمد الربعي (شفاه الله)، والزميل عبد اللطيف الدعيج (أبو راكان) الذي كان نائباً لرئيس التحرير الأستاذ أحمد الجارالله والذي علّمنا (أي أحمد) – بصدق – وهذه شهادة للتاريخ – كيف تكون حرية الصحافة وكيف يكون الكاتب حراً برأيه حتى ولو كان معاكساً لرأي رئيس التحرير وتوجهات صحيفته أيضاً، لدرجة أننا نحن كتّاب الصفحة الأخيرة في مرحلة زيارة السادات للقدس كنا نكتب ضد تلك الزيارة بل ضد رئيس تحريرنا (أبو مشعل الجار الله)- الذي كان مؤيداً- لتلك الزيارة، لذلك كان يجد القارئ أننا كنا نشتم الجار الله على الصفحة الأخيرة وهو يشتمنا على الصفحة الأولى من جريدته «السياسة». وبالرغم من ذلك كان يحترمنا ونحترمه ولو أننا كنا (نعيّره) حينما يقول لنا (أنا ليبرالي)، وذلك لزعمنا – آنذاك – أن الليبرالي – هو من لا موقف له ولا التزام أيديولوجي في الوقت الذي أصبحت فيه هذه المفردة اليوم والمتعلقة بـــ (الحرية)

أو هي ترجمتها الحرفية (ليبرتي) تعنى لدى العامة أو من شوهوها لهم هذه (الخلطبيطة) من الاشتراكية والقومية والوطنية والتقدمية والانفلات والإلحاد والعياذ بالله. وجرى عليها مثلما جرى على (الحداثة) من تأويل وتشويه.

ما علينا من ذلك كله – أقول كانت جريدة «السياسة» تجمع كل الأطياف (الشيوعي والبعثي والقومي العربي والمنتمي للإخوان المسلمين والحكومي والمعارض والبوهيمي والفوضوي والصعلوك ومن مختلف الأقطار (اللبناني والمصري والفلسطيني واليمني والسوداني والسوري والحضري والبدوي – على حد سواء).

وكانت الألفة والعلاقة المشوبة بالمحبة والتقدير تسود هذا الجو العاصف الموّار، لدرجة أنهم يختلفون على صفحات (الجريدة) ويسهرون في الليل معاً في بيت أحد الزملاء بغض النظر عن جنسيته أو أصله أو اتجاهه، وأذكر أنه اجتمع في جريدة «السياسة» في أواخر القرن المنصرم أسماء عربية هامة مثل محمود السعدني من مصر، وحسن العلوي من العراق، وناجي العلي من فلسطين، وقاسم أفيوني من لبنان، ومصطفى أبو لبده من فلسطين، ناهيك عن أسماء مبدعة كما قلنا مسبقاً من كويتيين مثل سليمان الفهد، وعبد الله المحيلان، وأحمد الديين، وعبد الله النفيسي وحسين العتيبي، وفيصل القناعي، وأنور حماطي، وعبد اللطيف السعيد (جهراوي)، ومطلق مساعد العجمي، والشاعر

المبدع فيصل السعد الذي فتح لي بوابة الشعر وأضاء لي طريق الإبداع، وقادني إلى رابطة الأدباء لألتقي بالأب خالد سعود الزيد -يرحمه الله- ومن ثم المرحوم عبدالله العتيبي وخليفة الوقيان.

وأذكر من الزملاء الآخرين الكابتن رمزي عطيفة، محمد الحبروك، محمد عبد الحميد، فايز كركوتلي، نبيل غزاوي، عبد اللطيف الأشمر الذي كان سكرتيراً للتحرير وهو أول من (زرّق) لي زاوية في صفحة المجتمع كان اسمها (مخاريز) وكنت أوقعها باسم (مخراز) وكانت عبارة عن قصائد شعبية ساخرة تنتقد بعض الأوضاع الاجتماعية في البلد.

وهذه الزاوية هي التي شدت انتباه سليمان الفهد إلى ذلك الولد البدوي القادم من صحراء العطش ومداين الصفيح والخشب، إذ أذكر أن العبد لله – هكذا كنا نسميه لشغفنا فيما يكتب في زاويته (سوالف)-، أذكر أنه جاء إلى الجريدة في إحدى ليالي الشتاء وكان يرتدي معطفاً طويلاً يذكّرني بغوغول في روايته الخالدة (المعطف)، وصهل بسعلته العتيرة وشاربيه اللّذَين ينسدلان على حنكيه قبل أن يدخل إلى مكتب الزميل محمد زين: أنا جاي أتعرف على مخراز ووينه هالمخراز؟! حقيقة لقد قفز قلبي من الفرح – ولكن عنفوان الشباب أبى أن أكون (مندلقاً) (هكذا سبهللا) – هذه من عباراته- وأرتمي بأحضان أستاذي الذي شغفت بكتاباته قبل أن أراه.

لذلك قلت: (أركد يا ولد خلك ثقيل. اللي (يبيك يجيك) هكذا علمتنا (القبيلة!!) وبالطبع اختفى صوت أبي نواف في مكتب محمد زين و(التمّ) حوله بعض الزملاء الذين كانوا يحبونه كثيراً ولم يطل بي الانتظار إلا وأم الخير (جلو دلال)، هكذا اسمها المختصر لـــــ (جل الخالق دلال أفيوني) – تصـــرقع – بشـــتائمها العتيدة كالعادة وهي تشـــخط بالمحررين بلا رحمة (وينو هالزفت البدوي؟!) وبالطبع هذه من أقل شـتائمها وطأة – وبالمناسـبة فإن أم الخير الله يذكرها بالخير – كانت ولا زالت – شخصية مُهابة – في العمل.

قلت إن العبد لله – سـليمان الفهد – كما كان يسـمي نفسـه ويسـميه القراء حينما أتى إلى الجريدة وسـأل عن ذلك الذي اسمه (مخراز) والذي هو (أنا) كاد قلبي أن يقفز من الفرح، لأن التلميذ سـيكون أمام أسـتاذه الذي لم يره وحينما أقول إن سليمان الفهد أستاذي في الصحافة وخصوصاً في كتابة المقالة، فإنني لا أجد ضـيراً من ذاك، فلمَ لا، ولمَ لا نردّ الفضـل إلى أصـحابه ولمَ تأخذنا العزّة العمياء دوماً كعرب مصابين بتضخم الأنا و(التوحد)، إذ إن واحدنا مهما صُغر شـأنه يعتقد أنه (الفهيم) الأوحد والمبدع الأوحد والزعيم الأوحد، مما أوصلنا إلى ما نحن فيه من (دواهي!) على كافة الأصـعدة بما فيها (الوحدوية)!! وفي صـدد (الأسـتذة) فإننا كثيراً – وكلما زادت – معارفنا نكتشـف أن هذا المبدع العالمي قد تأثر بمبدع عـالمي قبله، إذ أذكر في هـذا الصـــــدد أننا أثرنا في الثمانينات الميلادية وفي جريدة السياسـة كيف تأثر محمود درويش في قصيدته «مرثية لعزل

الدين القلق» بقصـيدة سـعدي يوسـف في مرثية للمهدي بن بركة وهذا الأمر قادنا لأن نكتشـف أن سـعدي قد تأثر بايلوار، وايلوار قد تأثر برمبو ورمبو قد تأثر بأدغار الن بو، وهكذا هي الحياة حتى بالنسـبة للحضـارات، فكيف الحال بالبشـر، ومن لا يصـدق ما أقول فيما يخص التأثر والتأثير فليسـأل الصـديق (طالب سـعيد العنزي الذي أنفق جُل عمره وصـحته بين الكتب في مكتبه الصـليبيخات وهو يكتشـف يومياً كيف تأثر بل أحياناً حد النسـخ – هذا المفكر بذاك المفكر بل كيف أخذ عنه الى حد السـرقة!! ما لنا ولذلك كله، المهم أن سليمان الفهد حينما جاء في إحدى زياراته لجريدة السياسة والتي كان يرسـل مقالاته إليها آنذاك بواسـطة سـائقه السـوري المتجهم دوماً والذي أعتقد أن اسمه محمود إن لم تخني الذاكرة وكان محمود هذا رجلاً يميل إلى السمنة ويعتمر شماغاً يلفه حول رأسه دوماً فيسلّم مقاله (معزبه – أو معذبه) لا فرق أبي نواف إلى مدير التحرير ويمضـي دون أن ينبس ببنت شـفه، الأمر الذي كنا نغبطه عليه؛ لأن لديه من يوصـل مقالته للجريدة وليس مثل بقية الزملاء الذين يأتون من مناطقهم البعيدة لتسـليم مقالاتهم. كـحسـين العتيبي الذي كان يأتي من المقوع وأنا الذي كنت آتي من الجهراء ولم يكن هنالك آنذاك لا فاكس ولا إنترنت ولا ما يحزنون. أقول ذات مرة مرض سائق سليمان الفهد وجاء أبونواف (بقوته الذاتية) ليُسـلّم مقالته، وكان أن سـأل كما قلت عن ذلك الفتى الذي اسمه مخراز، وقلت إن أم الخير قد اقتحمت صالة التحرير وهي تبحث عن ذلك

«البدوي الزفت»، وأم الخير كما قلت لكم كانت شـخصـية مهابة (تشـخط) بأي كان دون حســاب إذ (الويل. كل الويل) لمن يُقصّـر في عمله من المحررين ويقابلها في ممرات الصــحيفة وهي ترتدي بنطال الجينز بشـعرها الأشـعث وسيجارتها العتيدة إذ إنها تصب عليه كل قاموس الشتائم التي تحوّل أي صحفي ضـخم إلى مجرد تلميذ مذنب أمام (ناظر) طاغية!! أقول لعلعت أم الخير في مدخل صـالة التحرير وهي تقول «يا بدوي يا زفت تعاء» وبالطبع (تعييت) صاغراً وقادتني من يدي (كمخالف للإقامة يقوده شرطي في الشويخ الصناعية) ثم قالت وهي تدخل بي إلى مكتب محمد زين حيث أبونواف الفهد (يتمقعد) هنـاك: هيو. الزفت بس مبدع موعـارف حـالو.. وهنـا كـدت أقفز من الفرح وأقبّلها على شعرها الأشعث. لأنه ليس من السهل أن تمتدح أم الخير أحداً في ذلك الزمان بل تعطي شهادتها حتى ولو كانت مخلوطة بـ (الزفت).

و إن (أم الخير) – الله يذكرها بالخير – ويرحم زوجها (أبا الخير)، الأسـتاذ قاسـم أفيوني الذي كان يعمل حينها مديراً للتحرير، بالإضـافة إلى الأسـتاذ مصـطفى أبو لبده والأسـتاذ محمد زين، أقول إنها حينما قادتني من معصـمي الناحل وعرفتني بـــ (العبد الله سليمان الفهد) وقالت (هيو... البدوي (الزفت) لكنه مبدع!! نهض أبو نواف وعانقني كصديق غاب عنه طويلاً وهو يربّت على كتفي، وقال بلهجته النجدية (يا الله حي البدوي)، وبعد السـؤال عن الحال (والذي فيه) قال لي: اسمع ايها الصـعلوك أنك لا تقلُّ إبداعاً عن أحمد فؤاد

نجم، هل تعرف نجم، وحينما قلت له لا، قال لي سـأرسـل لك شـريطه مع (سحس) وكان يقصد صديقنا المشترك حسين العتيبي ثم (فقعني) بسؤال آخر: هل تعرف مظفر النواب؟ فقلت له: بلا أليس هو كاتب أغنية «للريل وحمد» التي يغنيها الفنان العراقي (ياس خضر) أنا لدي ديوانه الذي يحمل اسم الأغنية، فقال لي: أعني هل سمعت قصـائده الفصـيحة؟ فقلت له: لا كل ما أعرفه أنه شـاعر شـعبي، لكنني صـراحة لم أفهم كل مفرداته الموجودة في الديوان، والتي كتبت باللهجة العراقية كما (تنطق)، فقال لي: حسناً، لقد أحضر لي صديقنا سحس (العتيبي) شريطاً رائعاً له وأرجو أن تطلب نسخة منه، ثم أردف حواره معي بسـؤال ثالث: هل تكتب الفصـحى؟ فقلت له بلا، ثم (سـعل) سـعلته الشـهيرة وقال لي: هيا اسمعنا من شـعرك الفصـيح، ثم رحت أنشـد كطالب ابتدائي أمام مدير مدرسة (حمش):

لا يفيه الظل من يفتأ ظله
وانزواء الشمس في الظل مذله
واختفاء الظل فجر الأفاعي
وانبلاج الفجر للخفاش ذله
ذاك أن فكرت لغز
موغل في البعد حله
فاسمحوا لي أن أتمنى

فاجترار الصمت عله

وليقول الناس عني

شاعر قد خُلّ عقله

فأنا خل وصحو

واختلال الصحو خله

واختلال الخل وعي

بعد تبيان الأدله

والأدله؟!

يا صديق الروح لا تخفى الأدله

فابتداء العصف، يأتي الصمت قبله

واحتدام الرعد للآفاق وعد

لا يفي أن لم يضئ البرق حوله

والأدله

يا صديق الروح لا تخفي الأدله

أن أتيت (الشاه) خلف البحر قل له

لا يصدّق قوله الواشين فينا

فهو يدري أننا قوم أذله

فإذا أدلى بقول أصبح العملاق نمله.

وكان يقول (مولانا العبد الله) كما أسميناه لاحقاً، وكلما وصلت إلى مقطع من القصيدة... الله... الله (يا سُلم) ثم نهض وعانقني وقال لي: أنت (نجم الكويت ومظفرها) ويقصد بذلك الشاعرين معاً أحمد فؤاد نجم ومظفر النواب. وفي هذه الأثناء دخل علينا الأستاذ أحمد الجار الله، الذي كان يتجول كعادته في صالة التحرير ليمازح المحررين، ولم أنتبه إلى أنه كان واقفاً على باب مكتب محمد زين أثناء إنشادي القصيدة:

وهنا باغته العبدالله بسؤاله العتيد (وينخ) يا رجل: أي (وينك) يا رجل أو أين أنت، لماذا تخبئ عنا مثل هذه الدرر وأشار إليّ. وهنا جلس الأستاذ أحمد وأمرني بالجلوس، بينما كان سليمان الفهد يسترسل في الحديث.

أسمعت هذه المهجوه بالشاه أي شاه إيران ، لقد لعن هذا الصعلوك (سنسفيلة)، بل سنسفيل الأمة الغبية التي وصفها بالعملاق الذي يتحول إلى نملة أمام تهديدات الشاه باحتلال الخليج... وبالطبع فهم سليمان الفهد القصيدة وكانت بالفعل بمناسبة تهديد الشاه لدول الخليج، إذا ما اضافت إليه كلمة العربي كصفة للخليج.

وكان أبو نواف الفهد (عروبياً للنخاع) لأنه تعلم في القاهرة إبّان المد العروبي أيام عبد الناصر، ثم عُيّن ملحقاً إعلامياً في السفارة الكويتية في دمشق بعد التخرج، وظل وفياً لعروبته (الحقة) حتى اليوم.

بعد ذلك التفت أحمد الجار الله إلى محمد زين وقال له: أنقل زاوية (الفليح) إلى الصفحة الأخيرة، فكدت أطير من الفرح وذلك لأن الصفحة الأخيرة كانت تحتوي على كاريكاتير الزميل الراحل والرمز الفلسطيني (النقي) ناجي العلي، وكانت زاوية مصطفى أبو لبده (الجهات الأربع) تقع إلى يمين الكاريكاتير، وزاوية سليمان الفهد تقع إلى يساره، وأصبحت زاويتي فيما بعد تُنشر تحت كاريكاتير ناجي العلي، وهكذا فجأة تحولتُ إلى كاتب (نجم) مثل سليمان الفهد ومصطفى أبو لبده ومحمد مساعد الصالح، الذي كان يكتب في «الوطن» والمرحوم عبد الله الشيتي الذي يكتب في «الرأي العام»، وبمناسبة ذكر «الرأي العام» لقد كانت المنافسة على أشدها بين الجريدتين «السياسة» و«الرأي العام» التي كان يملكها المرحوم عبد العزيز المساعيد، والذي (عزّ) عليه أن يخرج محرر كان يعمل (عنده) ليصبح منافساً له في صحيفة تجاوزت صحيفته بالشهرة والانتشار، وأعني بذلك المحرر الأستاذ أحمد الجار الله أمدّ الله في عمره.

وقلت إن أحمد الجارالله أعطى أوامره «الرئاسية» إلى محمد زين بأن ينقل زاويتي (مخاريز) من صفحة المجتمع إلى الصفحة الأخيرة، وهنا «لعب الشيطان في

عبّي»، وقلت «يا ولد» لم لا تصبح مشهوراً بعد هذه النقلة الهائلة والسريعة وتصبح كاتباً مرموقاً مثل سليمان الفهد، ودعك من هذه الـ«الخرابيط» الشعبية التي تكتبها باللهجة العاميّة، وتتناول القضايا الساخنة في الساحتين المحلية والعربية اللتين كانتا آنذاك تموران بالأحداث.

كانت تلك الفكرة تمور في خاطري، بينما كان مكتب محمد زين يغص بالزملاء الذين جاءوا للسلام على أبي نواف الفهد، والذين انخرطوا في نقاش حاد بشأن ما تقوم به إسرائيل من سباق تسلحي وتكنولوجي، بينما نحن العرب نتسابق على الهزائم المتوالية أمامها، وهنا أفلتت مني جملة بريئة وقلت يا أخوان «إن الفرق بيننا وبين إسرائيل أنها تصنع التكنولوجيا ونحن نصنع «الهذرلوجيا» فضج الزملاء بالضحك لهذه المفردة الساخرة» وهنا قال سليمان الفهد وجدتها وجدتها لماذا لا تُسمي زاويتك على الصفحة الأخيرة «هذرلوجيا»، فاستحسن الزملاء الفكرة وأجمعوا عليها لا سيما الذين يعرفونني جيداً على أنني «ساخر» بالأساس في حياتي اليومية، فلم لا أستغل السخرية في الكتابة النثرية بدلاً من السخرية الشعرية باللهجة البدوية التي لا يفهمها أغلب اخواننا العرب الذين يقيمون في الكويت، ومن ذلك اليوم ولدت زاويتي (هذرلوجيا) التي تنقلت معي في ما بعد إلى عدة صحف يومية ومجلات اسبوعية، ومازالت تصاحبني حتى اليوم في جريدة الجزيرة الغراء، ومازال الناس

يســـــألوني عن «معناهـا»، منـذ أكثر من ثلاثـة عقود ونيف على ميلادهـا (المجيد!!).

بعد ذلك لم ألتق بسليمان الفهد؛ لأنني أيقنت من خلال «غرور» الشباب أو زهوه أنني أصــبحت كاتباً «كبيراً! مثله»، وذلك لأنني يومياً أسمع إطراء الزملاء وتعليق القراء واتصـال المعجبات من كل أرجاء الخليج واعتقدت أنني «دنجوان» أيضـــاً فأصـــبحت أرتدي البنطال والقميص مثل عبد الله المحيلان الذي كان «دنجواناً» حقيقياً ليس على شـاكلتي وشـكلي، وكان عبدالله نجماً فريداً ومتفرداً في الكويت وفنـانا حقيقياً لم تلد الكويت مثله حتى الآن. فهو المخرج المبدع والإذاعي المبهر والفوتوغرافي المدهش والكاتب الرائع والإنســـان الحقيقي في كل تجلياته في الحياة، وذلك لما لمسته حقاً من خلال صداقة متينة ربطت بيننا في ما بعد حينما انضـــم إلى الصــفحة الأخيرة في الســياســة في لقطاته الفوتوغرافية المذهلة.

***

وإزاء هذه الشـــهرة المباغتة لبدوي عانى شـــظف العيش وجفاف الصـــحراء وتشـــققات الروح أصــبحت لا أغادر الجريدة، وذلك لأنني كنت أســـكن في الجهراء التي كانت آنذاك، حسـب نظرتي «المخاتلة» ورغبتي «المتمايلة»، منطقة بعيدة نائية بينما السـبب الحقيق هو أنني كنت بحاجة ماسـة الى الإطراء والمديح

والإعجاب والغزل من خلال التلفون أيضـــا لأنني لم أكن أملك تليفوناً في البيت، وكان معي على الدوام الصديق البدوي مثلي حسين العتيبي، الذي أخذ نجمه يتلألأ من خلال جريدة السياسة، وذلك لاقتحامه القضايا الملتهبة بكل جرأة وبسالة وصدق، ثم انضم إلينا بدوي ثالث كان مسؤولاً عن الصفحة الطلابية ورئيســاً عن اتحاد الطلبة في جامعة الكويت ألا وهو الصـــديق مطلق مساعد العجمي الذي كان أشد جرأة وحدّة لربما أكثر من حسين العتيبي

***

أقول ولأسباب بُعد السكن عن الجريدة «كنا نقضي أغلب نهارنا أنا وحسين العتيبي في الجريدة، وكنا نتناول الغداء فيها ونســتقبل القراء والأصـــدقاء فيها، وأحياناً حينما نشــعر بالتعب والكســل والنوم نتمدد على «كنبات» مكتب محمد زين الذي يظل مفتوحاً في أغلب الأحيان سـواء أكان غائباً أم حاضــراً، وهذه «مأثرة» لن أنساها للصديق محمد زين لأنني لم أجدها في كل الصحف التي تنقلت فيها بين الكويت والمملكة».

***

وذات يوم «جُعنا» نحن الصــعاليك حســين وأنا وفتّشــنا جيوبنا الخاوية في الغالب ولم نجد بها شيئاً فــ«مط» شفته السفلى حسين كعادته وقال لي اسمع «ســأدلك على مأوى لم تحلم به، وســتجد هناك أفخر وأثمن الأطعمة والجو

الرومانســـي الذي يليق بك كشـــاعر «عظيم!»، وقال لي هيا اركب معي أيها الصعلوك الجائع ثم شغل شريطاً لشاعر لم أسمع صوته قط وكان صوته الهادر يشتم كل شيء في الدنيا ثم يعود إلى رومانسية شعرية طاغية فقفزت كالمذهول بربك من هذا يا حسين؟! فقال لي أيها المتخلف ألم تسمع بمظفر النواب فقلت له بلى لقد قرأت له ديواناً بعنوان للريل وحمد وسمعت المطرب العراقي «ياس خضر» يغني تلك القصيدة.

أَصَخْتُ السمع عميقاً ونسيت حسين العتيبي وسيارته ونسيت حتى الجوع الذي يمزق أحشـــائي ولم أنتبه إلاّ وهو «يركن» سـيارته قرب فندق الشـيراتون، فقلت له وهل جننت يا حسين؟! نحن لا نملك ثمن «السندويشه» الآن فكيف ندخل الى الشـــيراتون ضـــحك حســـين واتجه إلى احدى العمارات القريبة من الشـــيراتون و«رعص» أزرار «الأســـانســـير» لينطلق بنا إلى الأعلى، وفي أحد الطوابق هبطنا فتقدم حســـين إلى الباب، ورنّ الجرس، وفجأة فتح الباب خادم أنيق رحب بحسين بقوله «أهلاً يا سي حسين أزيك»، فدلفنا إلى الداخل لنجد العبد الله ســـليمان الفهد (ما غيره)، وكان «يتمقعد» على الأرض وهو يطوح «الغترة» جانباً لتستقبلنا صلعته اللامعة والتي لم تزل تخفي خلفها بعض الشعر الذي بدأ يغزوه الشـــيب فنهض حينما رآني «يا الله حي البدو» وكان يجلس بالقرب منه صديق مصري يبدو عليه الوقار والبهاء عرّفه بي ثم عرفني به بأنه من أقرب أصـدقائه أيام الدراسـة في مصـر وقد حل ضـيفاً عليه في الكويت وقبل

«معزوفة الهلاءات اليعربية» قال لنا أبو نواف هل تغديتما أم لا؟ فقال له حسين لهذا «غزوناك» على حين غرة فضحك أبو نواف وتناول التلفون وقال لنا «اطلبوا وتدلعوا بدلاً من تدللوا» أيها الصعاليك وجاء إلينا بالغنائم والأسلاب»!

فانقض البدويان الجائعان على كل شيء كالذئاب الضامرة في سني الجدب واليباب!! ثم شغل سليمان الفهد المسجل الذي كان ينبعث منه صوت أحمد فؤاد نجم ورفيق دربه الشيخ أمام:

كلنا نحب السلام
والسلام بيحب مين؟
السلام يحب نوره
وشوفوا نوره تبقى مين
نوره بنت عيونها خضار
زي قلوب العاشقين
والخدود وردية حمر
والشفايف توت وتين
والضفائر تبر طاير

يبعث الشوق والحنين

بالصرماية!

كنت أكتب مقالتي على طاولة خالية في صـــالة التحرير، وفجأة دخل علينا تاجر كويتي له علاقة مباشرة بجريدة السياسة، فنهض محرر فلسطيني وقبّل أنفه ثم انحنى وقبّل يديه، وكان يرحب به أهلاً عمي أهلاً عمي وكان ثمة على باب الصـــالة الفنان الكاريكاتيري الرائع والفلســـطيني (العظيم) ناجي العلي –يرحمه الله– يتأمل المشهد، وهو يقاطع ساقيه كعادته الدائمة ثم صرخ ناجي في المحرر الفلسطيني الذي قبّل يدي التاجر: (يا أخو الشليته)، الفلسطيني حرّ. ما خلق لكي يقبل الأيادي يا ابن الـــ(...)، ثم خلع ناجي حذاءه وقذفه باتجاه المحرر المسكين، وبعد ذلك ضجت الصالة بالفصل بين المتخاصمين، أخذت ناجي العلي إلى مكتبه، وكانت عروق الرقبة منه ناتئة، وكأنها توشـــك على الانفجار، قلت له يا أبا خالد (الناس أجناس) فصرخ في وجهي، ولكن الفلســطيني عليه أن يكون فلسطينياً حقيقياً يحتفظ بكرامته مهما كان.

هدأ ناجي ثم طلبت له فنجاناً من القهوة الثقيلة الطازجة، ثم تناول قلمه وراح يرسم لي (حنظلة وهو يقرأ مقالة المحرر الفلسطيني برجليه).قلت له يا ناجي إذا ما فعلت ذلك فأي جريدة تستقبلك؟ هدئ من روعك.

نهض من كرسيه الخشبي ثم مزق اللوحة والتفت إليّ ثم قال: اسمع أيها البدوي: في هذا البلد كل شخص له عمّ، فما هو رأيك أن تصبح عمّاً لي وأصبح عماً لك.

صار ناجي عمي وصرت عماً له طوال وجودنا في جريدة السياسة الغراء، وفي ذات ليلة «هتف» له سليمان الفهد وقال «يا ناجي ما رأيك في أن نلتقي عند «محمد باحسين» ثمّ هات لنا الصعلوك سليمان الفليح إن وجد؟!».

ضحك ناجي طويلاً ثم قال: هو بين الأيادي، بعدها تناول السماعة محمد باحسين، وقال لي لقد اشتقنا إليك طويلاً فتعال إلى بيتي حيث ملتقى الشعراء والكتّاب والمثقفين، إن بيتي مفتوح للصعاليك والغرباء والعابرين.

أتيت إلى بيت «با حسين»، وكان يضم في جلسته الرائعة مجموعة من الأصدقاء الرائعين مثل حمود الصقعبي، وعبد الرحمن الشايع، وصقر الرشود، ومحمد السريع، والشاعر الفلسطيني مازن شديد والكاتب المصري الكبير أمين العيوطي، وحسين العتيبي، بالإضافة إلى سليمان الفهد وناجي العلي، وكان بيت «باحسين» مفتوحاً للأصدقاء إذ «يهطل» الصعاليك في آخر الليل ويجدون المأكل والمنام أيضاً، وذلك لأن «محمد باحسين» سليل أسرة كريمة عُرفت بالكرم وقد لقب جده بـ«معشي الشجر» إذ تقول الحكاية: إن جده الأول حينما كبر وأصابه الخرف كان قد تعود طوال حياته أنه ما ان يرى ركباً

قادماً حتى نحر الذبائح له، وذات ليلة مغبرة لمح أشـجار سـدر فظنها ضـيوفاً وأمر أهل بيته بنحر الذبائح فقالوا له: إن ذلك شـجر وليس ركبا فقال «عشـوا الشجر». أما أبو نبيل محمد با حسين حفيده، فقد كان نبيلاً بالفعل، لا يعرف الغضب ولا الكراهية ولا الزعل، فقد خلقه الله لدماثة الخلق والضحكة الدائمة، كلمته الأثيرة (يا باي)، وكنا نرى فيه نحن أصـدقاءه الكتّاب، مرآة لنا إذ ينتقد أعمالنا بكل صراحة ووضوح.

انضـم الى الشـلة في ما بعد المرحوم عدنان العتيقي، وهو مفكر عميق وكاتب رصـين ووطنيٌ (للعظم)، كما كان ناجي فلسـطينياً (للعظم)، وقد ورث عدنان آنذاك عن جده مزارع من النخيل والأراضـي والأملاك و«العبيد» فذهب إلى المملكة وأعتق العبيد وباع الأملاك، وقرر أن يتجول في بلاد الله الواسـعة كبقية أصـدقائه المقربين الذين كان يغدق عليهم المال، وقرر في لفتة ذكية منه أن يختبر صدق هؤلاء الأصدقاء فجمعهم ذات ليلة في مدينة لندن، وقال أيها الأصدقاء لم يبق لدي من المال شيء، وعلينا أن نعتمد على أنفسنا في هذه الديار الغريبة دعونا نعمل لنعيش أو نحصّـل ثمن التذاكر التي تعيدنا الى الكويت، فشـمّر عن سـاعديه وعمل جرسـوناً في مطعم، بينما أصـدقاؤه أخذوا ينسـحبون من حوله الواحد تلو الآخر، ولم يتبق لديه سـوى صـديق يمني اسمه أحمد، ظل يشـاطره العمل ويتنقلان من بلد إلى بلد من حصـلية عملهما كجرسـونين ثم قال له: اسمع يا أحمد لقد جربت الأصـدقاء وادعيت الإفلاس وهذا مجرد اختبار، ولكن

منذ اليوم ستكون أنت أخي وصديقي المخلص، وسأقتسم معك هذه الثروة حتى يغيبنا الثرى. وبالطبع كانت تجربة عدنان تجربة ثرية في الحياة، وقد وعدنا بأن يكتبها ذات يوم، ولكن القدر لم يمهله طويلاً إذ انتقل إلى رحمة الله وهو في قمة العطاء.

غيفارا مات

قلت في الحلقة الماضية إنني خرجت وناجي العلي من الجريدة بعدما ضرب المحرر الفلسطيني بـ(الصرماية)؛ لأنه قبّل يد وأنف التاجر الكويتي، وظلّ يواصل السباب حتى ونحن في الشارع، حيث كان ينظر إلينا عمال الشويخ الصناعية الذين يجتمعون أمام موقف الباص بذهول غريب، ثم تذكّر ناجي حاجة قد نسيها في الجريدة فهرول نحو قسم التوزيع، وحمل رزمة من الجرائد المرتجعة، فقلت له: ماذا تريد بها يا ناجي؟ فقال لي: سأعطي قسماً منها لصديقي الخبّاز (غلوم) الإيراني، وقسماً منها لصديقي الكواي راجو الهندي، ثم أستعمل ما تبقى منها كسفرة في البيت.

وقبل أن يضع ناجي الجرائد المرتجعة في (دبة) السيارة سمعت لغطاً تعالى شيئاً فشيئاً، وظننت أن ناجي لربما قد (تشاكل) مع بعض عمال الشويخ، ولكنني حينما نزلت واستدرت خلف السيارة رأيت (عربي عبدالله) وكان أحد رموز الثورة الفلسطينية، وهو يقبّل رأس ناجي ويقول له بالحرف الواحد: (امسحها بلحية الثورة)، قال ناجي وقلت أيضاً إننا التقينا في بيت صاحبنا (أبي نبيل- محمد باحسين)، وإننا التقينا بثلّة أو (شلّة) من الأصدقاء ودار الحديث طويلاً حول هموم الوطن، واستمر الحديث طويلاً وكنت أرى (عمي) ناجي كما اتفقنا على التسمية يتقرفص مثل الحلزون في الكنبة الضيقة، أشار إليّ أن أغيّر كل

الحديث، ولم أكن ماهراً في التجاوب، حيث العبد لله سـليمان الفهد قد شـغّل شريطاً للشاعر والشيخ، تقول كلمات الشريط:

غيفارا مات..

بلا طنطات ولا إعلانات

ولا حدّ مشي معه

للجبّانات

غيفارا مات

مات البطل فوق مدفعه

جوا الغابات

يا مية خسارة عالرجال

غيفارا مات

اعتدل ناجي العلي من جلسته ثم وقف وهتف:

زهر البنفسج

ياربيع بلادنا

وأحلى بلاد

في البلاد بلادنا

لنعود إلها

إذا ما عادت لنا

ثم أخذ ناجي (يدبك) وحده، ويكمل القصيدة الراقصة، ثم انضمت له كل الشلّة بالدبكة والحركة الراقصة، وبقينا (ندبك) حتى الصباح، وحينما انبلج الفجر ونام من نام من الأصدقاء انسللت أنا وناجي وسليمان الفهد إلى (فوال عظيم) أي إلى رجل يضع الفول (بمقدرة عالية)، وكان يعرفه سليمان الفهد لأنه (فوال أمين... فوال ابن فوالين)، من مصر العتيقة. تناولنا (أصحن الفول) حتى شبعنا، ثم قال لنا الفوال لما انتهينا اكتبوا عن هموم (الغلابا!).

بعد ذلك صار ناجي صديقي الذي لم أنفصل عنه في الجريدة أو في الخروج إلى الأصدقاء أو في مضاربي التي نصبتها وسط الصحراء.

وبمناسبة الحديث عن المرحوم ناجي العلي، فإنني أعتقد أن أقرب صديق له هو سليمان الفهد وأن انطلاق شهرته وتألقه من رواق جريدة السياسة وقد عرفناه طويلاً أكثر من الذين ادعوا صداقته وعملوا فيلماً تجاهل كل مرحلة

ناجي الذهبية، سواء في الطليعة أو في السياسة أو في القبس، حيث قدم فيها أبهى العطاءات، وفتح له محمد الصقر باباً شاسعاً للحرية والإبداع. وبمناسبة ادعاء صداقة ناجي فإن المحرر الفلسطيني الذي ضربه ناجي بالحذاء قد كتب عنه حينما مات انه صديقه الوفي!

حينما أصبح ناجي العلي -عمي- وأصبحت أنا عمه حسب ميثاق المحبة الذي ربط بيننا، كنا نخرج في أوقات الفراغ للتسكع في الشوارع الخلفية للكويت، إذ أزور بعض أصدقائي الصعاليك، وهم يسكنون في المرقاب القديم أو (الدمنة) التي أصبحت السالمية، أو نذهب إلى الضواحي القصية حيث «العباسية»

و«الدوغة» وجليب الشيوخ وعشيش الشدادية والجهراء القديمة ذات النخيل. وكان أغلب أصدقائي من الكهول وأصحاب النظريات العجيبة في الحياة والمهمشين الذين يلعنون الحياة بأشعارهم الساخرة، والمهربين الذين «تابوا» عن التهريب، فأصبحوا كما يقولون «كالنسور المقعدة»، والذين يروون حكايات لا نملُّ من سماعها حتى يتلاشى الليل والبداة الذين يحرجون «ناجي» بولاءاتهم الفادحة. أما هو فكان أغلب أصدقائه من الفلسطينيين البسطاء الذين لا يعرفون المبالغة أو الادعاء، والذين يحبون الكويت مثلما يحبون فلسطين لأنهم نشؤوا وترعرعوا فيها، وأصبحت وطنهم الثاني الذي لا بديل عنه. تماماً كما

قالت لي ذات مرة السيدة «أم العبد» القريوتي التي تقيم في حولي، إذ روت لي كيف ان الإسرائيليين لما اجتاحوا المخيم وفرزوا الرجال عن النساء ثم أخذوا يفرزون الشباب عن الكهول وفرزوا ناجي بأنه من الكهول نظراً الى شعره الأشيب وظهره المحدودب، وأطلقوا سراحه لأنه حسب رؤيتهم من الكهول، تقول أم العبد فلتت زغرودة مني ولم يفهم الضابط الإسرائيلي معنى «زغرودتي الوطنية» حتى الآن، وذلك لأن ناجي العلي هو رمز فلسطين ثم أدارت علينا البخور وقالت يحرسكم الله.

بعد ذلك قدمت لنا أم العبد القريوتي طبقاً ساخناً من «المسخن الفلسطيني» و«طنجرة» كاملة من الملوخية الفلسطينية اليانعة المشغولة بالثوم والليمون وزيتون فلسطين الأصيل. استرحنا قليلا عند «أم العبد»، ثم ذهبنا نتسكع بالفروانية حيث اكتظاظ الفلسطينيين مثلما اكتظاظهم في نواحي الكويت، وفي مدخل الفروانية وعند الإشارة اعترضت سيارتنا أنا وناجي سيارة صغيرة يقودها رجل ذو شعر كثيف، فاضطربت كثيرا وحاولت أن أتشاجر معه «لأنني في تلك الأيام كنت على استعداد أن أشاجر حتى الهواء»، ولكن ناجي أمسكني من يدي وقال لي لعله «علي جرار» أتعرف علي جرار؟!»، قلت أعرف أنه من رجال الإعلان التافهين الذين يشتغلون في جريدة السياسة.

قال لي ناجي «لأ، بل الحقه واستوقفه، وستعرف تماماً من هو علي جرار.. لحقت علي ثم «صفطت» أمامه ونزل لي كالأسد الهصور، وأشهر سكيناً في وجهي، ثم قال «انزلا، يازمرة «الأوباش» الحقيرين، واتجها إلى شقتي فأنا «أعزمكما» رغما عنكما (!)، ثم لماذا تمارسان كالصبية الجاهلين مشاغبة «السابلة»؟ ولماذا تطوفان الإشارة كالبداة الهمجيين».

أوقفنا علي بمدخل شقة في الفروانية ودعانا إلى العشاء الذي أعدته أمه العجوز، ثم قال لها «يا ختيارة هؤلاء أصحابي ناجي العلي الفلسطيني وسليمان الفليح البدوي».

منذ ذلك الزمان أحسست أنني أنتمي بشعري ومواقفي إلى فلسطين بفضل علاقتي بناجي العلي، مثلما أنتمي بشعري ومواقفي إلى الكويت بفضل علاقتي بسليمان الفهد؛ ولذلك أصبحت منذ تلكما العلاقتين الراسختين «وطنياً لم يساوم على وطنيته من أجل الكويت»، و«عروبياً لا يساوم على عروبته من أجل فلسطين»، وبالطبع في ذلك الزمان كنت معجباً بشكل خاص بنضال عبدالعزيز بن عبدالرحمن في قيام أول وحدة حقيقية على أرض العرب، وكيف أنه انتزع السيوف من أكف القبائل المتغطرسة التي لا تؤمن إلا بالغزوات، وأقام

هجراتها الثابتة، وفرض الأمن والسـلام في ربوع الجزيرة العربية، وأقام مملكته الموحدة الرائعة.

بالطبع ليس هذا مديحا أرتجي منه المنفعة والمصـلحة بل هو قناعتي الراسـخة بكل ما فعله المؤسـس العظيم والموحد الذي ضـمّ هذا الكيان العظيم ليجعله وطناً واحداً ومملكة واحدة.

لم يكن ناجي يوافقني على قناعاتي كلها بل كان «ينسـفها»، ثم يزمجر مثل «فحل الجمال» في أولات السـفاد، ثم يعود إلى ريشـته ليرسـم «أهل الخليج بكروشـهم المندلقة». غضـبت على ناجي، وقلت له ذات مرة إننا لن نلتقي، فلسـت عمي أنت ولسـت عمك أنا كما اتفقنا؛ لأنك تسـخر من أصـدقائنا «المتكرشـين» الذين يمدون ثورتك بالمال أو بالرجال، وهؤلاء يا ناجي العلي «أعمامنا».

ضـحك أبو خالد حتى بانت نواجذه ثم صـعّد بالموّال «أحلى أعمامي في الكويت أعمامنا» أيرضيك ذلك؟

كيف صرت شاعراً

في عام 1971م جاءني الصديق محمد الحربي، الذي أصبح اليوم قاصا وكاتبا مشهوراً في دولة الإمارات العربية، وقال لي: يا سليمان ما دامت لك محاولات شعرية فإنني قد تعرفت على شاعر كبير فما رأيك أن تعرض محاولاتك عليه لتقييمها؟ آنذاك كدت أقفز من الفرح؛ لأنني سأتعرف على شاعر مشهور، له دواوينه و«يطلع بالتلفزيون» في برنامج البادية! لذلك توجهنا إليه على الفور وقدمني إليه الحربي، وقال له هذا الشاعر الذي قلت لك عنه. ثم رحّب بي الشاعر الكبير وكنت «أتأبط» دفتري المخملي الذي ضممت قصائدي إليه، وقال لي: هيا نسمع، ورحت (أسمّع) كتلميذ في الصف الأول قد (صمّ) الدرس، ورحت أنشد في مسمعه قصيدة «التوجسات» الشهيرة، ولم أكد أنهي المقطع الأول منها حتى قال لي: كفى. كفى. هذا ليس شعرا يا بني! إنما الشعر هكذا، ثم أخرج لي ديوانا له، وراح يقرأ قصيدة عمودية، ثم قال لي: «الشعر طويل سلمه... إلخ». اذهب واقرأ للمتنبي والمعري وأبي تمام ثم اكتب الشعر. أحسست بإهانة كبرى، ثم قلت له باستحياء وانكسار: ولكنني أكتب الشعر الحرّ كما يكتبه (خالد سعود الزيد وخليفة الوقيان وعلي السبتي ومحمد الفايز، ثم انتفض وقال لي إنهم (يهذون) ليس هنالك شعر سوى الشعر الذي يعتمد على الصدر والعجز والقافية! أُصبت بصدمة كبيرة ونكست رأسي خجلا من

نفســـي، ثم تناول ديوانه وقدمه لي وقال لي اقرأ هذا الديوان جيدا لتعرف الشعر(!!).

خرجت حزينا كسيرا كمن ضاقت به الدنيا، ثم أخذت أمزق ديواني المخملي الصغير في أقرب سلة للمهملات! وبالرغم من أن صديقي الحربي حاول منعي من ذلك فإنني قلت ليس بعد حكم هذا الشـاعر الكبير حكم، وهنا غضـب الحربي وقال بالصوت المرتفع: والله إن شعرك أحسن من شعره ولكنني لم أرد عليه.

بعد تلك الصدمة المروعة من قبل (الشاعر الكبير) قررت أنني لا أصلح شاعرا (على غير قناعة كاملة!!) ولذلك اتجهت إلى التعلق بالكتابة الصـحافية، وإذ بعد أعوام من تلك الحادثة -انتدبت إلى جريدة السياسة للتدريب على العمل الصحافي- وهناك أوكلوا زميلا مصريا آتيا من جريدة أخبار اليوم لتدريبي على التحقيقات الصـحافية، وكان يصـحبني في تلك الدورة الزميل سـعود معارك الشمري، وكان مدربنا المصري رغم حرفته العالية فإنه كان ضحل الثقافة وكثير الادعاء ويخلط في تحقيقاته الحابل بالنابل.

ويشطب لنا ما يشاء وغالبا ما يسقط أسماءنا من تحقيقاتنا لينسبها إليه، الأمر الذي أضجرني كثيرا، وكنت في وقت فراغي أجلس إلى الشـاعر المبدع فيصـل السعد الذي كان مسؤولا عن القسم الثقافي، وقد كان أصدر لتوه ديوانه الرائع

«آلام الزمن المعتم» وأعقبه بديوان جديد آخر هو «أمل.. أغنية قبل الموت»، وكان يشدني إلى فيصل الحديث عن الثقافة والشعر، وأستفيد مما يصله بالبريد من مجلات أدبية أو مطبوعات جديدة. وذات يوم في ما كان (أبو سنين) هكذا لقبه آنذاك يجهز صفحة الثقافة، بقيت مساحة فارغة لم يكن لديه ما يغطيها من مواد فالتفت إلي وقال: هل تحفظ أية قصيدة لأي شاعر لنقفل بها الصفحة؟ فقلت له نعم، ثم تنحيت جانبا وأخذت أتذكر قصيدة لي أعدمتها في ديواني المخطوط الذي مزقته بناء على رأي «الشاعر الكبير» الذي قرر إعدامي كشاعر ورحت أكتب قصيدة «توجسات في الزمن الفاسد»، وحينما قدمتها إلى فيصل وقرأها أطل على وجهي بعينين متسائلتين من فوق نظارته السميكة وقال لي: لمن هذه القصيدة؟ فقلت له على الفور: إنها لي، فقال: لا! قل الحقيقة. فأقسمت له إنها لي، فطواها ووضعها في جيبه، ثم نهض إلى الأرشيف وأحضر صورة للوحة (الغرونيكا) لبيكاسو، وسد بها فراغ الصفحة وقال لي: بالنسبة إلى قصيدتك فإنني سأتركها للعدد القادم لأنها بحاجة إلى احتفاء خاص ومساحة أكبر.

بعد تلك الصدمة المروعة، التي أصبت بها من قبل «الشاعر الكبير»، كما ذكرت في الحلقة السابقة، قررت أنني لا أصلح شاعرا «على غير قناعة كاملة!!»، لذلك اتجهت إلى التعلق بالكتابة الصحافية، وإذ بعد أعوام من تلك الحادثة – انتدبت إلى جريدة السياسة للتدريب على العمل الصحافي –

وهناك أوكلوا زميلا مصـــريا آتيا من جريدة أخبار اليوم لتدريبي على التحقيقات الصحافية، وكان يصحبني في تلك الدورة الزميل سعود معارك الشمري، وكان مدربنا المصري - رغم حرفيته العالية - ضحل الثقافة وكثير الادعاء، ويخلط في تحقيقاته الحابل بالنابل، ويشطب لنا ما يشاء، وغالبا ما يسقط أسماءنا من تحقيقاتنا لينسبها إليه، الأمر الذي أضجرني كثيرا، وكنت في وقت فراغي أجلس إلى الشاعر المبدع فيصل السعد، الذي كان مسؤولا عن القسم الثقافي، وكان أصـــدر لتوه ديوانه الرائع «آلام الزمن المعتم»، وأعقبه بديوان جديد آخر هو «أمل... أغنية قبل الموت»، وكان يشـــدني إلى فيصـــل الحديث عن الثقافة والشعر، وأستفيد مما يصله بالبريد من مجلات أدبية أو مطبوعات جديدة.

وذات يوم، فيما كان «أبو ســنين» - هكذا لقبه آنذاك - يجهز صـــفحة الثقافة، بقيت مســـاحة فارغة لم يكن لديه ما يغطيها من مواد، فالتفت إليّ وقال: هل تحفظ أي قصيدة لأي شاعر لنقفل فيها الصفحة؟ فقلت له نعم، ثم تنحيت جانبا وأخذت أتذكر قصـــيدة لي، أعدمتها في ديواني المخطوط الذي مزقته بناء على رأي «الشـــاعر الكبير»، الذي قرر إعدامي كشـــاعر ورحت أكتب قصيدة «توجسات في الزمن الفاسد»، وحينما قدمتها إلى فيصل وقرأها، أطل على وجهي بعينين متســـائلتين من فوق نظارته الســـميكة، وقال لي: لمن هذه القصيدة؟ فقلت له على الفور: إنها لي، فقال: لا! قل الحقيقة. فأقسمت له إنها لي، فطواها ووضعها في جيبه، ثم نهض إلى الأرشيف وأحضر صورة

للوحة «الغرونيكا» لبيكاسو وسد بها فراغ الصفحة، وقال لي: بالنسبة إلى قصيدتك فإنني سأتركها للعدد القادم، لأنها بحاجة إلى احتفاء خاص ومساحة أكبر.

بالطبع في ذلك الزمن الجميل، لم يكن الحسد والغيرة والعداء المبطن سلوك الأدباء، بل كان الحب والمحبة والأخذ بيد الآخرين، تماما كما فعل فيصل، إذ أخذ القصيدة إلى رابطة الأدباء -كما عرفت لاحقا - وحينما اجتمع الأدباء، أخرج فيصل القصيدة وراح يقرؤها عليهم حتى خيم عليهم الصمت والوجوم، ثم سألهم: من منكم يعرف هذا الشاعر؟ ساعتها نهض الشاعر المبدع المرحوم خالد سعود الزيد، وقال إنني لم أسمع قط بمثل هذه الأجواء الصحراوية الغريبة في شعرنا الحديث، إنها لشاعر من الجزيرة العربية لا محالة. فقال فيصل: بالفعل إنها لشاعر بدوي شاب اسمه سليمان الفليح، يتدرب لدينا في السياسة على العمل الصحافي. فقال: يا فيصل، أستحلفك بالله أن تدعوه باسمي واسم الرابطة للتعرف إليه، إنه موهبة نادرة لا تشبه أي موهبة في مجال الشعر الحديث، وأرجو ألا تنشرها؛ ففي حال التأكد من أن هذه القصيدة له فإنني سأقدمه في الأمسية الشعرية الختامية للموسم الثقافي التي سنقيمها بعد أسبوع، لذلك أرجو أن تدعوه إلى الرابطة.

في اليوم التالي، حينما أنجز فيصل عمله جاء إليّ وقال: إنني أخبئ لك مفاجأة سارة... هيا اركب معي بالسيارة ولا تسأل إلى أين نحن ذاهبان، وبالفعل سار بي فيصل إلى أن توقف أمام رابطة الأدباء، فقلت له: «وش السالفة يا بو سنين؟»، فقال لي: ستعرف السالفة في الرابطة، وبالطبع كان مجرد دخولي إلى رابطة الأدباء يشكل لي حلما عزيز المنال، إذ ما إن دخلنا حتى هب خالد سعود الزيد واقفاً وأسرع نحوي، ليحتضني كما يحتضن الأب ابنه بعد فراق طويل، وكذلك فعل المرحوم الدكتور الشاعر عبدالله العتيبي، ثم أخذ فيصل يعرفني إلى الحضور، الشاعر خليفة الوقيان، الشاعر يعقوب السبيعي، الشاعرة جنة إدريس، القاص سليمان الخليفي.

كدت أصاب بالذهول وأنا وسط هذه الكوكبة من فرسان الكلمة في الكويت، وكنت أتلفت بالوجوه كصقر يُزال (برقعه) لأول مرة منذ اصطياده، وبعد هنيهة أخرج المرحوم خالد سعود الزيد القصيدة من جيبه و«نسف غترته» بتنسيفته المعهودة وابتسامته الأبوية الحانية، وراح يقرأ قصيدة التوجسات، وكلما وقف عند مقطع قال: عظيم، عظيم، ثم حدّق بوجهي كمحقق شرس ليصفعني بالسؤال: هل هذه القصيدة لك؟ فأقسمت له إنها لي، قال الدكتور العتيبي: وهل لديك غيرها؟ وهل نشرت في أي مكان آخر؟ قال خليفة: ومنذ متى تكتب الشعر؟ قلت: منذ أكثر من سبعة أعوام ولي ديوان مزقته!! فقالوا جميعاً: (ليش؟) قلت لقد نصحني الشاعر (...) بأن أترك الشعر لأنني لست بشاعر،

فهبوا كلهم بالسـؤال من ذلك الشـاعر العظيم؟ قلت فلان. قال سـعود الزيد: هذا (سـختـه) وش عرّفه بالشـعر، ثم طلبوا مني أن أتذكر بعض القصـائد من الديوان الممزق فأسمعتهم عدة قصـائد، ونهض أبو سـعود الزيد وقبلني وقال لي: سأقدمك أنا شخصيا في أمسيتنا القادمة.

هكذا كان المبدعون يحتفون بالمحاولات الجادة، وهكذا كانوا يحتضـنون البراعم ويأخذون بيد من لا يعرفون مجاهل الطريق. وأنا إذ أدين لأحد في انطلاقتي الشـعرية، فإنني أدين للأسماء الجميلة التي ذكرتها بالوفاء والمحبة والولاء، فخالد سـعود الزيد هو الذي كان يقمعني بعنف، كلما كتبت قصـيدة رديئة وقد فعلها يوما أمام مجموعة من الأدباء، إذ إنني اسـتعجلت في نشـر قصـيدة في الجريدة، وحينما زرت الرابطة أدار أبو سـعود - رحمه الله - وجهه عني كالأب الغاضـب من ابن عاق، وحينما سألته ما السبب، انفجر في وجهي كالبركان وقال لي: يا سلوم يا (...) هل هذه قصيدة، وأخرج القصاصة من جيبه ورماها في وجهي، وقال مزمجرا: هذي (نعل.. وإلخ.. إلخ..) لذا فقد علمني ألا (أسلق القصيدة)!!

أما عبدالله العتيبي فهو الذي صحح بروفة ديواني الأول. أما خليفة فإنني كنت ألجأ إلى استشارته لأنني أراه أكثر «ليونة» من أبي سعود وأكثر «دماثة».

وأذكر فيما أذكر أن المرحوم خالد ســعود الزيد قدمني في أول أمســية هكذا: تلتقي البداوة بفطرتها، والمدينة بخبرتها في هذا الذي يجلس يميني. أتعرفون من هو؟!

موبقة ابن فليح!!

في أوائل السـبعينيات الميلادية من القرن الماضـي، كنت قد تزوجت لتوّي من السـيدة أم سـامي، وأقمت لها (عشّـة) من الخشـب بين جماعتي في منطقة الشـدادية، التي كانت تزخر بالعشـيش، وكان عليّ لكي أكون متميزاً بينهم، أن (تجرأت) وأقدمت على ارتكاب (موبقة كبرى) في نظر القبيلة، حينما اشـتريت تلفزيوناً صغيراً يعمل على البطارية العادية، وبالطبع هاجت وماجت القبيلة لهذا (العار الكبير) الذي جلبه عليها أحد أبنائها (العاقلين)، إذ كيف (يسـمح له دمه) أن يُدخل (الفصـاخة) والعري ودمار الأخلاق إلى بيته؛ لأنهم يفهمون آنذاك أن التلفزيون هو بمنزلة (كباريه) لا أكثر!!

وعلى الرغم من أنني أفهمت رجال القبيلة، أن هذا الجهاز الخرافي (التلفزيون) فيه فائدة للناس، لأنه ينقل القرآن الكريم وفيه شـيوخ يتحدثون أفضـل مما يتحدث شـيخ مسـجد العشـيش، وأنه يطلع فيه أمير البلاد و«يسـولف» للمواطنين وفيه (تشـوفون) الملوك والرؤسـاء، وفيه أخبار المطر والحيا من خلال النشرة الجوية، لكنهم بالطبع لم يستمعوا إليّ، فذهب وفد منهم إلى عمي (لعبان بن باطح)، وكان رجلاً صلباً وحاداً ومهيب الشخصية؛ إذ كان في الماضي بطلاً من أبطال القبيلة أيام «الحنشـلات» والنهب والسـلب من الأعداء، بل كان (حنشـولياً) بائعاً وله مغامرات مذهلة يرويها رجال القبيلة عنه فقالوا له: (يا ابن

باطح) قل (لابن أخيك)، أو (بناخيك) لا فرق أن (يُقلّع) هذا الجهاز اللعين لكي (لا يُخرّب) أخلاق القبيلة، ويشـــجّع الضـــعفاء على اقتناء جهاز مثله، فينشر (الخنا) و(العلوم الردية) بين أفراد قبيلتنا المشهورة بالعفة والشيم والطهارة، وبالطبع هبّ عمي وجاء لينقذ القبيلة من العار (التلفزيون!!) فجاءني مهدداً متوعداً مزبداً مرعداً، وهددني إن لم أقتلع هذا الوباء، فإنه سـيعلن براءته مني بل براءة القبيلة كلها من ابنها العاق، الذي ألحق بها العار لمجرد أنه اقتنى تلفزيوناً (!!). فقلت له يا عماه أعرف أنك تملك (راديو) منذ ســـنين وأن هذا الراديو (يجيب) لك (الأخبار)، والشـــيخ عبد الباســـط عبد الصـــمد وركن البادية في الكويت والسـعودية، ويجلب لك (علوم) المطر وأخبار الملوك والأمراء، وتسـمع فيه أغاني سميرة توفيق، لذلك ثق أن هذا الجهاز - أي التلفزيون - هو مجرد راديو (مرئي)، أي تشـوف فيه اللي تسـمعه بالراديو لا أكثر، وأنه مفيد وينقل الأذان للمسـلمين وفيه نفع كبير، وأقسـم لك يا عمي أنني لو لم أجد فيه فائدة للناس لما اشـــتريته، ولما وضـــعته في بيتي، هنا صـــمت عمي وقال لي يا ولدي أعرف (أن عقلك يزن بلد)، وأعرف أنك (فهيم رجال) وتعرف كل (ســـوالف الغانمين)، وما عليك (منقود)، لكنهم يقولون كذلك وأنا لا أرضـى هذا (الهرج) عنك، قلت له: يا عمي أمهلني وقتاً لكي أرجعه، لقد كلفني ما يعادل (راتبين)، ولن يقبل البائع استرجاعه، لكنني سأبحث عمن يشتريه مني.

حينها نفض عمي عباءته الوبرية ومضى غير مرتاح البال. لكنني فكرت طويلاً كما يفعل المصـــلحون في المجتمعات المتخلفة، واهتديت إلى حل ناجع، إذ تذكرت أن التلفزيون يبث يوم الجمعة بعد صـلاة العشـاء مسـلسـلاً بدوياً اسمه (وضـــحاء وابن عجلان)، من بطولة عبد الحميد مجدوب وسميرة توفيق (مطربة البادية)، وقلت في ذاتي: سـأدعو القبيلة إلى وليمة مسـاء يوم الجمعة وسـأضـع التلفزيون فوق صـــندوق دلال القهوة، وأغطيه بقطعة قماش، حتى إذا ما حان وقت بث (مسلسل سميرة) سأرفع قطعة القماش فوراً، وبطريقة مفاجئة سأشغل التلفزيون على المسلسل مباشرة وليحدث ما يحدث!!

في صــباح يـوم الجمعـة، توجهـت إلى ديوانيـة عمـي الـتي يحتشـد فيهـا رجـال القبيلـة لتنـاول القهـوة قبـل الصـلاة، وبعـد أن ألقيـت عليـهم السـلام، قلـت لهـم: اسمعـوا (يا ربـع) أعـرف أنكـم (زعلانـين) مـني، لكـن مـن أجـل (شـــواربكم) ســـأقلّع التلفزيـــون، وأدقّ القهـــوة وأدعـــوكم اليـــوم إلى تنـــاول العشــاء، وســأعود (خــوش ولــد) كمــا هــي (هقــوتكم) بي، فقــالوا جميعــاً وبصوت واحد: كفو كفو من (أهلها وتفعلها).

***

ذكرت في الحلقة الســـابقة أنني ســـألجأ إلى طريقة مبتكرة لإقناع أهل قبيلتي بالتلفاز وأهميته، وبالفعل دعوتهم إلى حفل عشـاء، وفي المســاء احتشــد رجال القبيلة في ديوانيتي، التي كانت بمنزلة غرفة كبيرة من الخشـب مقامة خارج حوش البيت، كما كان يفعل أقراني أبناء البادية في ذلك الزمان، وأخذوا «يهرجون» عن غزوات أســلافهم، ويســترجعون أشـعار الفرســان ويطقطقون بمســابحهم، وحينما اختلفوا حول إحدى القصــص غافلتهم وأزحت بســرعة قطعة القماش عن شاشة التلفاز، وأدرت مفتاح التشغيل ورفعت الصوت قليلاً، وكان المشهد ينقل لقطة لبطل مسلسل «وضحاء وابن عجلان» أمين عجلان، الذي يقوم بدوره الفنان عبدالمجيد مجدوب، وكان يمتطي حصـانه ويجندل الأعداء، ويصـيح صـيحات الحرب، بينما معشـوقته (وضـحا) (سميرة توفيق) تزغرد له قرب بيت الشـــعر، وفجأة قطع رجال قبيلتي المتحلقون في الديوانية حديثهم، وأنشـــدّوا بدهشة مذهلة إلى ما يحدث أمامهم في الشاشة الصغيرة، وأخذ بعضهم يشجع البطل، وآخر يحذره من الفارس الذي جاء يطعنه من الخلف، وكان عمي هو أكثر الحاضـــرين انفعالاً مع ما يحدث أمامه، بل انه أخذ «ينخى» البطل، ويقول له: عشت لا شُلّت يمينك. ايه ايه...

وفي نشـوة انفعال ضـيوفي مع المســلســل قمت بكل لؤم مصـطنع وأطفأت التلفزيون، فأخذوا يصرخون بي «لأ لأ لأ» دعنا «نشوف» وهنا حانت الفرصة المناسبة، وقلت لهم بصوت مسموع يا أبناء العم هذا هو التلفزيون هل هو مفيد

أم ضـار؟ فصـاح أغلبهم «لا بالله انه زين» شـغله، شـغله، فشـغلت التلفزيون ثانية، وكانت وضـحا (سميرة توفيق) بجمالها الأخّاذ وعينيها الفاتنتين، التي تفخر بها بعض الأحيان، تتغنى بحب فارس العشـــيرة ابن عجلان، فكاد رجال قبيلتي أن يصـــابوا بالاختبال للفروســـية والجمال، فقلت لهم ثانية هذا هو التلفزيون، اســتمر المســلســـل بأحداثه المشـــوقة، التي نقلت ضــيوفي إلى عالمهم المفقود (الصحراء والمضارب والفروسية والجمال واندمجوا مع أحداث الفيلم، حينها قال أحدهم، والذي أصـــبح صـــديقاً حميماً لي طوال حياته إلى أن توفاه الله قبل عامين، وكان موجهاً كلامه إلى رجال قبيلتي: أما قلت لكم: إن ســـليمان «نشـمي وعاقل ويفهم أكثر مما نفهم»، ولو لم يجد بالتلفزيون «فود» لما اشتراه، بالطبع لم يعلّق أحد حتى انتهت حلقة وضحا وابن عجلان، ثم قال أحدهم إن وضـــحا زوجة ابن عـدوان نمر وليس ابن عجلان، إن التلفزيون «ما عنـده ســالفة»، التلفزيون غلطان، فقلت لهم: يا قوم إن «وضـــحا اللي بالتلفزيون ما هي وضـــحا زوجة نمر بن عدوان»، بل إنها وضـــحا أخرى من أهل الجنوب وسوف تعرفون ذلك في الجمعة القادمة.

بعد انتهاء المسلسل كان من حسـن حظي أن يُطلّ الشيخ علي الجسـار في حديثه الأسـبوعي، الذي أنصـتوا إليه بكل خشـوع، وما أن انتهى حتى بدأت نشرة الأخبار، التي شاهدوا فيها أمير البلاد المرحوم صباح السالم وهو يستقبل وفداً من آل الســـعود الذي يزور الكويت آنذاك، فأيقنوا من تلك الدعوة أن

التلفزيون فيه «فائدة... وخير»، وليس كما كانوا يســـمعون، لذلك قررت أن أدعوهم مرة أخرى الى تناول القهوة في موعد برنامج «من البادية»، الذي كان يقدمه المرحوم سليمان الهويدي، وبالفعل تم ذلك، إذ ما إن جاء موعد البرنامج حتى دعوتهم ولم أشـغّل التلفزيون إلا في بدء البرنامج، وكان أبو صـالح سـليمان الهويدي، يرحمه الله، يلقي قصيدة عن الربيع في البادية، وكان يصاحبها فيلم عن إبل ترعى ومناظر عن الصحراء، ثم قدم للمشاهد بعد ذلك قصيدة في المقناص للمرحوم مرشد البذال، وعرض معها فيلماً عن القنص والصيد بالطيور، ثم ألقى مفرح الضـــمني قصـــيدة في الغزل العفيف، وهكذا توالت فقرات البرنامج وهم يتابعونه بكل اهتمام وانشـداد، وما ان انتهى حتى قال عمي: هذا فيه «فنجال وعلوم رجال»، ومن حينها اقتنع أكثر رجال القبيلة بضـــرورة اقتناء مثل هذا الجهاز – أي التلفزيون – ووضـــعه في الديوانية لا في حوش «الحريم»، احترازاً للحشمة وحفاظاً على الأخلاق.

المحيلان

حقيقة لقد كنتُ أنوي قبل سرد الحلقتين السابقتين من سيرة طائر الصحراء أن أتحدث عن أحد الشخوص الثقافية المهمة في الكويت، ولكنني لست أدري لماذا استطردت في التداعي إلى معركتي مع القبيلة من أجل إقناعها بأن التلفزيون ليس موبقة تثلم شرف القبيلة؛ بل هو ينقل الفضيلة والقرآن الكريم وأخبار الملوك والأمراء وعلوم المطر، و(فيه) قبائل عندها «فنجال وعلوم رجال» ترحل وتنزل مثلهم وفيها أبطال يهزمون القوم، وذلك من خلال استغلالي أحد المسلسلات البدوية، التي كانت تبث آنذاك من تلفزيون الكويت، ولو أنهم اعترضوا على قبائل التلفزيون، لأنهم يتناولون الفنجان بأيديهم اليسرى (!!)، الأمر الذي حداني لأن «أرقّع» لتلك القبائل بقولي إنهم هناك يختلفون عنا قليلاً، لأنهم يقولون إن اليد اليمنى للسيف واليسرى «للكيف»!، فتقبلوها على مضض.

«ما علينا من ذلك كله» المهم أنني حينما اقتنيت التلفزيون، وأفلحت في إقناع القبيلة أن التلفزيون «زين» وأنني «خوش ولد» أصبحت أتابع أغلب برامج التلفزيون، ومما لفت نظري في تلك الفترة أوائل السبعينيات، بل ولفت أنظار كل المشاهدين في الكويت هو ظهور شاب كويتي وسيم وأنيق له «قَبْلة» وحضور جذاب يشدّ المشاهد إلى التلفزيون بلهجته الكويتية المحببة وقفشاته

الطريفة وتعليقاته الساخرة، ولم يكن حينها يفعل شيئاً في إطلالته تلك سوى قراءة الصحف في التلفزيون لا أكثر!

ولكم أن تتصوروا كيف يشد مذيع أنظار الناس إلى هذا العمل البائت، لكنني لست أدري ما السر الذي شدّ الناس إلى ذلك الفتى، وأصبحوا يتنادون كلما ظهر على الشاشة الفضية، ثم يتداولون في اليوم الثاني في قطار أعمالهم ماذا قال المحيلان بالأمس، نعم لقد كان ذلك الشاب هو عبدالله المحيلان ليس غيره، والذي كان حلمي أن أراه شخصياً آنذاك، ولم أدر أن الأيام ستجمعنا في صداقة متينة امتدت إلى أعوام عدة وإلى أن فرقتنا الأيام أيضاً، وقبل أن أتحدث عن نشوء تلك الصداقة دعوني أفسر لكم سر جاذبية عبدالله للمشاهدين في ذلك الزمان، فالناس قد تعودوا على المذيع المتجهّم المحنط الجاد القسمات والذي لا تعنيه همومهم، إذ كل ما عليه أن يقرأ النشرة أو يقدم البرنامج ثم يولي الأدبار، أما عبدالله المحيلان فقد لامس جروحهم من خلال تصفحه الجرائد اليومية عبر شاشة التلفزيون؛ إذ كان يقف عند الخبر الذي يهم الناس ويعلّق عليه بطريقة محببة ساخرة، وكأنه يتحدث للمشاهد وهو يجلس معه في الديوانية لا من خلال شاشة التلفزيون، وكان أكثر ما يتناول بالانتقاد غلاء الأسعار وزيادة الرواتب وأقوال بعض المسؤولين والأخبار الطريفة وهموم الناس ولو من خلال صفحات القراء التي تنشر في الصحف آنذاك، لينقلها إلى التلفزيون ويقول هكذا: أسمعت يا وزير الصحة أو التربية أو العمل شكوى المواطن فلان؟

ثم يشبك يديه ويتحدث إلى صاحب الشكوى بقوله «تشوف وصلنا صوتك للوزير نشوف وش يسوي في الحلقة القادمة»، وهكذا كان عبدالله يشد المشاهد إليه ويقيم معه علاقة مباشـــرة ليس كما اعتادها من المذيعين أو مقدمي البرامج الذين يتصنعون الوقار الكاذب!

أما ما كان يشـدنا إلى المحيلان آنذاك نحن الشـباب فكان لياقته ولباقته وأناقته وثقافته وجرأته بالطرح، وكان بالفعل نموذجاً للشباب العصري في ذلك الوقت، أما ما كان يشـد إليه الفتيات فهو وسـامته وابتسـامته وإطلالته المشـرقة التي «يا قَبْله الله عليها»، كما كن يقلن، هذه المفردة التي جعلت رجلاً يطلّق امرأته بســـبب هذه الجملة بالذات، وما أكثر المطلقات آنذاك، كما أعتقد، إذا كان مجرد قول هذه الجملة يدعو الى الطلاق!

***

ذكرت في الحلقة السابقة أن المذيع عبدالله المحيلان كان يتمتع بوسامة وجاذبية خاصـة، لاسـيما عند قراءة الصـحف بأسـلوب سـهل ومحبب، وكان ذلك في أوائل السبعينيات.

أما أنا فقد كان مجرد لقائي بالمحيلان آنذاك بمنزلة حلم صـعب المنال وإن كنت أحتفظ له في القلب محبة وتقديراً، إلا أن القدر ودورة الأيام جعلاني فجأة بعد ســـنوات وجهاً لوجه مع (محبوب الجماهير)، إذ كنت حينئذ قد بدأت أكتب

زاويتي «هذرلوجيا» في جريدة السياسة وأنشر في الصفحة الثقافية بعض القصائد الحديثة الحرة التي لاقت استحسان المثقفين في المجتمع الكويتي. ولعل أول مهاتفة دولية من الخارج تلقيتها في العمر كانت من الصديق الرائع الدكتور -الآن- أحمد الربعي، شفاه الله وعافاه، حينما كان يدرس في الغرب، إذ أشاد بقصيدة نشرتها في ملحق السياسة، وقد أعطتني تلك المكالمة ثقة عالية بقدرتي الشعرية، ولاسيما أنني أعرف آنذاك كما يعرف المجتمع الكويتي كله أن أحمد الربعي في تلك الفترة لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب، لذلك اعتبرت مهاتفته لي وأنا الشاب المبتدئ بمنزلة شهادة انتزعتها من مخالب النمر بسطوة الشعر.

أقول إنني حينما كنت أكتب في جريدة السياسة وذات مساء شتائي قارس كنت أقف والصديق الفنان الراحل ناجي العلي في الممر المؤدي إلى صالة التحرير وكان ناجي، بعيداً عن أسماع الزملاء، يشكو لي بعض الممارسات التي أخذت تزعجه من قبل بعض القيادات الفلسطينية والموجهة إليه على وجه التحديد حول ما ينشره من رسوم كاريكاتيرية في جريدة السياسة، وبينما كنا نتحدث -ناجي وأنا- في الممر أقبل شاب يرتدي أحدث الموديلات الأفرنجية في ذلك الوقت، وكان يلف حول عنقه شالاً من الصوف الأسود الفاخر ويرتدي نظارة بيضاء، فاستقبله ناجي بالأحضان والقبلات وأخذا يتعاتبان، وكانت لهجة الشاب (المتفرنج) كويتية صرفة، وبعدما انتهيا من التعاتب التفت

إلي الشاب وقال «أكيد الفليّح؟» فقلت له «بلى»، فمد لي يده مصافحاً وقال «أنا أشـــهد أنك شـــاعر فحل، لقد كنت أتمنى أن أراك». فقال ناجي ممازحاً «تســـمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه»، ثم التفتَ إلي وقال «تعرف هذا مين يا بـدوي؟» فقلـت لـه «إن لم يخب ظني فهو عبـد الله المحيلان» فقـال ناجي «كلّو»، ثم تعانقنا أنا وعبدالله عناق الأصــدقاء، ثم ســألني المحيلان «هل أنت مشـغول الليلة... نريد أن نلتقي ونتحدث، سـأعود إليك بعد أن أعطي الزميل محمد زين هذه الصـــور»، فمد ناجي يده إلى المغلف الذي يحمله عبدالله قائلاً «بدنا نشـوف شـو آخر جنونك قبل ما تسلمها للزملة». ثم أخذ يتأمل لوحات فوتوغرافية بالأبيض والأســـود، كل لوحة منها بمقدورها الحديث عن نفســـها لصـــفحة كاملة في الجريدة من دون أن يكتب حولها حرف واحد. فقال ناجي «شـــي بيجنن يا عبد... أنا ما بقدر أخلي الكاميرا تحكي هيك ولا كمان الريشـــة، يخرب بيتك شـــو مبدع». مشـــينا معاً ناجي وأنا والمحيلان إلى مكتب محمد زين حيث كانت ممثلة عربية مشـــهورة تجلس معه في المكتب لإجراء حوار فني معها من قبل أحد المحررين، فســـلّم عبدالله ومضـــى ناجي في طريقه إلى مكتبه، أما أنا فوقفت بالباب وكأني أمســـي محمد زين بالخير وأطلت في تحية المســـاء، بينما كانت عيناي تحدقان بالممثلة لتقرأ تفاصـــيلها، الأمر الذي لفت نظر محمد زين فقال لي «يا بدوي الظاهر عمرك ما شـــفت بحياتك جمال؟» فقلت له «يا حسـرة هل بصـحراء الظمأ جمال؟!» فضـحك محمد طويلاً وقال

«هذه الفنانة فلانة الفلاني» فقلت «أهلاً وســـهلاً» ولم أقل «تشـــرفنا!!» ثم ســـرت لا ألوي على شـــيء إلى أن اتخذت إحدى طاولات الزملاء، وبدأت أكتب مقالتي اليومية هذرلوجيا التي تأخرت عن موعد تسـليمها تلك الليلة، مما حدا بالزميل الرائع عبد اللطيف الأشمر أن يزعق فوق رأسي «خلصنا بدنا نقفل الصفحة شو... أحنا عبيد عند أبوك بدنا نروّح».

آنذاك كتبت على أعلى الورقة هذرلوجيا وعلى أســـفلها ســـليمان الفليح وسلمتها للأشمر بيضاء لا سوء فيها.

فقال لي «ولِك شـــو هيّ؟!» فقلت له «هيّ لا شـــيء!! لأنني حقيقة ليس لدي اليوم موضـــوع أكتبه وهذا البياض أو الفراغ هو حقيقة جعبتي الليلة فلكي أكون صـــــادقاً مع القراء أريد أن أطلعهم على الحقيقة كما هي لا أن أفبرك موضـــوعاً تافهاً من عندياتي، أليس هذا هو الصـــدق» فضـــحك الأشمر وحمل الورقة وقال «سـأترك مسـاحة زاويتك على الجريدة بيضـاء كما تقتضـى الأمانة الصحفية حتى لو (فنشني) أحمد الجارالله» وقد صدق بذلك.

المحيلان أيضاً

قلت في الحلقة الســابقة إنني التقيت الفنان المبدع عبدالله المحيلان لأول مرة في جريدة الســـياســـة، عندما جاء ليســـلم مدير التحرير مجموعة من لوحاته الفوتوغرافية التي طوّع بها عدســـة الكاميرا لتغدو كعين الســـمكة التي تدور من الأعلى إلى الأسفل ومن اليمين إلى الشمال لتلتقط جزئية صغيرة من المشهد قد تعبّر عن شـــيء آخر يراه الفنان ليســـقطه على أي رمز يراه في الحياة ويعطيه أبعاداً جديدة لا يمكن أن يلّم بها إلا فنان مبدع يرى ما لا يراه الآخرون – ولكي لا يخلط القارئ بين عدسة المحيلان المتراقصة، التي شبهناها بعين السمكة والكاميرا التي تسمى fish eye التي (درجت) على الصحافة المحلية في ذلك الوقت، والتي كانت تأخذ المشـهد من أقصـى اليمين أقصـى اليسـار بمشـهد «بانورامي» أقول إن عدسة المحيلان كانت تعتمد على اللعب «بالإضاءة والفلتر معاً وإحماض التظهير» لتبدو لقطته غريبة ومتعددة الأبعاد ويشوبها أحياناً بعض الغموض الشـفيف لكن مدرسـته الفنية تسـتلهم دوماً البيئة الكويتية على وجه التحديد أو اقحام البيئة في مشـهده الفوتوغرافي على عكس ما كان يفعل زميل آخر يمتهن التصـــوير الفوتوغرافي «المقروء» وهو يضـــاهي المحيلان – إبداعاً – ولربما يُعتبر أطول وأقدم تجربة منه الا وهو الصديق الفلسطيني صالح عباس الذي كان يعمل في جريدة السياسة أيضاً – وذلك لأن موضوع صالح الفوتوغرافي لا

بد أن يرتبط بالجنس، إذ ان لقطته مهما كان مشهدها الحقيقي فلا بد أن تترك في ذهن القارئ انطباعاً جنسياً كثيراً ما أوقع «السياسة» في «مطبات» رقابية لا ينتبه إليها إلا من يريد اصطياد الزلات الصحافية آنذاك، ومما زاد الطين بلة أن يلتقي صالح عباس بمحرر مبدع من نفس الجريدة هو الزميل سميح سمارة، الذي كان أسلوبه يميل إلى الرمزية الشاعرية حتى في عمل التحقيقات والاستطلاعات الصحافية وكان يُفسر عمله الصحافي المقترن بكاميرا عباس أقسى التفاسير وأكثرها فداحة، مما دعا رابطة الأدباء آنذاك الى أن تشن حملة شعواء على الاثنين (عباس وسمارة) بتهمة تدمير أخلاق النشء، ولم تنته المشكلة إلا بعد مفاوضات طويلة قادتها الزميلة الكبيرة (جلو دلال) – أم الخير – مع الأدباء التقليديين الكبار أمثال المرحوم عبدالرزاق البصير والمرحوم عبدالله سنان وأحمد السقاف أمد الله في عمره.

ما علينا من ذلك كله المهم أنني في تلك الليلة، التي التقيت فيها الفنان عبدالله المحيلان، قد دعاني إلى مشاهدة فيلم سينمائي من تصويره وإخراجه يتحدث عن الثورة الأريترية التي كانت تدعو إلى الاستقلال عن الحبشة وقد عانى المحيلان كثيراً وهو يصور الفيلم في جبال وأدغال ومستنقعات أريتريا حتى أصيب بداء الملاريا أثناء العمل ولم يتوقف حتى أنجز فيلمه الشهير (أرتيريا وطني) دعماً للثورة الأريترية التي كانت «تدّعي» العروبة، ولعلي وأنا أشاهد بعض زعماء أريتريا السياسيين اليوم وذلك بعد حصولها على الاستقلال استعيد وجوه بعض الطلبة

الثوريين الذين كانوا يدرسون في الكويت في منتصف السبعينيات، وهم يدينون بالفضـــل الكبير للفنان الكويتي المبدع عبد الله المحيلان الذي نقل قضـــيتهم إلى العالم من خلال ذلك الفيلم الرائع وآسَف كثيراً لتنكرهم «لعروبتهم» اليوم (!!).

الفايز والمحيلان

كنت قد ذكرت في الحلقة السابقة، أن عبدالله المحيلان أبدع في تصوير وإخراج فيلم سينمائي عن الثورة الأريترية، التي كانت تدعو إلى الاستقلال عن الحبشة أواسط السبعينيات.

بالإضافة إلى الفيلم، كان المحيلان قد غامر أيضاً بتصوير وإخراج ديوان الشاعر محمد الفايز - يرحمه الله - «مذكرات بحار»، وحوّله إلى مشاهد بالصوت والصورة والموسيقى على الشاشة في تلفزيون الكويت، ما أثار دهشة المشاهدين الذين لم يتعودوا أو يسمعوا هكذا مغامرة يقوم بها مبدع كويتي بارع، وما دام الشيء بالشيء يذكر، فإنني لا أنسى في هذا الصدد مبدعا كويتيا آخر كان من حسن حظ الإعلام الكويتي - آنذاك - أن يكون على رأس أخطر جهاز إعلامي في الدولة، ألا وهو تلفزيون الكويت، وأعني بذلك الصديق الكبير محمد السنعوسي، الذي كان هو الآخر أول مدير تلفزيون عربي لا يقف خلف الكاميرا، بل أمامها في برامجه الشعبية الشهيرة التي تلقى صدى وقبولاً لدى المجتمع الكويتي، بل وتحل مشاكله. وقد ذهب السنعوسي أبعد من ذلك، حينما أكمل ما أوقفه عبد الله المحيلان في (سَينمة) مذكرات بحار، نظراً لخلاف عبد الله المحيلان مع التلفزيون - آنذاك - على الرغم من أنني أذكر جيداً، وهذا موقف رائع لمدير التلفزيون — السنعوسي، أن يزور عبد الله المحيلان في شقته

الصـــغيرة في حولّي ويرجوه أن يكمل أعماله المبدعة ويســـتمر في تعامله مع التلفزيون، لأن خروجه أو انقطاعه يعتبر خســـارة فنية للوطن، وقد عاد عبد الله بعد ذلك بفكرة أشـد صـعوبة وغرابة وتعقيداً من عمله الأول (مذكرات بحار)؛ إذ راهن أن يقوم بعمل فيلم خاص بقصـيدتي «توجسـات في الزمن الفاسـد»، وقد وافق وزير الإعلام الراحل – يرحمه الله – الشــيخ جابر العلي، الذي كان يشجع المبدعين والإبداع دائماً، على عمل «الفيلم – القصيدة»، وأمر التلفزيون بأن يجهز لعبد الله المحيلان كل ما يريد، وبالفعل تهيأ لعبد الله كل الطواقم الفنية لتكون تحت تصـرفه في إنجاز هذا «العمل – التحدي»، وقد شـرع عبد الله – كما اعتقد – بالبدء في أخذ المشـاهد الأولى، لكن أحد أولياء وزارة الإعلام – آنذاك – همس في أذن الشــيخ المرحوم جابر العلي بأن هذا العمل يكلف وزارة الإعلام مبالغ هائلة، وكل ذلك من أجل قصــيدة لا تتعدى صــفحتين (!!)، وهي مليئة بالطلاسـم والكوابيس «إنها يا طويل العمر مجرد هذيان شـاعر مجنون يريد أن ينقله إلى الواقع مخرج (أجن) منه!!»، ثم لا أعرف كيف ألغيت تلك المغامرة المحيلانية المدهشة – لو حدثت بالفعل!!

انقطع عبد الله المحيلان عن العمل والتعامل مع تلفزيون الكويت لفترة طويلة، وأصبح يقضي وقته بين شقته الصغيرة في حولّي وشاليه العائلة، وكنت كلما زرته أجده مشــغولاً بحب جديد أو هواية جديدة تتعلق بالبحر على وجه التحديد، وذات مرة كنت أجالسه في ليلة قمراء على حافة البحر، وكنا نمدّ أرجلنا في الماء

ونتحدث عن الفن والشعر وهموم الوطن التي يوليها عبد الله جلّ اهتمامه، لأن عبد الله «كويتي للنخاع»، ويحب كل ذرة رمل من تراب الكويت ويغار عليها، وبينما كنت أترنّم بقصيدة للشاعر الراحل محمد الفايز يقول مطلعها «البحر أجمل ما يكون لو لا شعوري بالضياع»، صرخ عبد الله صرخة مدوية سمعها أصدقاؤنا الذين كانوا يلعبون «الجنجفة» في الشاليه، ثم سحب رجله من الماء وراح يعرج وهو يصرخ «فريالة، فريالة»، وكنت أسخر منه وأضحك «ما بها فريال... هل ماتت؟!»، إذ كنت أظن أنها إحدى صديقاته، وأضفت: «عساك تلحقها!!»، ولم ألقَ له بالاً بينما هرع أخوه الدكتور عبد الرحمن وحمله إلى الشاليه، وكانت كل ساق من ساقيه تنتفخ شيئاً فشيئاً كالبالون، ولم أفهم السبب بعد إلا حينما أفهمني الدكتور أن عبد الله تعرض إلى لدغة سمكة سامه اسمها (الفريالة!!)، وهنا خجلت من سخريتي اللامبررة في هذا الموقف تجاه صديق ربما كان سيموت لولا وجود من يعرف خطر لدغة الفريالة، لأنني لم أسمع قط أن ثمة سمكة سامة كالأفعى تعيش في البحر؛ لذا نقلنا عبد الله إلى مستوصف الزور، الذي أحاله بدوره إلى أحد المستشفيات، إلى أن شفاه الله بعد أيام طويلة من ذلك الحادث المشؤوم.

الديوان

ذات يوم قائظ من أيام «آب اللهّاب»، دخلت إلى مبنى جريدة «السياسة»، وعند الاستعلامات بالضبط صادفت الصديق الرائع عبداللطيف الأشمر، وكان أبو وائل آنذاك «دنجوان» زمنه!! حيث كان يرتدي أحدث الماركات الفرنسية، وينسدل شعره الكستنائي على كتفيه، وكان يشغل حينها منصب سكرتير التحرير في جريدة «السياسة» الغراء، وكان في أوج «زهوائه» يسير كمن يحدث نفسه «يا أرض اهدّي ما فوقك قدّي»، ولست أدري حينها كيف التفت إليّ عبداللطيف وكان باب المطبعة مشرعا إلى اليسار، وقال لي «لك يا بدوي شو رأيك نطبع لك ديوان»، ثم أشار بيده إلى المطبعة، ولم ينتظر الرد وقال: «يا الله مشي».

***

صراحة، حينها كنت تماماً في موقع المثل العربي «المشتهي المستحي»، وأقول المشتهي؛ لأنني كنت أحلم بهذا العرض، ولكنني أستحي من عرضه على الآخرين؛ لذلك لم أفتح فمي بكلمة واحدة، بل سرت مع عبداللطيف الأشمر وهو يدخل إلى المطبعة صارخاً «يا تاج»، وتاج هذا إن لم تخُني الذاكرة هو زميل هندي كان يدير مطبعة السياسة.

ولما لم يجد عبداللطيف «تاج»، خرج مرة أخرى... «السـمره» والسـمره هو صـديق فلسـطيني أعتقد آنذاك أنه نائب تاج في المطبعة، ثم أتى السـمره ملوثاً بالأحبار والرصاص، وقال لعبد اللطيف «شو؟!» فقال له أبو وائل «لا شو ولا بطيخ»، سيأتيك هذا «الزلمة» البدوي بديوانه وعليك أن «تصفّه» في المطبعة: فقال السـمره: ومن يتحمل المسـؤولية؟ قال أبو وائل: أنا، بل أسمع يا السـمرة «بلاش يجيك»، سـأحول لك كل قصـائده المنشـورة في ملحق «السـياسـة»، وسأتولى أنا مسألة إخراج الديوان «وسندبّر» الأمر مع وزارة الإعلام فيما بعد.

***

مضى شهر لا أكثر، إذ بعده ناداني عبداللطيف وقدّم لي نسخة من الديوان، وقال لي: مبروك: حقيقة لقد أصـبت بالذهول من شـكل الديون الذي أخرجه عبداللطيف، الذي كان بحجمه يشـبه كراس الرسـم في المدارس الابتدائية، لكنه اعتمد في الداخل على صور فوتوغرافية لمصلحة عباس التقطها لي، وموضوعات القصائد «كما يرى» ومن دون أي استشارة مني.

لكنني في حقيقة الأمر، كنت مزهواً من أن «يتنازل» صالح عباس وهو في قمة مجده، ليصطاد لي صوراً خاصة تُضمّن في ديواني الأول.

بعد صدور الديوان من مطبعة السياسة، تناولت أول نسخة منه. وأهديتها إلى الأستاذ فيصل السعد، الذي كان مشرفاً على الصفحة الثقافية في «السياسة»، والذي كتبت عنه عرضـــاً رائعاً لم أزل أحتفظ به حتى اليوم، بعدها حمل «أبو ســنين الســعد» الديوان إلى رابطة الأدباء، ثم هاتفني في اليوم الثاني؛ ليزف لي بشــرى رائعة؛ ألا وهي أن الصــديقة الروائية والقاصّــة والإنســانة ليلى العثمان قررت أن تستضيف ثلاثة أدباء من الرابطة؛ لمناقشـة الديوان في برنامجها الثقافي الذي يبث أســبوعياً من تلفزيون الكويت، وكان الأدباء الثلاثة هم الأحب إلى القلب (خالد سعود الزيد، ود. عبدالله العتيبي وفيصل السعد).

قلت في الحلقة السـابقة إن الصـديقة والروائية الإنسـانة ليلى العثمان قررت أن تستضيف ثلاثة أدباء من الرابطة؛ لمناقشة ديواني الأول في برنامجها الثقافي الذي يبث أسبوعياً من تلفزيون الكويت، كان ذلك في أوائل الثمانينيات.

وبالطبع في ذلك الزمن الجميل أو (كما أتصـــور) انه لم تكن الضـــغائن أو الحســد أو الغيرة تسـكن قلوب أناس ذلك الزمن المضــيء؛ لذلك هاتفني في ما بعد أبو وضــاح، الأســتاذ خالد ســعود الزيد، وقال لي أرجو أن تأتي معنا إلى التلفزيون؛ لأننا سـنقول عنك وعن ديوانك (التعس) ما لم يقله مالك في الخمر. وبالطبع توجهت إلى الرابطة، وركبنا ســيارة واحدة –لســت أذكر من كان منا يقودها آنذاك– ولكن الصــديق الشــاعر الراحل خالد ســعود الزيد كان يتأمل

الديوان ويقلّبه، ويهمهم على طريقته الصوفية الغريبة، وحينما اقتربنا من ضاحية عبدالله السالم لفتت نظري (فيلّا) جديدة أعجبني تصميمها الهندسي الفظيع، وقلت للدكتور الراحل عبدالله العتيبي: يا عبدالله... ألا ترى تلك الفيلا الرائعة، إنها تحفة ستبقى شاهدة (خالدة) على فن المعمار في الكويت. ساعتها صرخ خالد سعود الزيد وقال بصوته العالي الرنان: يا سلوم (يا...) إن الذي سيبقى خالداً هو مثل هذا الديوان (الأصغر) (التعيس) الذي أحمله في يدي (الغناء في صحراء الألم) وستبقى أسماؤنا خالدة على أرض هذا الوطن الجميل. وستزول يا ولدي كل هذه البهارج المؤقتة في الحياة.

ملاحظة للأهمية: بعد (28) عاماً من تلك الحكاية، وفي زيارتي الأخيرة لوطني الكويت. لم أجد تلك الفيلا؛ لأنها أزيلت عن الوجود، وتبقّى بالفعل خالد سعود الزيد وعبدالله العتيبي، وأنا الشاهد الباقي على قيد الحياة. بالرغم من أنني صمّمت مثلها وسكنتها، فسوف تزول... ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام.

وصلنا إلى التلفزيون واستقبلتنا الصديقة الرائعة ليلى العثمان، والتي أعتبرها حقاً من أروع الناس في الكويت؛ لما تجسّده من جمال يختلط فيه البهاء الأنثوي والبهاء الروحي والبهاء الإبداعي. الذي لطالما (لغط) فيه الكثيرون من أعداء الجمال، وشوهوا صورتها الناصعة في أعين حتى الذين لا يملكون إلّا المحبة –وأنا

كنت واحداً منهم- وأقولها بكل وضوح وأعترف إذ إنني لست أدري حتى الآن، لماذا (افتعلت) كراهية ليلى لكي أبدو في أعين الآخرين أنني نصـــير مقولة إن ليلى يُكتب لها (ولا تكتب هي)، تلك (الظليمة) الفادحة التي نســـفتها التجارب والأيام والمعرفة الحقيقية بـــ(ليلى) المبدعة حقاً. ومكابداتها الصلبة في اســـتمرار إبداعها المتفرد والمضــــيء. بل إن من يعرفها عن قرب، ســـرعان ما يكتشف بكل وضوح شفافيتها المرهفة وثقافتها وإنسانيتها الشاسعة، وشاعريتها المخبوءة التي تعف عن الإعلان، ما علينا من ذلك كله. المهم ان ليلى استقبلتنا في اســـتديو تلفزيون الكويت. وأتاحت المجال شـــاســـعاً للأدباء الثلاثة الذين سيتناولون ديواني (الغناء في صحراء الألم) وهم الأستاذ الشاعر والناقد المرحوم خالد سعود الزيد والدكتور الراحل عبدالله العتيبي، والشاعر فيصل السعد أطال الله بقاءه. وما إن (دارت الكاميرا) حتى نهض أبو سعود، يرحمه الله، وتوجه إلى ديكور المكتبة المصاحب للبرنامج ووضع الديوان عرضاً وطولاً وقال للمشاهدين «ألا ترون أن هذا الديوان يخالف حتى قياســـات الكتب في المكتبة، إنه ديوان مخالف حقًّا» ثم بدأ يتناول الديوان بالعرض والنقد.

تسكُّعات في المدن العربية

في بداية الثمانينيات الميلادية وآخر السبعينيات من القرن المنصرم، كان من عادتي حينما أنوي السفر للتسكع والتصعلك في أرجاء الدنيا الواسعة، أن أرتدي بنطالا من الجينز وقميصا مخططا، وأعلّق على كتفي حقيبة من وبر الإبل نسجتها أمي –يرحمها الله– وكانت بمنزلة «مزودة» أضع فيها ملابسي وأوراقي، ثم أنطلق إلى أية جهة تخطر في البال، وذات مرة هبطت دمشق حيث كانت في ذلك الزمن تعج بالمثقفين والصعاليك من مختلف بلاد العرب، ثم اتجهت فورا إلى ساحة المرجة؛ لكي أسكن في غرفة بسيطة في فندق رخيص أجعله محطة ثابتة، أنطلق منها لممارسة الصعلكة، وأعود لها أحيانا في أواخر الليل، وأحيانا قد لا أعود إليها إلا بعد عدة أيام؛ إذ إن لي علاقة وطيدة بصعاليك المدينة وسكان شوارعها الخلفية، وضواحيها الفقيرة، وكانت تلك العلاقة مزيجا من المثقفين والبسطاء والسوقة و«الزعران» والغرباء الذين يتجولون في أنحاء المدينة مثل الشاعر العراقي الراحل الصافي النجفي –يرحمه الله– الذي كان بدويا مثلي، إلاّ أنه لا يخلع مطلقا لباسه العربي من ثوب أبيض وغترة وعقال وعباءة سوداء مهترئة، وكنت كثيرا ما أشفق عليه وأمده بالنقود وأتقاسم أنا وإياه رغيف الخبز طوال إقامتي في المدينة، وحينما لا أجد الصافي أتجه إلى مقهى «الليتيرنا»، حيث أجد ممدوح عدوان الشاعر السوري الرائع والراحل، وكذلك أجد الشاعر

الكبير علي الجندي، والفنان صـــباح عبيد الذي أصـــبح الآن نقيبا للفنانين السـوريين، وحينما لا أجد أحدا منهم في «الليتيرنا» أجلس وحيدا أسـتمع إلى السـيمفونيات الرائعة التي تصـدح في أرجاء المكان، ثم أنتقل في الليل بحثا عن مضـارب «الغجر» الذين صـادقتهم كثيرا وكنت أسـتمتع بأغانيهم الريفية حتى الصباح، بعيدا عن ضجيج الملاهي التي تصدع موسيقاها الرأس، والحق يقال إن الغجر في ذلك الزمن كانوا يمتهنون الفن فقط، ولا يمكن لنســائهم أن تمارس الرذيلة على الإطلاق، مهما كان الثمن؛ ولذلك أحببتهم وأقمت معهم علاقة حميمة جيدة، وذات ليلة حينما عدت إلى فندقي وأويت إلى غرفتي الصــغيرة لســت أدري كيف ضــاعت مني نقودي؛ إذ ما ان نهضــت بحثت عنها ولم أجدها، فاتهمت عمال الفندق بذلك، الذين أنكروا تلك التهمة الظالمة – بالفعل– وبعدما شـكوتهم إلى قسـم الشـرطة وأجرى التحقيق اللازم، وأخلى ســبيلهم وبقيت حائرا في المدينة بلا نقود، بالرغم من أنني قد دفعت إقامتي في الفندق لنصــف شــهر قادم، وبينما أنا في هذه الحالة «الحيص بيص» قررت اللجوء الى الســفارة الكويتية، فرفعت سماعة الهاتف وطلبت الملحق الإعلامي لعله يعرفني، وبالفعل ما ان سمع باسمي حتى رحب بي أجمل ترحيب، وقال لي إنه يقضي إجازة نهاية الأسبوع في ريف دمشق، ووعدني بأنه ما ان يعود فسيأتي إليّ شخصيا وهو يحمل ما أحتاج إليه من نقود.

ولأنني حينها لم يبقَ في جيبي سـوى ثمن القهوة، فقد قررت التقشـف الشـديد حتى يعود الملحق الإعلامي لإنقـاذ جيبي من «الفَلَسْ»! لـذلـك ذهبت أذرع الشـوارع بلا هدى وكنت حزينا مغموما و«طفران» أيضـا، حتى إذا ما أنهكني التعب ارتميت على أقرب كرسي في مقصـف مفتوح وكان قليل الرواد، ثم رحت أتأمل أغصان الأشجار؛ لأنني لا أملك أكثر من ذلك.

وكان بالقرب مني أربعة شـبان يقهقهون بأعلى الصـوت، ثم رمقني أحدهم بنظرة فاحصة وكفوا عن الضحك وتلفتوا إليّ، ثم نهض أحدهم وجاء ليصافحني بقوله هل أنت فلان؟! فقلت (كله) فقال لي أنا زميلك (محمد أمين القدومي) من قسم المحاسبة في جريدة السياسة، ولم أملك حينها إلاّ أن أضمه وأقبله مرات ومرات وأكثرت «التراحيب» به وامتدحت سـيرته التي لا أعرف عنها شـيئا من «عندياتي»، ثم أخذ يحلف بالطلاق أن أنضـم إليهم وأشـاركهم الغداء، وقد ابتهجت كثيرا بهذه الدعوة التي جاءت في وقتها بالتمام والكمال، وبعد أن تبادلنا النكات من «كعب الدسـت» أو من «الزنار وتحت» حسـب التعبير الفلسـطيني، وتناولنا معها الغداء و«عينّا خير»، نهضـنا ليوصـلني بسـيارته الـ«دودج» التي تحمل لوحة كويتية، فشـكوت له سوء الحال المادي فقال لي «ول يا زلمة افتح الدرج اللي عندك وخوذ قد ما بدك فلوس!».

«آن» الغجرية

قلت في الحلقة السابقة إنني حينما ضاعت نقودي خرجت أذرع الشوارع بلا هدى بانتظار اتصال يأتيني في الغد من الملحق الإعلامي في السفارة الكويتية في دمشق لحل أزمتي المالية الصغيرة، وقلت أيضا إنني وجدت الزميل محمد القدومي الذي يعمل في جريدة السياسة بالمصادفة، الذي أقلني بسيارته الـ«دودج»، وحينما شكوت له سوء الحال قال لي بكل شهامة عربية: «يازلمة افتح الدرج وخوذ قد ما بدّك ونتحاسب بعدين»، حينها قلت له شريطة أن تخصم هذا المبلغ من راتبي تلقائيا عندما نعود إلى الكويت، فوافق على الأمر، ثم التفت إلي قائلاً «وهسع وين بدك» فقلت له على الفور: إلى اصدقائي الغجر، وهنا فتح فمه دهشة ثم قال: «هضول حرامية شو بدك فيهم؟! قلت له: لا والله الحرامية الذين سرقوا نقودي من ذوي الياقات البيضاء في الفندق!».

ثم أردف متسائلاً لماذا أنتم الشعراء تحبون الغجر؟ زي عرار شاعر الاردن الذي كتب عنهم ديوانا كاملا اسمه «عشيّات وادي اليابس»، فقلت له يا أبو «حنطش» وهل أنا أفضل وأعقل من عرار الذي أوقف الموكب الملكي للملك عبدالله بن الحسين ملك الأردن، حينما كان وزيرا لبلاطه، ونزل لكي يحييهم بقوله:«بين الخرابيش لا عبد ولا أمة /ولا أرقاء في أزياء أحرار»

فهنالك يا قدومي الكل يتســـاوى عندهم، لذلك أنا أحبهم ولذلك توجه بي إلى مضـــارب الغجر، وما ان وصـــلنا الى مضـــارب الغجر حتى أحضـــر العود صـديقي «عبجو» الأعمى، وأحضـر المرواس «سـطوف»، وبقية آلات الإيقاع أحضرتها «كاملة» العجوز، وبينما كان يسطع على نور السيارة وجها «نوارة» و«حمزية» الراقصتين الأفعوانيتين، ابتدأ السامر حتى مطلع الشمس، بينما انضم القدومي رفيقي بالمواويل الحزينة التي يســـمعها الغجر لأول مرة في الحياة، وكان صوته الشجي يشق عنان السماء، وقد لفت نظري شابة جميلة شقراء لأول مرة أراها في مضـــارب الغجر، وكانت تبدو لي أنها ليســـت منهم، بل كدت أجزم آنذاك انها فتاة اوروبية ولا شـك، وحينما سـألت عنها شـيخة الغجر (كاملة) العجوز، قالت لي: إنها من بلاد المجر، وهي تأتي لتقيم عندنا عدة أيام ثم تختفي في المدينة، ان اسمها «آن»،

وهي طالبة تعد رســالة في «اغاني الغجر» في كل أصــقاع العالم، وهي تعرف اللغة العربية بشكل لا بأس فيه، حينها ناديت «آن» ورحبت بها وقلت لها: أنا مثلك شـــاعر اعد كتابا عن حياة الغجر وعاداتهم وطقوســـهم وفنونهم الغريبة، ففرحت (آن) بهذه المصـادفة، لاسميا انني احفظ بعض الشـعر المترجم للشـاعر المجري (يوجيف اتيلا)، وكنـت ألقي عليهـا الشـــعر بطريقـة احتفـاليـة مع عود صديقي (عبجو)، الأمر الذي جعلها تتعلق بي وأتعلق بها، حتى اننا ما إن قررنا وداع الغجر انا وصديقي (ابو حنطش) القدومي، حتى قالت لنا خذوني معكما

إلى الفندق الذي أسكن فيه، وكان قريبا من الفندق الذي كنت اسكن فيه انا، وفي الطريق أخرجت «آن» المجريّة «نايا» من حقيبتها الكتانية، وراحت تنفخ وتعزف عليه بأناملها الرقيقة البيضاء، وكان يصدر لحنا حزينا، يعيدك الى سهول بلادها البعيدة؛ الامر الذي دعا صـــديقي القدومي الى التوقف عن القيادة، ثم أصــغى طويلا إليها، وبعد ذلك تناول الناي (الشــبيبه) باللهجة الفلســطينية، وراح يعزف عليها الدبكة الفلسطينية، وقد شبكنا أيادينا، القدومي، وآن، وأنا، ورحنا (ندبك) في الشارع، غير عابئين بأحد، ثم لا أدري كيف انضم إلينا بعض الشـباب الريفيين، واتسـعت الحلقة، وقبل أن يتجمهر علينا المارة، ركبنا سـيارتنا وولّينا الأدبار.

حينما أوصــلنا (آن) إلى فندقها وقبل أن تترجل، قالت لي: لقد سمعت الكثير من أشــعار الغجر، وأريد أن أسمع أشــعارك أنت فاتفقنا أن نلتقي في المســاء، لنمارس التسكع في المدينة ونردد الأشعار.

أويت إلى غرفتي في الفندق فانتابني الأرق، ورحت اتقلب على الســـرير أفكر بالنقود المضـاعة حينا وبـــ(آن) المجرية الشـقراء، وبينما كنت مشـعلا سـيجارتي وأدخنها على السـرير، لســت ادري كيف سـقطت مني على الارض، وراحت تتدحرج تحت الســـرير، الامر الذي خفت منه أن تســـبب حريقا في الفندق، فنزلت أبحث عنها قبل ان تترك اثرا على «الماكيت»، وبينما كنت أبحث عنها

وقعت عيناي على نقودي المبعثرة الضائعة تحت السرير، والتي يبدو أنها سقطت بين مقدمة الســـرير والجدار؛ لذلك رحت أجمعها بفرحٍ طاغٍ، وانا ألعن الإهمال والنسيان.

الأوغاد

ذكرت في الحلقة السابقة أنني عثرت على نقودي الضائعة تحت السرير، أصبت باغتباط هائل ورحت أرقص و«أنط» كالسنجاب وأهتف «بروحي لروحي»، لقد أصبحت ثريا يا ولد، فها أنت قد عثرت على نقودك، و«استلفت» من صديقك القدومي ما يجعلك (تتبرجز) في أضخم فندق في المدينة، ولمدة يومين على الأقل، وعليك أن ترتب الأمر حينما تستيقظ.

ثم رحت أغط في نوم عميق كالسلاحف؛ لأستيقظ بعد ذلك في الخامسة مساء، ورفعت على الفور سماعة الهاتف، وطلبت من استعلامات الفندق أن تصلني بـ«آن المجرية الشقراء»، التي تقيم في فندق ليس بالبعيد، وحينما جاءني صوتها عبر الأسلاك كانت تموء كالقطة الغافية، وهي تنفض عن عيونها الزرقاء الكسل اللذيذ، ثم قالت لي: هيا تعالَ لنخرج للتسكع.

***

ارتديت ملابسي وعلقت حقيبتي (الوبرية) على كتفي، واتجهت إليها على أحرّ من الجمر، بينما كانت هي تنتظرني في ردهة الفندق بتنورتها الجينز القصيرة، وقميصها الهفهاف، وشعرها الأشقر الذي يلهو به الهواء، ساعتها قلت لها بجلافة بدوية: ما هذا يا آن ؟ ألا تعرفين أنك في بلاد العرب، حيث

العيون الظمأى والغرائز التي يشــققها الجفاف، والذئاب الجائلة التي ترى في كل أنثى جميلة مجرد حمل وديع مهيأ للافتراس؟ صــحيح أنه بمقدوري أن أحميك من الذئاب قدر المستطاع؛ لأنني ذئب صحراوي حقيقي ولي أنياب حادة ومخالب كالسكاكين، ولكن ليس بمقدوري أن أحرسك من العيون الجائعة؛ لأنني بدوت أغار عليك حتى من الهواء، ضــحكت «آن» كثيرا ثم تأبطت ذراعها ومضــينا ندلف في الشــوارع بلا هوى ولا دليل، ولكنها طلبت أولا أن نتجول في ســوق الحميدية الشــهير لتشــتري بعض الأســاور الفضــية القديمة، وقلائد الخرز و«الحجول» المشــنشــلة التي تضــعها فتيات الغجر على ســيقانهن، وبعض الأكســســوارات التي كانت ترتديها البدويات في القرن الماضــي، أما أنا فقد اشــتريت لها ســيفا مزخرفا بالخزف، ودلة قهوة تملؤها النقوش، فقالت لي: ماذا يعني هذا؟ فقلت لها ببداوة بريئة: إن السيف يعني الشجاعة، والدلة تعني الكرم، وهاتان أهم صــفتين يتحلى بهما العرب، فابتهجت كثيرا للمعنى الرمزي لهاتين الهديتين، ثم التفتت إليّ وقالت بإصرار:

أين مضــاربكم؟ هل بمقدورنا أن نتوجه إليها؟ فضــحكتُ من هذا الســؤال المباغت، وقلت لها: اسمعي أيتها المجنونة (آن): ما تبقى من قبيلتي الظاعنة الآن يتجول في أعماق صــحراء الحماد في الجزء الشــمالي من نجد، وهي مســافة لا يقطعها حتى الطير؛ لأنه يموت من الارتحال والظمأ، فكيف بحمامة وديعة

وجميلة مثلك؟! ولكنني على أي حال وعدتها خيرا إذا ما زارتني في الكويت؛ لأن الجزء الآخر من قبيلتي يتجول في صحراء حفر الباطن قرب الكويت.

«تصرمحنا»: آن وأنا طويلا في شوارع دمشق وأحيائها الشعبية القديمة، وكنت ألقي عليها بعض الشعر فأترجمه أحيانا بلغة عربية تشوبها الألفاظ البدوية وبإنجليزية «مكسرة» لا تخلو أيضا من تلك الألفاظ! وكانت هي أيضا تقول لي ما حفظتْه من شعر الغجر المرتحلين في الأصقاع الأوروبية، ذلك الشعر الذي قرأته مترجما بعد عدة أعوام من ذلك اللقاء، حينما تعرفت على الشاعر العراقي (نامق كامل) الذي قام بالترجمة، وكان زميلا لنا في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وكذلك في جريدة السياسة الكويتية أيضا.

***

بعد أن أعيانا التجوال والتعب قلت لها: ما رأيك في أن نتناول العشاء في «الليبيترنا»، حيث يحتشد فيه الآن العديد من الشعراء العرب الذين يفدون إلى دمشق، بالإضافة إلى شعراء سورية ومجموعة لا بأس بها من شعراء العراق المنفيين والهاربين من القبضة الحديدية لصدام حسين.

فأعجبتها الفكرة وقالت: إنها فرصة رائعة لمعرفة الشعر العربي الحديث لأنني- والحديث لم يزل لها- قرأت المعلقات والشعر الجاهلي وخصوصا أشعار وحياة

الصعاليك، فقلت لها: حسنا، سترين في «الليبترنا» ماذا حل بالصعاليك العرب اليوم، بل بأحفادهم على وجه الخصوص.

***

ذكرت في الحلقة السابقة شيئاً من تجوالي برفقة الباحثة المجرية «آن» في أحياء دمشق القديمة، وبعد أن أعيانا التعب والإرهاق قررنا تناول العشاء في «اللاتيرنا» حيث يحتشد العديد من الشعراء العرب الذين يفدون إلى دمشق.

دلفنا إلى مقهى ومطعم (اللاتيرنا) وكانت تدندن بأغنية مجرية خفيضة، فالتفتْ كل الوجوه إلينا ولم نأبه بها، بل اتخذنا طاولة تحت شجرة يتدلى منها قفص فيه بلبل ملون جميل أسميناه فيما بعد(حمار غيلان)، وتلك قصة سنسردها فيما بعد.

***

تأملت الوجوه فطالعني وجه الشاعر العراقي الرائع عبد الكريم كاصد الذي كان يجلس وحده ساهم الطرف وهو يتأمل أغصان الأشجار، ولكنه ما ان لمحني حتى حياني على البعد، فدعوته إلى طاولتي؛ لأحصل منه على ديوانه الجديد، ثم جاء بما عُرف عنه من خجل نبيل وهدوء آسر، فعرفته على (آن) وعرفتها عليه، ثم أخذتْ تسأله عما حل بشعراء العراق الكبار إبان حكم صدام حسين، وراح عبد الكريم يحدد لها مَن ذهب منهم لبلدها المجر، ومَن

ذهب إلى ألمانيا، ومن توزعتهم المنافي، وبينما نحن نصغي إلى عبد الكريم، فجأة دخل ثلاثة أوباش منفوشي الشعر وبملابس رثة ووجوه عابسة فتوزعوا في أركان المقهى، فأخذ أحدهم جهة اليسار، وأخذ أحدهم جهة اليمين، وأخذ ثالثهم الوسط، ثم أخذوا يخطفون من كل طاولة قطعة من اللحم أو ملعقة من المقبلات، ورشفة من (الجعة)، غير آبهين بزبائن المقهى، ولم ينهرهم أو يمنعهم عن ذلك أحد، إلى أن جاء أحدهم نحو طاولتنا فتناول دون إذن قطعة من اللحم، ثم مد يده ليتناول كأس العصير الذي كان أمام (آن)، وهنا أمسكتُ يده بقوة ولويتها وحاولتُ أن أصفعه على وجهه المكفهر، ولكن عبد الكريم تدخل وقال لي: لا، إنه (غيلان) الشاعر، وأولئك هم أصحاب (أبو روزا وولف) وعلي فودة (الذئب)، إنهم مجموعة مجلة (الرصيف)، وهذه عادتهم مع كل رواد (اللاتيرنا) الذين يسمحون لهم بذلك كضريبة (صعلكة)؛ لأنهم شعراء ... يقاتلون مع الفدائيين الفلسطينيين في لبنان، ثم يهبطون إلى دمشق في نهاية الأسبوع لرؤية أصدقائهم، ثم إنهم شعراء حقيقيون وظرفاء أيضا.

***

ثم أخذ عبد الكريم يُعرِّف (غيلان) بي قائلا: هذا صعلوك الخليج سليمان الفليح، ففتح غيلان ذراعيه وأخذ يضمني بكل شوق، ثم سحب كرسيا وجلس وقال: سمعت أنك في دمشق منذ مدة، وأريد منك أن تعمل لمجلتنا الفقيرة

(الرصيف) اشتراكات في الكويت؛ لأننا نعتمد على الاشتراكات فقط، ولا نريد دعم المؤسسات الرسمية؛ لأننا نصدرها على الرصيف ونوزعها على الرصيف، ونكتبها على الرصيف أيضا، فتواعدنا على ذلك في الغد بعد أن طلبت له صحنا من المشويات وكثيرا من (الكولا).

***

نسيت أن أقول: إنه بعد شوشرة غيلان وحينما عرّفه عبد الكريم كاصد علي، نهض شاب من طاولة مجاورة وقال لي: هل أنت حقا سليمان الفليح، فقلت له: نعم، ثم عانقني بحرارة وقال لي: أنا (سيف الرحبي)، إنني أقيم في دمشق للدراسة منذ ثلاثة أعوام، وقد كتبت عنك مقالا في مجلة (الأزمنة) الإماراتية، فهلا قرأتَه فتذكرتَ (سيف) الشاعر العماني المبدع الذي يعتبر الآن من أروع شعراء قصيدة النثر في الوطن العربي، فاحتفيتَ بسيف كما يحب، ثم سألني عن إقامتي، فقلت له: في فندق تعيس في المرجة، فقال لي: سأذهب إلى الفندق الآن، ولسوف أحمل أمتعتك إلى (شقتي)؛ إذ لا يجوز أن تقيم في فندق وأنا هنا في دمشق، وهذا ما لا تقبله شيمتك البدوية، ثم إنه يُقام في دمشق الآن مهرجان الشباب في العالم العربي يشارك فيه بعض أصدقائنا من الخليج مثل: الشاعر أحمد راشد ثاني، وعارف الخاجة وعبد الحميد أحمد من الإمارات،

وزاهر الغافري من عمان، وعبد الهادي خضـــر من اليمن وقد ســـألوني عنك، وكذلك طلاب الخليج من جامعة دمشق (يريدون) منك أمسية شعرية.

***

قلت في الحلقة الســـابقة كيف هجم «الرصـــيفيون» على مقهى «الليترنا»، وكيف اختطف كـل واحـد منهم لقمـة يومـه من زبائن المقهى، وقلـت كيف تشاجرت مع أحدهم (غيلان)، وكيف أصلح الأمور الشاعر العراقي عبدالكريم كاصـد، وقلت إنني طلبت لغيلان وجبة كاملة ثم اتفقنا في ما بعد أن نلتقي في الغد ليعطيني «كوبونات» الاشتراك في مجلة الرصيف، التي تخص «الصعاليك» فقط، ثم اســتأذنا أنا و(آن) المجرية والشــاعر العماني ســيف الرحبي ليدلنا على شقته؛ لأنه قرر من «عندياته» أن ينقلني من الفندق إلى شقته.

وهكـذا كـان بعـد أن أوصـــلنا «آن» المتعبة من كثرة التســـكع في الحواري والأســـواق إلى فندقها، ولكنها قبل أن تترجل من التاكســـي قالت لي: «هل تصـاحبني غداً في رحلة إلى «صـلنفه» للبحث عن «زعيم الغجر» الذي يقطن في الأحراش ليحدثني كيف وصـلوا إلى الشـرق الأوسـط، وهل هم من أصـول هندية بالفعل أم انهم بقايا الحملات الصـــليبية وبالطبع وافقت (ممنوناً) لتلبية دعوتها اللطيفة؛ لأنني صـــراحة لا أريد أن تطير هذه «العصـــفورة الملونة» من

يدي الصحراوية «الخشنة»؛ لذلك كنت على استعداد لأن أصحبها إلى آخر الدنيا!».

في الطريق قال لي سيف: لقد سمعت أنك وعدت غيلان في الغد ولكنني أحذّرك أنه «محض لص»، انه ومجموعته، الشعراء الرصيفيون الصعاليك، يفتعلون شجاراً في الشارع حتى إذا ما تجمع حولهم المارة لـ«تفريق الهوشة» فإنهم سرعان ما «ينشلون» محافظهم فلتحذر أن ينشل منك شيئاً أثناء المقابلة، ساعتها ضحكت كثيراً على نصيحة سيف، وقلت له باللهجة الخليجية «لا توصي حريص»، وستسمع أخباراً عنه لم تسمعها من قبل، ومن ثم اتجهنا إلى الفندق الذي كنت أقطنه، وحاسبناه وحملت «عفشي» إلى شقة سيف الرحبي الذي قال لي بدوره ستكون هذه الشقة قاعدة لانطلاقاتك وخذ نسخة أخرى من المفتاح حتى تأوي إليه متى ما شئت.

احتفى بي سيف في شقته الصغيرة ودعا في تلك الليلة الناقد الفلسطيني يوسف والشاعر السوري بندر عبدالحميد والشاعر ممدوح عدوان، يرحمه الله، والشاعر الإماراتي أحمد راشد ثاني والقاص عبدالحميد أحمد والشاعر اليمني عبدالهادي خضر، وقد سهرنا حتى الصباح ثم انفض السامر.

نهضت في الظهيرة ولم أجد «سيف» في الشقة وتذكرت أنني على موعد مع غيلان فتناولت كوباً من الشاي وقطعة من الخبز وحبتين لا أكثر من الزيتون،

وارتديت ملابســـي وتوجهت إلى مطعم ومقهى الليترنا للقاء «الســـيد» غيلان والذي يبدو عليه أنه كان ينتظرني على أحرّ من الجمر؛ لأنه ما ان رآني أدلف المقهى حتى «نط» كالقرد الصـــغير «ولك وينك ودا عاتك صـــار لي ســـاعة منتظرك»، وبالطبع لم يكن على طاولته حتى فنجان من القهوة، لكنني ما ان استويت على الكرسي حتى صفق بطريقة فظة لــ«لورنس» النادل وطلب أفخر وأغلى الأطعمة والأشـــربة التي تعجب منها حتى النادل؛ لأنه لم يعهد أن غيلان بهذا الكرم ولا هذه «الفخفخة» أيضـــاً، لكنني أجزم أنه قال في نفســـه، وكما يعرف غيلان جيداً «مسـكين هذا الخليجي الدرويش» كيف وقع بحبائل غيلان وهذا ما صرح لي به لاحقاً بعد هذه القصة.

البلبل الحمار

قلت في الحلقة السابقة إنني التقيت الشاعر (غيلان) في مقهى الليترنيا بدمشق، لتوقيع نسخ من الاشتراك في مجلة «الرصيف» الخاصة بالشعراء الصعاليك.

أسمعني غيلان شعره الرائع حقاً، بعد أن ملأ الطاولة بمختلف الأصناف وهو يأمر وينهى و«يزف» الجراسين كسيد معتبر ومضيف كريم. وكان من الشجرة آنذاك يتدلى قفص به بلبل رائع التغريد أشجانا بالفعل مع قصائد غيلان الذي قاطعه بالقول اسمع «يا أبو الغول» ما أروع تغريد هذا البلبل، لكنه اكفهر وقطب حاجبيه وقال لي «ما عليك منه هذا زمال- أي حمار- وليس بلبلاً!» ثم راح يسرد لي قصته مع هذا البلبل إذ قال: ذات يوم كنت وحدي في هذا المقهى وكان الأخ أي البلبل يغرد تغريداً حزيناً يقطع نياط القلب وقد ربطت حزنه، كشاعر، أنه يرنو إلى الحرية والانطلاق مثل أي طائر في الكون، ولأنني عانيت كثيراً من حبسي الحرية، وأعرف قيمتها لدى الكائنات، حينما كنت معتقلاً في «نقرة السلمان» بأمر من ابن الفاعلة صدام، فإنني قد تسلقت هذه الشجرة في غفلة من عمال المقهى ثم فتحت للبلبل القفص وقلت له: حريتك معك فأنت لم تخلق للأقفاص ولكن البشر كلهم «صداميون» صغار، ثم انطلق إلى الفضاء حتى ابتلعته زرقة السماء وحينها، الكلام لم يزل لغيلان، قد نمت

تلك الليلة سعيداً؛ لأنني أفرجت عن سجين لا ذنب له سوى التغريد مثل أي شاعر عراقي يقبع في سجون صدام الآن، ولكن تصور يا أخي ان هذا البلبل بالذات يبدو لي أنه من أصل عربي أدمن قمع الحرية ولم يعد بمقدوره العيش إلا تحت الذل على خلاف سائر الشعوب! تصور يا أخي أن هذا البلبل الذي منحته الحرية وأطلقته من القفص قد عاد في اليوم التالي ليقف «فوق» قفصه ثم قبض عليه النادل (لورنس) وأعاده داخل القفص، فبربكم هل تعتبر هذا بلبلاً أم حماراً؟! لذلك فقد أسماه الزبائن من الشعراء والفنانين «زمال غيلان»، فدعك منه ودعنا نتحدث عن الاشتراكات في مجلة الرصيف، ثم كم تدفع أنت دعماً لها ومؤازرة لأصدقائك الصعاليك؟! فقلت له: أبشر يا أبا الغول سيكون دعمي سخياً بالفعل وأثناء ابتهاجه بهذا القول امتدت يدي خلسة إلى سلسلة مفاتيحه التي كانت ملقاة على الطاولة ووضعتها في جيبي دون أن يشعر، ثم استأذنته بالخروج إلى الحمام الذي يقع قرب الباب الخارجي، الذي كان موارباً عن مجلسنا على الطاولة، ثم أطلقت ساقي للريح تاركاً غيلان تحت رحمة نادل المطعم الضخم، الذي جعله يدفع الثمن غالياً ويتعلم كيف «ينصب» على الآخرين.

***

وجدت «سيف الرحبي» في الشقة ورويت له كيف نصبت على غيلان وتركته بين براثن لورنس النادل فضحك سيف كثيراً وقال لي: حسناً فعلت بهذا الوغد، وسيكون هذا الحدث درساً له يتندر به كل المثقفين والشعراء من رواد المقهى، وهذا ما حصل بالضبط؛ إذ أعلمنا النادل أنه بعد هروبي المبيّت أصلاً وطال انتظار غيلان جاءه مدير المقهى وطلب منه أن يدفع الحساب وإلا سوف يسلمه للشرطة، برغم أنه تحجج أن ذاك الخليجي الوغد هو الذي دعاه إلى هذه الوليمة الباهظة وهرب!! ولكن لورنس قال له: اسمع يا غيلان أنت الذي كنت تطلب و«تتبغدد» علينا وليس الخليجي الهارب، وبالطبع لأن غيلان لم يملك «شروى نقير»، حقيقة لا أعرف معنى هذه الجملة!!، أقول لأن غيلان لم يكن يملك شيئاً فقد اكتفى صاحب المقهى بضربه «كم بوكس» وقرر حرمانه من «الاعتياش» على طاولات رواد المقهى كما هي طريقته ومجموعة الرصيف، وكانت تلك كارثة قد حلت عليه ولم تكن في الحسبان.

***

في المساء عرجنا سيف وأنا على «آن» في الفندق واصطحبناها لتناول القهوة في الليترنيا، وقد كان المقهى يضج بحكاية الشاعر الخليجي الذي نصب على غيلان؛ إذ إن ذلك يعتبر حدثاً نادراً بالنسبة إلى المثقفين لاسيما أن غيلان وشلته من أمهر النصابين في دمشق وبيروت، وحينما سمع الصديق الراحل

الشـاعر الكبير ممدوح عدوان تلك الحكاية منّي بالتفصيل اتجه إلى حائط المقهى وقلب لوحة رسمت على ورقة كبيرة لصـــديقنا الفنان المبدع مصـــطفى الحلاج، وكتب على ظهرها بالخط العريض «شـاعر عربي ينصـب على غيلان، من يعرفه فله جائزة مقدارها عشـــاء فاخر وثلاثة آلاف ليرة عداً ونقداً»، للمتســـابق أن يكتب اسمه ويرشح الشاعر النصاب وله المثوبة والأجر!!

الخليجي – النصاب

قلت في الحلقة السابقة إنني تسلّلت -خارجاً- من مطعم «الليترنا»، وتركت «جيلان» يواجه شراسة الغارسون «لورنس» الذي طالبه بدفع فاتورة الوليمة العامرة التي أعدها -كمينا- لي؛ لأن من عادته كما فهمت أنه يدعو الضحية ويبالغ في الكرم، ثم «ينسلّ» من المكان ويترك الضحية يدفع -راغماً- ولكنني فعلتها في ذلك اليوم، «وأكل جيلان كم بوكس» من النُدل والغراسين، وحرّم عليه مدير المطعم «التعيش» ثانية وعلى طريقته العتيدة من رواد «الليترنا»، وقلت إن الصديق الراحل ممدوح عدوان حينما علم بذلك، قلب لوحة ورقية علقها الفنان مصطفى الحلاج وكتب على ظهرها «جائزة 3 آلاف ليرة لمن يعرف الشاعر العربي الذي نصب على جيلان»، وكتب تحتها «اكتب اسمك ورشح الشاعر النصاب لتنال الجائزة»، وفي المساء حينما جئت أنا وسيف الرحبي إلى المقهى وجدنا ممدوح في المقهى بشعره الذي شابه قليل من الشيب، وهو يتطاير في باحة المقهى، وبقميصه المفتوح الأزارير دوماً، وتحفزه الدائم للمشاجرة، وما أن لمحنا ممدوح حتى دعانا إلى طاولته وقال: حسنا فعلت، وسيكون هذا الحدث على الأقل «تسلية لي»؛ لأنني قد مُنيت بخسائر عن الكتابة، ثم قهقه، يرحمه الله، حتى بانت إحدى أسنانه الفضية وضرب الطاولة بقبضته.

***

أخذنا نراقب الداخلين الذين لفت انتباههم هذا الإعلان الغريب، وكان أول القادمين شاب تونسي؛ فتناول القلم وكتب «المنصف المزغني - شاعر تونسي»، ثم دخل شاعر سوري شاب وكتب «علي فودة»، ودخل ثالث وكتب «مصطفى بدوي»، وتوالت الترشيحات إلى أن دخل القاص الإماراتي الصديق عبدالحميد أحمد؛ فنظر إلى طاولتنا وأومأ لي برأسه، فرفعت له إبهامي خلسة «يعني غشّشته»؛ فكتب عبدالحميد ليس لدينا في الخليج من يفعل ذلك سوى صعلوك الخليج سليمان الفليح!! فصفق ممدوح عدوان وسيف الرحبي، ثم نهض ممدوح وأخرج من جيبه ثلاثة آلاف ليرة، وأعطاها إلى عبدالحميد، ثم انضم إلينا القاص الفلسطيني محمود شاهين والكاتب السوري نبيل الملحم وغيرهما، واتسعت الدائرة... فقلت: يا عبدالحميد هات الجائزة وهات كثرها؛ فقال لي عبدالحميد: وهل تريد أن تنصب علي أيضاً؟ فضحكنا كلنا وقلت له لا... سنعلمهم هنا «النصب الجميل!!»، فضحك الجميع لهذا المصطلح، فقلت يا جماعة سنرد إلى ممدوح نقوده، وسأتبرع بثلاثة آلاف ليرة، وسيتبرع عبدالحميد بمبلغ مماثل، وسنفتح باب التبرع للجميع، ثم نشكل وفداً للبحث عن جيلان في المدينة وسنقدم له هذا المبلغ بشروط:

أولاً: يقلع عن النصب لمدة عام كامل.

ثانياً: ألا يستهين بأحد البتّة.

ثالثاً: أن يتحدث بصوت خفيض في المقهى.

رابعاً: ألا يستخدم ألفاظه السوقية لكي لا يخدش حياء الحاضرات بمن فيهن «آن» المجرية!!

خامساً: ألا يسرق السجائر من أي مثقف بدعوى العشاء.

سادساً: ألا «يغلط» على أهل النفط كعادته، وأن يقول عنهم إنهم «خوش ناس» وعلى الملأ.

سابعاً: تُخصص له «جُعلة» شهرية من كل مثقف يرتاد المقهى مهما كانت جنسيته، ومقدارها 200 ليرة عدّاً ونقداً.

ثامناً: ألا يستعمل يديه أثناء النقاش، بل يقتصر ذلك على لسانه السليط فقط.

تاسعاً: ألا يطلق الرصاص عشوائيّاً في بيروت متى ما عن له ذلك؛ لأنه يسبب مشاكل للأمة لا قِبل لها بها في ظرفها الراهن، ويبلّغ قائده الميداني بأي حماقة يرتكبها.

عاشراً: يشكل وفد مصالحة بين جيلان والخليجيين، وألا يسب النفط وأهل النفط في المقاهي، وأن يعاد له اعتباره في مقهى «الليترنا» منذ اليوم.

***

ذكرْت في الحلقة الســــابقة، أننا فتحنا باب التبرع في مقهى «الليترنا» وجمعنا مبلغاً من الأصدقاء، لتقديمه إلى الشاعر «غيلان» وفقاً لشروط محددة.

وقد شكلنا بعدها وفداً للبحث عن غيلان. فقيل لنا إنه يرتاد مقهى للفلاحين العراقيين المقيمين في دمشــق، حينما تضـيق به السـبل ليشـرب معهم الشــاي الثقيل ويدخن «...... اللف»، وبالفعل ما إن لمحناه مع أحد «الفلاحين»، حتى قلنا لعبدالرحمن أحمد: إذهب إليه؛ فهو لا يعرفك وأرجو أن تتحدث باللهجة العراقية وتدعوه إلى الخروج معك؛ «لأنك تحمل رسالة إليه من بغداد»، وحينما تخرجان أمســـكه من تلابيبه وقل له معك المخابرات العراقية ليطير قلبه(!!)، وبالفعل اتجه إليه القاص الإماراتي وناداه إلى الخارج، ثم سار معه، وما إن وقفا على الباب وقبل أن يمثّل عبدالرحمن الدور المحبوك المرعب لمحني غيلان بسرعة، وأخذ يصرخ: الخليجي النصاب الخليجي النصاب؛ فاتجهنا إليه وقبلناه وأخذناه بالأحضـــان وقلنا له يا غيلان «تعيش وتاكل غيرها»، ولكن من الآن فصـــاعداً؛ فقد فتح الله لك باب الرزق بفضـــل ذلك الخليجي الذي نصـــب عليك، ثم سرنا به إلى المقهى، ووقّع على ما اتفقنا عليه.

في اليوم التالي قررت و«آن» المجرية ونزولاً عند رغبتها «المبجلة»، أن نرحل إلى «صلنفة» بحثاً عن سيد الغجر «عبجو» في مضاربه التي توزعت بين الجبال

الحراجية، التي لا يمكن الاستدلال عليها إلا في الليل، حينما تسمع قرع طبولهم في ظلام الغابات؛ لأنهم في بدء الخريف يتسللون إلى الحدود التركية عبر «باب الهواء»؛ لذلك كان علينا الاستعجال للحاق بهم قبل بجعتهم الخريفية التي قد تمتد إلى العام المقبل، ومن هنا فقد تواعدنا وسائق تاكسي أعرفه في فندق الشام، ولكني ما إن دخلت و«آن» إلى ردهة الفندق، حتى لحظت مجموعة من الكويتيين يتحلقون حول طاولة في اللوبي، وكان بينهم الصديق سليمان الفهد والصديق لاحقاً عيسى العصفور، الذي لم أكن أعرفه من قبل، وكذلك كان معهم عبداللطيف الثويني والدبلوماسي أحمد الفهد من الخارجية والملحق أو القنصل آنذاك في سفارة دولة الكويت في دمشق عبدالمحسن الحسيني، وما إن لمحت هذه الديوانية حتى زغت سريعاً كالثعلب، وقلت يا «آن» أرجو أن تنتظري هناك في الزاوية؛ فمن العار أن يروك بصحبتي، إذ قد «يظنون بنا سوءاً» لا سمح الله؛ فاستغربت «آن» كثيراً؛ لأنها تعودت أن تجلس بين أصدقائي لابسي البدلات؛ فما الذي يمنع إذن أن تجلس بين أصدقائي لابسي «الدشايش»، ثم إنها كما صرحت كانت تتمنى أن تجلس مع عربي يرتدي الدشداشة، بل وتأخذ صورة معه؛ فقلت لها يا «آن» يا سليلة الفندال والقوط والجرمن، وكل قبائل أوروبا العزيزة الشرسة، إن قبائلنا لا تقبل أن تجلس المرأة بين الرجال؛ لأن ذلك «ضرب من العار»، ثم إذا كنت تتمنين أن تجلسي مع لابسي الدشاديش؛ فأنا أحدهم، بل إنني على استعداد ألا أخلعها حتى في

النوم، ولدي دشـــاديش كثيرة ســـأهديك واحدة منها بعد عودتنا من رحلتنا «الميمونة» إلى الغجر.

***

وبعد أن ســـلمت على «الربع» الكويتيين وجلســـت قليلاً معهم، وتناولت فنجاناً من القهوة اســتأذنت منهم؛ لأنني على جناح من الســفر إلى اللاذقية، ولكنني تواعدت أنا وسليمان على أن نلتقي بعد يومين، وكذلك وعدت عيسى العصفور بأن نلتقي في الغابة الخضراء عند العودة.

ثم انطلقت. وما إن رأيت سـائق التاكسـي يدخل إلى ردهة الفندق؛ فأشـرت إلى «آن» بأن تلحقنا وبالطبع كانت غاضـــبة من تصـــرفي المتخلّف ذاك، ووصــمتني بــــ«الانفصـام الثقافي» الذي يعانيه كل مثقفي الشـرق، بل وحتى شـعراؤهم الذين ينادون بالحرية!! ثم اسـترسـلت «تبغبغ» عليّ بما أفهمه وما لا أفهمه من لغة؛ لتعطيني درسـاً في السـلوك الحضـاري الذي يجب أن انتهجه في الحياة، ولم أملك حينها إلاّ أن أضع كفي على رأسي كما يفعل سائق التاكسي الشامي معي.

***

ذكرت في الحلقة الســابقة أنني التقيت بعض الرجال «ذوي الثياب البيضــاء» حسب تعبير «آن» المجرية، وقبل أن أنطلق من الفندق وعدت الصديق سليمان

الفهد أنني سأعود قريباً بعد رحلة إلى مضارب الغجر، وقبل أن انطلق استوقفني الصديق، لاحقاً، عيسى العصفور والذي كان حينها يعمل مستشاراً اقتصادياً أو رئيس القسم الاقتصادي في ديوان ولي العهد الشيخ سعد العبدالله، يرحمه الله، فقال لي عيسى إن بيننا أصدقاء مشتركين في الوسط الثقافي، ولكننا نريد أن نعرف بعضاً بطريقة مباشرة بلا وسائط (!!)، لذلك وعدت عيسى أن نلتقي بعد رحلتي الميمونة أو (المينونة) على رأي صديقنا الفهد إلى مضارب الغجر، ركبنا التاكسي «آن» وأنا، والتي كانت (تزنّ) على رأسي لمعرفة الرجال الذين يرتدون ثيابهم البيضاء والذين يعتمرون قبعات بيضاء مربوطة بحبل أسود على رؤوسهم. ولكي أكبح جماحها قلت لها يا بنت المجر ويا صديقة الغجر إنني مثلهم، بل أنا منهم وسأريك كيف أرتدي الثياب البيضاء (الدشداشة) والقبعة البيضاء المربوطة، بالحبل الأسود (الغترة والعقال)، وقلت لها (حاسماً جازماً) إن في حقيبتي هذه واحدة منها وسأرتديها في مضارب الغجر أو ترتدينها أنت!! سكتت على مضض ثم التفت إليّ السائق ذو الشارب الأشقر الكث، وقال لي ما بال هذه الببغانة؟، فقلت له: اسكت لئلا تفهم عليك. انها ضيفة (للمعلم) فلان الذي يشغل منصب (كذا) وما أنا إلا مرشد سياحي لها، جاء بي من البادية لآخذها إلى الساحل ثم أعيدها لترى آثار تدمر.

وهكذا وبهذه الكذبة البيضاء تخلصت من أسئلة السائق اللجوج الـ«كثير الأسئلة» مثل أي سائق تاكسي عربي، ربما تكون له مهنة أخرى غير توصيل

السياح (!!)، وبالطبع لم تفلح معه هذه الكذبة إنما راح يمطرني بمزيد من الأسئلة (الاســـتنتاجية) المبطنة والتي أتقنها أكثر منه ولربما أكثر من (معلمه) باعتباري صــحافياً معتبراً هوايته (الثرثرة) والاســتنتاج، ولكنني قلت إن «الهذر» معه لعبة مسلية حتى نصل إلى هدفنا، فمثلا كان يسألني ما هي جنسيتها وماذا تشتغل. و(كم صـــار لها هون؟!) وهل هي بخيلة أم كريمة، وهنا قلت له إنها أكرم من (حاتم طيئ) إنها ســـليلة (حاتم الغجر!!)، ولذلك علينا أنا وأنت أن نكون لطفاء معها حتى نحصـــل على «المقســـوم» باعتبارك ســـائقاً «جنتلمان»، وباعتباري مرشـــداً ســـياحياً «معتبراً»، كما انها تحب الموســـيقى العربية كثيراً؛ لذلك لا بأس أن تســـمعها ما لديك من أشـــرطة «الدبكة!!».فتح مســـجل السيارة وكان المطرب يجأر كالثور:

والله لأطحن برغلكم

خشن ناعم حيا الله!!

وهنا اعتدلت «آن» وطلبت مني ترجمة هذا المقطع الســـخيف! ولكي لا أكشف لها «هيافة» الأغنية العربية قلت لها إن المغني كردي وأنا لا أعرف اللغة الكردية؛ لأنني كنت أتوقع أن تقول لي «ولماذا سيطحن هذا العاشق البرغل؟!»

وساعتها سأخجل حتى الغيبوبة من ضحالة تراثنا الشعبي!! ولكي أصرف نظرها كلياً عن الأغنية قلت لها: تأملي جبال سورية العظيمة المكسوة بالاخضرار، إنها أجمل من بلادكم كما أنها مملوءة بالينابيع والجداول والبلابل والفاكهة والأزهار. وهنا التفتت لي وقالت: وهل بلادك «النفطية» كذلك؟ فقلت لها: بالطبع ولكن أشجارها أقصر وزهورها أكثر، وفيها تتجول الظباء والإبل ولا أحد يؤذيها تماماً مثل بلادكم العامرة؛ فـ«أهل الملابس البيضاء» لطفاء جداً ويحافظون على البيئة والحياة الفطرية، ولا يقتلون حتى «القُبّرة»... تصوري؟! بل وحتى «الأفعى»، فأنا مثلاً قلت لها مسترسلاً أملك قطيعاً من الإبل وقطيعين من الغزلان وأنواعاً عديدة من الأفاعي الأليفة!! وهنا قالت لي: أرجوك «يا سوم» هكذا تدلعني «آن» تبعث لي حينما أعود إلى المجر «عينات» من حيوانات بلادكم الجميلة!

وصلنا إلى صلنفة، ونقدت السائق أجرته وإكرامية مضاعفة تنم عن كرم الحاتمية التي أحطتها معي؛ فذهب شاكراً «ممنوناً».

***

ذكرْت في الحلقة السابقة، أنني والباحثة المجرية «آن» نزلنا من سيارة الأجرة وانطلقنا للبحث عن الغجر؛ فوقفت على رابية عالية ورحت أدندن بالقصيدة التالية:

تطلين من شاهقات الجبال
يغازلك البحر مزهوة تبتسمين
فيهتاج لما يللك في المساء المطر
ويرقص «فرحان» لما يرى بانكسار
دخان تلك القرى
الهاجعات بأحضان تلك السفوح «المزنرة»
الخصر بالورد
والزعتر السرخسي
يهزك في البعد صوت طبول الغجر
صلنفة أين الغجر
أما عبروا واديك يزدان بـــ«الشيح» و«الديدحان» وحطوا عليه كتلك الطيور
التي تجثم الآن
ترتاح بعض الدقائق
ومن ثم تطلق في الأفق صيحاتها
قبل أن يهبط الغيم فيه
لتبدأ قبل ابتداء الشتاء
السفر...

صلنفة أين الغجر؟!

ألم يعبروا الجسر نحوك

يسقون بغالهم البيض

أو يغتسلن صبياتهم من عناء المسافات

يغمسن أجسادهن حتى النهود التي تنقص الماء «بردانة»

كي تذيب الجليد

وتبعث دفئاً بقلب النَهر

ويخرجن كيما يجففن فوق الصخور الضفائر

تلك اللواتي يشابهن في الامتداد الحبال

ويعبقن بالورد والند و«الشمطري»

وضوع عبير الزَهَر...

آه إذ ما اهتززن

وينفضن أجسادهن

تماماً كما تنتفض في الصباح الحمائم

ينظرن ذات الشمال وذات اليمين

وينهضن رفاً ف«رفاً» إذا ما شممن الخطر

صلنفة أين الغجر؟!

سأصرخ في وجهك البض حتى تقولين أين الغجر...

صلنفة أين الغجر؟!

وإذ ذاك صاحت وهمهم في الأفق طير:

ستلقى الغجر

يغنون فوق البغال المحناة أعرافها باتجاه الشمال

لـ«باب الهوى»

تطاردهم ثلة من رجال الجمارك والأمن والحرس الدركي

ولكنهم كالعصافير في «الحُرش»

يختبئون وتبني عليهم خياماً غصون الشجر

وكانت حناجرهم تقطر الدم... آه

ولكنها الآن مملوءة بالأغاني الطوال

التي مثل أحلامهم تتسع

وكانت حناجرهم مثل أسنانهم تلتمع

ولكن صبياتهم عاريات

كفطر الحدائق

يتناثرن في الليل بين الحشائش

يلمعن تحت القمر

صلنفة عفواً وجدت الغجر

طبول الغجر

رباب الغجر

فؤوس الغجر

ثياب نساء الغجر

خيراً وجدت الغجر

أهياكل تحت الشجر

أنهيت القصيدة وكانت «آن» تقعد على صخرة وردية وتعزف على الناي بأصابعها الرقيقة الحاذقة أغنية حزينة، لم أكن أعرف أنها ترافق قصيدتي، نظرت إلى عينيها الزرقاوين وكانتا تفيضان بالدمع، ثم ضممتها ومسحت عن خدها الشاحب الدموع، وانحدرنا إلى الساحل نجري كزوج من الأيائل المتوحشة، وأنا أكتم أغنية صغيرة في القلب تقول كلماتها القليلة:

و«آن» التي من بلاد المجر

برونزية مثل برج النحاس

نبيذية الوجه، ممشوقة

تعشق العطر والزهر حتى الجنون

وتهوى التسكع تحت المطر

وتنسل من شرفة الغيم مهمومة

إذا ما اعتراها الضجر

ومن ثم تمضي تعدّ الخطى

فتجلس حيناً

وترقص حيناً

وحيناً تغني أغاني الغجر

ولما التقينا، صمتنا قليلاً

صمتنا طويلاً

صمتنا طويلاً

إلى أن أرتني بعينيّ «آن»

التي من بلاد المجر

زرقة البحر تغدو اخضراراً

وتزرق شيئاً فشيئاً

ثم اندفعت آن إلى الأمواج كحورية بحر أسطورية، تعود إلى زمن الإغريق واختفت في لجة الأزباد، بينما بقيت أنا على الساحل كبدوي يرعبه غموض البحر، ويعود إلى صحرائه القاحلة خالي الوفاض.

الدبلوماسي الصعلوك

حينما ابتلع البحر الأبيض المتوسـط «آن المجرية» التي أسميتها عروس البحر، وآخر ملكات الإغريق بقيت أنحب طويلا على ساحله المتلاطم واذرف الدمع الحامض لعله يحن ويعيدها إليّ، ولكنني وأنا أجر أذيال الخيبة مبتعدا عن الشاطئ تذكرت أسطورة صحراوية كثيرا ما روتها لنا الجدات حول مواقد النار في ليالي الشتاء، وهي تحكي عن «أم قبيلة آل مرة العريقة» التي لقيها جدهم، علي، في صحراء الربع الخالي حينما كان يبحث عن نياق أضاعها في تلك الصحراء، إذ تقول الأسطورة إن الفارس «علي بن يام» وبينما كان يبحث عن إبله شاهد فتاة تجري بين الرمال وكان يطاردها ذئب أغبر جسور ليأكلها فاستغاثت به فما كان من علي إلا أن جندل الذئب بسيفه البتار، وحينما سأل الفتاة عن قصتها قالت له: «إنني إحدى بنات ملوك الجان خرجت لشأني فلقيني هذا الذئب الذي لولاك لأكلني ولأصبحت من الأموات، وبعد ان اثنت على شجاعة علي سألته عن أمره في هذه الصحراء فقال لها: إنني قد أضعت إبلا، فقدها أحد الرعاة، ومازلت أبحث عنها، وقيل إنها طلبت منه أن يغمض عينيه فهبطت إلى العالم السفلي حيث عالم الجان، وقيل إن والدها ملك الجن قد كافأ عليا بعدد كبير من الإبل، وان عليا قد طلب يدها شريطة الا يذكر «البسملة» أمامها فاتفقا على ذلك وعاشت الجنية مع علي تتنقل مع قبيلته

وولدت ابنه (مرة) وذات يوم فاجأها علي وهي تمشط شعرها فهاله المنظر وقال بلا شعور: بسم الله، بسم الله، وقيل إن الجنية اختفت من ذلك اليوم وتركت له ابنه (مرة) ليصبح في ما بعد جد قبيلة مرة الحالية.

أقول حزنت على جنية البحر كما حزن علي بن يام على جنية البر وعدت أجر أذيال الخيبة إلى العاصمة دمشق فتوجهت من فوري إلى الصديق سليمان الفهد ووضعت رأسي في حجره وبقيت أنحب حتى جف مالدي من دمع، وكان سليمان الفهد يربت على رأسي كما تفعل الوالدة بطفلها المدلل: «..لابأس.. لابأس يا ولدي فالحزن عليك هو المكتوب، ولعل الله يعوضك بجنية خليجية تخرج لك من ساحل الفنطاس أو ساحل السالمية أو قد تكون هي «آن» ما غيرها فعرائس البحر ينتقلن من بحر الى آخر، لذلك ربما تظهر لك ثانية على الخليج» فقلت له وأنا أنشج: ولكن يا أبا نواف هذا الأمر قد يجعلني مثل عوليس في الأساطير الإغريقية. ثم هل تريد مني أن أبقى تمثالا جامدا على ساحل البحر مثل «أيكاروس» أرقب مجيء جنيات البحار، أم تريد مني أن أصنع أجنحة من شمع وأطير فوق البحار بحثا عن الجنية الشقراء ثم إنني أخاف أن تذيب شمس الكويت اللاهبة أجنحتي وأسقط على الساحل مثلما سقط «أيكاروس».

لا أعـرف كـم اسـتغرقت بالبكـاء والنـوم، ولكنـني اسـتيقظت وكـان أبـو نـواف متربعـا في «قعدتـه» يكـرع النارجيلـة وكـان يجلـس أمامـه رجـل بمنتهـى الأناقـة عـرفني عليـه بأنـه القـائم بالأعمـال في السـفارة الكويتيـة في دمشـق سـعادة الأسـتاذ «ع. ط» الـذي جـاء خصوصـا ليـدعونا الى الغـداء وهنـا لا أعرف كيف انطلقت شعرا

«ليس للصعاليك

دعوات السفارات

أو واجهات المطارات

أو الكرنفالات

أو بهرج المرأة الكاشخة

ليس للصعاليك

غير ملح البحار

ورمل الصحار

وقول الحقيقة في الجملة الصارخة

للصعاليك

رقصتهم البربرية حول اتقاد الغضى

واتساع الفضا
ووقفتهم الصلبة الراسخة
للصعاليك ما تحمل الريح
من عبق الشيح
والاتجاه الصحيح
إلى الشمس بالجبهة الشامخة»

أنهيت قصيدتي التي اوردتها في الحلقة الماضية على مسمع الرجل الدبلوماسي بالمقطع الآتي:

«للصعاليك رقصتهم البربرية حول اتّقاد الغضا واتساع الفضا
ووقفتهم الصلبة الراسخة
للصعاليك ما تحمل الريح
من عبق الشيح
والاتجاه الصحيح
الى الشمس بالجبهة الشامخة»

بعد ذلك صفق الدبلوماسي طويلا، بينما ظل سليمان الفهد يحدقني بنظراته الحادة لعدم دبلوماسيتي كما يبدو، او كما فهمت، ولكنه قال: ان (ع. ط) يعرف حماقاتنا جيدا وهو رجل مثقف اكثر من كونه دبلوماسياً، وانه من عشاق كتاباتنا كما انه يعرف يا صاحبي، مشيرا إلي انك بدوي (جلف) وغير مدجن وهو اي (ع. ط) من اصول بدوية مثلك، لذلك ليس غريبا عليه شعرك وسلوكك (البدّاوي)، لذلك هيا ارتدِ ملابسك لنخرج في معيته، وهنا قلت بـ (هبل)، لا... ان هذا احتواء لا!.

فقال لي سليمان: اي احتواء اي بطيخ انك تهذي بامراض المثقفين، فهذا الرجل صديقي ويحبك مثلما تحبني هيا، هيا بلا (زغالة) او نذالة. وهنا قلت له سأذهب ولكن بشرط واحد الا وهو أنه قبل رد عزيمته لنا بعزيمة مقابلة وعلى طريقتنا نحن!! فضحك الدبلوماسي بكل بهاء ومحبة وقال: (ما عندي مانع من الآن)، فهرولت من فوري وارتديت ملابسي وانحدرت بنا السيارة الدبلوماسية تجوب الشوارع، فالتفت إليّ ابو نواف وقال: «من قدك يا صعل. بعرس امك لم تحلم بان يقود السيارة بك سفير وكأنك رئيس وزراء لا بدوي صعلوك منتوف»، اقام لنا الدبلوماسي الانيق وليمة كبرى وغمرنا بلطفه ومحبته واكتشفت انه يحفظ لي بعض القصائد ويعرف اقرب الاصدقاء اليه، وانه لا (يمثل) بل هو مثقف حقيقي ورائع القلب وقد بقينا حتى رابعة النهار نتناول القفشات

والنكات والشعر (الحلمنتيشي) الخاص، وكان اصدقاؤه في غاية الروعة والثقافة والطرف، كما انهم يعرفونني وسليمان الفهد مثلما يعرفنا هو.

وفي لفتة غامرة مال اليّ الدبلوماسـي الجميل وقال لي: أظن أنك قد أضـعت نقودك قبل مدة، ولكنك لم تعد تكلمني، لذلك انا على استعداد لتوفير ما تريد من نقود، كما أنني أضع كل إمكاناتي (الخاصة) تحت تصرفك بما فيها سيارتي طوال بقائك هنا، فشـكرته من القلب وقلت له: مشـكور لقد وجدت نقودي وآمل الا أحتاج إليك وثق أنني إذا ما احتجت شيئا فإنني سأكلمك، ثم ودّعناه على أمل ان (نرد له العزومه) في المسـاء، ثم أسـتأذنا بالانصـراف شـاكرين له دعوته الكريمة.

***

في المساء التقينا (سليمان الفهد وصديقنا الدبلوماسي وأنا)، فالتفت إليّ أبو نواف وقال: ماذا رتبت بشـأن (العزومة) فقلت له لا شـيء، إننا ندعوه إلى ممارسة الصعلكة مثلنا وعليه ان يتجول في الشوارع مثلنا ويدخل الأمكنة التي ندخلها ويجلس في المقاهي التي نرتادها، ويتعرف على اصـدقائنا الصـعاليك مثلما تعرفنا على أصدقائه الدبلوماسيين.

وأخيرا سـندعوه الى تناول (العودة) و(المعلاق) بالبندوره والملح على الواقف – لدى الباعة الجائلين في (المرجة)– ولا بأس أن تمارس هوايتنا العتيدة تحت ظله وحصانته الدبلوماسية ألا وهي المشاجرة مع المارّة!!

فقال لي سـليمان الفهد: هل اختبلت؟ قلت له يا أبا نواف (اللي أوله شـرط آخره سلامة) فقال لي وأي سلامة في البند الأخير؟ هل تريد ان يكسّر ضلوعنا (زعران) الشـام، فقلت له لا تخف أنا أعرف (أبو الليل) و(ابو صـعب) و(ابو الدواهي)، فهؤلاء هم أشـــهر زعران المرجة، فإذا ما شـــعرنا بالهزيمة لا سمح الله (صفّرنا) لهم وجاؤوك على عجل وبرمشة عين!!

جلسة مع هتلر

كنا قد توقفنا في الحلقة الماضـــية عند قبول الدبلوماســـي الخليجي دعوة الصعاليك إلى ممارسة الصعلكة لإعجابه بالصعاليك الاولين وشعرهم، وقلنا ان سليمان الفهد قال له حسنٌ ان سليمان الفليح هو آخر سلالاتهم المنقرضة، لذلك قبل الدبلوماسي الدعوة شريطة ان يتنقل بنا بواسطة السيارة الدبلوماسية (لزوم التكشخ والفشخرة)، لنبدو لهم أننا اناس محترمون ولنا اهمية (قصوى) في بلادنا، لذلك جاء الينا الدبلوماســـي المثقف الرقيق وحملنا معه ونحن نجلس في المقعد الخلفي، كســـفراء الدول الفقيرة او ســـفهائها لا فرق، ثم قال لنا: اين اتوجه؟ فقلت له: اولا الى شيخ الغجر (عبجو) لنقدم له مراسيم الولاء والطاعة، فالتفت اليّ الدبلوماسي حانقاً وقال: إلا هذه، هل تسخرون مني.

ثم قال بتهذيب: اذن دعوا زيارتكم الميمونة او (المينونة) لا فرق كما يقول صـــديقنا الفهد، دعوها الى آخر الرحلة، قلت: حســـنٌ اذن توجه الى (ام الدواهي) البصارة البراجة لنتناول عندها القهوة السوداء وتقرأ لنا (سوء الطالع) وتقرأ لك حســن الفأل، وهذه قد تفيدك في امور كثيرة في اسـتقراء الاحداث! على الرغم من اننا انا وابي نواف نعرف تماما حرتقاتها وحذلقاتها ومهارتها في استيلاد المفردات الشعبية المنقرضة واتقانها (تفجير اللغة) المحكية، وهذا ضرب نقدي يفيدنا في الكتابة الســـاخرة، ثم انه لا بأس ان نضـــحك عليها وهي

تخاطب (شمهورس) عفريتها العتيد، الذي تتقن تقليد صـــوته (الوهمي) من قعر الحنجرة، لاسـيما ان ام الدواهي من اشـهر اللواتي (يزغلطن) - اي يزغردن في الافراح وينُحْن في المآتم، لذلك هي تتكسـب بحنجرتها الذهبية التي تجنح إلى الغناء في آخر الليل، ثم لا بأس ان نأخذه الى (ابو الفوارس) الذي يفتل شـاربيه كجناحي صـقر هرم ليحدثنا عن آخر (زعبراته) ومعاركه الواهمة مع بني ذبيان وهو يشـهر سـيفه الصـدئ الذي اسماه «قصـاف» لانه على حد زعمه (المكذوب) يقصـف الآجال والعياذ بالله، ثم اننا نجد في مجلسـه العامر بعض الشـلة (المحترمين) مثل عرموطة اللبانة -بائعة اللبن الخاثر- الحاجّة ام سـهيل وهي تكرع نارجيلتها (المدندشة) بالخرز والودع واسنان الذئاب، وكذلك صديقنا الزجال الدجال (ابو مياح) وكذلك (ابو برلين) الذي كان عسـكريا شـجاعا صـدمته هزيمة حزيران (يونيو) وأفقدته العقل فتقمص روح هتلر وحث شـاربيه قليلا واعتمر قبعة عليها الصـليب المعقوص، والذي ظل يهذي بلا توقف بالتحليلات السياسية والخطط الاستراتيجية لهزيمة اسرائيل ومحق اليهود!! كما كان يفعل هتلر ويختم القول بتحية الرايخ الثالث (هايل هتلر).

أولاد الـ.إيه؟!

قلنا في الحلقة السابقة ان صديقنا الدبلوماسي الخليجي أولم لنا وليمة باذخة انا وسليمان الفهد، وقلنا انه معجب بالشعراء الصعاليك ويحفظ لهم الكثير من الاشعار وتستهويه حياتهم وتشردهم في العصر الجاهلي، وقلنا ان وليمته العامرة قد حوت نخبة المجتمع، وقلنا اننا سليمان الفهد وانا قررنا ان نرد له (العزومة) وعلى طريقة الصعاليك، لا سيما ان ابا نواف قال له يا سعادة الدبلوماسي أتعرف ان آخر احفاد الصعاليك هو صاحبنا سليمان الفليح (ما غيروه!)، ولذلك لا بأس ان تتسكع معنا يوما لتتحرى حياة الصعاليك المعاصرين عن كثب)، وقلنا ان الدبلوماسي ابتهج كثيرا لهذه الدعوة ولكننا اشترطنا عليه ان يأتي بالسيارة الدبلوماسية (لزوم الكشخة والفشخرة) و(التنطح) عند اصحابنا الصعاليك بأننا نعرف واحداً دبلوماسياً واننا لسنا مثلهم (حوش)، ورص و(هلافيت) وزعران واولاد كلب! ثم انه من المهم ان نريهم رأي العين (اهميتنا) في بلادنا (ليش لأ) بدليل ان هذا الدبلوماسي يقود بنا السيارة ونحن «نتبرجز» في المقعد الخلفي مثل سفراء الدول الافريقية، وبمناسبة الحديث عن سفراء الدول الافريقية و«سفهاء» دول الاخرى اذكر ان الصديق «النكتي» الساخر نجم عبدالكريم كان يدرس الاخراج السينمائي في القاهرة وساهم او اخرج فيلم (النداهة) الذي كلما تذكره الآن شعر بـ«الندامة».

اقول اذكر ان نجم استقبل الفنان الكبير سعد الفرج في مطار القاهرة وكان الفنان سعد يعتمر «طربوشا» وهو كما تعرفون اسمر البشرة مثل الأفارقة، وما ان اقترب من تاكسي المطار حتى هرول نجم وفتح له الباب بانحناءة ظاهرة ثم ركب نجم بجانب السائق الذي اخذ يثرثر و«مزاجه مش ولابد» فقد اوعز الى نجم ان يسكت السائق الثرثار بقوله باللهجة الكويتية «ول. صك علينا صكة. نيم «بو لباس» فانبرى السائق يسأل نجم بلهفة «سعادتو بيقول ايه؟!» فقال له نجم يا اسطى هذا سفير (الصكستان) يقول لك «لا بأس. لا بأس» اي استمر بالحديث وانا اقوم بالترجمة فأخذ السائق يشتم (الأفارقة) «ولا دين الـ أيه» وانهم ودولهم عبء على مصر التي لا تستفيد منهم شيئا، ثم قال نجم للسائق سأترجم له كلاما جيدا لكي يعطيك (بقشيشا) محترما، وهكذا اخذ نجم يوجه كلامه الى الفنان سعد (كوكا ريكسو، كوكا كاكا)، وهكذا الى ان وصلوا الى العمارة التي يقيم فيها نجم فقفز ليفتح باب السيارة لسعد الفرج.

وكان نجم يمشي امامه مرحبا ثم عاد الى السائق وقال له: اسمع يا اسطى سعادتو يحمل (ترافل شيك) ولا يحمل نقودا لكي ينضحك البقشيش (اللي هوه) لذلك لا بأس ان تعود لنا في الغد واعطاه رقم شقة وهمية، والى اليوم لم يستدل على شقة سعادة السفير (الصكستاني).

***

مضـى على ذلك الحادث عامان ونسـي نجم ذلك الموقف وصـدفة قام سـعد الفرج بزيارة اخرى الى القاهرة واستقبله نجم في المطار، وحينما وضع شنطته في ســـيارة الاجرة انحنى ليفتح له الباب ليكرر (اللعبدة)، وما ان ركبا حتى التفت نجم الى سعد وقال سعادة السفير (كوكا ريكو كوكو كاكا). وهنا دعس السائق بسرعة على الفرامل ثم صاح: «يا ولادين الابالسة. انتم تاني؟!»

عيسى العصفور

كان بيني وبين الصديق -لاحقا- عيسى العصفور أصدقاء مشتركون، ولكنني لا أعرفه شخصيا بالرغم من أنه من أهم مثقفي الكويت، ومن مؤسسي المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بالإضافة إلى أن عمله الأساسي في ديوان ولي العهد كرئيس للقسم الاقتصادي.

وعيسى قد نال شهادته العليا من القاهرة أثناء ازدهارها الثقافي والفكري والفني، لذلك أصبحت الثقافة بالنسبة إليه كالهواء والماء اللذين لا غنى للمرء عنهما أبدا، وكان عيسى مثلما هو كريم الطبع ويتميز بالشفافية والصدق فإنه يتميز أيضا بالإيثار حتى في الثقافة إذ لا يكتفي أن يستفيد منها وحده بل يؤثر - أحيانا- حتى الأصدقاء عليه، فكلما قرأ كتابا أو موضوعا مهما يتعلق بأي منحى من مناحي الثقافة حتى تذكر صديقا يعنيه أمر هذا الموضوع، فهو تماما كما يقص من الصحف العربية والعالمية الموضوعات التي يقرأها فإنه يصوّرها للأصدقاء. فالصديق الذي يهتم بالفكر يحتفظ له بموضوع فكري إلى أن يلتقي به، والصديق الذي يهتم بالشعر يحتفظ له بقصاصة او موضوع أو كتاب يتعلق بالشعر، وكذلك الفنون والدراسات بما في ذلك حتى الرسوم الكاريكاتيرية التي يحتفظ بها لأصدقائه الساخرين.

***

وعيسى كما قلت سابقا ظل العازب الأشهر في الكويت لأنه تزوج الثقافة وانقطع إليها! كما أنه يتصف بقلب أبيض لا يعرف الكراهية والحسد والحقد والنميمة وبه صفات أخرى قد لا تتوافر بأناس اليوم المتكالبين على المادة والاستعلاء على الآخرين، وممارسة الفوقية والتمييز حسب العرق أو الجنس أو الجنسية أو اللون؛ لذلك تجد ان أصدقاءه خليط من الكويتيين والمقيمين سواء أكانوا عربا أم أجانب، فله صديق باكستاني متزوج من ألمانية سنأتي على ذكرهما في ما بعد، وكذلك له صديق وصديقة صينية اسمها «دوريس»، وله صديق هندي اسمه «ادواردو» وله صديق ياباني اسمه «تشن» وله صديق ايراني مثلما له صديق عراقي، وله صديق حضري مثلما له صديق بدوي، وله صديقة بلغارية، مثلما له صديقة سورية، وله صديق مصري مثلما له صديق مجري. وبالطبع تختلف مستويات هؤلاء الأصدقاء الاجتماعية والمعيشية فمن سائق الوانيت الذي يعمل فراشا في المجلس الوطني إلى برفيسور الجامعة، وكذلك له صديق أمي لا يتقن إلا النفخ في الهبان (القربة) مثلما له صديق يقود فرقة اوركسترالية في شيراتون المدينة، وكان عيسى يتغذى في أرقى المطاعم على الطريقة الفيكتورية ويتعشى في خيمة في بر مشرف، أقول عرفت عيسى في «السلفر ستار» أي النجم الذهبي وهو مطعم صيني في السالمية، إذ كنت بصحبة زميلة صحافية تجري حوارا معي وكان هو يجلس وبعض الأصدقاء على

طاولة بالقرب منا، ثم دعانا بعد أن أنهينا الحوار الصـــحافي إلى طاولته، وكان يتناول الأرز في «شوبي ستيكس» أي العيدان الصينية.

وقد ذهلت في بادئ الأمر من مهارته بالأكل على الطريقة الصـــينية إلى أن اتقنتها في ما بعد لكثر ما صحبته في مثل هذه الأماكن.

لصوص معتبرون

ذكرت في الحلقة الماضية أنني عرفت الصديق عيسى العصفور في «السلفر ستار» أي النجم الفضي، وهو مطعم صيني في السالمية، إذ كنت بصحبة زميلة صحافية تجري حوارا معي، وكان هو يجلس وبعض الاصدقاء على طاولة بالقرب منا، ثم دعانا بعد أن أنهينا الحوار الصحافي إلى طاولته، وكان يتناول الأرز في «شوبي ستيكس» أي العيدان الصينية.

بعد تلك الدعوة «الصينية» الكريمة أصبحنا نلتقي يوميا في «النجم الفضي»، ولنا زاوية رائعة في ذلك المطعم الفاخر، واستطعنا أن نوثق العلاقة مع «مستر نور» الباكستاني الأصل، الذي يدير المطعم مع زوجته الألمانية الشقراء التي كانت كثيرا ما تبدو فظّة مع الجراسين الصينيين المهذبين، ثم أقمت أنا علاقة غريبة مع مخلوقة رائعة اسمها «عزيزة» «المشخلعة»، ولكي لا تذهب أفكاركم بعيدا فإن عزيزة تلك مجرد سمكة ملونة راقصة تشبه إلى حد ما راقصات الملاهي الليلية في بعض العواصم العربية، وكنت أجلب لها فتات الطعام لكي تمارس أمامنا الرقص في الحوض الزجاجي الشفاف، وكانت هي سلوتنا أنا وعيسى حينما ينقطع بيننا الحديث، وبالطبع قد كتبت في «النجم الفضي» العديد من القصائد لكثرة ما سهرنا فيه ليالي الود والشباب وحب كل ما هو جميل في الحياة.

وكنا (عيسى وأنا) ننتقل يوميا بين «ريكاردو» الشيراتون و«سيزار» السالمية او «سيزار» الصالحية او في «صالة الحمراء»، وكان عيسى يجمع جمعا رائعا من الاصدقاء وبشكل دائم مثل الدكتور فؤاد زكريا، الدكتور سهيل الطويل، الدكتور عبدالاله ابو عياش وشقيقه الدكتور سعود ابو عياش والدكتور الشاعر عادل فاخوري، صاحب القصيدة الحركية والقصيدة المغناطيسية، واحد شعراء مجلة الرصيف، والدكتور الراحل احمد الربعي، رحمه الله، والدكتورين الشقيقين احمد ومحمد البستان، والصديق الكاتب الاقتصادي عامر التميمي والدكتور عبدالعظيم انيس والصديق المحبوب محبوب العبدالله والشاعر محمد الاسعد والدكتور اسعد عبدالرحمن، وعبداللطيف الصقر واحمد الايوب والفنان الكاريكاتيري هاني مظهر والمهندس المبدع فاضل العبار وغيرهم وغيرهم من العديد من الصديقات المثقفات اللواتي يجمّلن المكان بأفكارهن لا بأزيائهن وإبداعاتهن لا وكان كلما حل ضيف من المثقفين على الكويت، أو أقيمت بها أي فعالية ثقافية، كان عيسى يدعو ضيوفها إما الى مطعم راق او الى مخيمه المميز الذي اقامه في الصحراء، ولعلي في هذا الصدد أذكر حكاية طريفة عن تلك الصداقات والتنقلات، إذ قررنا انا والصديق فاضل، وبعد ان تناولنا العشاء في الشيراتون، أن نسرق بعض المحتويات من مطعم الريكاردو الذي كان يشرف عليه صديق لنا اسمه مسعود، وكان مسعود هذا من اروع الناس وألطفهم، لذلك ملأنا جيوبنا وحقيبة معنا بمجموعة ثمينة من الملاعق الفضية والشمعدانات، والسكاكين

والمـالح، وكـل مـا غلى ثمنه وخف حمله، وحينمـا خرجنـا من المطعم تحدانا عيسى ان نكون لصوصا حقيقيين، لا نسرق ما خف حمله بل ما ثقل حمله، فحملنا طفاية ذهبية كبيرة أنا وفاضـل وخرجنا من الباب الرئيسـي للفندق، ولم ينتبه إلينا أحد الا حينما دعونا ذات يوم صـديقنا مسعود، فاكتشـف أننا لصوص معتبرون، بمقدورنا أن نسرق حتى مسعود ذاته، بشحمه ولحمه.

***

قلنا في الحلقة السـابقة انني والصـديق عيسـى العصـفور وثلة من الاصـدقاء مثل فاضـل العبار واحمد الايوب ومحبوب العبدالله وفرحان الفرحان، كنا نرتاد مقاهي ومطاعم معينة مثل الركادو في الشـيراتون والنجم الذهبي في السـالمية، وقيصر الذي يقع خلف الشيراتون، واننا نقضي نهاية الاسبوع خصوصا في الشتاء والربيع في مخيم أقامة عيسى لنا في بر مشرف، وقلنا اننا تعلمنا السرقة من المطاعم الثمينة مثل الشـمعدانات والملاعق والسـكاكين والقناديل الصغيرة، وقلنا انه تطور الامر معنا إلى أن نسرق طفاية الشيراتون الكبيرة اذ حملتها انا وفاضـل مخبأة تحت معطف عيسـى وخرجنا بها دون ان يلحظنا احد. وقلنا اننا دعونا مسـعود صـديقنا مدير الريكادو الى المخيم ذات يوم وانه ما ان جلس حتى لاحظ ان قناديل الشـيراتون الصـغيرة قد أضـيئت في المخيم، وكذلك الملاعق والسكاكين ولكننا، اجهضنا ملاحظة مسعود وقلنا لاشـك أن عقلك قد أصـابه مس في البر، لأن الجن يتكاثر في البر اكثر من المدينة (!!) فصمت مسعود على مضض، ثم نهض ذات مرة وأمسك طفاية

الشـــيراتون الكبيرة وقال، «بلا جن بلا بطيخ»! هذه طفاية الشـــيراتون وها هي شعاره عليها، أيها اللصوص فانفجرنا دفعة واحدة بالضحك، وقلنا له: وما شأنك انت يا مسعود؟ فالفندق يسرق نقودنا، ونحن نسرق أغراضه!

صـمت مسـعود قليلا وقال أيها الملاعين، من اليوم فصـاعدا لن أمنح لكم خصـما في المطعم، وسـأراقبكم كحرس الأسـواق، فقلنا له: افعل هذا بيديك ورجليك، فلن يفيدك أي شـيء. ثم عمدنا الى خطة اكثر اتقانا في السـرقة، لاســـيما حين يكون بصـــحبتنا بعض الزميلات الصـــحافيات لأننا نودع السرقات في حقائبهن، وحينها لن يجرؤ مسعود ولا غيره على تفتيش حقائب السيدات.

***

وهكذا سارت الامور على احسن ما يكون. وذات مرة زارنا أحد المتطفلين ثقلاء الدم، وكان بصـحبته فنان سـخيف، اجش الصـوت، اوجع رؤوسـنا بغنائه وعزفه النشـــاز، فحاولنا مرارا وتكرارا التخلص من هذا الصـــداع والصـــديع، ولكن لم يكف عن إيذاء اسماعنا بنهيق فنه السـخيف، وحينها نهض أحد افراد شـلتنا، وجاء بفعل جعل الفنان يخرج هارباً هو وصـــاحبه، وكدنا (نفطس) من الضحك، ولكن تلك كانت خطة ناجحة، خلصتنا من ذلك الزائر الثقيل وفنه الثقيل ايضـا. مضـت السـنوات، وحينما حدث الغزو الصدامي الغاشم، كان ذلك الثقيل أحد المتعاونين مع الجيش الشعبي، ولقي المصير الذي يستحقه على ايدي المقاومة الكويتية بعد التحرير

في بداية الثمانينيات الميلادية من القرن الماضـــي، توقفت «قســـراً» عن الكتابة، وســـاءت حالي النفســـية كثيرا، وقررت ان اهجر المدينة كلياً نحو الصحراء، ولكن بسرعة مباغتة التفّ حولي العشرات من الشعراء الشعبيين الشباب وجعلوا من منزلي في الصليبية ناديا لهم، فأخذوا يسمعونني قصائدهم الجديدة واقوم بالتوجيه والتصـويب والتقييم، وكان من هؤلاء الشـعراء مسـفر الدوسري، ناصر السبيعي، فهد عافت، سلمان المانع، نايف الحربي، خلف الحربي، فهد دوحان، عيسى ناصر، علي عبدالله العنزي، عارف سرور وملوح العنزي، خلف الاســـلمي، محمـد عواد، نايف صـــقر، علي المبرد، تركي المطيري، وغيرهم وغيرهم ممن لا تسعفني الذاكرة العجوز على تذكرهم كلهم، على الرغم من انهم ابنائي وأحبابي الذين ظلوا اوفياء لي حتى اليوم، أي أنني فجأة اصـــبح لي مريدون وتلاميذ يلتفون حولي اينما ذهبت، وفي تلك الفترة جمعتني زمالة رائعة مع امرأة رائعة وكاتبة رائعة ألا وهي «المبرقعة» التي اشعلت الســـاحة الشـــعبية زمنا بعينيها الناريتين اللتين تقتلان الشـــعراء، وكتاباتها الســـاخنة ونقدها اللاذع وروحها الشـــفافة الجميلة، لذلك تجد القليل من الشـــعراء لم يتغزل بتلك العينين الســـاحرتين، بل كانت المبرقعة هي القنديل الذي يحوم حوله فراش الشـــعر الذي ســـرعان ما يتســـاقط على نار زبالته المشـتعلة، كما ان هنالك فتاة مثقفة صـعلوكة انضـمت الى شـلة الشـعراء، وكانت تمشي معهم وتذهب اينما ذهبوا وكان الكل يعتبرها صديقا لا يختلف عن الاخرين، وهذه الفتاة التي تزوجت رجلا خليجيا وتقيم معه حتى يومنا

في بلاده، كانت من اروع النســاء اللواتي عرفت، لثقتها الكبيرة في نفســها، ولو لم أشـأ ان اسـبب لها الاحراج الآن بعد ان اصـبحت أماً لشـهرت اسمها على الاشهاد فهي جديرة بالتذكر والوفاء، لانها بمنزلة اخت الرجال.

***

اقول في تلك المرحلة قام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بانتدابي اليه للتفرغ للابداع، والفضـــل يعود في تلك الالتفاتة الرائعة الى الصـــديق الدكتور ســليمان العســكري رئيس تحرير مجلة العربي الآن، وكذلك المرحوم الشــاعر احمد العدواني والدكتور الشــاعر خليفة الوقيان، وكان المجلس آنذاك يضـج بالعديد من المثقفين والاصـدقاء مثل الدكتور بدر الديحاني، والاسـتاذ عبدالهادي نافل العجمي، والاســتاذ بادي المطيري والاســتاذ علي صــياح السميران، والاستاذ سهل العجمي والاستاذ سليمان الشيخ، وغيرهم وغيرهم من المثقفين والشعراء والكتاب.

وبالطبع في تلك المرحلة فكر صـــاحب الســـمو الملكي الامير بدر بن عبدالمحسـن بإصـدار مجلة تُعني بالأدب الشـعبي، وقد اوكل الأمر الى الصـديق نايف الحربي، الذي اصــدر «الغدير»، حيث قمت بإعداد العدد الأول من الغلاف الى الغلاف، ولكن «الغدير» لم تســتمر طويلا، لظروفها المالية، فأوكل الامير بدر الى الصــديق والزميل ناصــر الســبيعي ان يصــدر مجلة «المختلف» التي لم تزَل تصـدر حتى اليوم، لذلك اصـبحت «المختلف» منذ ذلك الزمان مدرسة شعرية تخرّج اجيالا من الشعراء المبدعين وبالطبع كان ليّ

اليد الطولى في ارساء دعائمها حتى قامت، واخذت تعتمد على نفسها في التوزيع وتسد كل تكاليفها الاخرى، وما ان قامت «المختلف» حتى أصبحت نادياً آخر للشعراء، بالإضافة الى بيتي وبيت الصديق الشاعر الطيار علي القهيدي، الذي كان نعم الرجل الشهم ونعم الشاعر المبدع.

حينما خطوت اولى خطواتي على بلاط صاحبة الجلالة (الصحافة) كان امامي نموذجان لما سأصبح عليه، او اصبو اليه، فالنموذج الاول كان الصديق حسين العتيبي لجرأته وتحليلاته وتميز مفرداته وتفرد موضوعاته ومغامراته الصحافية الجريئة، اما النموذج الثاني فقد كان الزميل الكبير سليمان الفهد لما يملك من روح ساخرة وشهرة شعبية وجرأة في الطرح، ولما كان الزميلان يعملان في الجريدة التي كنت اتدرب فيها على العمل الصحافي الا وهي جريدة السياسة، فقد اتيح لي ان اتعرف اولا على حسين العتيبي، فأصبحنا صديقين، لأن كلانا قد جاء من مجتمع قبلي متخلف، وله مشاكله وهمومه التي لا تنتهي، وحينما رشحني الاستاذ احمد الجارالله للكتابة اليومية عبر زاويتي الشهيرة «هذرلوجيا» اخذت اتداول الموضوعات بسخرية مُرة، كما كان يفعل سليمان الفهد واحيانا (اشطح) وأنسى القيود العملية الخاصة بي واتناول موضوعات ساخنة على طريقة حسين العتيبي، ولكن مع طول الوقت يبدو ان الأسلوب الساخر قد تغلب على الاسلوب المباشر الحار، الذي يتميز فيه حسين العتيبي وكان هنالك من جهة اخرى يكتب عبداللطيف الدعيج نصف صفحة متى ما شاء وكثيرا ما تثير هذه الكتابة

«الفرقعة»، لذلك حينما صدرت احدى الصحف اليومية في اواسط السبعينيات وضعت نصب اعينها مهاجمة جريدة السياسة باعتبارها هي الجريدة الاكثر اثارة، وهي الوحيدة التي كانت «تلعب في الساحة الصحافية»، كما كان اغلب كتابها مثيرين للجدل، لذلك صبت جام غضبها على السياسة وكتابها الذين وصفتهم بالصعاليك والقرود والملاحدة والمرتزقة وغير ذلك من الالفاظ الحادة، لذا ولان المثل يقول ليس «دون الحلق سوى اليدين» فقد شمرنا عن يدينا للدفاع عن حلوقنا، بل عن اللقمة التي تأتي الى الحلق وبادلناها العبارات الاقذع، مما وضعتنا بها، مما حدا بالمرحوم الشيخ جابر العلي الذي كان يحب الصحافة الى ان يتدخل لإيقاف هذه الحرب الورقية التي نالته (شخصيا)، بعض شظاياها الطائشة باعتباره كان وزيرا للاعلام آنذاك، بعد تلك المعركة تعرض حسين العتيبي الى تهديد مبطن ان لم يوقف كتاباته (النارية) لذلك انسحب من المشهد بكل هدوء واتجه الى العمل بالتجارة ما بين الكويت والبحرين ثم أخذت تنقطع اخباره بالتدريج الى ان كاد القارئ الكويتي ينسى كاتبه المثير للجدل.

وذات مرة نمى الى علمنا ان حسين قد استأجر طائرة خاصة كما تقتضي ظروف عمله التجاري وكانت تلك (السالفة) بمنزلة الطامة الكبرى التي نزلت علينا نزول الصاعقة، وذلك بالطبع يعود الى «المراهقة الفكرية»، فاصبحنا نندد بـ«حسين» الى ان رأيته ذات يوم وبمحض الصدفة في فندق الشيراتون، مع ثلة من الاصدقاء المشتركين فأمطرته بوابل من التهم التي ما انزل الله بها

من سـلطان، فقال لي بكل بسـاطة «يا سُـلم» انني لم اسـتأجرها بقصـد «البرجزة والفشـخرة» بل ان الذي قام بتأجيرها لي هو صـاحب الشـركة التي اعمل بها لإنجاز عمل مهم يقتضـي السـرعة واختصـار الوقت فهل تعتبرون ذلك جريمة؟

وهنا توجه بعض الجلوس من الثلة وادانوا موقفي السـخيف هذا (!!)، ثم بعد ذلك لم ار حسـين لسـنوات عديدة الى ان عاد مسـتشـارا في جريدة القبس، وكان قبلها قد عمل في الديوان الاميري، وحينما عاد حسـين للصحافة مستشارا لا كاتبا رأيته لعدة مرات في جريدة القبس، ثم اختفى مرة اخرى سمعت خلالها انه يعمل مستشـارا في الـ CNN وبالطبع حينما صـدرت جريدة الجريدة قيل لي ان حسـين قد عاد للصـحافة المحلية كقيادي يساهم في بنائها الى جانب رئيس التحرير والزملاء طاقم «الجريدة».

تداعيّات الطائر الصحراوي
في المدينة الراحلة

إيه، ها هو إذن طائر الصحراء يحطّ على قمة برج زجاجي حديث لم يألفْه قبلا في المدينة التي تستوطن القلب، وها هو يحدّق بعينين شرستين كسائر أعين الجوارح التي تتّقد بالشرور والصلافة والكبرياء، ويتأمل في شوارعها اللولبية القديمة الضيقة التي تبتعد عنه كلما أمعن النظر فيها، لذا خطرت له فكرة جامحة لم تخطر على بال اي طائر على مرّ الزمان ومنذ أن خلق الله الكائنات، ومن هنا قرر ان ينفض ريشه الصلب حتى التساقط الكلي ويرتدي ثوبا فضفاضا كما يفعل سائر أهل هذه المدينة، وان يتوج رأسه العنيد بـ«غترة» بيضاء تلتف على هامته الضخمة بطريقة الـ«جريمبة» المميزة التي لا يتقنها سوى أهل هذه المدينة بالذات، منذ أن ركبوا البحر في سالف الزمان وحتى اواخر السبعينيات الميلادية من القرن المنصرم، ثم انتقل خفا «زبيريا» مزركشا مصنوعا من جلد الثور او «ثفنة» الجمل وانحدر مزهوا كعشاق ذلك الزمان، ليدور في الشوارع و«السكيك» لا كطائر جارح، بل كفتى في مقتبل العمر، حينها احسّ بنشوة الصباح وجسارة الجوارح من الطير، وبالطبع حينما دلف الى مدخل المدينة احس انه قد اصبح انسانا لا طائرا مداره الفضاء، ثم اخذ يهجس بتداعٍ غريب:

أسير في شوارع الكويت
أدور في الشوارع التي
عرفتها ألفتها
في ميعة الصبا
تلك التي ضياؤها خبى.
من أعيني لأنها تغيرت
أو أنها تطورت
أو أنها تحورت
حاولت ان أزيلها
كما قد زال جيلها
أو إنني احيلها
إلى مستودع العدم
لكنما فؤادي المفتون في غرامها أبى
لأنني تركت في عطفاتها
بعض الشظايا منه
والتجربة المخضرمة
وبصمة القدم
لأنني علقت في شرفاتها

قصائدي المخبولة الهوى،
مشاعلا لجولة الظبا
تقودها (الجازية) التي تكون في المقدمة
باسمة، ضحاكة، مهمهمة
تأسرها
عبارة معسولة ومبهمة
من أحد الشباب في الزحام
والبضائع المكوّمة
وإذ (عبدالله الفضالة)
يصدح في الاسماع
بصوته المشحون بالأسى
ينّسل من (بشتخته) قديمة مرنّمة:
(يا أم عمر جزاك الله مكرمة)
فقلت أي مكرمة؟!
يا عمنا المغني العظيم
فالأمة المأزومة المنهزمة
تلك التي تقعي كما
شحاذة
كسيرة وهرمه

تستجدي الأمجاد من تاريخها
وتشتمه

***

أسير في (السكيك)
ولا أرى سوى العمائر
المهجورة المهدمة
ابحث عن صديقتي العجوز (أم عوف)
وابنتها الجميلة (الهنوف)
تلك التي تحني الكفوف
وتنثر العطور
والبخور
من (مبخر) يدور
في (سوق واجف) القديم
وحينما تطوف
يهفهف (النفنوف)
والبرقع الشفاف والعباءة الرهيفة المنمنمة
ينتعش الرواد
وينتشي (جواد)
بائع الخزف فيطلق الموال

(يا مال يايا مال

يا مال يايا مال)

يهز جاره الهندي (مسلمان) رأسه الصغير

ويحمل الـ(سيتار)

مدوزنا أوتاره المشدودة المنتظمة

مغمغما

(يالالي لالا لال)

وتستمر الغمغمة.

***

أسير في شوارع الكويت

ترتج في مسامعي الدفوف

من فرقة (أم زايد) الشعبية

أو فرقة (المعيوف)

ابحث في الأسواق عن:

دكان (بوعثمان)

ذاك الذي قد كان

يكرع في حانوته (القدوّ)

في سالف الزمان

تحيط به ثلّة من البدو

جاؤوا من الصحراء

بحثا عن السلف

كي يشتروا العلف

ان جاء وقت الجدب

أو يلجأوا إليه

في أحلك الظروف

وعندما يطلبهم الأمير

في العزم / أو في الجزم

أيام وقت السلب

وان يسددوا ديونهم إليه

ان جاء وقت الخصب

وباعوا (القعود) والخروف ومحبكات السدو

***

أسير في الكويت

بحثا عن (المرقاب)

ومسكن العزاب

لأنه قد كان

يقطنه صديقي المهري (باعطب)

اذ كان يولم لي (برمه) لحم التيس
و(الحلبة) العجب
وحزمة من الجرجير
والبربير
والريحان
والقهوة الخضراء
وسلة من الرمان والعنب
لكنه كما سمعت – مات –
في آخر الحروب في اليمن
لأنه خطب
خطبته الشهيرة العصماء ضد الحرب
وكانت السبب.

***

بينما كان الطائر الصحراوي يواصل تسكّعاته في شوارع المدينة التي احبها من القلب بعيدا عن «المغانم» التافهة التي تشغل بال «أغلب» سكانها والوافدين اليها، لانه كان يؤمن بالتواشج الروحي بين المكان والانسان، اذ لا يمكنه انتزاع المكان بكل ما فيه من الذكريات من روح الانسان. ولأن هذا

الكائن الصحراوي هو انسان اولا وقبل ان يغدو طائرا، فانه يفكر باحساس الطيور وتعلقها باوكارها الاولى، لذلك فقد واصل الهجس:

أبحث في شوارع الكويت

تلك التي أحببتها في ميعة الصبا

عن الحواري القديمة

عن (الدريشة) التي تطل من (درفتها)

صبية جميلة

كان اسمها (غنيمة)

القي لها رسائل الغرام

إذ الفها على حجر.

(احذفها)

تلقفها

وانتظر

تأكلني الشكوك والأوهام والضجر

وعندما يجيئني الحجر

مضمخا بالعطر والرسالة الملونة

وقطرات الزعفران

وبصمة الشفتين بـ(الديرم) الخنين

والسهم والقلبين

أحس إنني من اسعد البشر

واكتب الأشعار

عن روعة الهوى

ولوعة الجوى

والحرقة الأليمة، و(سرّي الدفين)

فأشتم الحساد

وألعن (الحُقّاد)

وناقلي النميمة

والكاذب الأشر

أبحث في الشوارع الخلفية

عن أول الندامى

عن منزل من طين

يسكنه أربعة من المدرسين

فواحد من الزبير جاء

وواحد من حمص وواحد من القصيم

وواحد قد جاء من جنين

وكانوا ياما... وياما

غنوا قبيل الفجر

(الاوف)

والموال

والمقاما

ويتقنون العزف / بالعود والمرواس

ويزرعون الفل والنعناع

ويكتبون الشعر

ويُحسنوا المقاما

ولطالما قد رددوا أغنية تقول:

(يا نجمة الصبح يللي

سروا عليك النشاما

أبكي ولا أحدن فطن لي
وأنوح نوح الحماما)

***

أدور في الكويت
تلك التي اعرفها
منطقة، منطقة
وقطعة قطعة
وشارعا وبيت.
لكنها تغيرت
ولم يعد بها
سوى تسابق الأبراج للسماء
مثل الخوازيق التي انتصبت
لتطعن الزمان
والإنسان
والفضاء
وتلغي المكان

حدقت في علوها

فهاجت الأشجان

أدرت وجهي المحزون صوب البحر

لكي أجاوب الأمواج في النشيج

وفجأة: بكيت

لأنه لم يبقَ في الكويت

تلك التي اعرفها

سوى النوارس التي تصيح

ومركبا محطما

تلهو به الرياح / تنسل من الواحة

(نهمات) أهل البحر

تاركة في مسمع الزمان:

صوتا

وصيت.

***

عند ذلك بالضبط تذكر الطائر الصحراوي الغريب انه طائر لا انسان فذرف دمعتين، ثم فرد جناحيه بقوة فتمزق الثوب الذي كان يرتديه وطوح بـ«الغترة»، بعيدا نحو ازباد البحر، ونفض ريشه المعدني الصلب من جديد وصفق بجناحيه الهائلين واطلق صرخته المدوية وانطلق كالسهم ليخترق الاجواء عائدا الى صحراواته القديمة وواحاتها الوارفة، تاركا ابراج المدينة الهائلة تبدو له من الاعالي كحزمة بعيدة من الأشواك المنتصبة في العراء.



سليمان الفليّح – في اواخر الثلاثينات

الصَّعَالِيكْ

تمهيد..

أســتورد أبي " الصــعلكة " من عمق التاريخ والصــحراء العربيين وأعاد بعثها كحركة غضــب وتمرد بمفاهيمها ومبادئها الفنية والإنســانية الغاضــبة وفردانيتها الشـديدة مسـتعيرا أرواح شـعراؤها وغضـبهم وأحزانهم فكانوا على الدوام أخوته وشياطينه ونداماه يستحضرهم في كل غيبة للصحراء ويستدعيهم كلما فرضت الظروف وقعها.

كانت " الصـــعلكة " عباءته الفنية والشـــعرية والمبدئية الجميلة والكمال الأخلاقي والإنســـاني بنظره فتتبع ورصـــد أثارها وشـــعرها وكتب عنها وعن شـعراؤها بإخلاص حقيقي كسـليل ثقافي وشـعري حضـاري وسـفارة فكرية إنسانية في القرن العصر الحديث.

كانت بداية إهتمام أبي بـــ " الصعلكة " و " الصعاليك " أوائل السبعينيات الميلادية من القرن العشرين وفق ماأوجبه حينها صعود الحداثة الشعرية ، فكان الشـــعراء الشـــباب وقتذاك يبحثون عن ما يغاير ويميز في إبداعاتهم لذا كانت العودة الى الينابيع الإبداعية والمناجم الشـــعرية شـــرطا من شـــروط الجماليات وتنويعة أثر لافتة تعطي المشـــروعية لمبدعها وهكذا كان ارتباطه الشـــديد بالصعلكة والصعاليك.

المقدمة

مجرد صعاليك*

ليس للصعاليك

الاحتفالات

والكرنفالات

طقوس الدِّنانِ الثمينة

والبزز الباذخة

ليس للصعاليك

دعوات السفارات

أو واجهات المطارات

أو بهرجِ المرأة (الكاشخة)

ليس للصعاليك

غير ملح البحار

ورمل الصحار

وقول الحقيقة في الجملة الصارخة

للصعاليك رقصتهم البربرية حول اتقاد الغضى

واتساع الفضا

ووقفتهم الصلبة الراسخة

للصعاليك ما تحمل الريح

من عبق الشيح

والإتجاه الصحيح

إلى الشمس بالجبهة الشامخة

وســـــائلةٍ أين الرّحيلُ وســـــائلٌ ‏ ‏ ‏ ‏ من يســـأل الصــعلوك أين مذاهبه

مـذاهبـه إن الفجـاج عريضــــــةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ إذا ضَـــنّ عنـه بالنوال وأقـاربـهُ

إنهم:

ســــراحين فتيـان كـأن وجوهَهمْ ‏ ‏ ‏ ‏ مصـــابيحُ أو لونٌ من الماء مُذْهَبُ

إنهم:

يمرون برهو الماء صفحا وقد طوت ‏ ‏ ‏ ‏ ثمـائلنـا والـزّاد ظـنّ مغيّـب

إنهم:

مَســـــاعَرَةُ شُـــعْثٌ كـأنّ عيونهم حَريقُ الغَضـا تُلفى عَلَيها الشَـقائِقُ

إنهم:

رَكبٍ بأبصـــار الكواكب أبصـــروا ضَـلالَ المَهارَى فاهتدَوا بالكواكبِ

يكونون إشــــراقَ المشــــارق مرّة وأخرى إذا غـابوا غُروبَ المَغـاربِ

الصــعلوك في اللغة هو الفقير الذي لأمال له ولا اعتماد. وتصــعلكت الإبل خرجت أوبارها وانجردت. وصــعاليك العرب ذؤبانها. هم فئةٌ خرجتْ على قبائلها نتيجة الخلع الاجتماعي بسـبب التمايز الطبقي حيث جاهلية العبد والسـيّد واسـتغلال الضـعيف وسبي الحرائر وامتهان الكرامة الإنسانية. لذلك هب أولئك الفتيان يسلبون ما يرون أنه حقٌ لهم ولا يقربون الشـيخ الكريم والمرأة والرجل الضـعيف والفقير العاجز ويتّقصـدون الغني البخيل كما قال أحدُهم:

وعـيّـابـة لـلـجـود لم تـدر أنـنى بانهـاب مـال البـاخلين موكـل

وهم حينما يشهرون أسيافَهم فهم يدرأون بها الفقر والفاقة كما قال بكر بن نطاح:

وَمَن يَفتَقِرْ مِنّـا يَعِش بِحُســـامِـهِ وَمَن يَفتَقِرْ مِن سـائِرِ الناسِ يَسـأَلِ

ولمِ لا. في زمن يتخم فيه آخرون ويبيت على الطوى آخرون كما يقول بشر بن المغيرة:

وكلهم قـد نال شــبعـاً لبطنـهِ وشــبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاعَ صـاحبهٌ

أو أنهم يضطرون لسؤالِ اللئام كما يقول الأحيمر السعدي:

وأنني لاســتحى من الله أن أرى أطـوفَ بحبـل لـيس فيــه بـعيرُ
وأن أســـأل المرء اللئيم بعيره وبـعـران ربي في الـبـلاد كـثـير

ولعل أوجز تبرير لحركة الصعلكةِ هو ما قاله جحدر العكلي للحجاج حينما أُلقي عليه القبض كان ينهب اليمامة فلما سأله عما بلغه عنه قال: كلبُ الزمانِ وقوةُ الجنانِ وجفوةُ السلطانِ، ويلخص أميرُ الصعاليكِ عروة بن الورد فلسفتهم بقوله:

اتهـزأ مـني أن سمـنــت وأن تـرى بوجهي شحوبَ الحقِّ، والحقُّ جاهد
أُقسّـمُ جســمي في جسـوم كثيرة وأحســـو قراح المـاء والمـاء بارد

إني امرؤ عـافي إنائـي شـــركـة　　　وأنـتَ امرؤ عـافي إنائِـكَ واحـدُ

أي أن الصعاليك ليسوا هم بمفهوم العامةِ سفلةَ المجتمع وسقائط السوقةِ والرعاعِ، بل إنهم فرسانٌ تميزوا بالبسالةِ والإقدامِ والكرم والثقافةِ والإنسانية وبعدِ النظرِ وقولِ أروعِ الشعرِ في أدبنا العربي فقد قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- علموا أولادكم لامية العرب للشنفرى الصعلوك.

وقال عمرو بن معدي كرب فارس العرب: والله لو سرتُ الى بلاد العرب كلها ما خفتُ أن أغلَبَ فيها مالم يلقني عبداها أو حراها "ويقصد بذلك العبدين عنترة العبسي والسُّليك بن سلكة الصعلوك.

وقال معاوية بن أبي سفيان :" ما أجبتُ أن أنسبَ في الجاهليه إلاّ لعروةَ بن الورد" سيد الصعاليك الذي كان يجمع الضعفاءَ والمرضى فيحفرلهم الأسرابَ ويكنف عليهم الكنف حتى إذا ما أخصب الناسُ وألبنوا الحق كلَ ضعيفٍ بأهله فإما فقير فيغني أو مريض فيَبْرُو ويغزو بالاصحاء منهم ويقتسم معهم الغنيمة والعائده ومن الصعاليك مالك بن الريب الذي كان يعترض قوافل الدولة الأموية ليوزع أسلابها على فقراءِ قومه تميم ومن الصعاليك لعديل الذي قال فيه الشاعر:

ومـا ولـدت مثـل العـديـلِ حليلـة　　　قديماً ولا مســـتحدثات الحلائلُ

**وما زال مذ شـــدت يداه أزاره		بــه تفتح الأبوابُ بكر بن وائــلُ**

ومن الصعاليك جحدر الذي ألقاه الحجاج الى الأسد في حفرة عظيمة وقتل الأسدَ وخرجَ مرتجزاً:

**ليـث وليـث في مجـال ضـــنـك		كـلاهمـا ذو قــوةٍ وســـــفـكِ**
**وصـــــولـة وبـطشـــــةٍ وفـتـكِ		إن يكشـــف الله قنـاع الشـــكِ**

ومن الصعاليك تليد الضبيّ الذي كان يقول لكثرة سطوته وصعلكته:

**ولو أن بعض النـاسِ يفقـد أمَـه		لقيـل احتواهـا في الرحـالِ تليـد**

ولما أستتابه الخليفه العادل عمر بن عبد العزيز أمره ببناء مسجد بجهده الخاص ونقل الحجارة على ظهره فقال:

**تبَّدْلتُ من سَـوْقِ الآباعر في الضـحى		ومن قَنصَ الغزلانِ بَنْيِ المســـاجدِ**

أو كأبي خراش الهذلي حينما أدرك الاسلام وتاب عن قطع الطريق حيث يقول:

فليس كعهد الدار يا أم مالكٍ ولكن أحاطتْ بالرقابِ السهلُ

وعاد الفتى كالكهلِ ليسَ بقائلٍ سوى الحقِ شيئاً فأسترِح العواذلُ

لذلك عَلينا القول إن صعاليك العرب سلكوا جميعاً أسلوباً واحداً في الحياة آمنوا بأنه الأسلوب الوحيد الذي يستطيعون به أن يرفعوا عن كواهلهم ما وضعته فوقها ظروف مجتمعهم الجغرافية وتقاليده الاجتماعية وأوضاعهِ الاقتصادية من ضيم وهوان، وهو ذلك الأسلوبُ الذي شعاره الغزو والإغارة والسلب والنهب ومن هنا يرى الدكتور يوسف خليف :" أن صعاليك العرب جميعاً سواءً منهم الخلعاء أو الأغربة أو الفقراء المتمردون قد تخلصوا من فكرة العصبية القبلية وشقوا طريقهم في الحياة دون تقيدٍ بقبائلهم ويرى د. يوسف خليف :" أن مردَّ ذلك هو إحساسهم بأنهم مهضومو الحقِ مستضعفون في الأرض وما نشأ عن هذا الاحساسِ بالضغة وعن هذه الرغبة بالتسامي من مركب نفسي اتجه بهم إلى التمرد رآه أساس الصعلكة قوة النفس وقوامها ومقدرة الفرد على الوقوف في وجه الجموع.

ويقول يوسف خليف أيضاً: ومن الطبيعي تبعاً لهذا أن يختلف موقف الصعاليك من هذه الحركة التي وهبوا لها حياتهم فهناك الشخصيةً المتمردةُ التي تريد إظهار بطولتها الفردية إرضاءً لنزعةٍ شريرةٍ تصبغ حياتها بلون الدم لا يرضيها إلاّ أن ترى الرؤوس اليانعة، رؤوسَ المترفين تتطاءُ تحت ضرباتِ سيوفها.

وذلك المال الذي يملكونه يُنهب وإلى جانبِ هذه الشخصية نرى شخصيةً أخرى رأت أن يكونَ تمردَها وسيلةً لغايةٍ انسانيةٍ نبيلة هي رفع الظلم عن المظلومين. وحمايةِ المستضعفين من ضيم الأقوياءِ وتهيئة الفرصةِ للفقراء للمشاركة مع سائر أفراد المجتمع في حياةٍ حرةٍ كريمةٍ عن طريق أحداث العدالة الاجتماعي والتوازن الاقتصادي بين طبقات المجتمع.

ولعل من أهم الصعاليك في العصر الجاهلي، عروة بن الورد والسليك بن سلكه والشنفرى، وتأبط شراً، وأبو خراش الهذلي وصخر الغي وحاجز الأسدي وجريبة بن الأشم وفرعان بن الأعرف وعرقل السعدي وبهدل الطائي.

وفي العصر الأُموي: مالك بن الريب والقتال الكلابي والعديل والأحيمر السعدي وعبيد العنبرى وعمرو ذو الكلب وجحدر الحنفى وأبو حردبه وشظاظ الضبي والغدّاف. ومسعود بن خرشه وأبو النشناش النهشلي والخيزران ويعلي الأحول.

وفي العصر العباسي بكر بن نطاح، وحَسكة بن عتاب، والشمردل البجلي وعطارد بن قران وفضاله بن شريك وقرة بن محكان. والخُطيم العكلي ومن الفقراء الذين عاشوا بسلاح شعرهم. أبو الشمقمق وأبو دلامه وابو الشيص.

وفي أواخر الدولة العباســـية وتفككها ظهر ابن حمدون وابو الندى ثم في الدولة الفاطمية علي الزيبق وابن سودون في مصر والسقاط والزبال في دمشق. ثم ظهرتْ فئةُ الشطار والعيارين والجدعان والحرافيش في مصر أيضاً.

وفي بداية هذا القرن حينما أنتزعتْ المؤسسات الرسمية السيف من كف الصعلوك ظهرتْ فئةٌ من الصعاليك استخدمتْ سيف الشعر في النقد والسخرية وانتزاع لقمتها كعبد الحميد الديب وامام العبد في مصر وعبد الامير الحصيري في العراق وعرارٍ في الأردن وغيرهم في حواري دمشق والقاهرة وبيروت وبغداد ثم وفي أواسط هذا القرن ظهرتْ طبقةٌ من المثقفين الفوضويين ذوي المواقف الاجتماعية الحادة كحسين مردان والصافي النجفي في العراق وعبد الرحمن الخميس في مصر ومصطفى البدوي في سوريا.

***

أغاني الصعاليك*

وكلهم قد نال شبعاً لبطنه وشبع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه

(أهزوجة)

لأنا أبينا
وتأبى الرجولة
بأنا سنبقى
عبيداً سبايا
لديكم
ونبقى جوارٍ بغايا
يقدمن ليلاً لشيخ القبيلة
خُلعْنا
وضعنا
و(صِعنا)
وجُعنا

وهرّت علينا كلاب القبيلة.

(تأبط شراً)

تأبط شراً تطارده الزوبعة

يسابق رف القطا للغدير

الذي سوف تجتاحه الزوبعة

تأبط شراً يجيء ولم يتأبط شيئاً

سوى سيف آلامه الموجعة

وجوع الصعاليك والمعدمين

وولى

يسابق كالسهم أيامه المسرعة

(السليك بن السلكة)

آه يا الداهية المهلكة

أتدري بأن صحابك ألقوا بك

الآن للتهلكة

ودمك ما زال ينزف فوق الرمال

وسيفك لما جرحت أعادوه للغمد

واستسلموا

قبل أن تنتهي المعركة؟

وأنت الذي تخزن الماء للصحب منذ الشتاء

ببيض النعام

وتمضي تمارس يا سيدي الصعلكة

(أبو الطمحان)

لقد علموك المجون

وقالوا بأنك ضد الفضيلة

وهروا وراءك مثل الكلاب

لأن الكلاب التي علموها النباح عليك

هي الأن منك خجولة

لأنك لم تعرف الحقد بعد

لذلك صادقت حتى كلاب القبيلة

(الشنفرى)

أتدري لماذا خُلعت؟!
– لأن القبيلة
تفكر دوماً بأن الخميلة
ستبلغ حتى (ضلوع الجمال)
وتمتد حتى حدود الخيال
ولكنها بعد أن يمضي (الوسم)
لما يجيء الربيع
وتكشف زيف الرؤى المستحيلة
أخيراً تفكر أن (المغازي)
إلى موطن العشب
في موسم الجدب
أعمال جد نبيلة
وتعرف أن الإدلاء نحو (الفياض العذيّة)
أبناؤها المخلصون
الذين رمتهم – جزافاً – بكل الصفات الرذيلة

(عروة بن الورد)

أمير الصعاليك يأتي

وفي بيته الآن ينتظر الجائعون (القرى)

والإقامة

يغير على (ذود) كسرى وحيداً

كما البرق قبل المساء

ويأتي قبيل العشاء

يسوق النياق (المغاتير)

كالبدر يشمخ فوق الغمامة

***القصيدة من ديوان الغناء في صحراء الألم 1981م**

الملاحق

عروةُ بنُ الورد

هو عروةُ بن الورد بن زيد العبسي، شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها، وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد، وكان يُسمَّى "عروةَ الصعاليك" لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزى. وقد قال عنه معاوية بن أبي سفيان: "لو كان لعروة بن الورد ولدٌ لأحببتُ أن أتزوج إليهم"، وقال عبد الملك بن مروان: "ما يسرني أن أحداً من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروةَ بن الورد". وقال عبد الملك: "من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة"، وذلك لأن عروة كان يجمع فقراء البوادي فيحفر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكنف، حتى إذا ما أخصب الناس وألبنوا ألحق كلاً منهم بأهله، فأمَّا مريضٌ فيشفيه، أو فقير فيغنيه، وغزا بالأصحاء منهم واقتسم معهم الغنيمة والعائدة. وقال صاحب "الأغاني" عن محدِّثيه: إنَّ عبد الله بن جعفر بن علي بن أبي طالب قال لمعلِّم ولده: "لا تردهم قصيدة عروة التي يقول فيها.":

دعيني للغنى أســعى فـأني رأيـت النـاس شــرهم الفقيرُ

لأن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن الأوطان. وقيل: إن بعض هُلاكِ عشيرته جاؤوا إليه في شتاءٍ شديد، ولم يملك سوى ناقتين، فجلسوا أمام بيته، فلما أبصروا به صرخوا: "يا

أبا الصعاليك، أغثنا"، فرقَّ لهم، فنحر إحدى الناقتين، وحمل ضعفاءهم على الأخرى، وقرّر أن يغزو بالأقوياء منهم، وذلك بقوله:

أقيموا بني أمي صـــــدور مطيكم فكـل منـايا النفس خير من الهزل

فـإنكـم لـن تبـلـغـوا كـل همـتي ولا أرى حتى تروا منبـت الأثــل

أليس ورائي أن ادب على العصــا فيَشـمتَ أعدائي، ويسـأمني أهلي

لعــل أرتيــادي في البلاد ورحلتي وشَــــدّي حَيازيمَ المطيّةِ بالرّحـلِ

ســــيدفعُني، يوماً، إلى ربّ هَجمةٍ يـدافع عنهـا بالعقوق وبالبخـل

فغزا بهم بلاد بني العتيق، وأصــــاب هجمة من مائة ناقة لرجل مع امرأة، فقتل الرجل وقســـم الإبل، فطالبه صـــحبه بالمرأة، ولكن أحدهم حكم له بالمرأة التي اســـتحلّها وتزوجها، لأن عروة لم يمس حراماً. وقد مكثت عنده بعض العام، فطلبت منه الطلاق، وجاءت تثني عليه: "والله إنك —— ما علمتُ —— لضـــحوك وقور، كســـوب مدبراً، خفيف على متن الفرس، ثقيل على ظهر العدو، طويل العماد، كثير الرماد، راضـــي الأهــل والجــانــب، فــأوصِ ببـنـيـك خـيراً، فـقـد اشـــتـقـتُ إلى أهـلـي." وبعد أعوام، كان في إحدى غزواته، فكمن قرب بيت فيه عجوز قد خلا من ســـنها،

وشيخ كبير، وإذ هو عند المساء بإبل ملأت الأفق، فعلم أن راعيها جلدٌ شديد الضرب لها. فلما أتت المناخ بركت، ومكث الراعي قليلاً، فحلب ناقةً للشـــيخ، وناقةً للمرأة، وناقةً له، ثم التفع بثوبه واضـــطجع. فقال الشـــيخ للمرأة: كيف ترين ابني؟ فقالت: "ليس بابنك، إنه ابن عروة بن الورد حينما طلقني"، فســكت الشــيخ. ثم وثب عروة وصاح بالإبل، فاقتطع منها النصف، فتبعه الغلام، وكلما ضرب به الأرض وقع قائماً، فحذره عروة: "إنني عروة بن الورد" لكي يخاف الغلام، فقال: "لا شـك أنك سمعت". فقال له عروة: "اذهب معي أنت وأمك وهذه الإبل، ودع هذا الشـيخ". فقال الغلام: "أنا مقيم معه ما بقي، فإن له حقاً وذِماماً، فإن هلك فما أسـرعني إليك". وتركه عروة وانصرف، ثم قيل: إن الغلام لحق بعروة فيما بعد.

وكان عروة يؤثر غيره على نفســه، لما عُرف عن نفســه الســامية من الإيثار والكرم، ولعلَّ أبلغ وصفٍ لتلك الحالة قوله عن غيره بالشحوب وضعف البنية:

إني امرؤ عــافي إنائـي شـــركـة وأنــتَ امرؤ عــافي إنائِـكَ واحـدُ

أتهـزأ مـني أن سمـنـت وأن تـرى بوجهي شحوبَ الحقِ، والحقُّ جاهد

أُقسّـمُ جســمي في جسـومٍ كثيرةً وأحســـو قراح المـاء والمـاء بارد

وهو الذي وضع دستوراً للصعاليك، يُبرِّر فيه صعلكتهم بالقول:

وســـائلةٍ أينَ الرّحيلُ؟ وســـائِلٍ ومن يسـأل الصـعلوك أين مذاهبه
مَـذاهِبُـهُ أنّ القفـار عريضــــةٌ إذا ضَـــنّ عنـه بالفَعـالِ أقـاربُـه

وكذلك هو القائل:

إذا المرء لم يطلب معاشـــاً لنفســـه شـــكا الفقرَ، أو لامَ الصّـــديقَ فأكثرا
فســـر في بلاد الله والتمس الغنى تَعِشْ ذا يَســـارٍ أو تموتَ فتُعـذَرا

وفي أخباره أنه خرج حتى دنا من منازل هذيل، فكان منها نحو ميلين، فأصـطادا أرنباً وأشـعل ناراً فشـواها، وسمع وقع حوافر خيلٍ في الليل، فدفن النار على مقدار ثلاثة أذرع، ثم صـعد شـجر طلحٍ. ولما أقبلت الخيل سمع القوم يكذِّبون الرجل الذي أبصـر النار، ولاموه كثيراً، وكان الرجل يحلف: "لَما أني شـاهدت النار في هذا الموضـع". وحينما عاد القوم واجتمعوا في بيت السـيد، تسـلل عروة إلى أحد البيوت، فرأى امرأة تداعب عبدها وتعاتبه، وحينما عاد زوجها قالت له: "لعن الله خلفك، عنَّيتَ قومك الليلة بكذبك". ثم دعا بإناء فشـرب منه، فقال الرجل حين ذهب ليكرع: "ريح رجل ورب الكعبـة"، فقـالـت امرأتـه: "وهـذه كـذبـة أخرى! أي ريح تجـد في إنائـك غير

ريحك؟". ثم صاحت، فجاء قومها، فأخبرتهم بتهمته، فقالت: "يظن بي السوء، وقد كذب عليكم الليلة"، فأقبلوا عليه باللوم حتى رجع عن قوله.

ثم أوى الرجل الى فراشه فوثب عروة على الفرس يريد أن يطلقها فضرب الفرس بيده وتحرك ورجع عروة إلى موضعه ووثب الرجل فقال:" أحدهم حول الفرس" فأقبلت عليه امرأته لوماً وعذلاً وقالت:" هذه الكذبة الثالثة نم، لقد اختلف عليك"، وحينما أضطجع وثب عروة على الفرس وقال:" أدركني أيها الرجل" وظل يعدو خلفه على فرس أخرى وحينما آمنه قال له عروة:"قف أيها الرجل، فأنك لو عرفتني لم تُقدم علي أنا عروة ابن الورد،وقد رأيت الليلة منك عجباً فأخبرني به أرد إليك فرسك". قال:" ماهو؟ " قال :"كذبوك في رؤية النار وأنا موقدها، وكذبتك المرأة في رائحة الإناء وأنا رأيت عبدك يشرب منه، وكذبت حينما جفلت الفرس فرأيتك في هذه الخصال أصدق الناس ولكنك تنثني وقال:" ذلك لأخوال السوء الذين أنا نازل فيهم وهم أهل المرأة والله لولا ذلك لما أنثنيت عن اشياء كثيره وان لاحق قومي منذ الساعة" فقال له :"عروه خذ فرسك راشداً وأنا شاهدك في القوم".

وهكذا مضى عروة بن الورد ينشر المرؤه والإيثار والشهامة والكرم في البوادي:

دعِيني للغنى أسعى ، فإنّي ... رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

وأبعدُهم وأهونُهم عليهم ... وإن أمسى له حسب وخير

ويـلـقـى ذا الـغـنى ولـه جـلال   يـكـاد فـؤاد صـــــاحبـه يـطير

قـلـيـلٌ ذنـبُـهُ، والـذنـبُ جـمٌّ   ولـكـن لـلـغِـنى ربٌّ غـفـورُ

وأستمر في هذه المسيرة النبيلة فوق حصانه قرمل، يطوي البوادي، ويجمع الصعاليك، ويحدب على الفقراء، ويواسي المرضى. إلّا أن الكثير منهم تنكّر لمروءته، فقال قصيدته التي منها:

فَـإِنّي وَإِيّاكُم كَـذي الأُمِّ أَرهَنَـت   لَـهُ مـاءَ عَينَيها تُفَـدّي وَتَحمِـلُ

فَلَمّـا تَرَجَّـت نَفعَـهُ وَشَـــبـابَـهُ   أَتَت دونَها أُخرى حَديداً تُكَحِّلُ

فَبـاتَـت لِحَـدِّ المِرفَقَينِ كِلَيهِمـا   تُـوَحـوِحُ مِمّـا نابَهـا وَتُـوَلـوِلُ

تُخَيَّرُ مِن أَمرَينِ لَيســـا بِغِبطَـةٍ   هُوَ الثَكـلُ إِلّا أَنَّهـا قَـد تَجَمَّـلُ

وبالرغم من جود عروة وكرمه واهتمامه بالفقراء، إلا أن كل كتب التاريخ لا تجد ســببًا واحدًا لصعلكة عروة، فهو سيد في قومه، كريم، متلاف، وفارس لا يشق له غبار، وها هو ذا يقول عن نفسه

مـا بِيَ مِن عـارٍ إِخـالُ عَلِمتُـهُ   سِــوى أَنَّ أَخوالي إِذا نُسِــبوا نَهدُ

وكذلك نرى أن عروة، رغم اعتباره الصعاليك أولاده أو عياله كما يسميهم، إلا أن روح الفروسية فيه لا تقبل الصعلوك الخامل الاتكالي الذي يهوى المجازر ويعتمد على الأصدقاء الميسرين، ولا يلجأ للصعلكة ليطلب الزاد لنفسه، كما يقول:

لحى اللَّهُ صُــعلوكاً، إذا جَنّ ليلُـهُ مصــافي المشـــاشِ، آلفاً كلَّ مجزرِ

يَعُدّ الغِنى من نفســـه، كلّ ليلة أصــابَ قِراها من صَـديقٍ ميسَّــر

ينـامُ عِشـــاءً ثم يصـــبحُ طاوياً تَحُتّ الحَصـــى عن جنبِـهِ المتعفِّر

قَليـلُ اِلتِمـاسِ الزادِ إِلّا لِنَفسِــــهِ إِذا هُوَ أَمســـى كَـالعَريشِ الُمجَوَّرِ

ولكن عروة يريد الصعلوك الباسل الذي يقتحم الأعداء ولا يأبه بالموت، وها هو يشيد بهذا النموذج من الصعاليك:

ولكنَّ صــعلوكاً، صــفيحةُ وجههِ كضَـــوءِ شِـــهابِ القابس المتنوِّر

مطـلاً علـى أعـدائـهِ يزجـرونـه بســـاحتهم، زجرَ المنيحِ المشـــهرِ

فـذلـك إن يلقَ المنيّـة يَلْقَهـا حميداً، وإن يســـتغن يوما فأجدر

ولكن عروة بن الورد يظل يمارس دوره الإنساني النبيل، يطوف في البوادي ليمنح الفقير والعاجز والمريض، وهو يرفع شعاره الأزلي:

دَعيني أُطَوِّف في البِلادِ لَعَلَّني ... أُفيدُ غِنىً فيهِ لِذي الحَقِّ مُحمِلُ

أَلَيسَ عَظيماً أَن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ ... وَلَيسَ عَلَينا في الحُقوقِ مُعَوَّلُ

فَإِن نَحنُ لَم نَملِك دِفاعاً بِحادِثٍ ... تُلِمُّ بِهِ الأَيّامُ فَالمَوتُ أَجمَلُ

السليك بن السلكة

هو السليك بن عمرو السعدي، والسلكة هي أمه، أحد صعاليك العرب العدائين الذين كانوا لا تلحق بهم الخيل ولا تعلق بهم إذا عدوا، وكان من أخباره أنه إذا كان الشتاء أستودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه. فإذا جاء الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار، وكان أدل من قطاة يجئ حتى يقف على البيضة، وكان من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم، ويدعى "سليك المقانب". وقد قال عنه عمرو بن معد يكرب الزبيدي، فارس العرب: إنني لو سرت إلى بلاد العرب ما خفت أن أغلب فيها ما لم يلقني حراها أو عبداها'. فأما الحران فهما عامر بن الطفيل وطليحة الأسدي، وأما العبدان فهما عنترة العبسي والسليك بن سلكه، وحينما لاقاه عمرو قال عنه:

لـه هـامَـةٌ مـا تأْكُـلُ البَيْضُ أُمُّهـا　　　شْبَاحُ عـادِيٍّ طَوِيـلِ الرَّوَاجِبِ

أما سبب صعلكته فهو ما لاقاه من عبودية في الصغر، إذ كانت أمه تحلب أبل القوم، وقال في ذلك:

أَشَـابَ الـرَأسَ أَنّي كُـلَّ يَـومٍ　　　أَرى لي خَـالَـةً وَسْـطَ الرِجـالِ

يَشُـــقُّ عَلَيَّ أَن يَلقَينَ ضَـــيمـاً وَيَعجِزُ عَن تَخَلُّصِـــهِنَّ مـالي

وأخـــذ الســليك يتصــعلك في الــبراري والقفــار إلى أن كــاد أن يقتلــه الجــوع، وبذلك يقول:

وَمَا نِلتُها حَتَّى تَصَعلَكـــتُ حِقبَــةً وَكِدتُ لأَسبـــابِ المَنيَّـــةِ أُعــرَفُ

وَحَتَّى رَأَيتُ الجُوعَ بِالصَيفِ ضَـرَّنِي إِذَا قُمتُ تَغشَـاِنِي ظِلالٌ فَأُسـدِفُ

وكان كثير الصبر على الجوع والعطش، وتحمل مشاق البراري، فها هو صاحبه "صرد" يبكي لبعد المسافة، وها هو يواسيه:

بَكى صُـردٌ لَمّا رَأى الحَيَّ أَعرَضَـت مَهـامِـهُ رَمـلٍ دونَهُم وَسُـــهوبُ

فَقُلـتُ لَـهُ لا تُبـكِ عَينَـكَ إِنَّهـا قَضـــيَّةٌ ما يُقضـــى لَهَا فَتَنوبُ

سَـــيَكفيكَ فَقدَ الحَيِّ لَحمُ مَغَرَّضٌ وَمـاءُ قُـدورٍ في الجِفـانِ مَشـــوبُ

كان قلّما يستخدم الخيل، وكان له حصان اسمه النحام، يصفه بهذا الوصف:

كَـأَنَّ قَـوائِـمَ الـنَـحـامِ لَـمّـا　　　تَحَمَّـلَ صُــحبَتي أُصُـــلاً مَحـارُ

عَـلى قَـرمـاءَ عـاليَـةٌ شَـــواهُ　　　كَـأَنَّ بَـيـاضَ غُـرَّتِـهِ خِمَـارُ

وَمـا يُـدريـكَ مـا فَـقـري إِلَـيـهِ　　　إِذا مَـا الـقَـومُ وَلَّـوا أَو أَغـاروا

وفي ســـرعة عدوه، قال أبو عبيدة في الأغاني: بلغني أن الســـليك رأته طلائع جيش الحوفزان، وكانوا قد جاءوا منحدرين ليغيروا على قومه، فبعثوا له فارسين على جوادين. فلما هاجماه خرج يمحص كأنه ظبي، وطارداه ســـحابة يومه، ثم قالا: إذا جاء الليل أعيا، ثم سـقط أو قصـر عن العدو فنأخذه. فلما أصـبحا وجدا أثره قد عثر بأصـل شـجرة، فنز عنها، وندرت قوسـه فأنحطمت، فوجدا قصـده منها قد ارتزت بالأرض، وكان قد وصل قومه، وأنذرهم بقوله:

ثَكِلتُكُمـا إِن لَم أَكُن قَـد رَأَيتُهـا　　　كَراديسَ يُهـديها إِلى الحَيِّ كَوكَبُ

كَراديسُ فيهـا الحَوفَزانُ وَحَولَـهُ　　　فَـوارِسُ هَمَّـامٍ مَـتى يَـدعُ يَـركَـبوا

ومن نوادره أنه ورد عكاظ في الشـــهر الحرام، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه ثم خرج متفضــلاً مترجلاً، فجعل يطوف بالناس كالمجنون، ويقول: من يصــف لي منازل قومه، وأصــف له منازل قومي؟ فلقيه قيس بن مكشــوح فقال: أنا أصــف لك منازل قومي

وصـــف لي منازل قومك. فتوافقا وتعاهدا ألا يتكاذبا، فقال: قيس، خذ بين مهب الجنوب والصبا، ثم سر حتى لا تدري أين ظل الشجرة، فإذا انقطعت المياه، فسر أربعاً حتى تبدو لك خطمة وجيهم، وهناك رملة وقف بينهما الطريق، فأنك ترد إلى قومي. فقال له سليك: خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى، العامد لها من أفق السماء، هناك منازل قومي. وحينما عاد قيس إلى أهله وأخبر أبيه بأمر الرجل، قال له والده المكشوح: هو والله السليك، ثكلتك أمك!

وسار إليهم السليك ليلاً، وتحوطوا إليه. وحينما نام قليلاً في الطريق واشتمل الصماء، جثم عليه رجل عابر فقعد على جنبه، فقال: "آستأسر."

فرفع السـليك إليه رأسـه، وقال: "الليل طويل وأنت مقمر". فأرسـلها مثلًا، فأخرج السليك يده فضم الرجل ضمه ضرط منها وهو فوقه، فقال السليك: "أضرطاً وأنت الأعلى." فذهبت مثلًا.

ثم قال له: "من أنت؟"

فقال: "رجل أفتقرت، فقلت لا أخرجن، فلا أرجع إلى أهلي حتى أستغني".

قال السليك: "انطلق معي فأغنيك".

فانطلقا، فوجدا رجلاً قصته مثل قصتهما، فأصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف. فلما أشرفوا عليه، إذ فيه أبل قد ملأت كل شيء، فهابوا أن يغيروا.

فقال السليك: "كونوا قريباً مني حتى آتي الرعاء، فأعلم لكم علم الحي، قريب أم بعيد، فإذا قلت لكما قولاً أو أمراً به، فأغيرا".

فانطلق حتى آتى الرعاء، فلم يزل يتسقطهم حتى أخبروه مكان الحي، فإذا هو بعيد.
فقال السليك: "لربما إلا أغنيكم".
فقالوا: "بلى غننا." فرفع صوته وغنى:

يا صــــاحَبي أَلاَ لاَ حَيَّ بالوادى … إلاَّ عَــبِــيــدٌ وآمٍ بَــيْنَ أَذْوَادِ

أَتَـنْظُرَانِ قَلِيلا رَيْـثَ غَفْلَتِهِمْ … أَمْ تَعْـدُوَانِ فـإِنَّ الرِّيحَ لِلْعَـادِى

فلما سمعا ذلك، آتيا السليك، فذهبوا بها، ولم يبلغ الصريخ الحي. وقيل إنه قتل رجلاً واستاق أبله (العاشية) التي كانت ترعى ليلاً، وقال بذلك:

وَعـاشــيَـةٍ راحَـت بِطـاناً ذَعَرتُهـا … بصــوت قَتيلٍ وَســطُها يَتَسَــيَّفُ

كَـأَنَّ عَـلَـيـهِ لَـونَ بُـردٍ مُحَـبَّرٍ … إذا مـا أَتاهُ صــــارِخ يَـتَـلَـهَّفُ

فَبــاتَ لَــهُ أَهــلٌ خَلاءٌ فِنــاؤُهُم … وَمَـرَّت بِهِـم طَـيرٌ فَـلَـم يَـتَـعَـيَّفـوا

وأغار السليك على بكر بن وائل، وسمعوا به وأخذوا يتصيدونه. فشرب من الحوض حتى ثقل، وطاردوه، فلجأ إلى خيمة فتاة أسمها فكيهة، وأضحى بها، وأجارته، وقال بذلك:

من الخَفِرات لم تفضح أخاها ... ولم ترفع لإخوتها شَنارا

كَأَنَّ مَجامِعَ الأَردافِ مِنها ... نَقىً دَرَجَت عَلَيهِ الريحُ هارا

يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قَلبي ... وَيَتَّبِعُ المُمَنَّعَةَ النَوارا

وَما عَجِزَت فَكيهَةُ يَومَ قامَت ... بِنَصلِ السَيفِ وَاِستَلَبوا الخِمارا

وحينما كبر السليك وقل عدوه، قدم يومًا إلى كنانة بمكان لهم يقال له (قباقب) خلف البشري. فأتاه نعمان بأبنيه الحكم وعثمان، وهما سيدا كنانة، ونائلة ابنته، فقال: "هذان وهذه لك، ما أملك غيرهم".

فقال السليك: "شكرت لك ورددتهم عليك".

فجمعت له بنو كنانة أبلاً عظيمة، فدفعوها له، ثم قالوا له: "إن رأيت أن تُرينا بعض ما بقي من إحضارك" أي عدوك.

فأبغوه أربعين شـــابًا، وأبغوه درعًا ثقيلة، فأتوه بذلك، فليس الدرع، وقال للشـــبان: "ألحقوا بي إن شئتم، وعدا فلا تلاحقوا العدو لونًا".

وعادوا جنبته، فلم يلحقوه، ثم غاب عنهم قليلاً، وكرر حتى عاد للحي يحضـر، والدرع في عنقه تضطرب كأنها خرق بالية.

أما مقتله، حينما كبر، فمرّ قافلاً من غزاه له من بني خثعم، وتركوه حتى ارتوى من المنهل. وحينما ثقل، أدركته الخيل وقتله أنس ابن مدرك، وقال:

إِنِّي وقَتْلي سُـــلَيْكـاً ثُمَّ أَعْقِلَـهُ ... كالثورِ يُضْـــرَبُ لَمَّا عافَتِ البَقَرُ

غَضِــبْتُ لِلمَرْءِ إِذ سـيقت حَلِيلَتَه ... وإِذْ يُشَـــدُّ عَلَى وَجْعـائِهـا الثَّفَرُ

أَغْشَـى الحُروبَ وسِـرْبالي مُضـاعَفَةٌ ... تَغْشَـى البَنانَ وسَـيْفي صـارِمٌ ذَكَرُ

وحينما مات السليك، رثته أمه السلكة بقصيدة تُعتبر من أروع قصائد الرثاء، تقول فيها:

طـــافَ يَبغـــي نجـــوةً ... مـــن هـــلاكٍ فَهَلَـــك

لَيـــت شِـــعري ضـــلّةً ... أيّ شـــيءٍ قَتَلـــك

أَمـــريض لم تُعَـــد ... أم عـــدوٌّ خَتَلَـــك

أَم تـــــولّى بـــــكَ مـــــا غــــال في الـــــدهرِ السُّـــلَك

وَالمَنَـــــــــــايا رصـــــــــــدٌ لِلفَـــــتى حَيـــــثُ سَـــــلَك

أيّ شـــــــيءٍ حســـــــــن لِلفَـــــتى لَمَ يـــــكُ لَـــــك

كـــــلّ شـــــيءٍ قاتـــــلٌ حـــــينَ تلقـــــى أَجَلَـــــك

طـــالَ مـــا قَـــد نلـــت في غـــــيرِ كـــــدٍّ أَمَلـــــك

إِنّ أَمــــــــراً فادحـــــــــاً عَـــــن جَـــــوابِي شَـــــغَلك

سَـــــأُعزّي الـــــــنفسَ إِذ لَمَ تُجِـــــب مَـــــن سَـــــأَلَك

لَيـــــتَ قَلـــــبي ســـــاعةً صـــــبرُهُ عَنـــــك مَلَـــــك

لَيـــــتَ نَفســـــي قُـــــدّمَت لِلمَنــــــــــايا بَــــــــــدَلَك

الشنفرى

كان الشنفرى من بني الأزد، قتل والده أسد بن جابر وأسره صبياً ليرعى في بهمه. وحينما شبّ، طلب الشنفرى من ابنة الرجل أن تغسل رأسه، وكان اسمها "قُعسوسُ"، وهو لا يشك في أنها أخته، فأنكرت أن يكون أخاها، بل هجّنا ولطمته.

فذهب مغاضباً حتى أتى أسد بن جابر، فقال له: "أصدقني، من أنا؟" فقال أسد: "أنت من الأوس بن الأزد".

فوضع السيف على رقبته ليتجبره بقصته، فقال له الشنفرى: "أما وأني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني".

ثم قال للفتاة:

أَلا لَيتَ شِعرِيَ وَالتَلَهُّفُ ضَلَّةٌ ... بِما ضَرَبَت كَفُّ الفَتاةِ هَجينَها

وَلَو عَلِمَت قُعسوسُ أَنسابَ وَالِدي ... وَوالِدِها ظَلَّت تَقاصَرُ دونَها

أَنا اِبنُ خِيارِ الحُجر بَيتاً وَمَنصِباً ... وَأُمّي اِبنَةُ الأَحرارِ لَو تَعرِفينَها

ثم حمل قوسه وخرج، وقال لأمّيته المشهورة، والتي منها:

أقيموا بني أمي ، صـــــدورَ مَطِيكم   فـإني ، إلى قـومٍ سِـــواكـم لأمـيـلُ

فقـد حمـت الحـاجـاتُ ، والليـلُ مقمرٌ   وشُـــــدت ، لِطيـاتٍ ، مطـايا وأرحُـلُ

وفي الأرض مَنْأىً ، للكريم ، عن الأذى   وفيهـا ، لمن خـاف القِلى ، مُتعزَّلُ

ولي ، دونكم ، أهلونَ : سِـيْدٌ عَمَلَّسٌ   وأرقـطُ زُهـلـول وَعَـرفـاءُ جـيـألُ

ثلاثـةُ أصـحـابٍ : فؤادٌ مشـيـعٌ   وأبيضُ إصـليتٌ ، وصـفراءُ عيطَلُ

هم الأهلُ . لا مسـتودعُ السـرِّ ذائعٌ   لـديهم ، ولا الجـاني بمـا جَرَّ ، يُخْـذَلُ

ثم أخذ يشن عليهم غاراته المتتابعة، فيقتلهم، ويعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم، وبذلك يقول:

وليلـةِ نَحْسٍ يَصْـطَلِي القَوْسَ رَبُّهـا   وَأقْطُعَـهُ اللَّاتـي بِـهَا يَتَنَبَّـلُ

هَتُـوفٌ مِنَ المُلْـسَ المُتُـونِ تَزِينُـها   رَصَـائِعُ قد نِيطَـتْ إليها وَمِحْمَـلُ

إذا زَلَّ عنها السَّهْـمُ حَنَّـتْ كأنَّـها   مُـرَزَّأةٌ عَجْلَـى تُـرنُّ وَتُعْـوِلُ

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي   سُعَـارٌ وإرْزِيـزٌ وَوَجْـرٌ وَأفكَلُ

فأيَّمْـــتُ نِسْوَانَـــاً وأيْتَمْـــتُ إلْــدَةً وَعُـــدْتُ كما أبْدَأْتُ واللَّيْلُ ألْيَـــلُ

وهكذا بقي يتسقط بنى سلامان وهو يصعد المراقب كقوله:

وَمَرقَبَـةٍ عَنقـاءَ يَقصُـــرُ دونَهَـا أَخو الضِروَةِ الرِجلُ الحَفِيُّ المُخَفَّفُ

نَعَبـتُ إِلى أَدنى ذُراهـا وَقَـد دَنا مِنَ اللَيلِ مُلتَفُّ الحَديقَةِ أَســـدَفُ

فَبـتُّ عَلى حَـدَّ الـذِراعَين مُجـذِياً كَمـا يَتَطَوّى الأَرقَمُ المُتَعَطَّفُ

ثم أخذ يواصل قتلهم حتى بلغ منهم تسعة وتسعين رجلاً، ثم غزاهم غزوةً، وخرجوا في أثره. فمرّ بامرأة منهم يلتمس الماء، فعرفته، فأطعمته أقطاً ليزيده عطشـاً، ثم اسـتسـقى فسقته رائباً، ثم غيّبت عنه الماء.

م خرج من عندها، وجاءها القوم فأخبرتهم خبره، ووصفت صفته وصفه نبله، فعرفوه، فرصـــدوه على بئر لهم ليس لهم ماء غيره. فلما جنّ الليل، أقبل إلى الماء، وحينما دنا منه قال: "إني أراكم"، وليس يرى أحداً، إنما يريد بذلك أن يخرج رصداً. فأصاح القوم وسكتوا، ورأى سواداً، وقد كانوا تواصوا قبل أن يُقتل منهم أحد أن يمسكه الذي إلى جانبه لئلا تكون حركة.

قال: "فرمى لما أبصر السواد فأصاب رجلاً فقتله، فلم يتحرك أحدٌ. فلما رأى ذلك، أمن في نفسه وأقبل يشرب، فوضع سلاحه، ثم انحدر في البئر، فلم يرهع إلا بهم على رأسه. فنزَل ليخرج، فضرب بعضهم شماله، فسقطت، فأخذها فرمى بها كبد الرجل فخرّ عنده. ثم خرج إليهم، وأمسكوه وصلبوه، وقالوا له: "أنشد."

فقال: "إنما النشيد على المسرة فذهبت مثلًا".فقالوا له: "أنطرفك كما كان يقول لهم قبل أن يطلق النبل." ففقؤوا عينه، ثم أخذوا يمثلون به، وقالوا: "انقبرك".قال:

لا تَقْبُروني إنّ قَبْرِي مُحَرَّمٌ   عَلَيْكُمْ وَلكِنْ أبْشِرِي أمَّ عامِرِ

لبث عاماً أو عامين، وعليه من نذره رجلٌ. قال: فجاء رجل منهم كان غائباً، فمر به وقد سقط، فركل رأسه برجله، فدخل فيها عظم من جمجمته فمات منها. فكان ذلك الرجل هو تمام المائة الذين أقسم على قتلهم من بني سلامان على ما استعبدوه.

وقيل إن تأبط شراً مرّ به مصلوباً، فأنشأ يرثيه:

عَلى الشَنفَرى ساري الغَمامِ فَرائِحٌ   غَزيرُ الكُلى وَصَيِّبُ الماءِ باكِرُ

عَلَيكَ جَزاءٌ مِثلُ يَومِكَ بِالجَبا   وَقَد رَعَفَت مِنكَ السُيوفُ البَواتِرُ

وَحَتّى رَماكَ الشَيبُ في الرَأسِ عانِساً   وَخَيرُكَ مَبسوطٌ وَزادُكَ حاضِرُ

وَأَجمَـلُ مَـوتِ المَـرءِ إِذ كـانَ مَـيِّـتـاً   وَلابُـدَّ يَـومـاً مَـوتُـهُ وَهـوَ صــــابِـرُ

فَلا يَبعَـدَنَّ الشَـــنفَرى وَسِـــلاحُـهُ   الحَـديـدُ وَشَـــدٌّ خَـطـوُهُ مُـتَـواتِـرُ

إِذا راعَ رَوعُ المَـوتِ راعَ وَإِن حَمـى   حَمـى مَـعَـهُ حُـرٌّ كَـريمٌ مُصـــابِـرُ

تأبطَّ شرًّاَ

هو ثابت بن جابر بن عميثل، وأمه امرأة يقال لها أميمة من بني القين. ولدت خمسة نفر هم: تأبط شراً، وريش بلغب، وريش نسر، وكعب جدر، والأتراكي. وهذه ألقاب إخوة تأبط، وتأبط شراً لقب لقُب به.

ويذكر الرواة: "أنه لقي كبشاً في الصحراء فأحتمله تحت إبطه، فلما قرب الحي ثقل عليه الكبش، فرمى به فإذا هو الغول." فقال له قومه: "ما تأبطت يا ثابت؟"

قال: "الغول".

قالوا: "لقد تأبط شرا".

وقيل إنه ذهب لجني الكمأة، ممتلئ جرابه بالأفاعي، فألقاه بين يدي أمه. ففتحته فتساعين في بيتها.

وقيل إن قوماً كانوا يطاردونه فدخل بيت أمهِ وتأبط سـيفاً وخرج وسمي تأبط شـراً، وكان تأبط أعدى ذي رجلين وذي عينين، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة فكان ينظر الى الظباءِ فينتقي على نظرهِ اسمنها ثم يجرى خلفه فلا تفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله وقيل ان السبب الحقيقي في تسميته تأبط شراً أنه لقي الغولَ في ليلةٍ ظلماء في موضـع يقال له (رحى بطان) فأخذتْ عليه الطريق فلم يزلْ بها حتى قتلها

وبات عليها فلما أصبح حملها تحت أبطه وجاء بها الى أصحابه فقالوا له:" لقد تأبط شـــراً، فقال في ذلك – وهذه الرواية الأرجح – إن الغول هنا ليس حيواناً خرافياً كما كان شائعاً، بل نعرف من وصفه أنه الغوريلا التي تكثر في جبال نجران. إذ يقول تأبط في وصفه الغول:

أَلا مَن مُبلِغٌ فِتيانَ فَهمٍ ... بِما لاقَيتُ عِندَ رَحى بِطانِ

بِأَنّي قَد لَقيتُ الغولَ تَهوي ... بِسَهبٍ كَالصَحيفَةِ صَحصَحانِ

فَقُلتُ لَها كِلانا نِضوُ أَينٍ ... أَخو سَفَرٍ فَخَلّي لي مَكاني

فَشَدَّت شَدَّةً نَحوي فَأَهوى ... لَها كَفّي بِمَصقولٍ يَماني

فَأَضرِبُها بِلا دَهَشٍ فَخَرَّت ... صَريعاً لِليَدَينِ وَلِلجِرانِ

فَقالَت عُد فَقُلتُ لَها رُوَيداً ... مَكانَكِ إِنَّني ثَبتُ الجَنانِ

فَلَم أَنفَكُّ مُتَّكِئً عليها ... لِأَنظُرَ مُصبِحاً ماذا أَتاني

إِذا عَينانِ في رَأسٍ قَبيحٍ ... كَرَأسِ الهِرِّ مَشقوقِ اللِسانِ

وَساقا مُخدَجٍ وَشَواةُ كَلبٍ ... وَثَوبٌ مِن عَباءٍ أَو شَنانِ

وهذا برأينا وصـــف دقيق لنوع من القردة الكبيرة. ومن أخباره أنه خرج يريد أن يغزو هذيل، فنزل على (الأحل بن قنصـل)، وكان بينهما حلف، فأنزلهم ورحب بهم. ثم إنه ابتغى لهم الذراريح، وهي دويبة سامة، ليسقيهم فيستريح منهم. ففطن له تأبط، فقام إلى أصحابه، فقال: "إني أحبّ ألا يعلم أنا قد فطنّا له، ولكن سابوه حتى نحلف ألا نأكل من طعامه، أغترّه فأقتله، لأنه إذا علم حذرني." فسبوه وحلفوا بأن لا يذوقوا من طعامه ولا من شرابه، ثم خرج.

واخذ في بطن وادٍ فيه النمور، وهي لا يكاد يسلم منها أحد، والعرب تسمّي النمر ذو اللونين، وبعضهم يسميه السبنتي. فنزل في بطن الوادي، وقال لأصحابه: "انطلقوا فتصيدوا، فهذا الوادي كثير الأروى (البقر الوحشي)." فخرجوا فصادوا وتركوه، فجاؤوا فوجدوه قد قتل نمراً، وغزا هذيلًا، فغنم وأصاب. وقال في ذلك:

أَقسَمتُ لا أَنسى وَإِن طالَ عَيشُنا ... صَنيعَ لُكَيزٍ وَالأَحَلّ بنِ قُنصُلِ

نَزَلنا بِهِ يَوماً فَساءَ صَباحُنا ... فَإِنَّكَ عَمري قَد تَرى أَيَّ مَنزِلِ

بَكى إِذ رَآنا نازِلينَ بِبابِهِ ... وَكَيفَ بُكاءُ ذي القَليلِ المُسَبَّلِ

وَكَيفَ بُكاءُ ذي القَليلِ المُسَبَّلِ ... وَلا عامِرٍ وَلا الرَئيسِ اِبنِ قَوقَلِ

وبقصد بذلك عامر بن مالك، ملاعب الأسنة، وعامر بن الطفيل، ومالك بن ثعلبة، وكلهم من أجواد العرب. وهكذا ظل تأبط شراً يمارس صعلكته الفريدة في مهامه، بيد تُعتلى بالصعاليك: يظل بموماةٍ ويمسي بغيرها، وحيداً يوري ظهور المهالك:

يَـظَـلُّ بِمَـومـاةٍ وَيُمســـي بِـغَـيرِهـا	**جَحيشـــاً وَيَعروري ظُهورَ المَهـالِـكِ**
ويســـبقُ وفـد الرِّيحِ من حيث ينتحي	**بمـنـخَـرقٍ مـن شـــدِّهِ المـتـدارِكِ**
يَرى الوَحشَـــةَ الأُنسَ الأَنيسَ وَيَهتَدي	**بِحَيـثُ اِهتَـدَت أُمُّ النُجومِ الشَـــوابِكِ**

ومن أخباره أنه كان يشتري عسلاً في غار من بلاد هذيل، ثم أن القوم تنبهوا له ووقفوا على الغار، فحركوا الحبل فأطلع تأبط شراً رأسه. فقالوا: "أصعْد".

فقال: "لا أراكم".

قالوا: "بلى، قد رأيتنا".

فقال: "علام أصعد، أعلى الطلاّقة أم الفداء؟"

قالوا: "لا شرط لك".

قال: "فأراكم قاتلي وآكلي جناي".

وكان في الغار نقباً أعده للهرب، فجعل يسيل العسل، ثم عمد إلى الزق، فشده على صدره وأنزلق على الصفا حتى خرج من جهة ثانية من الجبل.

وقال:

فرَشْـــتُ لَهَا صَـــدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصَّـــفَا	بــه جـؤجـؤ عـبـلٌ ومـتنٌ مخصّــــرُ
فَخَالَطَ سَـــهْلَ الأرْضِ لَمْ يَكْدَح الصَّـــفَا	بــه كـدحــةً والموتُ خَـزيانُ ينـظرُ
فــأبــتُ إلى فــهـــمٍ ولم أكُ آيــبــاً	وَكَمْ مِثْلِهَـا فَـارَقْتُهَـا وَهْيَ تَصْـــفِرُ
إذا المـرءُ لم يحتـل وقـد جـدَّ جِـدُّهُ	أَضَــــاعَ وَقَـاسَـــى أمْرَهُ وَهْوَ مُـدْبِرُ
لـكـن أخـو الحـزمِ الـذي لـيسَ نازِلاً	بِهِ الخطْبُ إلاَّ وَهْوَ لِلْقَصْـــدِ مُبْصِـــرُ

وقيل أيضاً أنه خرج في عدة من فهم فيهم عامر بن الأخنس، والشنفرى، والمسُيب، وعمرو بن براق، ومرة بن خليف. فبيتوا العوصَ من بجيلة، فقتلوا منهم نفراً وأخذوا لهم أبلاً، فساقوها. فاعترضت لهم قبيلة خثعم ونازلوهم نزالاً مراً، فانهزمت خثعم وتفرقت. وقال بذلك الشنفرى يثنى على صحبه:

خَرَجنـا فَلَم نَعهـد وَقَلَّت وَصـــاتُنـا	ثَمـانِـيَـة مـا بَـعَـدهـا مُـتَـعَـتَّـبُ
سَـــــراحينُ فِـتيـانٍ كَـأَنَّ وُجـوهَـهُـم	مَصـــابيحُ أَو لَونٌ مِنَ المـاءِ مُـذهَـبُ
نَمُرُّ بِرَهوِ المـاءِ صَـــفحـاً وَقَـد طَوَت	ثَمـائِـلُـنـا وَالـزادُ ظَـنٌّ مُـغَـيَّـبُ
ثَـلاثاً عَـلـى الأَقـدامِ حَـتّى سَمـا بِنـا	عَلى العَوصِ شَـعشـاعً مِنَ القَومِ مِحرَبُ

فَثـاروا إِلَينـا في السَــوادِ فَهَجهَجوا وَصَــوَّتَ فينـا بِالصَـبـاحِ المُثَوَّبُ
فَشَــنَّ عَلَيهِم هَزَّةَ السَـيف ثابِـتٌ وَصَــمَّمَ فيهِم بِالحُسـام المُسَـيَّبُ

وها هو ذا تأبط شراً يمتدح قدميه السريعتين اللتين عدا بهما:

رَأى قَــدَمَيَّ وَقعُهُمـا حَثيــثٌ كَتَحليـلِ الظَلـيمِ دَعـا رِئالَـه
رَأى بِهِمـا عَـذاباً كُــلَّ يــومٍ لِخَـثعَمَ أَو بَجيلَـةَ أَو ثُمالَـه

ثم يستمر تأبط شراً في رحلته الطويلة هكذا:

تَأَبَّـطَ شَـرّاً ثُمَّ رَاحَ أَوْ اغْتَـدَى يُـوَائِمُ غُنْمـاً أَوْ يَشِـيفُ عَلَـى ذَحْـلِ

وهوذا يصف حياته المليئة بالمصاعب والاخطار:

يَبيـتُ بِمَغْـنى الْـوَحْشِ حَـتّى أَلِفْنَـهُ وَيُصْـبَحُ لا يَحْمـي لَهَـا الـدَّهْرَ مَرْتَعـا
رَأَيْـنَ فَـتًى لا صَـيْدُ وَحْـشٍ يَهُمُّـه فَلَـوْ صـافَحَتْ إِنْسًـا لَصـافَحْنَهُ مـعا
وَلَكِــنَّ أَرْبابَ الْمَخـاضِ يَشُقُّهـمْ إذا اقْتَفَــروهُ واحــدًا أو مُشَيَّعَـا
وَمَـنْ يضـربُ بِالأَعْـدَاءِ لا بُـدَّ أَنَّـهُ سَـيَلْقَى بِهِـمْ مَصْـرَعِ الْمَـوْتِ مَصْـرَعَا

وقد صدق تأبط في هذا القول، إذ أن خبر مقتله، كما يقول الرواة، أن أصحابه قد أغاروا على بني نفاثة وقتلوهم جميعاً. وحلف تأبط أن يأخذ بثأرهم، بقوله: "والله ما يمس رأسي غُسل ولادهم حتى أثار بهم." ثم أنه قال:

لَعَلِّـــي مَيِّـــتٌ كَمَـــداً وَلَمَّـــا أطـــالع أهـــلَ ضـــيمٍ فـــالكرابِ
وإنْ لَمْ آتِ جَمْـــعَ بَـــنِي خُثَـــيْمٍ وكاهِلَهـــا برجـــلٍ كالضـــبابِ
إذَا وَقَعَـــتْ بِكَعْـــبٍ أوْ قُـــرَيْمٍ وســـيَّارِ فَيَـــا ســـوغَ الشَّـــرَابِ

فأجابه شاعر منهم:

تأبَّـــطَ سَـــوْأَةً وحملْـــتَ شـــرًّا لعلـــك أن تكـــون مـــن المصـــاب
لعلـــك أن تجـــيءَ بـــك المنـــايا تُســـاقُ لفتيـــةٍ منـــا غِضـــاب
فتُصْـــبحَ في مَكَـــرِّهِمُ صـــريعاً وتصـــبحَ طرفـــة الضَّـــبُعِ السِّـــغاب

وبالفعل خرج تأبط في نفرٍ من أصحابه، وحينما أشرفوا على الحي، رأى ضبعاً على يساره، فكرهها وعكف على غير الذي رأى. فقال: "ابشري، أشبعك من القوم غداً." فقال له أحد أصحابه: "والله أني أرى هاتين غداً بك." وحينما هبط دار القوم، لم يجد فيها سوى النساء وغلام واحد. فقام الغلام إلى النساء، فأمرهن فجعلن

رؤوســـهن جمعاً، وجعلهن دروعهن أردية، وأخذن من بيوتهن عمداً كهيئة الســـيوف، فجعلن لها حمائل، ثم تأبطنها.

ثم نهض، ونهضـــن معه، يغريهن كما يغري القوم، وأمرهن ألا يبرزن خدّاً، وجعل هو يبرز للقوم ليروه، ويصبح بهم حتى أفزع تأبط وصحبه، وذلك في بقية ليله أو ليلتين من الشهر الحرام. فنهض تأبط في شعبٍ (وشل)، فقال: "يا قوم، لكأنّي يطردكم النساء." فقال له أصـــحابه: "بل رجالاً يكمنون خلفهن." فقال تأبط: "لا، ســـتائر الغلام"، فيقول لنا عن القوم. فلحق به واستَر الغلام بقتادةٍ (شجرة شوكية). واقبل تأبط شراً، وصـــوّب الغلام ســـهماً حين رأى أنه لا ينجيه من تأبط شـــيئاً، وأمهله حتى إذا دنا تأبط، فقفز الغلام قفزة فوثب على الصخرة وأرسل إليهم.

فلم يســـمع تأبط شـــراً إلاّ الحبضـــة، فرفع رأســـه فأنتظم الســـهم قلبه، واقبل نحوه، وهو يقول: "لا بأس." فقال الغلام: "لا بأس والله، لقد وضعته حيث تكره." وغشه تأبط شراً بالسيف، وجعل الغلام يلوذ بالشجرة (القتادة)، ويضربها تأبط بحشاشته، فيأخذ شوكها ما أصابت الضربة، حتى خلص إليه فقتله.

ثم خر تأبط صـريعاً على القتادة (رخمان)، فجعل لا يأكل من جثته السـبع ولا الطير. فاحتملته هذيل، وألقته في غار يقال له غار رخمان. وقال فيه صديقه الصعلوك مرة بن خليف:

إن العزيمـــة والعـــزاء قـــد ثـــويا **أكفـان ميـت غـداً في غـار رخمـان**

إلا يكــن كرســف كفنــت جيــده ولا يكــن كفــن مــن ثــوب كتــان

فــإن حــراً مــن الأنســاب ألبســه ريش النـدى والنـدى مـن خـير أكفـان

وليلـــة رأس أفعاهـــا إلى حجـــر ويـــوم أوزّ مـــن الجـــوزاء رنان

أمضــيت أول رهــط عنــد آخــره في إثـــر عاديـــة أو إثـــر فتيـــان

وكانت أمه تنوح عليه، وابناه وابن الليل، ليس بزميل شروب للقيل ووادٍ ذي هول، أجزت بالليل. أما هو، أي تأبط، فكان يقول عن نفسه:

إِنِّي زعـيـمٌ لـئـن لم تـتركـوا عـذلي أَنْ يَسْـــأَلَ الْحَيُّ عَنِّي أَهْـلَ آفَـاقِ

ســـدِّد خلالـكَ من مـالٍ تُجمّعـهُ حَتَّى تُلاَقِي الَّـذي كُـلُّ امْرِءٍ لاَقِ

لـتقرعـنَّ علـيَّ السِّـــنَّ من نـدمٍ إذا تـذكَّرتَ يومـاً بـعضَ أخلاقـي

عبد يغوث الحارثي

هو عبد يغوث بن صلاءة الحارثي، وكان يتصعلك على بني التيم، فقتل منهم النعمان بن حساس. وظلوا يترصدونه إلى أن ظفروا به يوم الكُلاب، ففر من حوله قومه وتركوا القوم يحيطون به. وبذلك قال:

جزى اللهُ قومي بالكُلابِ ملامةً   صريحَهمُ والآخرين المَواليا

ولو شئتُ نجَّتني مِن الخيل نَهْدَةٌ   ترى خلفَها الحُوَّ الجيادَ تَواليا

ولكنني أحمي ذِمارَ أبيكُمُ   وكانَ الرماحُ يختَطِفْنَ المُحاميا

وحينما لم يفتده قومه، أراد بنو التيم قتله، فأحسن بدنو أجله. ولكنهم احتاطوا للأمر، بأن شدوا لسانه بنسعة (قطعة من جلد) لئلا يهجوهم. وقال بذلك:

أقول وقد شَدُّوا لساني بِنِسعةٍ   أمعشرَ تَيْمٍ أطلِقوا عن لِسانيا

أمعشر تَيمٍ قد ملكتمْ فأسجِحوا   فإنَّ أخاكم لم يكن مِن بَوائيا

وتضحكُ منّي شيخةٌ عبشميَّةٌ   كأنْ لم تَرَى قلبي أسيرًا يَمانيا

فيـا راكبًـا إمَّـا عرضـــــتَ فبلِّغنْ **نَـداماـيَ مـن نَجْـرانَ أنْ لا تـلاقِـيـا**

أبا كـربٍ والأيـهـمَـينِ كـلـيـهِـمـا **وقَيْسًـــا بأعلى حضـــرموتَ اليَمـانيا**

وحينما لامه بعض أسرى قومه على وقوعه بين يدي الأعداء قال:

ألا لا تلومـــاني كفـــى اللَّـــومَ مـــا بيـــا **فمـــا لكمـــا في اللَّـــوم خـــيرٌ ولا لِيـــا**

ألم تعلمـــــا أنَّ الملامـــــةَ نفعُهـــــا **قليـــلٌ، ومـــا لـــومي أخـــي مِـــن شِماليـــا**

أحقًّـــا عبـــادَ اللهِ أنْ لســـتُ ســـامعًا **نشـــيدَ الرِّعـــاءِ المُعْـــزِبينَ المَتاليـــا**

كـــأنِيِّ لم أركـــب جـــوادًا ولم أقـــلْ **لخيلـــيَ: كـــرِّي، نفِّســـي عـــن رجاليـــا**

وقـــد كنـــتُ نَحَّـــار الجَـــزور ومُعمِـــل **المَطِـيِّ، وأمضـي حيـثُ لا حـيَّ ماضـيا**

ولكن بنو التيم قتلوه، وتسـربت قصـيدته هذه وتناقلها الركبان، بالرغم من أنهم ربطوا لسانه بقطعة من الجلد، لكي لا يهجوهم ويهيّج عليهم القبائل.

ابو خراش الهذلي

هو **خويلد بن مرةٍّ الهذلي**، شاعر فحل من شعراء هذيل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، فأسلم ومات في خلافة عمر بن الخطاب. وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحروبهم.

ومن أخباره أنه خرج يريد مكة، فقال لزوجته **أم خراش**" :ويحك أنني أريد مكة، وأنك من أفكّ النساء، وإن بني الديل يطلبونني بثأر، فأيك إن تذكريني لأحد من أهل مكة حتى نصدر عنها".

فقالت: "معاذ الله".

فخرِج بأم خراش، وكان لحاجته، وخرجت إلى السوق لتشتري عطراً أو بعض ما تشتريه النساء. قالت: "معاذ الله".

فخرِج بأم خراش، ولكن لحاجته، وخرجت إلى السوق لتشتري عطراً أو بعض ما تشتريه النساء، فجلست إلى عطار. فمر بها فتيان من بني الديل، فقال أحدهما لصاحبه: "أم خراش ورب الكعبة، وإن كان أبو خراش معها فستدلنا عليه لنأخذ به".

وقفا عليها، فسلما، واحفيا في المسألة، فقالت: "من أنتما؟"

فقالا: "رجلان من أهلك من هذيل".

قالت: "بأبي أنتما، فإن أبا خراش معي، ولا تذكراه لأحدٍ، ونحن رايحون العشية".

فخرج الرجلان، مجمعين جماعة من فتيانهم، وأخذوا مولى لهم يقال له مخلد، وكان من أجود الرجال عدواً. فكمنوا في عقبه على طريق أبي خراش.

فلما رآهم قد لاقوه في عين الشمس، قال لها: "قتلتني ورب الكعبة، ولكن اذهبي أنت، فأن جزت عليهم، فإنهم لن يقرصوا لك لئلا يستوحشوا. فأفوتهم، فأكرضي بعيرك، والنجاء النجاء".

وكانت على قعودٍ يسابق الريح، فلما دنا منهم، وقد تلمثوا ووصغوا تمراً على طريقة على كساد، وقف قليلاً كأنه يصلح شيئاً، وجازت بهم أم خراش، ومرّ بهم. تواثبوا إليه، ووثب يعدو، فزاحمه ظبي مسبقه، وتصايح القوم بمولاهم **مخلد**" :يا مخلد، أخذاً أخذاً" فقال: "فات الأخذ"!

فقالوا: "ضرباً ضرباً!" فقال: "سبق الضرب"!

فصاحوا: "رميّاً رميّاً!" فقال: "سبق الرمي"!

وسبقتها أم خراش إلى الحي، فنادت ألا أن أبا خراش قد قتل. وقام أبوها وقال: "ويحك، ما كانت قصته؟"

فقالت: "إن بني الديل عرضوا له الساعة".

قال: "ما سمعت؟"

قالت: "سمعتهم يقولون: أخذاً خذاً." ثم سألها: "ثم ماذا؟"

قالت: "ضرباً ضرباً".

ثم سألها: "ثم ماذا؟"

قالت: "رميّاً رميّاً".

قال أبوها: "لقد أفلت، وهو منا قريب"!

ثم صاح: "يا أبا خراش"!

فقال أبا خراش: "يا لبيك!" واذهب، فوافاهم على أثرها.

وقال في ذلك:

رَفَوني وَقالوا يا خُوَيلِدُ لا تُرَع ... فَقُلتُ وَأَنكَرتُ الوُجوهَ هُمُ هُمُ

فَعَدَّيتُ شَيئاً وَالدَريسُ كَأَنَّما ... يُزَعزِعُهُ وِرعلٌ مِنَ المومِ مُردِمُ

تَذَكَّرَ ما أَينَ المَفَرُّ وَإِنَّني ... بحبل الَّذي يُنجي مِنَ المَوتِ مُعصِمُ

فَوَاللَهِ ما رَبداءَ أَو عِلجُ عانَةٍ ... أَقَبُّ وَما إِن تَيسُ رَبلٍ مُصَمِّمُ

بأسرعَ منِّي إذ عرفتُ عديَّه ... كأنِّي لأُولاهم من القربِ توأمُ

تقول سليمى لما رأتني عشيَّةً ... سلمتَ وما إن كِدتَ بالأمس تَسلمُ

فلولا دِراكُ الشَّدِّ ظلَّت حَليلَتي ... تخيَّرُ في خطَّابها وهي أيِّمُ

تسخَطُ أو ترضَى مكانِي خليفةً ... كادَ خِراشٌ عند ذلك يَيْتَم

وقيل إن **أبا خراش** رأى **الوليد بن المغيرة**، وكان يسوم فرسين يريد إرسالهما إلى السباق. فقال للوليد: "ما تجعل لي أن سبقتهما؟"

قال: "إن فعلت، فهما لك".

فأُرسلا وعدا بينهما، فسبقتهما وأخذهما، ويميل أنه أقفر من الزاد أياماً. ثم مرّ بامرأة من هذيل، فأمرت له بشاه، فذبحت وشويت.

فلما وجد بطنه ريع الطعام قرقر، فضرب بيده على بطنه وقال: "أنت لتقرقر لرائحة الطعام، والله لا طعمت منه شيئاً".

ثم قال: "يا ربه، أكبيت، هل عندك شيء من صبرٍ أومرّ؟"

قالت: "تصنع به ماذا؟"

قال: "أريده".

فأتته منه بشيء، فاقتحمه أي التهمه. ثم أهوى إلى بعيره، فركبه، فناشدته المرأة أن يأكل من الشاه فأبى.ثم أنشأ يقول:

وَإِنّي لَأُثوي الجوعَ حَتّى يَمَلَّني	**فأحيا ولم تدنَس ثيابي ولا جِرمي**
وأصْطَبحُ الماءَ القَراحَ فأكتفي	**إذا الزادُ أضحَى للمزِجَّ ذَا طَعْم**
أردُّ شجاعَ البطن قد تَعلمينه	**وأوثر غيرِي من عِيالِك بالطُّعْم**
مخافة أن أَحيا بِرُغْمٍ وذِلَّةٍ	**وللموت خيرٌ من حياةٍ على رَغمِ**

وقبل أن تُسَرَّت، فهم عروة بن مرة أخا أبي خراش، ونجا ابنه خراش. فقال أبو خراش:

حَـــمِدْتُ إلَهِــي بَعْــدَ عُــرْوَةَ إذْ نَجَــا   خِـــراشٌ وبَعْضُ الشّر أهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فَـوَا اللهِ مَـا أنْســـى قَـتيـلاً رُزِئْـتُـهُ   بِجَانِبِ قُوسَــى مَا مَشَـيْتُ عَلى الأرْضِ

بَـلَـى إنَّهــا تَـعْـفُـو الـكُـلُـومُ وإنمـا   نُوكَّلُ بِالأَدْنَى وإنْ جَلَّ مَا يَمْضِــي

وَلَمْ أَدرِ مَـن أَلـقـى عَـلَـيـهِ رِدائَـهُ   ســوى أنه قد سُــلَّ عَن ماجِدٍ مَحضِ

وَلم يَـكُ مثلوجَ الْفُؤَاد مُـهَـبَّجـا   ضــاعَ الشَّـــبابَ في الرَّبِيلَةِ والخَفْضِ

ولــكــنّــهُ قــد نَازعَــنــهُ مَجــاوِعٌ   على أنّهُ ذُو مِرّة صـــــادِقُ النّهضِ

وقيل إن أميمة، امرأة عروة أخيه، دخلت على أبي خراش وهو يلاعب ابنه، فقالت له: "يا أبا خراش، تناسيت عروة وتركت الطلب بثأره، ولهوت مع ابنك. أما والله، لو كنت المقتول لما غفل عنك." فلما سمع ذلك، بكى وهو يقول:

لَعَــمـري لَقَــد راعَــت أُمَـيـمَةَ طَلَعَتي   وَإِنَّ ثَـــوائي عِــــنــــدَهــــا لَقَــليــلُ

تَــــقــــولُ أَراهُ بَــــعــدَ عُـروَةَ لاهِـيـاً   وَذلِكَ رُزءٌ لَو عَـــلِمـــتِ جَـــليـــلُ

وَلا تَـحـسَـبـي أَنّـي تَـنـاسَـيتُ عَهدَهُ   وَلكِــنَّ صَــبـري يــا أُمَـيـمَ جَـمـيـلُ

فلما خلت الاشـهر الحرم مضـى ابو خراش الى القوم ومعه ابنه خراش فنزل بسـيد من سادتهم لم يعرفه في نفسه، ولكنه استضافه فأنزله وأحسن قراه.

فلما تحرم به، أنتسـب له وأخبره خبر أخيه، وسـأله معاونته حتى يشـتريه منهم، فوعده بذلك. وغدا على القوم مع ذلك الرجل، فسألهم عن الأسير أن يهبوه له، فلم يصغوا. فقال لهم: "فبيعونيه".قالوا: "أما هذا؟" فنعم، منهم، يزل يســـاومهم حتى رضـــوا بذله لهم.

فدفع أبو خراش إليهم ابنه خراشاً رهينه، وأطلق أخاه عروة، ومضيا حتى أخذ أبو خراش فكاك أخيه وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إياه، وأخذ ابنه.

وبينما كان أبو خراش ذات يوم في بيته، جاءه عبد له فقال: "إن أخاك عروة جاءني وأخذ شاهاً من غنمك فذبحها ولطمني لما منعته منها".

فقال له: "دعه".

فلما كان بعد أيام، عاد فقال له: "قد أخذ أخرى".

فقال: "دعه".

فلما أحس، قال له: "إن أخاك قد أخذ ناقة".

فوثب أبو خراش إليه، فوجده لينحرها. فطردها أبو خراش، فوثب أخوه عروة إليه، فلطم وجهه وأخذ الناقة فعقرها وانصرف أبو خراش.

فلما كان من غد، لامه قومه وقالوا له: "بئســـت لعمر الله المكافأة! كانت منك لأخيك: رهن ابنك عنك وفداك بماله، ففعلت به ما فعلت".فجاء عروة يعتذر إليه، فقال أبو خراش:

لَـعَـلَّـكَ نافـعـي يا عُـروَ يـومـاً إذا جــاورْتُ مَــنْ تحــتَ الــقــبــورِ
إذا جــاورْتُ مَــنْ تحــتَ الــقــبــورِ وكــيــف تُــثِـيــبُ بالمـنِّ الــكــبــيرِ
ويوم قــد صـــبْرتُ عليـكَ نفســـي لــدى الأشْـــهَــادِ مُـرْتَـدِي الحـرورِ

وحينما دخل الإســلام أبو خراش، وفي عهد عمر بن الخطاب –رضــي الله عنه– غزا خراش مع المســـلمين، فأوغل في أرض العدو. فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر وشــكا إليه شــوقه إلى ابنه، وأنه رجل قد انقرض أهله وقتل أخوته، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش، وقد غزا وتركه. وأنشأ يقول:

ألا مَـن مُـبـلـغٌ عــني خِـراشـــاً وقــد يأْتــيـك بالـنّـبـأ الـبـعـيـدُ
وقــد يأتــيــكَ بالأخــبــار مَــنْ لا تُجَــهِّـــزُ بالحِـــذاء ولا تُـــزِيـــدُ
ألا فـاعلم خِراشُ بأنّ خيرَ المهـاجر المـهــاجــر بـعــد هــجــرتــه زهــيــدُ
رأيـــتــكَ وابــتــغــاءَ الــبِرِّ دوني كـمحصـــورِ اللَّبــان ولا يصـــيــدُ

فكتب عمر بأن يُقبل خراش إلى أبيه، وإلا يغزو من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له. وحينما حسن إسلام أبو خراش، أتاه نفر من أهل اليمن قدموا حجاجاً، فنزلوا بأبي خراش والماء منهم غير بعيد. فقال: "يا بني عمي، ما أمسى عندنا ماء؟ ولكن هذه شاة وبرمة وقربة." فردوا الماء وكلوا شاتكم، ثم دعوا برمتنا وقربتنا على الماء حتى نأخذها. فقالوا: "لا والله، ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه، وما نحن ببارحين حتى أمسينا." فلما رأى ذلك، أخذ أبو خراش قربته وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى، ثم أقبل صادراً فنهشته حية قبل أن يصل إليهم. فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء وقال: "أطبخوا شاتكم وكلوا." ولم يعُلهم بما أصابه، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا. وأصبح أبو خراش في الموت، فلم يبرحوا حتى دفنوه، وقال وهو يعالج الموت:

لَـعَـمـرُكَ وَالمَـنـايا غـالِـبـاتٌ ... عَلى الإِنسـانِ تَطلُعُ كُلَّ نَجدِ

لَقَـد أَهلَـكـتِ حَيَّـةَ بَطـنِ أَنفٍ ... عَلى الأَصـحابِ سـاقاً بَعدَ فَقدِ

وقال أيضاً:

لَقَـد أَهلَـكـتِ حَيَّـةَ بَطـنِ أَنفٍ ... عَلى الأَصـحابِ سـاقاً بَعدَ فَقدِ

مـا تـركـتُ عـدُوّاً، بـين بصـرى ... إِلَى صَـنْعـاءَ يَطْلُبُـهُ بِذَحْـلِ

فلما بلغ خبره عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ، غضب غضباً شديداً، وقال: "لولا أن تكون سنة، لأمرت إلا يُضاف يمان أبداً، ولكتبت بذلك إلى الآفاق. إن الرجل ليضيف أحدهم فيبذل مجهوده فيسخطه، ولا يقبله منه، ويطالبه بما لا يقدر عليه، لأنه يطالبه بدين أو يتغته ليفضحه. فهو يكلفه التكاليف حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلاً مسلماً وقتله." ثم كتب إلى عامه باليمن بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش، فيغرمهم دينه ويؤدبهم بعد ذلك بعقوبة تمسهم.

أبو الطحمان القيني

هو حنظلة بن الشرقي القضاعي، كان شاعراً خارباً صعلوكاً، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان خبيث الدين ونديماً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية. أسـر في حرب الفسـاد واشـتراه بجير بن حارثة. ومما يذكر أنه سـئل: "ما أدنى ذنوبك؟" فقال: "ليلة الدير، نزلت براهبة فأكلت طفيشـلاً بلحم خنزير، وشـربت من خمرها، وزنيت بها، وسـرقت كساءها." وكان قلماً أستجار بقوم نفوه، وبذلك يقول:

أَجَـدُّ بَـني الشَـرِقِـيِّ أولـعَ أَنَّـني　　　مَتى اسـتَجر جـاراً وَإِن عَزَّ يَغـدرِ
إِذا قُـلـتُ أَوفى أَدرَكَـتـهُ دَروكَـةٌ　　　فَـيـا مُـوزِعَ الجيرانِ بِالـغَـيِّ أَقصِـرِ

وقيل إنه أقام بغزاره، فثمل فقتل رجلاً منهم، وأستجار بـ مالك الشمخي فأجاره، وبذلك قال:

سَـأَمـدَحُ مـالِـكـاً في كُـلِّ رَكـب　　　لَـقـيـتُـهُـم وَأَتـرُكُ كُـلَّ رَذلِ
وَقَـد عَـرَفَـت كِـلابُـكُـم ثِـيـابي　　　كَـأَنّي مِـنـكُـمُ وَنَسـيـتُ أَهـلـي

عمرو ذي الكلب

هو عمرو بن العجلان، وقد سُمّي "ذا الكلب" لأنه كان له كلب لا يفارقه. وكان يغزو غزوات متصـــلة، وقد أحب امرأة من قومه يقال لها أم جليحة، وكان أهلها يتربصـــون به. وذات ليلة رأى ناراً، فجاء إليها، فقال لصاحبها: "لم أوقدت؟ فلا مرّ ولا شواء؟" فقال له الرجل: "ما أوقدت إلا لمنية عمرو."

فقال له عمرو: "هل لديك شـــيء تطعمني؟" فأخرج له تمرات. فقال عمرو: "تمرات تلحقها عبرات من نساء خفرات." ثم قال له: "أسقني ماءً قراحاً فأني مقتول صباحاً." ثم أطلق عمرو يعدو، فلحقه القوم فدخل غاراً. فقالوا له: "يا عمرو، أنشدنا قولك":

وَمَقعَدِ كُربَةٍ قَد كُنتُ فيها مَكانَ الإِصبَعَينِ مِنَ القِبالِ

قال: "ها هي ذه أنا فيها." فأخذ رجل من القوم فقتله عمرو، ولما رأوا ذلك نقبوا عليه ثم قتلوه في الغار، وأخذوا ثيابه إلى محبوبته أم جليحة. فلما رأوها قالوا لها: "ما رأيك في عمرو؟" قالت: "لقد لو دعوتموه، لوجدتموه، ولو جدتموه، منيعاً وجنابه مريعاً." فقالوا: "قتلناه." قالت: "لرب ثدي أفترشـــه ونهب آحنوشـــه." فطرحوا ثيابه إليها، فقالت: "ريح عطر ورب عمرو." ثم قالت ترثيه:

كُــلُّ اِمرِىءٍ بِطِوالِ العَيشِ مَكــذوبُ وَكُلُّ مَن غالَبَ الأَيّــــامَ مَغلـــــوبُ
أَبلِغ هُذَيلاً وَأَبلِــــغ مِــــن يَبَلِّغَهـــا عَنّي رَســـولاً وَبَعضُ القَولِ تَكـذيـبُ
بِأَنّ ذاَ الكَلبِ عَمراً خَيرُهُم نَسَـــبـــاً بِبَطنِ شَـــريانَ يِعوي عِندَهُ الذيــــبُ
الطـاعِنُ الطَعنَـةَ النَجلاءَ يَتبَعَهـــــا مُثعَنجِرٌ مِن دِمـاءِ الجَوفِ مســـكوب
والتارك القرن مصــــفــــراً أناملـــــه كـأنـه مـن نـقـيـع الـدم مخضـــوب
المُخرِجُ الكاعِبَ الحَســـناءَ مُذعِنَـــــةً في السَـــبيِ يَنفَحُ مِن أَردانِهـا الطيـبُ
تَمشـــي النُســـورُ إِلَيهِ وَهِيَ لاهِيَــــةٌ مَشـــيَ العَذارى عَلَيهِنَّ الجَلابيــــبُ

وحينما ألقي عليه القبض لإحدى جناياته وقرر عليه القصاص قال:

أَلا عَـلِّـلاني قَـبـلَ نَـوحِ الـنَـوائِـحِ وَقبـلَ اطِّلاعِ الـنَفسِ بَينَ الجَوانِـحِ
وَقَبلَ غَـدٍ يا لَهفَ نَفســـي عَلى غَـدٍ إِذا راحَ أَصـــحـابي وَلَســـتُ بِرائِحِ
إِذا راحَ أَصـــحـابي بِفَيضِ دُموعِهِم وغُودِرتُ في لَحـدٍ عَليَّ صَـــفـائِحي
يَقولونَ هَـل أَصـــلَحتُمُ لأَخيكُمُ وَما اللحد في الأَرضِ القِواءِ بِصــالِحِ

ولكـــن تمكـــن مـــن الهـــرب مـــن الســـجن وبقـــي يتأبـــد ويطـــوف في القبائـــل الى أن آسن وهرم وقال عن نفسه :

حَـنَـتـني حـانِـيـاتُ الـدَهـرِ حَـتّى   كَـأَنّي خـاتِـلٌ يَـدنـو لِصَـــيـدِ
قَصـــيرُ الخطوِ يَحسَـــبُ مَن رَآني   وَلَســـتُ مُقَيَّـداً أَمشـــي بِقَيـدِ
تَقـارَبَ خطوُ رِجلِـكَ يا سُـــوَيـدُ   وَقَــيَّـدَكَ الـزَمـانُ بِشَـــرِّ قَـيـدِ

صخر الغي

هو صخر بن عبد الله الخثيمي، ولقب بـ "صخر الغي" لخلاعته، وشدة بأسه، وكثرة شره. فقد قتل صخر الغي رجلاً من مزني، وطُلِب بثأره من قبل أخيه أبي الملثم. فقال:

ولَسْـتُ عَبـدًا لِمـوعِـدِيَّ وَلا ... أَقـبَـلُ ضَـيـمًـا يَأتي بِـهِ أَحَـدُ
في المُـزَنِيّ الَّـذي حَشَـشْـتُ بِـهِ ... مـالَ ضَـريـكٍ تِـلادُهُ نَـكِـدُ

وكان يغزو ومعه أخوه أبو العلم، وقد عَطِشا قرب جبل سطاع، فأعطى أخاه القربة، وقرر أن يرد ماءِ (الاطواء) موقع أعدائه. فأقترب منهم ملثماً، فشرب، وحينما عرفوه لحقوه، فهرب. وقال في ذلك:

لَمّـا رَأَيـتُ القَـومَ بِالـعَـلـيـاءِ ... دونَ قِـدى المُـنـاصِـبْ
وَفَـريـتُ مِـن فَـزَعٍ فَـلا أَرمـي ... وَلا وَدَّعـتُ صـاحِـبْ
وَخَشـيـتُ وَقـعَ ضَـريـبَـةٍ ... قَـد جُـرِّبَـت كُـلَّ الـتَـجـارِبْ
فَـأَكـونُ صَـيـدَهُـمُ بِهـا ... وَأَصـيرُ لِلضُّـبـعِ السَـواغِـبْ
جَـزَرًا وَلِـلـطَـيرِ المُـرِبَّـةِ ... وَالـذِئابِ وَلِـلـثَّـعـالِـبْ

وقال صخر الغي يصف قوسه:

سَمحَةٌ مِن قِسِـــيِّ زارَةَ صَـــفــــراءُ　　　هَـــتـــوفٌ عِـــدادُهـــا غَـــرِدُ

كَـــأَنَّ إِرنانَهـــا إِذا رُدِمَـــت　　　هَـزمُ بُـغـاةٍ في إِثـرِ مـا فَـقَـدوا

وقد عاصر تأبط شراً وقال يتوعده:

فَـإِنَّ ابـنَ تُـرنا إِذا جِـئـتُـكُـمْ　　　أَراهُ يُـدافِـعُ قَـولًا عَـنـيـفـا

قَـد افـنى أَنامِـلَـهُ أَزمُـهُ　　　فَـأَمسـى يَعَضُّ عَلَيَّ الوَظيـفـا

فَـلا تَـقـعُـدَنَّ عَـلـى زَخَّـةٍ　　　وَتُضـمِرَ في القَلـبِ وَجـدًا وَخيفـا

ولا تُـقْـدِمَـنَّ عـلـى خُـطَّـةٍ　　　تـكـونُ إِذَنْ لَـكَ حَـتْـفًـا ذَفِـيـفـا

وَلا أَبـغِـيَـنَّـكَ بَـعـدَ الـنُـهـى　　　وَبَـعـدَ الـكَـرامَـةِ شَـرًّا ظَـلـيـفـا

وَلا أَرقَـعَنَّـكَ رَقـعَ الصَـديـع　　　لاءَمَ فـيـهِ الصَـنـاعُ الـكَـتـيـفـا

أما مقتل صخر الغي، فتقول الروايات إن أعداءه أحاطوا به، وكان يقاتلهم وينشد:

لَـو أَنَّ عِـنـدي مِـن قُـرَيمٍ رَجـلا　　　بـيـضَ الـوُجـوهِ يَحـمِـلـونَ الـنَـبـلا

لَـمَـنَـعـوني نَجـدَةً أو رِسـلا　　　سُـفْـعَ الـوجـوه لم يـكـونـوا عُـزْلا

فلم يزل يقاتلهم حتى قتلوه، وبلغ خبر مصرعه عدوه اللدود أبا الملثم، فرثاه في هذه المرثية الجميلة:

لَو كـانَ لِلـدَهرِ مـالٌ عِنـدَ مُتلَـدِهِ ... لَكـانَ لِلـدَهرِ صَـخرٌ مـالَ قُنيـانِ

آبي الهَضـيمَـةِ نابٍ بِالعَظيمَـةِ مُتلافُ ... الـكَـريمَـةِ لا سِـقـطٌ وَلا وانِي

حـامي الحَقيقَـةِ نَسّـالُ الوَديقَـةِ ... مِع تاقُ الوَسـقَـةِ جلـد غير ثِنيـانِ

رَبّاءُ مَـرقَـبَـةٍ مَـنّـاعُ مَـغـلَـبَـةٍ ... رَكّـابُ سَـلـهَـبَـةٍ قَـطّـاعُ أَقـرانِ

هـبّـاطُ أَودِيَـةٍ حَمّـالُ أَلـوِيَـةٍ ... شَـهّـادُ أَنـدِيَـةٍ سَـرحـانُ فِتيـانِ

يُعطيكَ ما لا تَكـادُ النَفسُ تُرسِـلُـهُ ... مِـنَ الـتِـلادِ وَهـوبٌ غَـيرُ مَـنّـانِ

حاجز الأزدي

هو حاجز بن عوف الأزدي، أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب، وممن كان يعدو على رجليه عدواً يسبق الخيل. وقد قال لصيف عدوه: "أفزعتني خثعم فنزوت نزوات، ثم استنفرتني الخيل واصطف لي ظبيان، فجعلتهما بيدي عن الطريق ومنعاني أن أتجاوزهما في العدو لضيق الطريق، حتى اتسعت وأتسعت بنا فسبقتهما." فقيل له: "هل جاراك في العدو؟" قال: "ما رأيت أحداً جاراني إلا رجلاً أطليساً غيبراً (من البقوم)." وقيل إن حاجزاً غزا خثعم فأصاب منهم، وبذلك يقول:

وإِنِّيَ مــن إرعــادِكُــمْ وبــروقِــكُــمْ وإيعــادُكُمْ بالقتــل صُــمٌّ مســـــامِعي
وإني دَلــيــلٌ غــيرُ مُخْــفٍ دَلالــتي على ألفِ بيتٍ جَدُّهمْ غيرُ خــاشـــع
تَرى البيض يركُضْــنَ المجاسِــدَ بالضّــحى كــذا كــلُّ مشـــبوح الــذراعين نازِعِ
عَــلــى أَي شـــــيء لا أَبا لأبــيــكــم تشـــيرون نحوي نحوكم بالأَصــــابع

قــال أبــو عمــرو في الأغــاني: "أغــارت خــثعم علــى بــني ســلامان، وفــيهم فــارس العرب عمـرو بـن معـد يكـرب، وقـد اسـتنجدت بـه خـثعم علـى غـزوات حـاجز. فــالتقوا واقتتلــوا، فطعــن عمــرو بــن معــد يكــرب حــاجزاً فأنفــد فخــذه، فصــاح

حـــاجز: يا الأزد فنـــدم عمـــر، وقـــال: "خرجـــت غـــازياً وفجعـــت أهلـــي"، وأنصرف."

في أخباره أنه غزا مع بشير ابن أخيه، فقال له: "يا بشير، ما تشير؟" قال: "دع القوم يشربوا ويقفلوا." وعصا معهم فيظنون بعضهم، ففعلا. وكانت في ساق حاجز شامة، فنظرت إليها امرأة من خثعم فصـــاحت: "يا آل خثعم، هذا هو حاجز!" فطاردوه، ولحقه منهم عوف بن الأغر وكان عداء.

فصاحت به خثعم: "يا عوف، أرِم حاجزاً!" فلم يقدم عليه وجبن، فغضبوا وصاحوا: "يا حاجز، لك الذمام واقتل عوفاً، فإنه قد فضـحنا!" فنزع في قوسـه ليرميه، فأنقطع وثره، وواصل العدو فنجا. وبذلك يقول:

فِـدىً لَكُمـا رِجْلَـيَّ أُمِّي وخَـالَـتِي بِسَـــعْيِكُمـا بَيْنَ الصَّـــفـا والأَثَائِـبِ

أَوَانَ سَمِـعْـتُ الَقْـومَ خَـلْـفي كَـأَنَّهُـمْ حَـرِيـقُ أَباءٍ في الـرياحِ الـثَّـواقِـبِ

سُـــيُوفُهم تَغْشَـــى الجَبَـانَ ونَبلُهُـمْ يُضِـــيُء لِـدى الأَقْوام نَارَ الحُبَـاحِـبِ

فَـغَـيْرُ قِـتـالي في المَضِـــيـقِ أَغَـاثَـني ولَكِنَّ بَـذْلِي الشَّـــدَّ غَيْرَ الأَكِـاذِبِ

نَجَــوْتُ نجَـاءً لا أَطُـبُّـكَ طِـبَّـه ويَنْزو بَشِـــيرٌ نزْوَ أَزْعَرَ خَـاضِـــبِ

وكان حاجز كثير الفرار في الغزوات، ويعتمد على سرعته، وبذلك يعترف لمعشوقه بكثرة الفرار:

أَلا هَـل أَتـى ذات الـقَـلائـد فـرتـى عشـــيـة بين الجرف وَالبحر من بعر

عشـــيـة كـادَت عـامر يـقـتـلونـي لَـدى طرف السَــلمـاء راغيـة البكر

فَما الظبي أَخطت خلفة الصـــقر رجله وَقَد كادَ يَلقى الموت في خلفة الصـــقر

بِمِـثـلـي غـداة الـقـوم بـين مـقـنـع وآخـر كـالســـكـران مرتـكـز يـفـري

وقد خرج حاجز في بعض أســـفاره فلم يعد ولا عرف له خبر فكانوا يروون أنه مات عطشاً أو اكله الوحش فقالت أخته ترثيه:

أحيٌ حـاجزٌ أم لــــيس حــــيـاً فيســـلـك بين جنـدف والبهــــيم

ويشــــرب شــــربـةً مـن مـاء تـرِج فيصــــدر مشــيـة الســبع الكليم

عمرو بن معد يكرب الزبيدي

هو عمرو بن معد يكرب بن عبد الله الزبيدي، نشـــأ خاملاً أكولاً، أفقر والده، وكان ضخم الجثة لا يشبع، لا يغزو ولا يتصعلك. وكان يحب فتاة اسمها لميس، وحدث أن أغارت على قومهم قبيلة فسبتها وهو نائم، ولما أفاق لم يجد قومه ولم يجد شيئاً يأكله، فوجد ثوراً في أرض المعركة فطبخه وأكله، ولم يبقِ إلا العظام، ثم لحق بالقوم بســـيف ثَلِم، وكان يحدو، فبرز له فارسان قَدَّهُما قدّاً، وأنشد:

وبَـــــدَتْ لَمِـــــيسُ كأَنَّهــــا ... بـــــدرُ السَّـــــماءِ إِذا تَبَـــدّى

وبَـــدَتْ محاسِـــــنُها الـــــتي ... تَخْفَـــى، وكـــانَ الأَمْـــرُ جِـــدّا

نازَلْـــــــتُ كَبْشَـــــــهُمُ ولَمْ ... أَرَ مِـــن نِـــزالِ الكَـــبْشِ بُـــدّا

مــــا إِنْ جَزِعْـــــتُ ولا هَلِـــعْ ... ولا يَــــرُدُّ بُكـــــايَ زَنْـــــدا

ذَهَــــــبَ الـــــذينَ أُحِــــبُّهُمْ ... وبَقِيـــتُ مَثْـــلَ السَّـــيْفِ فَـــرْدا

ثم اعمل السيف بالقوم وأعاد قومه وهو يقول:

فلّمـا هبطنـا بطنَ رَنينَـةَ بالقَنـا ... أَرَنَّ ســـحـابٌ رَعـدُهُ مُـتـجـاوبُ

وسُــلَّت ســيوفُ الهند منّا كَـأَنَّها ... مَخـاريـقُ نالـتـهـا أَكُـفٌّ لَـواعـبُ

ومـنـزلـة فـيـهـا الـعَـوالي تـركـتـهـا   هشـــيم شـــجار كســـرتها الحواطب

وأنطلق من تلك الساعة " أبو ثور" كما تسميه العرب يغزو ويتصعلك وكان يقول في قومه:

يَـبرونَ عَـظـمي وَهَمّي جَـبرُ عَـظـمِـهِـمُ   شَـــتَّـانَ مـا بَينَنـا في كـلِّ سَـــبَـبِ
أهـوى بـقـاءهُـمُ جُـهـدي وأَكـثرُ مـا   يـبـغـون أن أَغـتـدي في حُـفـرَةِ الـتُّرَبِ

وهكذا انطلق في البوادي والقفار على حصانه البعيث وسيفة الصمصامة الذي كتب عليه:

ذكـــرٌ علـــى ذكـــرٍ يصـــول بصـــارمٍ   ذكـــــرٌ يمـــــانٍ في يمـــــين يمـــــاني

وحينما أشتهر عمرو بفارس العرب أخذ يغزو بقومه وكان من الدهاة العظام الامر الذي يقول به الشاعر أبو تمام:

إقـــدامُ عَمْـــرٍو في سَماحـــةِ حَـــاتِمٍ   في حِلـــمِ أحنَـــفَ في ذَكـــاءِ إِيَاسِ

وحينما أدركه الإسلام، أرسل إليه عمر بن الخطاب يدعوه للإسلام، ولكنه طلب أن يُستثنى من شرب الخمر، فأرسل له عمر مجموعة من فرسان الإسلام، فأحضروه مقيداً، وكان عمر بن الخطاب يطوف حوله متعجباً من عِظَم خلقته، التي يقول فيها السليك:

كـأن ذراعـاه ذراعـا شمـلـه — واصـبعه الوسـطى كـأنها شـبرا

وحينما توعده عامر بن الطفيل أحد فرسان العرب قال عمرو:

ولـو لاقيـتَني ومعي سـلاحي — تَكَشَّـفَ شَـحمُ قَلبِكَ عن سَـوادِ
تَمَـنَّاني وسـابغـتي دِلاصٌ — كـأَنَّ قَـتِـيرَهـا حَـدَقُ الجَـرَادِ
وسـيفي كـانَ من عهد ابن ضِـدٍّ — تَخَـيَّرَهُ الـفـتى مـن قـومِ عـادِ
ورُمحـي الـعـنبريُّ تَخـالُ فـيـه — سِـنـاناً مـثلَ مِـقبـاسِ الـزِّنادِ
وعِـجـلِـزَةٌ يَـزِلُّ الـلِّـبـدُ عـنـها — أَمَـرَّ سَـراتَهـا حَـلَـقُ الجِـيـادِ
إذا ضُـرِبَـت سمـعـتَ لها أَزيـزاً — كَـوَقـعِ الـقـطـرِ في الأُدُمِ الجِـلادِ
أَعـاذِلَ إنَّمـا أَفـنى شـبـابي — وأَقـرَحَ عـاتـقـي ثِـقَـلُ الـنِّـجـادِ
وَيَبقى بَعـدَ حِلمِ القَـومِ حِلمي — وَيَـفـنى قَـبـلَ زادَ الـقَـومِ زادي
ومن عجـب عجبـت لـه حـديث — بـديع لـيس مـن بـدع الســداد
لـقـد أسمـعـت لـو ناديـت حـيـا — ولـكـن لا حـيـاة لمـن تـنـادي

ولـو نار نـفـخـت بها أضـــاءت ولــكــن أنــت تــنــفــخ في رمـاد

وحينما وقعت معركة القادسية، أرسل إليه عمر بن الخطاب يستشيره في أمر الفيلة التي واجهت خيل المسلمين، فأرسله مع طليحة الأسدي في كتاب إلى سعد بن أبي وقاص قائد المســـلمين في القادســـية، يقول فيه: "لقد أمددتك بالفي رجل فشـــاورهما ولا تولِّهما"، وذلك لضعف إسلامهما. وحينما اقتربا من البصرة، عرَّجا إلى أسواقها لشرب الخمر، وقد لقي فتيان من المسـلمين استنكروا منهما الفعل، فقال لهم: "من أكبركم؟" قالوا: "أنت". قال: "من أخبركم؟" قالوا: "أنت". قال: "إذن أحلها لكم"، فأنشـــد منشدهم:

تقول أبو ثور أحـــل حـــرامـــهـــا وقول أبي ثـــور أســـــد وأعـــرف

ثم توجه إلى القادسية، ورأى الفيلة تحاصر الخيل، فتوجَّه إلى قائد جيش الفرس مهران، فطوى خرطوم فيله وضربه بالصمصامة، وأنشد:

شَـــدَدتُ على مُهرانَ لمّـا لقيتُـهُ بكَفِّيَ صَـــمصـــامُ العقيقـةِ مِخـذَمُ

فـغـادرتُـهُ يـكـبـو لِحُـرٍّ جـبـيـنـهِ عـلـيـه نُســـورٌ واقـعـاتٌ وحُـوَّمُ

لقـد علـمـت خيـلُ الأعـاجم أنّني أَنا الفـارسُ الحـامي إذا النـاسُ أحجموا

وأنّي غــداةَ الــقــادســــيّــةِ إذ أتَــوا بجمعِهِمُ ليــثٌ هَصُــورٌ غشــــمشَــــمُ

وحينما بدأت المعركة كان ينادي فرسان المسلمين: "أيها العرب، ألزموا خراطيم الفيلة بالسيوف، فليس لها مقتل إلا خراطيمها".

وحينما انتهت المعركة، وقام سعد بن أبي وقاص بتوزيع الغنائم، لم يُعطِ أبا ثور ما يستحق؛ لأنه لم يكن من حفظة القرآن، فقال يهجو سعد:

هُبِلــتَ لقــد نســــيــتَ جِلادَ عمروٍ وأنــت كــخــامــعٍ تَــلِــجُ الــوِجــارا

أُطَــاعِــنُ دونَــكَ الأَعــداء شَـــــزراً وأَغشــــى البِيضَ والأَسَـــــلَ الحِرارا

ثم حمل سيفه وتوجه إلى بلاد فارس وحيداً، وقيل إنه وُجد على حدود "روضة كرمنشاه" ميتاً بلدغة أفعى، ولم يرثه أحد سوى زوجته الجعفية حين قالت:

لقــد غَــادَرَ الركــبُ الــذين تحمَّلُوا بِرُوضــة شــخصــاً لا ضــعيفاً ولا غُمْرا

فــقــل لــزُبــيــدٍ بــل لمــذحِجَ كــلِّهــا فَــقَــدْتُم أبا ثــورٍ سِـــــنــانَــكُــمْ عَــمْــرا

قيس بن الحدادية

هو قيس بن منقذ بن عمرو، والحدادية أمه، وكان فارساً شجاعاً صعلوكاً خليعاً، خلعته خزاعة بسوق عكاظ، وأشهدت على أنفسها بخلعها إيّاه، فلا تحمل جريرته، ولا تُطالب بجريرة بجرّها أحدٌ عليه. وقيل إنه جمع لهم شذاذاً من العرب وفتّاكاً من قومه، وأغار عليهم بهم، وقتل منهم رجلاً يقال له ابن عُش، واستاق أموالهم. فلحقه رجل كريم من قومه كان ضلعه معه، يقال له ابن محرمة، فأقسم عليه أن يرد ما استاق، فقال: أما ما كان لي ولقومي فقد أبررت قسمك فيه، وأما ما اعتورته أيدي هؤلاء الصعاليك فلا حيلة لي فيه. فرد مهمه وسهم عشيرته، وقال:

فَأُقسِمُ لَولا أَسهَمَ ابنُ مُحَرَّقٍ ... مَعَ اللهِ ما أَكثَرتُ عَدَّ الأَقارِبِ

تَرَكتُ ابنَ عُشٍّ يَرفَعونَ بِرَأسِهِ ... يَنوءُ بِساقٍ كَعبُها غَيرُ راتِبِ

وَأَنهاهُمُ خَلعي عَلى غَيرِ ميرَةٍ ... مِنَ اللَحمِ حَتّى غُيِّبوا في الغَوائِبِ

وأغار على هوازن واصاب منها وبذلك يقول:

نَحنُ جَلَبنـا الخَيـلَ قُـبًّـا بُطونُهـا ... تَراهـا إِلى الـداعي المُثَوِّبِ جُنَّحـا

بِـكُـلِّ خُـزاعِـيٍّ إِذا الحَـربُ شَمَّـرَتْ ... تَسَـربَـلَ فيهـا بُردَهُ وَتَـوَشَّـحـا

قَرَعنـا قُشَـيرًا في المَحَـلِّ عَشِـيَّـةً ... فَلَم يَجِدوا في واسِـعِ الأَرضِ مَسـرَحا

وَأُبنـا بِإِبـلِ القَومِ تُحـدى وَنِسـوَةٍ ... يُـبَـكِّـينَ شِـلوًا أَو أَسـيرًا مُجَرَّحـا

غَـداةَ سَـقَينا أَرضَـهمْ مِن دِمـائِهِمْ ... وَأُبـنـا بِأُدمٍ كُـنَّ بِالأَمـسِ وُضَّـحـا

وكان قيس بن الحدادية يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعي، وكانوا قد خرجوا جالين إلى مصـر والشـام لأنهم أجدبوا، حتى إذا كانوا في بعض الطريق رأوا البوارق خلفهم، وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر، فرجعوا ورجعت أم مالك (نُعُم)، فقال قيس:

أَجِـدَّكَ إِن نُـعـمٌ نَأَت أَنـتَ جـازِعُ ... قَـدِ اقـتَرَبَـت لَـو أَنَّ ذَلِـكَ نافِـعُ

وَقَـد يَحـمَـدُ اللَهُ العَـزاءَ مِـنَ الـفَـتى ... وَقَـد يَجمَعُ الأَمرَ الشَـتيـتَ الجَوامِعُ

وَمـا رَاعَـني إِلّا المُـنـادي أَلا اظعَـنوا ... وَإِلّا الـرَواغـي غُـدوَةً وَالـقَـعـاقِـعُ

فَـهَـزَّت إِلَيَّ الـرَأسَ مِـنّي تَـعَـجُّـبًـا   وَعُضِّـــضَ مِما قَد فَعَلتُ الأَصـــابِعُ

فَقـالَـت وَعَينـاهـا تَفيضـــانِ عَبرَةً   بِأَهـلِـيَ بَـيِّن لي مَـتى أَنـتَ راجِـعُ

فَشَـــدَّت عَلى فيها اللِثامَ وَأَعرَضَـــت   وَأَمعَنَ بِالكُحـلِ السَـــحيقِ المَـدامِعُ

فَلا يَســـمَعَن سِـــرّي وَسِـــرَّكِ ثالِـثٌ   أَلّا كُـلُّ سِـــرٍّ جـاوَزَ اثنَينِ شـــائِعُ

وَكَيفَ يَشـــيعُ السِـــرُّ مِنّي وَدونَـهُ   حِجابٌ وَمِن دونِ الحِجابِ الأَضـــالِعُ

وكان من خبر مقتله أنه لقي جمعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غِرّة، فقالوا له: "اســتأســر"، فقال: "وما يمنعكم إذا اســتأســرت وأنا خليع؟ والله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عنزاً جرباء جَذْماء لأعطوكم إياها". فقالوا له: "استأسر لا أم لك"، فقال: "نفسي علي أكرم من ذاك"، وقاتلهم حتى قُتل وهو يرتجز:

أَنا الَّـــذي تَخـــلَـــعُـــه مَـــوالـيـــهِ   وَكُـلُّـهُـم بَـعـدَ الصَـــفـاءِ قـالِـيَـه

وَكُـلُّـهُـم يُـقسِـــمُ لا يَـبـالِـيَـه   أَنا إِذا المَـوتُ يَـنـوبُ غـالِـيَـه

مُخـتَـلِـطٌ أَســـفَـلُـهُ بِـعـالِـيَـه   قَـد يَعلَـمُ الفِتيـانُ أَنّي صـــالِيَـه

فضالُه بن شريك

هو فضالةُ بن شريك بن سلمان موقد النار، كان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرماً، أدرك الجاهليةَ والإسلامَ، وكان له ابنان شاعران: عبد الله بن فضالة، الوافد على ابن الزبير، والقائل له: "إن ناقتي قد نَقِبَت ودَبِرَت"، فقال له: "أرقعها بجلدٍ وأخصفها بهلبٍ، وسِرْ بها البردين". فقال له: "إني قد جئتُكَ مستجمِلاً لا مستشيراً، فلعن اللهُ ناقةً حملتني إليك". فقال له ابن الزبير: "وأراكبَها". فانصرف من عنده وهو يقول:

أقــولُ لـغـلـمـتي شـــــدُّوا ركـابي ... أجـاوز بـطـنَ مـكـة في ســــوادِ

فــمــاليْ حــينَ أقــطــعُ ذاتَ عــرْقٍ ... إلى ابــنِ الـكـاهـلـيـةِ مـنْ مـعـادِ

سَـــــيُبْعِـدُ بـيـنَـنـا نَـصُّ المَـطَـايَا ... وتَــــعْـــلِــيـــقُ الأَدَاوَى والمَـــزَادِ

وكـــلُّ مُـعَـبَّـدٍ قــد أعــلــمـتْـهُ ... مَــنَـاسِمُــهُــنَّ طــلاعِ الـنِّـجَـادِ

وأما أتيه فاتك فكان سيداً جواداً وبه يقول الاقيشر مادحاً:

وَفَـد الوفودُ فكنـتَ أفضـــــلَ وَافِـدٍ   يا فـاتِـكُ بنَ فَضَـــالـةَ بن شَـــرِيـكِ

أما فضالة اللص فقد مر ذاتَ يومٍ بعاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وهو متبدٍ بناحيه المدينة فنزل به فلم يقره شـيئاً ولم يبعث إليه ولا إلى أصـحابه بشـيء وقد عرفوه مكانهم فارتحلوا عنه والتفت فضــاله الى مولى لعاصــم فقال له: " قل له أما والله لا طوقنك طوقاً لا يبلى ‘‘فقال بذلك:

ألاَ أيها الباغي القِرَى لســـتَ واجداً   قِرَاكَ إذا مـا بِـتَّ في دار عـاصـــمِ

إذَا جئتَـه تَـبْغِي القِرَى باتَ نائـمـاً   بِطِينـاً وأمسَـــى ضَـــيْفُـهُ غيرَ نائِم

فـدَعْ عـاصـــماً أُفٍّ لأفعالِ عـاصـــمٍ   إذا حُصِّـــــل الأقـوام أهـلُ المَكَـارِمِ

مالك بن الرَّيْب

هو مالك بن الرَّيْب التميمي، وُلِد في بادية تميم بالبصرة، وكان جميلاً لباساً وشجاعاً. وكان الأمويون يقربون قومه للفتوحات ويبعدونهم عن المكاســـب، فطالبهم بذلك فلم يستجيبوا، فأخذ يقطع الطريق على قوافل الدولة الأموية، وذلك بقوله:

وَمـا أَنا كَـالـعـيرِ الْمُـقـيـمِ لأَهـلِـهِ عَلى القَيـدِ في بَحبوحَـةِ الضَـيمِ يَرتَعُ

أَحَقّاً عَلى السُـــلطانِ أَمّا الَّذي لَهُ فَـيُـعـطـى وَأَمّـا مـا يُـرادُ فَـيَـمـنَـعُ

ثم التف حوله مجموعة من الصعاليك، كأبي حردبة وشظاظ الضبي وغويث الطائي، وأخذ يقطع طريق القصيم، وبذلك يقول الراجز:

اللهُ نَجّـاكَ مِـنَ الـقَصـيـمِ وَبَـطـنِ فَـلـجٍ وَبَـني تَـمـيـمِ

وَمِـن أَبي حَـردَبَـةَ الأَثـيـمِ وَمـا لِـكٍ وَسَـيـفِـهِ المَسـمـومِ

وَمِـن شِـظـاظَ الأَحمَـرَ الـزَنـيـمِ وَمِـن غَـوَيـثٍ فـاتِـحِ الـعُـكـومِ

وقد استمر مالك في تمرده، متخفياً عن الحجاج، يجوب القفار، وبذلك يقول:

ففي الأرض عن دار المذلَّـة مـذهـبٌ   وكــلُّ بــلادٍ أوطــنــت كــبــلادي

فمــاذا عســـى الحجَّــاجُ يَبلغ جُهـده   إذا نحــن جــاوزنا حــفــيرَ زيادٍ

زمــانَ هــو الـعَـبـد المُـقـرّ بـذُلّـة   يـروح صـــبـيـانَ الـقُـرى ويُـغـادي

ثم استتابه سعيد بن عثمان بن عفان إلى خراسان فيما وراء نهر جيحون لفتح سمرقند وبخارى، وحينما التحق بالفتوح ورأى قباب الترك تذكر أهله:

تُــذَكِّــرُنِي قِــبــابُ الـتركِ أَهــلــي   وَمَــبــداهُــم إِذا نَــزَلـوا سَـــنــامــا

وَصَـــوتُ حَـمــامَــةٍ بِجِــبــالِ رِسٍّ   دَعَـت مَع مَطلَعِ الشَّـــمسِ الحَـمـامـا

فَــبِــتُّ لِصَـــوتِهــا أَرِقــاً وَباتَــت   بِمَــنـطِـقِـهـا تُـراجِـعُـني الـكَـلامـا

وآزاء سوء الأحوال الجوية والثلوج ها أنه يلح على سعيد بن عفان بالرجوع:

هَبَّـت شَمــالٌ خَريفٌ أَســقَطَـت وَرَقــاً   وَاِصــفَرَّ في القاعِ بَعدَ الخُضــرَةِ الشيـحُ

فَـاِرحَـل هُـديـتَ وَلا تَجعَـل غَنيمَتَنـا   ثَـلـجـاً تُصَـــفِّـقُـه بِالـترمِـذ الـريـحُ

إنَّ الشِـــتـاءَ عَـدوٌّ مـا نُـقـاتِـلُـهُ فَـارحَـل هُـديتَ وثوبُ الـدِفـءِ مُطروحُ

ولكن سعيد لم يأبه إلى قوله، فأخذ الجند يموتون برداً ويتساقطون الواحد تلو الآخر، إلى أن بقي مالك ورفيقاه على حدود خراسان، حتى لدغته أفعى وأخذ يزرق شيئاً فشيئاً. فكتب مرثيته الخالدة هذه، والتي ذهبت بعض الروايات الخرافية إلى أن الجن قد رثته ووضعت القصيدة بجانب رأسه:

ايا صـــاحِبي رَحلي دَنا المَوتُ فَـانزِلا بِـــرابِـيَــةٍ إِنّي مُـقـيـمٌ لَـيـالِـيـا

أقيمـا عَلَيَّ اليَومَ أَو بَعضَ لَيلَـةٍ وَلا تُـعـجـلاني قَـد تَـبَـيَّنَ شـــانِـيـا

وَقومـا إِذا مـا اِســتُـلَّ روحي فَهَيِّئـا لِيَ السّـــدرَ وَالأَكفـانَ عِنـدَ فَنـائِيـا

وَخُطّـا بِأَطرافِ الأَسِـــنَّـةِ مَضـــجَعي وَرُدّا عَـلـى عَـيـنَيَّ فَضـــلَ ردائِـيـا

وَلا تَحســـداني بارَكَ اللَّهُ فـيـكُـمـا مِنَ الأَرضِ ذاتَ العَرضِ أَن توسِـــعا لِيا

خُـذاني فَـجُـرّاني بِـثَـوبي إِلَـيـكُـمـا فَقَـد كُنـتُ قَبـلَ اليَومِ صَـعبـاً قيـادِيا

وَقَـد كُنـتُ عَطّـافـاً إِذا الخَيـلُ أَدبَرَت سَـــريعـاً لَـدى الهَيجـا إِلى مَن دَعـانِيـا

وَقَد كُنتُ صَـــبّاراً عَلى القرنِ في الوَغى ثَقيلاً عَلى الأَعداءِ عَضـــباً لِســـانِيا

وَقَد كُنتُ مَحموداً لَدى الزادِ وَالقِرى وَعَن شَتمِيَ اِبنَ العَمِّ وَالجارَ وانِيا

فَطَوراً تَراني في ظِلالٍ وَنِعمَةٍ وَطَوراً تَراني وَالعِتاقُ رِكابِيا

وَيَوماً تَراني في رحىً مُستَديرَةٍ تُخَرِّقُ أَطرافُ الرِماحِ ثِيابِيا

وَقوما عَلى بِئرِ السَّمينَةِ أسمعا بِها الغُرَّ وَالبيضَ الحِسانَ الروانِيا

بِأَنَّكُما خَلَّفتُماني بِقَفرَةٍ تُهيلُ عَلَيَّ الريحُ فيها السَّوافِيا

وَلا تَنسَيا عَهدي خَليلَيَّ بَعدَما تَقطعُ أَوصالي وَتَبلى عِظامِيا

وَلَن يَعدَمَ الوالونَ بَثّاً يُصيبُهُم وَلَن يَعدَمَ الميراثَ مِنّي المَوالِيا

يَقولونَ لا تَبعُد وَهُم يَدفِنونَني وَأَينَ مَكانُ البُعدِ إِلا مَكانِيا

غَداةَ غَدٍ يا لَهفَ نَفسي عَلى غَدٍ إِذا أدلجوا عَنّي وَأَصبَحتُ ثاوِيا

وَأَصبَحَ مالي مِن طَريفٍ وَتالِدٍ لِغَيري وَكانَ المالُ بِالأَمسِ مالِيا

فَيا لَيتَ شِعري هَل تَغَيَّرَتِ الرَّحا رحا المُثلِ أَو أَمسَت بِفَلجٍ كَما هِيا

إِذا الحَيُّ حَلَّوها جَميعاً وَأنزلوا بِها بَقَراً حُمَّ العُيونِ سَواجِيا

رَعَينَ وَقَد كادَ الظَّلامُ يُجِنُّها يَسفَنَ الخُزامى مَرَّةً وَالأَقاحِيا

وَهَـل أَترُك العيسَ العَوالي بِالضُحـى بِرُكبـانِهـا تَعلو المِتـانَ الفَيـافِيـا

إِذا عُصَـبُ الرُكبـانِ بَينَ عُنَيزَةٍ وَبولانَ عـاجُوا المُبقِيـاتِ النَواجِيـا

فَيا لَيتَ شِعري هَل بَكَت أُمُّ مالِكٍ كَمـا كُنـتُ لَو عـالَوا نَعِيَّـكِ باكِيـا

إِذا مـتُّ فَـاِعتـادي القُبورَ وَسَلِّمي عَلى الرَمسِ أُسقيتِ السَحابَ الغَوادِيا

عَلى جَـدَثٍ قَـد جَرَّتِ الريحُ فَوقَـهُ تُـراباً كَسَـحـقِ المَـرنُبـانِيِّ هـابِيـا

رَهينَـةُ أَحجـارٍ وَتُربٍ تَضَـمَّنَـت قَـرارَتُهـا مِـنّي الـعِـظـامَ الـبَـوالِـيـا

فَيـا صـاحِبا إِمّا عَرَضـتَ فَبلغن بَـني مـازِنٍ وَالـرَّيـبَ أَن لا تَـلاقِـيـا

وَعَرِّ قَلوصـي في الرِّكـابِ فَـإِنَّهـا سَـتَفلِقُ أَكبـاداً وَتبكي بَـواكِـيـا

وَأَبصَـرتُ نار المـازِنِيّـاتِ موهِنـاً بِعَليـاءَ يُثنى دونَهـا الطَّرفُ رانِيـا

بِـعودِ الـنّجـوجِ أَضـاءَ وَقـودُهـا مَهـاً في ظِلالِ السِّـدرِ حوراً جَوازِيا

غَـريـبٌ بَـعيـدُ الـدارِ ثاوٍ بِـقَـفـرَةٍ يَـدَ الـدَّهرِ مَعروفـاً بِأَن لا تَـدانِيـا

تَحَمَّـلَ أَصـحـابي عَشـاءً وَغـادَروا أَخـا ثِقَـةٍ في عَرصَـةِ الـدارِ ثاوِيا

أُقَلِّـبُ طَرفي حَولَ رَحلي فَلا أَرى بِـهِ مِن عُيونِ المُؤنِسـاتِ مُراعِيـا

وَبِالرَّمـلِ مِنّـا نســـوَةٌ لَو شَـــهِدنَني   بَـكَـينَ وَفَـدَّيـنَ الـطَـبـيـبَ المُـداوِيا

وَمـا كـانَ عَهـدُ الرَّمـلِ عِنـدي وَأَهلِـهِ   ذَميمـاً وَلا وَدَّعـتُ بِالرَّمـلِ قـالِيـا

فَـمِـنـهُـنَّ أُمّـي وَاِبـنَـتـايَ وَخـالـتي   وَباكِـيَـةٌ أُخـرى تَهـيـجُ الـبَـواكِـيـا

القتّال الكلابي

القتّالُ لقبٌ غلب عليه لتمرّده وفتكه، واسمه عبد الله بن مجيب المضَّـــرحي، ويُكنّى أبا المسّيب. وقيل إن سبب خلعه: أنّه كان يتحدّث إلى ابنة عمٍّ له يُقال لها العالية، وكان لها أخٌ غائب، فلمّا قَدِمَ رأى القتّالَ، فأخذ السيف. فأبصـر به القتّالُ فهرب، وخرج في أثره. فلمّا دنا منه ناشـــده القتّالُ بالله والرحم، فلم يلتفت إليه. وبينما هو يســعى وقد كاد يلحقه، وجد رمحاً مركوزاً، فأخذه وعطف على الرجل فقتله، وقال:

نَهَـيـتُ زياداً والمَـقـامـةُ بـيـنـنـا … وذكَّـرتُـه أَرحـامَ سِـــعْـرٍ وهَـيْـثَـمِ

فـلـمَّـا رأيـتُ أنَّـه غـيرُ مُـنـتـهٍ … أَمَـلْـتُ لـه كـفِّـي بـلَـدْنٍ مُـقَـوَّمِ

ولمَّـا رأَيـتُ أنـني قـد قَـتَـلْـتُـه … نَـدِمْـتُ عليـه أيَّ ســـاعـةِ مَنـدم

ثم خرج القتّالُ هارباً، وأصحابُ القتيل يطلبونه، فآوى إلى جبل عماية، وبذلك يقول:

جَـــزى اللهُ عَــنّـــا وَالجَـــزاءُ بِـكَـفِّهِ … عـــمـــايَــةَ خَـيــراً أُمَّ كُــلِّ طَـريــدِ

فَمـايز دَهيهـا القَـومُ إن نَـزَلوا بِهـا … وَإِن أَرسَـــلَ السُـلطــانُ كُـلَّ بَـريــدِ

حَـمَـتـني مِـنـهـا كُـلُّ عَـنـقـاءَ عَـيطَلٍ … وَكُـــلُّ صَـــفــا جَـــمِّ القِــلاتِ كَـؤودِ

فمكث القتّالُ في عَماية زماناً، يأتيه أخٌ له بما يحتاج إليه، وألِفه نَمِرٌ في الجبل كان يأوي معه في شِعبٍ. فلما رأى القتّالُ النمرَ كَشَّر عن أنيابه، فجَرّد القتّالُ سيفه من جَفنه، فربَص بإزائه، وأخرج النمرُ بَرااثِنه، فسلّ القتّالُ سهامه من كِنَانته، فضرب بيده ورأرأ، فأوتر القتّالُ قوسه، وأنبَض وَترها، فسكَن النمرُ وألِفه.

وقال ابن الكلبي في الأغاني عن هذا الخبر: إن النمرَ كان يَصطاد الأُروي، فيجيء بما يصـطاده، فيُلقيه بين يدي القتّال، فيأخذ منه ما يَكفيه، ويُلقي الباقي للنمر فيأكله. وكان القتّالُ يخرج إلى الوحش فيرميه بنَبله، فيُصـيب منه الشـيءَ، فيأتي به الكَهفَ، فيأخذ لقوتِه بعضَـه، ويترك الباقي للنمر. وكان القتّال إذا وردَ الماءَ قام عليه النمرُ حتى يشرب، ثم ينتحي القتّالُ عنه فيرد، فإذا شرب قام القتّالُ عليه حتى يَشرب النمرُ:

ولي صـاحبٌ في الغارِ هدَّك صـاحباً　　　أبـو الجـون إلا أنـه لا يـعـلـلُ

وأبو الجون صديقٌ له، كان يأنس به، فشبَّهَه بالنمر في أُلفته وصُحبته. وفي روايةٍ أخرى قيل إنّه أخٌ له. ثم قال:

كـلانا عـدوّ لـو يـرى في عـدوّه　　　مـهـزّا وكـلّ في الـعـداوة مجـمـلُ

إِذا مـا اِلتَقَينـا كـانَ أُنسُ حَـديثِنـا ... صُــمـاتا بِطَرفٍ كـالمَعـابِـلِ أَطحَـلِ

لـنـا مـوردٌ قـلـت بأرض مَضــــلـه ... شـريعتــــنــــا: لأينـــا جـــاء أول

تضــمنت الأروى لنا بشـــــوائنــــا ... كلانا لـه منهـا شــديف مخــــــردل

فأغلبه في صــنعة الزاد إنـــــنـــــي ... أميط الأذى عنـه ومـا إن يُهلـــــــل

وقيل أن جماعةً من الصعاليك فيهم القتّال أخذوا مال أحد التجار، وأخذهم عامل مروان وهو في المدينة، فحبسهم ليبحث الأمر، وقال في ذلك القتّال:

وإِنّي وذكـرِي أُمَّ حَسّـــــانَ كـالـفـتى ... متى مـا يـذُقْ طَعْم المُـدَامـة يَجْهـل

ألا حـبّـذا تـلـك الـبـلادُ وأهـلـهـا ... لـو اُنَّ عـذابي بالمـديـنـة يـنْـجـلـي

برزْتُ لهـا من سِـــجْن مرْوان غُـدوةً ... فـآنســـــتُـهـا بالأَيْم لم تـتـحـوَّل

وآنســـــتُ حَيًّـا بالمطـالي وجـامِلاً ... أبابـيـلَ هَـطْـلـي بـين راعٍ ومُـهـمـل

نظرتُ وقد جَلَّى الدُّجى طامِسَ الصُّوَى ... بسِـــلْعٍ وقَرْنُ الشـــمسِ لم يترجَّـلِ

وشُـــبَّـتْ لنـا نارٌ لَلَيْلَى صــبـاحـه ... يُـذَكَّـى بـعُـودٍ جَمْـرُهـا وقَـرَنْـفُـلِ

يُضِـــيء سَـــنـاهـا وجـهَ ليلَى كـأنَّمـا ... يُضِــيءُ سَــنـاهـا وَجْـهَ أَدْمـاءَ مُغْزِلِ

علا عظمُها واســتعْجَلتْ عن لِداتِها ... وشَـــبَّتْ شـــباباً وهْيَ لمَّا تُسَـــرْبَلِ

ولمـا رأيـتُ البـابَ قـد حِيـل دُونَـهُ ... وخِفْـتُ لِحـاقـاً من كتـابٍ مُؤَجَّـل

حملتُ عَلَى المكروهِ نفســـاً شـــريفةً ... إذا وُطِّئَـتْ لم تســـتقِـدْ للتَّـذَلُّـلِ

كـالِيءُ باب السِّـــجْنِ ليس بِمُنْتَـهٍ ... وكـان فِـراري منـه لـيـس بمُـؤْتَـلـي

إذا قلتُ رفَّهني من السِّـــجْنِ ســـاعةً ... وتمِّمْ بهـا النُّـعْمَى عَلَيَّ وأفْضِـــــل

يَشُـــــدُّ وَثاقـاً عـابِســــاً ويَـغُـلُّـنِي ... إلى حَلَقـاتٍ من عمودٍ مُوَصَّـــــل

فقُلتُ له والسَّـــيفُ يَعْضِـــب رأْسَـــهُ ... أنا ابـنُ أبِي التّيمـاءِ غيرُ المنحَّـل

عرفـتُ نَـدَايَ من نَـدَاهُ وشـــيمتي ... وريحاً تَغشَّـــاني إذا اشـــتَدَّ مِسْـــحَلِي

تركـتُ عِتـاقَ الطَّيْرِ تحجِـلُ حَوْلَـهُ ... عــلــى عُـدَواءَ كـالحُـوار المجـدّل

ثم إن الســـجّان كان يُدعى أبق هبار، وكان له ابنٌ وابنُ عمٍ يُقال له أحنه، فبلغه أن القتّال محبوس في السجن، فأتاه وقال له: "أرأيت إن أنا أخرجتك أتقتل ابن عمي ابن هبار؟" قال: "نعم". قال: "فإني ســأرســل إليك بحديدةٍ في طعامك، فعالج بها قيدك

حتى تفكه، ثم سأرسل لك ألبسة حتى لا تُنكَر، فإذا خرجتَ إلى الوضوء فاهرب، وإني جالسٌ لك ومُخلِّصك ومعطيك فرساً تنجو عليه وسيفاً تمتنع به". فقال: "قد رضيتُ". فُقِل السجّان، وقال في ذلك القتّال:

تركت ابن هبّار لدى الباب مسندا   وأصبح دوني شابة وأرومها

بسيف امرىء لا أخبر الناس باسمه   ولو أجهشت نفسي إليّ همومها

ولما طالت جنايته وطلب السلطان له لم تنتصر له عشيرته فقال يلومها:

إذا ما لقيتم راكبا متعمّما   فقولوا له: ما الرّاكب المتعمّم؟

فإن يك من كعب بن عبد فإنّه   لئيم المحيّا حالك اللّون أدهم

دعوت أبا كعب ربيعة دعوة   و فوقي غواشي الموت تنحى و تنجم

و لم أك أدري أنّه ثكل أمّه   إذا قيل للأحرار في الكربة اقدموا

فلو كنت من قوم كرام أعزّة   لحاميت عنّي حين أحمى و أضرم

دعوت فكم أسمعت من كلّ مؤذن   قبيح المحيّا شانه الوجه و الفم

و لكنّما قومي قماشة حاطب   يجمّعها بالكفّ، و اللّيل مظلم

وقيل إن القتّالَ في تأبده حَمِيَتْ عليه الشـــمسُ يوماً، فأناخ إلى امرأةٍ من بني أســـد، و(قال) في بيتها، فيما هو نائمٌ نبهته الأســـديّة فقالت له: "ما دهاك ويحك! انظر إن الطيرَ تحوم حول ناقتك". فخرج يمشـــي إلى ناقته فإذا هي قد خرجت والطير تمزّق ولدها، فجاء وأخيرها. فقالت: "إن لك خبراً فأصـــدقني"، فأخبرها أنه مطلوبٌ بدم، وقال في لوم عشيرته:

أفي كـل يـومٍ لا تـزال كـتـيـبـة عقيليه تهفو عليكم عقابها

لهـم جـزر مـنـكـم عـبـيـط كـأنـه وقـاع الملوك فتكها واغتصـابها

وأنتم عـديـد في حـديـد وشـكـة وغـاب رمـاح يوجف القلب غابها

فما الشـر كل الشـر لا خير بعده عـلى الـنـاس إلا أن تـذل رقـابها

نسـاء ابن بشـر بدن ونسـاؤنا بـلايا عـليـها كـل يوم سـلابها

تـنـام فتقضـي نومـة الليـل عرسـه وأم سـعـيـد مـا تـنـام كـلابها

فـإن نحن لم نغضـب لهم فنثيبهم وكـل يـد مـوف إلـيـنـا ثـوابها

فـنـحـن بـنـو الـلائـي زعـمـتـم وأنـتـم بنو محصـنـات لم تـدنس ثيـابها

وحينما كبر القتّال وضعُف بصره واشتاق إلى صعلكته قال مخاطباً ابنه عبد السلام:

عَبـدَ السَـــلامِ تَأَمَّـل هَـل تَرى ظُعُنـاً إِنّي كَـبِرتُ وَأَنــتَ اليَـومَ ذو بَصَــــرِ

لا يُـبـعِـدُ اللهُ فِـتـيـاناً أَقـولُ لَهُـم بِالأَبـرَقِ الـفَـردِ لَـمـا فـاتَهُـم نَـظَـري

ياهَـل تَراءى بِأَعلى عـاسِـــمٍ ظُعُنٌـاً نَـكَّبنَ فَحلين وَإِســـتَقبَلنَ ذا بَـقَـرِ

صَـــلّى عَلى عَمرَةَ الرَحمَنُ وَإِبنَتِها لَيلى وَصَــلّى عَلى جـاراتِهـا الأُخَرُ

هُـــنَّ الحَـــرائِــرُ لا رَبّاتُ أَحمِــرَةٍ ســـودُ المَحـاجِرِ لا يَقرَأنَ بِالسُـــوَرِ

الأحيمر السعدي

أما الأحيمر السعدي فقد خلعه قومه لكثرة جناياته، بينما يبرر هو صعلكته بالقول:

وإني لأســـتحي مـن الله أن أرى　　　اطـوف بجـبـل لـيـس فـيـه بـعـير

وأن أســـأل المرء اللـئيم بـعيره　　　وبـعـران ربيّ في الـبـلاد كـثـير

وقد جنى جنايات كثيرة، طالبه السلطان فهام في الفلوات منذ بداً، حتى وصل إلى (وبار) في جنوب شرق الجزيرة، فألف الوحش والذئب، وبذلك يقول:

عَوَى الذِئْبُ فاسْتَأْنَسْتُ بالذِّئْب إذ عَوَى　　　وصَـــوَّتَ إنســـانٌ فكِـدْتُ أَطِيرُ

رَأَى الله أَنِّي لـلأَنِـيـسِ لَشَـــانِئٌ　　　وتُـبْـغِضُـــهم لي مُقْلَـةٌ وضَـــمِيرُ

فـلِـلَّـيْـلِ إِذْ وارانِيَ الـلَّـيْـلُ حُـكْـمُـهُ　　　وللشَّـــمْسِ إِنْ غـابَـتْ علَّى نُـذُورُ

ثم يتحدث الأحيمر بدقة عن صحبته للذئب بهذه الطريقة:

أَراني وَذِئـبَ الـقَـفرِ إِلَفَـينِ بَعـدَمـا　　　بَـدَأنا كِـلانا يَشـــمَـئِـزُّ وَيُـذعَـرُ

تَأَلَّــفَـــني لَــمّـــا دَنا وَأَلِــفـتُــهُ　　　وَأمكَـنَني لِـلرَمي لَو كُـنـتُ أَغـدِرُ

وَلَـكِـنَّـني لَمَ يأْتَمِـنّي صــــاحِـبٌ فَـيَرتابَ بي مـا دامَ لا يَـتَـغَـيَّرُ

عبيد العنبري

هو عبيد بن أيوب العنبري التميمي، عاش عيشة متشردة طويلة وتجول في الأرض ولم يكد يخالط الإنس، واتخذ من الذئاب والسباع والغيلان أصدقاء له فرفقوا به ولم يؤذوه. وسبب هذا التجوال جناية جناها في عهد الدولة الأموية فهرب في مجاهل الأرض وأبعد، ويتحدث في شعره عن الغول السعلاة، وكان يبايت الذئاب والأفاعي ويأكل مع الظباء والوحش، وفي ذلك يقول:

فما زلت مُذ كنت ابن عشـــرين حِجّة ... أخـا الحرب مجنيّـا علـيّ وجـانيـا

وكان يحن إلى النساء بقوله:

وَلَـو أَنَّ قـاراتٍ حَـوالي جـلاجِـل ... يسـمين سَـلمى وَالفرود وَحَومَلا

يُوازِنَّ مـا بِي مِن هَوىً وَصَـبابَـة ... لَكـانَ الَّـذي أَلقى مِنَ الشَّـوقِ أَثقَلا

وحينما عجزت قبيلته عن افتدائه يقول:

إِذا مـا أَرادَ الـلّـهُ ذُلَّ قَـبِـيلَةٍ ... رَماها بتَشْتِيتِ الهَوَى والتَّـخَـاذُلِ

وأَوَّلُ عَـجْزِ القَوْمِ عَـمَّـا يَنُـوبُـهُـمْ ... تَدافُعُهُـمْ عنـه وطُـولُ الـتَّـواكُـلِ

وأوّل خـبـث المـاء خـبـث تـرابـه وأوّلُ خبـثِ القوم خبـثُ الحلائـل

وحين رأته امرأة وسخرت من هيئته الرثة قال:

وســـاخـرة مـنِّي ولـو أنّ عَـيـنَـهـا أتْ مـا أُلاقـيـهِ مـن الهـوْلِ جُـنّـتِ

أزلٌّ وسِـــعـلاةٌ وغـولٌ بـقَـفْـرةٍ إذا اللّـيـل وارى الجـنَّ فيـه أرنّـتِ

وهذا ما يوضح علاقته مع الوحوش وطول تأبده في الجبال والأمكنة الوعرة، وحينما جاءه خبر مقتل (حصين) صديقه رثاه بقصده منها:

ســـأبْكي حُصـــيناً مـا تغنَّى حَمـائمٌ وأبْكي حُصـــينـاً والحمـائمُ هُجَّـدُ

لقـد هَـدمُوا قِـدْراً جِمـاعـاً وجَفنـةً بوارى سَـــديف الشَّـــولِ كانتْ تُشـــيَّدُ

وقـد عـاشَ محموداً وأصـــبح فقْـدُهُ على الأقرَبين والعِـدَى وهْوَ أَنْكـدُ

ثم لا ينسى صحبته للوحوش بقوله ويتحدث عن هذا التحالف:

وَحـالَـفـتُ الـوُحـوشَ وَحـالَـفَـتـني بِـقُـربِ عُـهـودِهِـنَّ وَبِالـبِـعـادِ

وَأَمسَى الذِّئبُ يَرصُدُني مُخَشّاً لِخِفَّةِ ضَربَتي وَلِضَعفِ آدي
وَغَولاً قَفرَةٍ ذَكَراً وَأُنثى كَأَنَّ عَلَيهِما قِطَعَ البِجادِ

وله أيضاً في صحبته الذئب:

أَراني وَذِئبَ القَفرِ إِلفَينِ بَعدَما بَدَأنا كِلانا يَشمَئِزُّ وَيُذعَرُ
إذا ما عَوى جاوَبتُ سَجعَ عوائِهِ بِتَرنيمِ مَحزونٍ يَموتُ وَيُنشَرُ
تَذَلَّلتُهُ حَتّى دَنا وَأَلِفتُهُ وَأَمكَنَني لَو أَنَّني كُنتُ أغدِرُ
وَلَكِنَّني لَم يَأتَمِني صاحِبٌ فَيَرتابُ بي مادامَ لا يَتَغَيَّرُ
فَلِلَّهِ دَرُّ الغولِ أَيُّ رَفيقَةٍ لِصاحِبِ قَفرٍ خائِفٍ يَتَسَتَّرُ
تَغَنَّت بِلَحنٍ بَعدَ لحنٍ وَأَوقَدَت حَوالَيَّ نيراناً تَبوخُ وَتَزهَرُ
أَنِستُ بِها لَمّا بَدَت وَألفتُها وَحَتّى دَنَت وَاللَّهُ بِالغَيبِ أبصرُ

وها هو يصور نفسه متوحشاً في تلك الخلوات بقوله:

أَخو فَلَواتٍ حالَفَ الجِنَّ وَانتَفى مِنَ الإِنسِ حَتَّى قَد تَقَضَّت وَسائِلُه

لَـهُ نَسَــــبُ الإِنسِـــيِّ يُعرَفُ نَجرُهُ وَلِـلـجِـنِّ مِـنـهُ شَــــكـلُـهُ وَشَمـائِـلُـه

وَوادٍ مَخـوفٍ لا تُســــارُ فـجـاجُـهُ بِـرَكـبٍ وَلا تَمشـــي لَـدَيـهِ أَراجِـلُـه

بِهِ الأُســـدُ وَالأَشـــبالُ مَن عَلِقَت بِهِ فَـقَـد ثَـكَـلَـتـهُ عِـنـدَ ذاكَ ثَـواكِـلُـه

أزاهِـــدَةٌ فِيَّ الأَخِـــلاءُ أَن رَأَت فَتى مُطرَداً قَـد أَســـلَمَتـهُ قَبـائِلُـه

وَلا تَحــرِمِ المَــرءَ الـكَــريمَ فَـإِنَّـهُ أَخوكَ وَلا تَـدري مَتى أَنـتَ ســــائِلُـه

وها هو يتظلم من وضعه المأساوي:

أَسِـــجنـاً وَقَـيـداً وَاِغـتِراباً وَفُـرقَـةً وَذِكـرى حَـبـيـبٍ إِن ذا لَـعـظـيـمُ

وَإِنَّ اِمـرأً دامَـت مَـواثـيـقُ عَـهـدِهِ عَـلـى مِـثـلِ مـا لا قَـيـتُـهُ لَـكَـريمُ

وله أيضاً في صحبته الذئب: أما أجمل صوره ينقلها عبيد العنبري فتحدث عن معاشرته الظباء على هذا النحو:

كَـأَنّي وَآجـالَ الـظِّـبـاءِ بِـقَـفـرَةٍ لَنـا نَسَــــبٌ تَرعـاهُ أَصــبَحَ دانِيـا

رَأَينَ ضَــئيـلَ الشَّـــخصِ يَظهَرُ مَرَّةً وَيَخفى مِراراً ضـــامِرَ الجِســمِ عـارِيا

فَـأَجـفَـلـنَ نَـفـراً ثُمَّ قُـلـنَ اِبـنُ بَـلـدَةٍ قَليـلُ الأَذى أَمســـى لَكُنَّ مصـــافِيا

أَلا يا ظِباءَ الرَّملِ أَحســـن صُـــحبَتي وَأخـفيـنَـني إِن كـانَ يَخفـى مَكـانِـيـا

أَكَلـتُ عُروقَ الشَّـــري مَعكُنَّ وَالتَوى بِحَـلـقِـيَ نَـورُ الـقَـفـرِ حَـتّى وَرانِـيـا

وَبِتُّ ضَـجيعَ الأُسـودِ الجَونِ بِالغَضـا كَثيراً وَأَثنـاءُ الحَشــــاشِ وســـادِيا

فَـقَـد لاقَـت الـغِـزلانُ مِـنّي بـلـيـة وَقَـد لاقَـت الغيلانُ مِنّي الـدَّواهِـيـا

وَمِنهُنَّ قَـد لاقَـيـتُ ذاكَ فَـلَم أَكُن جَـبـاناً إِذا هَـولُ الجَـبـانِ اِعـتَرانِـيـا

أَذقـتُ المَنـايا بَعضَـــهُنَّ بِأَســـهُمي وَقَـدَّدنَ لحـمي وَاِمتَشَـــقنَ ردائِـيـا

إِذا هِـجـنَ بي في جُحرِهِنَّ اِكـتَـنَفـنَني فَـلَـيـتَ سُـــلَـيمـانَ بنَ وَبرٍ يَرانِـيـا

فَمازِلتُ مُذ كُنتُ اِبنَ عِشـــرينَ حِجَّةً أَخـا الحَربِ مُجنِيّاً عَلَيـهِ وَجـانِـيـا

كان يغير على القوافل في شذاذ من الصعاليك الحجاز والشام، وهو يقول حينما تسأله زوجته:

وسَـــائِلَـةٍ أينَ الرَّحِيـلُ وسَــــائِـلٍ ومِنْ يَسْـــأَلُ الصُّـــعْلُوكَ أينَ مَذاهِبُهْ

مـذاهـبـه ان الـفـجـاج عـريضــــه أذا ضّـــن عـنـه بالـنـوّال أقـاربـه

إِذَا الْمَرْءُ لم يَسْــرَحْ سَــوَامًا وَلَمْ يُرِحْ سَــوَامًا ولَمْ يبســط له الوجه صــاحبه

فلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِن حيــاتــه عــديماً ومِن مَوْلًى تَـدِبُّ عَقَـارِبُـهْ

وَدَاوِيَـةٍ يَـهْمَـاءَ يُخشَــى بِهَـا الرَّدَى سَــرَتْ بِأَبِي النَّشْــنَاشِ فِيها رَكَـائِبُهْ

لِـيُـدْرِكَ ثَأْرًا أَوْ لِـيُـدْرِكَ مَـغْـنَـمًـا جَزِيلاً وهـذَا الـدَّهْرُ جَمٌّ عَجَـائِبُـهْ

وها هو إذ يبتعد عن بلاده نجد يقول أبو النشناش:

أُكــرِّرُ طــرفِي نحــوَ نجـدٍ وإنــني إلـيـه وإن لم يُـدرِكِ الـطـرفُ أَنْـظُـرُ

حــنـيـنًــا إلى أرضٍ كـأنَّ تـرابَهَـا إذا أَمطَـرَتْ عـودٌ ومســـكٌ وعـنـبرُ

بـلادٌ كـأنَّ الأقـحـوانَ بـروضــــةٍ ونـورِ الأقـاحـي وَشْــيُ بُـرْدٍ مُحـبَّرُ

وحينما أُلقي عليه ووضع في السجن هاهو يهجو قبيلته التي لم تفتديه:

لَـقَـد جَمَـعَ الحَـدّادُ بَينَ عِصــابَـةٍ تَســاءَلُ في الأقـيـاد مـاذا ذُنوبُهـا

مَقَرَّنَةُ الأَقـدامِ في السِــجنِ تَشــتَكي ظَنـابيـبَ قَـد أَمسَــت مُبيناً عُلوبُهـا

بِمَـنـزِلَـةٍ أَمّـا الـلِـئـيـمُ فَـآمِـنٌ بِهـا وَكِـرامُ الـقَـومِ بادٍ شُـــحـوبُهـا

إذا حَرَسِــــيٌّ قَعقَعَ البـابَ أُرعِـدَت فَـرائِـصُ أَقـوامٍ وَطـارَت قُـلـوبُهـا

نَرى البابَ لا نَســطيعُ شَــيئاً وَراءَهُ كَـأَنّا قُـنِيٌّ أَســلَـمَـتـهـا كُـعـوبُهـا

أَلا لَـيتَـني مِـن غَـيرِ عُـكـلٍ قَبيلَـتي وَلَم أدرِ مـا شُــبّـانُ عُكـلٍ وَشــيبُهـا

قُـبَـيِّـلَـةٌ لا يَـقـرَعُ الـبـابَ وَفـدُهـا بِخَيرٍ وَلا يَأَتي السَـــدادَ خَـطـيبُـهـا

وهرب من السجن وعاش متخفياً يأكل جذور شجر الحنظل:

ألا يا ظبـاء الوحش لا تشــهرنّني وأخفينني إذ كنـت فيكـن خـافيـا

أكلـت عروق الشّــرى معكنّ والتوى بحـلـقـي نـور الـقـفـر حـتّى ورانـيـا

وها هو يتحدث عن المساواة بين الصعاليك حينما يصيبوا غنيمة:

إِذا مـا غَنمنـا مَغنَمـاً كـانَ قِســمَـةً وَلَم نَـتَّبِـع رَأيَ الشَّحـيـحِ المـتـارِكِ

أَقـولُ لَهُـم كـيـلوا بِـكُـمَّة بَـعـضِـكُم وَلا تَجعَلوني في النَـدى كَـابِنِ مـالِـكِ

تَليد الضَبّي

أما تَليد الضبّي فكل ما يُعرف عنه أنه كان لصاً خارباً في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وقد أفزع الناس وأُقيم على الناس بأمره ليدفع ما أخذ منهم، وتسقط له الجند، إلى أن أوقعوه بحفره وجاءا إليه بالخليفة، وحينما عُدّت على مسامعه جناياته قال تليد:

وَلَو أَنَّ بَعضَ الناسِ يَفقِدُ أُمَّهُ　　لَقيلَ اِحتَواها في الرِحالِ تَليدُ

ولما عُرف عن الخليفة عمر من العدل والرأفة، لم يأخذ يتليد ويلقيه في السجن أو يقيم عليه القصاص، بل أراد إصلاحه، فأمره بأن يبني مسجداً بجهده الخاص تكفيراً لما اقترفه من الملاص الكثيرة، فقال تَليد بذلك:

تَبَدَّلتُ مِن سَوقِ الأَباعِرِ في الضُحى　　وَمِن قَنَصِ الغِزلانِ بَنيَ المساجِدِ

يَقولونَ جاهِر يا تَليدُ بِتَوبَةٍ　　وَفي النَفسِ مِنّي عادَةٌ سَأَعودُها

وقيل إنه حسن إسلامه ولم يعد إلى الصعلكة، وحينما تاب تَليد الضَبّي، ها هو يطمئن الآخرين:

ألا قُــل لأرباب المـخـائـضِ: أهمِـلوا فـقــد تابَ عـمَّــا تـعـلـمـونَ يـزيــدُ

وإنَّ امرَأً ينجو من النـار بعـدَمـا تَــزوَّد مــن أعــمــاهلــا لســــعــيــدُ

إذا مـا المنـايا أخطـأتْـكَ وصـــادفـتْ حَـمِـيـمَـكَ فـاعـلـمْ أنها ســـتعـودُ

بكر بن النطاح

هو بكر بن النطاح، يكنى أبا وائل، نشأ في زمن الرشيد، وقال بيتاً طلبه من أجله إذ كان يفاخر بقبيلته وائل على القرشين بقوله:

فَإِن يَـكُ جـدُّ القَومِ فِهر بنَ مـالِـكٍ　　　فَحَسْـــبِي فَخرًا فَخرُ بَكرِ بنِ وائِـلِ

وَلَـكِـنَّـهُـم فـازوا بِإِرثِ أَبـيـهِـمُ　　　وَكُـنّـا عَـلـى أَمـرٍ مِـنَ الأَمـرِ باطِـلِ

وقد هرب من وجه الخليفة قائلاً:

وَمَن يَفتَقِرْ مِنّـا يَعِش بسـلاحـه　　　وَمَن يَفتَقِرْ مِن سـائِرِ الناسِ يَسأَلِ

وَنَحنُ وُصِـفنـا دونَ كُـلِّ قَبيلَـةٍ　　　بِشِـدَّةِ بَأسٍ في الكِتـابِ المُنـزَّلِ

وَإِنّا لَنَلهو بِالسُـيوفِ كَما لَهَت　　　فَتـاةٌ بِعِقـدٍ أَو سِـخـابِ قَرَنفُـلِ

وقد أخذ ينهب قوافل الدولة حتى قيل عنه:

قـالوا أيَـنظُـمُ فـارِسـينِ بِطَعنَـةٍ　　　يَـومُ الـنِـزالِ ولا يَـراهُ جَـلـيـلا

فـأجبتُـهُـم لَـو كـانَ طُولُ قَنـاتِـهِ　　　مِـيـلاً إذاً نَـظَـمَ الـفَـوارِسَ مـيـلا

وقد استتابه قره بن محرز، والي كرمان، وأعطاه من المال الكثير، فأستكثر عليه ذلك لكثرة إنفاقه، فقال:

أَلا يا قـــر لا تَـــكُ ســـامِرِيًّا فَتَـــترُكَ مَـــن يَـــزورُكَ في جِهـــادِ

أَتَعجَـــبُ إِن رَأَيـــتَ عَلَـــيَّ دَينًـــا وَقَـــد أَودى الطَريـــفُ مَـــعَ الـــتِلادِ

مَـــلأتُ يَـــدي مِـــنَ الـــدُنيا مِـــرارًا فَمـــا طَمِـــعَ العَـــواذِلُ في اقتِصـــادي

وَلا وَجَبَـــت عَلَـــيَّ زَكَـــاةُ مـــالٍ وَهَـــل تَجِـــبُ الزَكـــاةُ عَلـــى جَـــوادِ

أبو الشمقمق

مروان أبو الشمقمق هو شاعر صعلوك فقير معدم نشأ في زمن الدولة العباسية أفتقر حتى الاملاق ووهن حتى الموت وقال شعراً سريالياً يجسد حاله وشده بؤسه كقوله:

أنا في حـــــــــالٍ تعـــــــــالى اللّهُ ربِّي أيّ حـــــــــــــــــالِ

ولقـــــــد أفْلَسْـــــــتُ حـــــــتى حـــــلَّ أكلــــــي لعيــــــالي

ولقـــــــد أهزلـــــــتُ حـــــــتى مَحَـــــتِ الشَّـــــمْسُ خَيــــالي

مـــــــن رَأى شَـــــيْئاً مُحـــــالا فـــــأنَا عَـــــيْنُ المُحـــــالِ

أما وصفه لمنزله فيقول فيه:

ومـنـزلِيَ الـفضـــاءُ وســـقـفُ بـيـتي سمـاءُ اللهِ أوْ قـطـعُ الســـحـابِ

فـأنـتَ إذا أردتَ دخـلـتَ بـيـتي عـلـيَّ مُسَـــلِّـمـاً مـن غَـيْرِ بابِ

لأني لم أجـــدْ مصـــــراعَ بابٍ يـكـونُ مِـنَ السَّـــحَـابِ إلى الـتُّرَابِ

وقد قصد يوماً ابن حرب أحد قاده الجيوش العباسية فأعطاه طيلساناً ‘‘ثوبا خرباً " فقال يهجوه:

رَأَينـا طَـيلَســـانَـكَ يا اِبـنَ حَـربٍ | يَزيـدُ المَرءَ في الضَــعَـةِ اِتِّضـــاعـا
إِذا الرَفـاءُ أَصـــلَحَ مِنـهُ بَعضـــاً | تَـداعى بَعضُـــهُ الباقي اِنصِــــداعـا
يُسَـــلِّمُ صــــاحِبي فَيَـقُـدُّ شِـــبراً | بِــــهِ وَأَقُـــدُّ في رَدّي ذِراعـــا
فَلَســــتُ أَشُـــكُّ أَن قَـد كـانَ دَهراً | لِـنـوحٍ في سَــــفـيـنَـتِـهِ شِـــراعـا

وحينما لامه الناس على إغلاقه لبيته قال:

لَــيــسَ إِغــلاقــي لِــبــابي أَنَّ لي | فيـهِ مـا أَخشـــى عَلَيـهِ السَـــرَقـا
وَإِنَّمـــا أَغــلَــقــتُــهُ كَــيـــلا يَــرى | ســــوءَ حـالي مَـن يجـوب الـطُـرُقـا
مَــنــزِلٌ أَوطِــنُــهُ الــفَــقــرَ فَــلَــو | دَخَـلَ الســــارِقُ فـيـهِ سُـــرِقـا

وكان أبو الشمقمق يفد إلى بشار بن برد الشاعر فيجزل له العطاء، وكان له عليه مائتا دينار كل عام. فإذا أتاه قال له: "هلم بالجزية يا أبا معاذ". فيقول بشـــار: "هل أنت أفصـــح مني؟" فيقول: "لا". "هل أنت أعلم مني بمثالب الناس؟" فيقول: "لا". "هل أنت أشعر مني؟" فيقول: "لا، ولكنني أهجوك". فقال له بشار: "افعل"، فقال:

إني إذا مـا شـــاعِـرٌ هـجَـانِـيَـهْ وَلَجَّ في الـقـول لـه لِسَـــانِـيَـهْ

أدخلـتُـه في اســـتِ أمـهِ عَـلاَنِـيَـهْ بشّـــــــارُ يا بشّـــارُ يا ابن(الز....)

فيقول له بشـار: "خذ أربعمائة، وأسـكت لئلا يسـمعك الصـبيان". وكذلك كان لأبي الشمقمق على الشاعر سلم الخاسر نفس الجزية، وذات مرة منعه منها، فقال هاجيًا:

يا أُمّ سَـــــلـم هـداكِ اللهُ زُورِيَـنـا كيمـا (...) فَـرْداً أو (تَـنْــــــ ينـا)

مـا إن ذَكَرْتُـكِ إلاّ هـاج لي شَـــبَقٌ ومثـلُ ذِكْراكِ أُمَّ الســـلم يُشِـــجِينـا

ومن شده فقره أنه رفع يديه الى السماء شاكياً الحال الى رب السماءِ بقوله:

أتســـــلـح بالـرزق عـلـى جـاهـل وتــرزق مجـنــوناً وتــرزق أحمــقـا

فلا ذنب يا رب السـمـاء على امرئ رأى منك مـا لا يشـتهى فتزنـدقـا

ولكن أبي الشمقمق تاب عن الهجاء في آخر عمره وقال:

كنتُ فيما مضـى فتى أمدحُ الناس واهـجـو ذاك ذل ذلـيـل

فـأنا الـيـوم لـيـس قـولي الا حسـبي الله ونـعـم الـوكـيـل

فلما سمعه صديقه أبو نواس قال له: "يا ابن الفاعلة، والله لن يطعمك أحدٌ الخبز جوعًا." فسمع بذلك الرشيد، فحبس أبا نواس وأمر لأبي الشمقمق بعشرة آلاف درهم، وها هو في قمة السخرية والتهكم يصف فقره ونحسه:

وَقَـفـتُ فَـلا أَدري إِلى أَيـنَ أَذهَـبُ وَأَيَّ أُمـوري بِالـعَـزيمَـةِ أَركَـبُ

عَـجِبـتُ لِأَقـدارٍ عَـلَـيَّ تَـتـابَـعَـت بِنَحسٍ فَـأَفنى طولَ عُمري التَعَجُّـبُ

وَلَمّـا طلبـت الرِزقَ فَـانجَـذَّ حَبلُـهُ وَلَمْ يَصـفُ لي مِن بَحرِهِ العَذبِ مَشـرَبُ

خَطَبـتُ إِلى الإِعـدامِ إِحـدى بَنـاتِـهِ لِرَفعِ الغِنى إِيّايَ إِذ جِئـتُ أَخطُـبُ

فَــزَوَّجَــنــيــهــا ثُمَّ جــاءَ جِــهــازُهــا		وَفيــهِ مِنَ الحِرمــانِ تَخـتٌ وَمِشــــجَــبُ

فَــأَولَــدتُهــا الحُرفَ النَـقِـيَّ فَـمــا لَــهُ		عَلى الأَرضِ غَيري وَالِدٌ حينَ يُنسَــــبُ

فَلَو تِهتُ في البَيداءِ وَاللَيـلُ مُســـبِلٌ		عَـلَـيَّ جَـنــاحيــهِ لَـمــا لاحَ كَـوكَـبُ

وَلَو خِفتُ شَــرّاً فَاِســـتَتَرتُ بِظُلمَةٍ		لَأَقبَلَ ضــوءُ الشَــمسِ مِن حَيثُ تَغرُبُ

وَلَـو جــادَ إِنســـــانٌ عَـلَـيَّ بِـدَرهِـم		لَرُحــتُ إِلى رَحلي وَفي الكَفِّ عَقرَبُ

وَلَـو يُمطَرُ الـنــاسُ الـدَنانيرَ لَم يَكُن		بِشَــيءٍ سِوى الحَصباءِ رَأسِــيَ يُحصَـبُ

وَلَو لَمَسَــــت كَفّــايَ عِقــداً مُنَظَّمــاً		مِنَ الـدُرِّ أَضـــحي وَهُوَ وَدعٌ مُثَقَّـبُ

وَإِن يَـقــتَرِف ذَنـبــاً بِـبُرقَـةَ مُـذنِـبٌ		فَإِنَّ بِرَأســـي ذلِكَ الذَنبَ يُعصَــــبُ

وَإِن أَرَ خَــيراً في المَــنــامِ فَــنــازِحٌ		وَإِن أَرَ شَــــرّاً فَـهُـوَ مِـنّي مُـقَـرَّبُ

وَلَم أَغــدُ في أَمــرٍ أُريــدُ نَجــاحَــهُ		فَــقــابَــلَــني إِلّا غُــرابٌ وَأَرنَــبُ

أَمــامي مِنَ الحِرمــانِ جَيشٌ عَرَمرَمٌ		وَمِـنــهُ وَرائي جَـحـفَـلٌ حينَ أَركَـبُ

الخطيم العكلي

هو الخطيم بن نويرة العكلي، وسُمي بالخطيم بسبب إصابة في وجهه أثناء إحدى غاراته. وقد قبض عليه السلطان وأودعه السجن، وظل يستغيث بقبيلته دون مجيب، وذلك بقوله:

أَسِجناً وَقَيداً وَاِغتِراباً وَعسره وَذِكرى حَبيبٍ إِن ذا لَعَظيمُ
وَإِنَّ اِمرأً دامَت مَواثيقُ عَهدِهِ عَلى مِثلِ ما لا قَيتُهُ لَكَريمُ

وقال يستعطف قومه لإطلاق سراحه:

أَبَت لِيَ سَعدٌ أَن أُضامَ وَمالِكٌ وَحيٌّ الربابِ وَالقَبائِلُ من عَمرِو
وَإِن أُدعُ في القَيسِيَّةِ الشُمِّ يَأتِني قَرومٌ تَسامى كُلُّهُم باذِخُ القَدرِ
وَإِن تَلقَ نَدماني يُخَبِّركَ أَنَّني ضَعيفُ وَكاءِ الكيسِ لَم أُغذَ بِالفَقرِ
وَتَشهَدُ لي العوذُ المَطافيلُ أَنَّني أَبو الضَيفِ أُقري حينَ لا أَحَدٌ يَقري
فَلَولا قُرَيشٌ مِلكُها ما تَعَرَّضَت لِيَ الجِنُّ بَلهَ الإِنسِ قَد عَلِمَت قَدَري

وَمـا اِبنُ مِراسٍ حينَ جِئـتُ مُطَرَّداً ... بِـذي عِلَّـةٍ دوني وَلا حـاقِـدِ الصَـــدرِ

عَشِـــيَّـةَ أَعطـاني سِـــرلاحي وَناقَتي ... وَسَـيفي جَداً مِن فَضـلِ ذي نائِلٍ غَمرِ

خَليلي الفَتى العُكلي لَم أَرَ مِثلَـهُ ... تحلـبُ كَفـاهُ النَـدى شـــائِعُ القَـدرِ

كَـأَنَّ سُــــهَـيـلاً نارُهُ حـينَ أوقِـدَت ... بِعَليـاء لا تَخفى عَلى أَحَـدٍ يَســري

وَتيهـاءَ مِثكـالٍ إِذا اللَيـلُ جَنَّهـا ... تَـزَمَّـلَ فيهـا المـدلِجونَ عَلى حـذرِ

بَعيـدَةِ عَينِ المـاءِ تَركُضُ بِالضُـــحى ... كَرَكضِـــكَ بِالخَيـلِ المُقَرَّبَـةِ الشُـــقرِ

فَلاةٍ يخـافُ الرَكـبُ أَن يَنطِقوا بِهـا ... حِـذارَ الـرَدى فـيهـا مُـهَـوِّلَـةٍ قَـفـرِ

سَـــريعٌ بِها قَولُ الضَـعيفِ أَلا اِســقِني ... إِذا خَبَّ رِقراقُ الضُـــحى خَبَبَ المُهرِ

وها هو يصف رحلته على الإبل وتسكعه مع رفيقه:

انِخْ نُعْطِ أَنْضَــــاءَ النُّعَـاسِ دَوَاءَهَـا ... قَـلِـيــلًا وَرَفِّـهْ عَـنْ قَـلَائِـصَ ذُبَّـلِ

فَقُلْـتُ لَـهُ كَيْفَ الْإِنَاخَـةُ بَعْـدَ مَـا ... حَـدَا اللَّيْـلُ عُرْيَانُ الطَّرِيقَـةِ مُنْجَـلِ

ألا ترهـبُ الأعـداءَ أن يمحلوا بنـا ... أو البعـثَ من ذاك الأميرِ الموكـلِ

وأشعثَ قد ألقى الوسادةَ فانطوى   إلى دفِّ منجاةِ الذراعينِ عيهلِ

وقد ضمرت حتى كأنَّ وضينه   وشاحٌ بكفي ناهدٍ لم تسربلِ

وهنَّ يقطعنَ اللغامَ كأنهُ   سبائخُ من قطنٍ بأذرعِ غزلِ

فألقى بثنييهِ على شرخِ رحلها   أخو قفراتٍ ثمَّ قالَ لها حلِ

إذا وثبت من مبركٍ غادرت بهِ   دماً من أظلٍّ راعفٍ لم ينعلِ

ألم تعلمي يا عمركِ اللهُ أنني   أضمنُ سيفي حقَّ ضيفي ومرجلِ

إذا الشولُ راحت وهي حدب ظهورها   يسفنَ مقذى مقرمٍ لم يجزلِ

فأجلت وقد أمكنتهُ من عقيرةٍ   تخيرتها سمنى أيانقَ بزلِ

أفزَّ نساً من بعدِ ساقٍ أثرها   لعابُ الفرندِ الخالصِ المتنخلِ

ولستُ بقوالٍ إذا قالَ صاحبي   لكَ الخيرُ مرني أنتَ ما شئتَ أفعلِ

لعمركَ إنَّ المستشيرَ عداوتي   لك المتبغي الثكلَ من غيرِ مثكلِ

وفي أثناء تسكعه، رأته امرأة تُدعى "أمامة" كانت تتمنى رؤيته، وحين رأته سخرت منه وقال بذلك:

فَلا تَســـخري مِنّي أُمـامَـةُ أَن بَـدا		شـــحوبي وَلا أَنَّ القَميصِ تَقَـدَّدا
فَـإِنّي بِأَرضٍ لا يَـرى المَـرءُ قُـربَهـا		صَـــديقـاً وَلا تَحلى بِهـا العَينُ مَرقَـدا
إِذا نامَ أَصـــحـابي بِهـا اللَيـلَ كُلَّـهُ		أَبَـت لا تَـذوقُ النَومَ حَتّى تَرى غَـدا
أَتَـذكُـر عَـهـدَ الحـارِثـيَّـةِ بَـعـدَمـا		نَأَيـتَ فَلا تَســتَطيعُ أَن تَـتَعَهَّـدا
لِعَمرُكَ مـا أَحبَبَـتُ عَزَّةَ عَن صِـــبـاً		صَـــبَتـهُ وَلا تَســـبي فُؤادي تَعَمُّـدا
وَلَـكِـنَّـني أَبصَـــرتُ مِـنـهـا مَـلاّحَـةً		وَوَجـهـاً نَـقِـيّـاً لَـونُـهُ غَـيرُ أَنـكَـدا
مِنَ الخَفِراتِ البيضِ خُمصـــانَةَ الحَشـــا		ثِقـالُ الخَطـا تَكســـو الفَريـدَ المُقَلَّـدا
فَـذاكَ الَّـذي اِســـتَنكَرتُ يا أُمَّ مـالِـكٍ		وَأَصـــبَحتُ مِنهُ شـــاحِبَ اللَونِ أَســـوَدا
وَإِنّي لَـمـاضـــي الهَمِّ لَو تَـعلَـمينَـهُ		وَركـابُ أَهـوالٍ يُخـافُ بِهـا الـرِدى
وَيُعجِبُني نَصُّ القَـلاصِ عَلى الوَجى		وَإِن سِـــرنَ شَـــهراً بَعدَ شَـــهرٍ مُطَرَّدا
إِذا مـالَ جُـلُّ اللَيـلِ وَاِطَّرَقَ الكَرى		أَثَرنَ قَطـاً مِن آخِرِ اللَيـلِ هُجَّـدا

أفلح العبد

اسمه أفلح ولا يعرف أحد أصله أو نسبه، وكان من أغربة العرب في العصر الأموي. وسبب تمرده أنه بينما كان يتجول في السوق، جاءه الشرط يقود أسيراً بالأغلال، فشهر أفلح سيفه عليهم، قطع القيود وأطلق الأسير، وبذلك قال مفتخراً:

وأوصـــاني أبي فـحـفـظـت عـنـه　　　بـفـك الـغـل عـن عُـنـق الأســـير

وأوصـــى جـحـدرٌ يـومـاً بـنـيـه　　　بإرســـال الـقـراد عـلـى الـبـعـير

وأخذ أفلح يغير على قوافل التجار مبرراً هذه السرقة:

خـذوا مـال الـتـجـار وســـوّفوهم　　　الى وقـــتٍ فـــإنهـم لـــئـــامُ

لـــيـــس عـــلـــيـكـم في ذاك إثمٌ　　　لأنّ جـمـيـع مـا جمـعـوا حـرامُ

وها هو يتحدث عن صديقه الصعلوك الأبيض:

أَلَم تَـرَ أَنّي وَاِبنَ أَبيَضَ قَـد خَفَـت　　　بِـنـا الأَرضُ إِلّا أَن نَـؤُمَّ الـفَـيـافِـيـا

طَريـدَينِ مِن حَيَّينِ شَـــتّى أَشَـــدَّنا　　　طَريـدَينِ مِن حَيَّينِ شَـــتّى أَشَـــدَّنا

وَمـا لِـمـتُـهُ في أَمـرِ حَـزمٍ وَنَجـدَةٍ   روَلا لامَـني في مِـرَّتي وَاِحـتِـيـالِـيـا

وكان أفلح سكيراً يجوب البوادي، وباطيه الخمر بجانبه، وها هو يتحدث عن النبيذ وشاربه:

أَمـا النَبيـذُ فَلا يَـذعُركَ شـــارِبُـهُ   وَاِحفَظ ثِيـابَـكَ مِمَّن يَشـــرَبُ المـاءا

قَـومٌ يُـوارونَ عَـمّـا في صُـــدورِهِـمُ   حَتّى إِذا اِســتَمكَنوا كـانوا هُمُ الـداءا

مُشَـــمِّرينَ إِلى أَنصـــافِ ســوقِهِمُ   هُمُ اللُصـــوصُ وَهُم يُـدعَونَ قُـرّاءا

وظل أفلح يقطع الطريق في خراسان عشرين سنة، ومن سوء حظه أنه مثل ليله وأراد أن يأوي إلى سدرة كان ينام تحتها مالك بن الرَّيْب الصعلوك الفاتك حينما كان يتأبد في خراسان. وحدث أن مالك أحس بشيء جثم عليه ولا يدري ما هو، فأنتفض به مالك فسقط عنه، ثم انتحى له بالسيف فقتله نصفين، فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق. فقال مالك:

أَدلَجـتُ في مَهمَـةٍ مـا إِن أَرى أَحَـداً   حَـتّى إِذا حـانَ تَـعريـسٌ لِـمَـن نَـزَلا

وَضَـــعـتُ جَنبي وَقُلـتُ اللَّهُ يَكلؤُني   مَهمـا تَنَم عَنـكَ مِن عَينٍ فَمـا غَفَلا

وحينما وصل خبر قتل أفلح، قالت ابنته مبررة مقتله في حالته من السكر:

أمّـالـك لولا الســكر أيقنـت أنـه　　　أخو الليث أو يُربى على الأســد الورد

جحدر الحنفي

كان يقال عنه أنه إذا نزلت رفقة قريبة من الإبل أخذ شنّه فجعل فيها قراناً، ثم نثرها قرب الإبل، فإذا وجدتها مسها نهضت وشدّ السّنه في ذنب بعض الإبل فنفرت مذعورة، فيأخذ ما تطرف منها. وكان يغير على اليمامة، فكتب الحجاج إلى واليه أن يقبض عليه، وكان يتأبّد في ثهلان والنير، وبذلك يتذكر هنداً:

ذَكَرتُ هِنداً وَما يُغني تَذَكُّرُها وَالقَومُ قَد جاوَزوا ثَهلانَ وَالنيرا

عَلى قَلائِصَ قَد أَفنى عَرائِكَها تَكليفُناها عَريضاتِ الفَلا زورا

ومن شعره:

إِنّي أَرِقتُ لِبَرقٍ ضافَني سارِ كَأَنَّ في العَينِ مِنهُ مَسَّ عُوّارِ

إِنَّ الهُمومَ إِذا عادَتكَ وارِدَةً إِن لَم تُفَرِّج لَها وِرداً بِإِصدارِ

فَصِرتُ في السِجنِ الحُرّاسُ تَحرُسُني بَعدَ التَلَصُّعلك في بِرٍّ وَأَمصارِ

ثم إن الحجاج أرسل إليه بعض الأقرباء واحتالوا عليه، فسلّموه له، فقال له الحجاج: "أنت جحدر؟"

قال: "نعم".

قال: "ما حملك على ما بلغني عنك؟"

قال: "جرأة الجنان، وجفوة السلطان، وكلب الزمان".

ثم ألقاه في السجن، وقال متذكراً دياره وصحراءه:

رَأَيتُ بِذي المُجازَةِ ضَوءَ نارٍ　　تَلَألَأُ وَهيَ نازِحَةُ المَكانِ

فَيا أَخَوَيَّ مِن جُشَمِ بنِ سَعدٍ　　أَقِلاَّ اللَومَ إِن لَم تَنفَعاني

إِذا جاوَزتُما سَعَفاتِ حَجرٍ　　وَأَودِيَةَ اليَمامَةِ فَانعِياني

وَقولا جُحدُرٌ أَمسى رَهيناً　　يُحاذِرُ وَقعَ مَصقولٍ يَماني

إِلى قَومٍ إِذا سَمِعوا بِنَعيي　　بَكى شُبّانُهُم وَبَكى الغَواني

فَإِن أَهلِك فَرُبَّ فَتى سَيَبكي　　عَلَيَّ مُهَذَّبٍ رَخصِ البَنانِ

وَلَم أَكُ قَد قَضَيتُ دُيونَ نَفسي　　وَلا حَقَّ المُهَنَّدِ وَالسِنانِ

كَــذا المَغرورُ في الــدُنيــا سَـــيَردى وَتُهْـــلِـكُـــهُ المَـــطـامِـعُ وَالأَمـــاني

وقيل إنّه أُهدي للحجاج أســـد من كرمنشــــاه، ثم جيء بجحدر مقيداً، وقال له: "سألقيك إلى هذا الأسد في قفصه، فأما أن يأكلك وأما أن تنجو فأطلق سراحك." وحينما أُلقي في القفص مع الأسد، ارتجز جحدر قائلاً:

لَـيــثٌ وَلَـيــثٌ في مَجـالٍ ضَــــنـكِ كِــلاهُمــا ذو حَــنَــقٍ وَمَحــكِ
وَشِـــدَّةٍ في نَــفسِـــهِ وَفَـتــكِ إِن يَـكشِـــفِ اللهُ قِنـاعَ الشَـــكِّ
بِضَــــفـرٍ مِـــن حــاجَــتي وَدَركِ فَـــهـــوَ أَحَـــقُّ مَـــنـــزِلٍ بِـــتَرِكِ
الـــذِئـــبِ يَـــعـــوي وَالـــغُـــرابُ يَـــبـــكـــي

فقتله جحدر، وأطلق الحجاج سبيله، فقال مصوّراً الموقف:

يَا جُمْـلُ إِنَّــكِ لَـوْ رَأَيْـتِ كَـرِيـهَـتِي فِي يَـوْمِ هَـوْلٍ مُسْـــدِفٍ وَعَـجَـاجِ
وَتَـقَـدُّمِي لِلَّيْـثِ أَرْسُـــفُ مُوَثَـقًـا كَـــيْـمَـــا أُثَاوِرَهُ عَـلَـى الْأَحْـرَاجِ
شَــــثْـنٌ بَـرَاثِـنُـهُ كَـأَنَّ نُـيُـوبَـهُ زُرْقُ الْـمَـعَـاوِلِ أَوْ شِـــبَـاهُ زُجَـاجِ

يَسْــــمُو بِنَـاظِرَتَيْنِ تَحْسَــــــبُ فِيهِمَـا   لَهَـبًـا أَحَــدُّهُمَـا شُـــعَـاعُ سِـــرَاجِ

وَكَـأَنَّمَـا خِـيـطَـتْ عَـلَـيْـهِ عَـبَـاءَةٌ   بَــرْقَـاءُ أَوْ خِـرَقٌ مِــنَ الـدِّيـبَـاجِ

لَـعَـلِـمْـتِ أَنِّي ذُو حِـفَـاظٍ مَـاجِـدٌ   مِــنْ نَسْــــلِ أَقْــوَامٍ ذَوِي أَبْــرَاجِ

عَـلِـمَ الـنِّسَـــاءُ بِأَنَّـنِي لَا أَنْـثَـنِي   إِذْ لَا يَــثِــقْــنَ بِــغَــيْرَةِ الْأَزْوَاجِ

جعفر بن علبه الحارثي

هو جعفر بن علبة بن ربيعة بن عبد يغوث، الشـــاعر الأســـير يوم الكلاب، ومن مخضـرمَي الدولتين الأموية والعباسـية. وكان يغير على بني عقيل، فلما خرجوا في طلبه كمَنَّه في مضيق، فقتل منهم كثيراً، وبذلك يقول:

كـأنَّ بـني الـقـرعـاء يـومَ لِـقَـيـتُـهُـم　　　فراخُ القطـا لاَقَيْنَ صَـــقرًا يَمَـانيَـا

تَرَكْنَـاهُمُ صَـــرْعَى كـأن ضَـــجِيْجَهُمْ　　　ضَـــجيجُ دبارى النيّبِ لاَقَـتْ مُـداويَا

أقول وقـد أجلـت من اليومَ عركـةٌ　　　ليَبْـكِ العُقيليّين مَنْ كـانَ بَاكِيَـا

وكان يعاقر الخمرة وحينما عباه قومه بذلك قال:

لَـقَـدَ زَعَـمُـوا أني سَـــكِـرْتُ ورُبَّمَـا　　　يكونُ الفتى ســـكرانَ وهـو حليمُ

لَعَمْرُكَ مـا بالسُّـــكْرِ عـارٌ على الفتى　　　ولـكـنَّ عـارًا أن يُـقَـالَ لَـئِـيـمُ

وإن فَـتىً دامـت مَـوَاثِـيـقُ عَـهْـدِهِ　　　عـلـى دون مـا لاقـيـتُـهُ لَـكَـرِيمُ

وقيل إن بني عقيل ظفروا به ذات يوم، فكشـفوا عن دبر قميصـه وربطوه إلى جمبته وضـربوه بالسـياط وكتفوه، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسـوة، فقال: "اقتَال لهم يا قوم، لانفعلوا، فإن هذا الفعل مثله إلا أقتلوني وأريحوني، فأكون رجلاً آذى قوماً في دارهم"، فقتلوه فلم يفعلوا. وقيل إنه أفلت منهم وعدى ولم نلحقه الخيل. ثم أخذ يشُـن عليهم لغارات، وكان أنه اقتحم عليهم الحي وأعمل فيهم السيف، وبذلك يقول:

ولمـا أبـوا إلا المُضِــيَّ وقـد رأوا ... بأن ليس منا خشـيـةَ الموتِ ناكـل

حـلـفْـتُ يمـيـنـاً بَـرّةً لم أُرِدْ بهـا ... مـقـالَـة تسـميعٍ ولا قـولَ باطِـل

لِيَـخْـتَضِـمَـنّ الهُـنْـدُوانيّ مـنـهُـمُ ... مَعـاقِـدَ يخشـاهـا الطبيـبُ المزاولُ

وقـالوا لـنـا ثِنتـان لا بـدّ منهمـا ... صـدور رماح أُشْـرِعت أو سـلاسـلُ

فـقـلـنـا لهـمُ تـلـكُـمْ إذاً بـعـد كـرةٍ ... تُغَـادِرُ صـرعى نَهْضُـهَـا مُتَخـاذِل

وقـتـلـى نـفـوسٍ في الحـيـاةِ زهـيـدةٍ ... إذا اشـتـجـر الخَـطِّيُّ والمـوت نازل

نُـراجِـعُـهُـمْ في قـالـةٍ بـدأوا بِهَـا ... كمـا راجع الخصـمَ البـذيَّ المُنَـاقِـلُ

لهمْ صـدرُ سـيفي يوم بَطْحَاءِ سَـحْبلٍ ... ولي منـه مـا ضـمَّـت عليـه الأنامـل

وقيل إن السري بن عبد الله الهاشمي، عامل مكة، ظفر به وألقاه في السجن لجناياته، وبذلك يقول:

شـــفيْتُ غليلِي من خُشَـــيْنةَ بعد ما … كســـوْتُ الهُذَيْلَ المَشْـــرَفِيَّ اليمـانيا
أحقًّـا عبـادَ الله أن لســـــت رائيـاً … صـــــحـاريَّ نجـدٍ والـرّياحَ الـذوارِيا
ولا زائـراً شُـــــمَّ الـعرانـين أنـتـمي … إلى عـامـر يحـلُـلْـنَ رَمْـلاً مُـعـالـيـا
إذا مـا أتيْـتَ الحـارثيّـاتِ فَـانْعَنِي … لهـنَّ وخـبِّرْهُـنَّ أن لا تَـلاقـيـا

وحينما طال حبسه بانتظار القصاص قال فتذكراً محبوبته:

عَجِبْـتُ لِمَسْـــراَهـا وأنَّ تَخَلَّصَـــــتْ … إليَّ وبابُ السِّـــجْنِ بالقُفْـلِ مُغلَقُ
عجبتُ لِمَسْـــراَها وســـربٌ أَتَتْ بِهِ … بُعَيْدَ الكَرَى كادتْ له الأرضُ تُشْـــرِقُ
أَلَمَّـتْ فَحَيَّـتْ ثم قَـامَـتْ فَوَدَّعَـتْ … فلمـا تَوَلَّـتْ كَـادَتِ النفسُ تَزْهَقُ
فلا تَحْسَـــبِي أَنِيّ تَخَشَّـعْـتُ بَعْـدَكُم … لشَـــيءٍ ولا أَنِيّ مـن المـوت أَفْـرَقُ
وكـيـف وفي كَـفَّـي حُسَـــامٌ مُـذَلَّقٌ … يَـعُـضّ بِهَـامَـاتِ الـرِّجَـالِ ويِـعْـلَـقُ

ولا أنَّ قـلـبي يَـزْدَهـيـهِ وَعِـيـدُهُـمْ		**ولا أَنَّني بالمشـــي في القَيْـدِ أَخْرَقُ**

ولَكنْ عَرَتْني مِنْ هَوَاكِ صَـــبَـابَـةٌ		**كمـا كُنـتُ أَلْقَى مِنْـكِ إذْ أَنَا مُطْلَقُ**

فـأمَّـا الهَـوَى والـوُدُّ مـني فَـطَـامِـحٌ		**إلـيـكِ وجُـثْـمَـانِي بِمَـكَّـةَ مُـوثَـقُ**

وحينما قتل قال والده عُلبه يرثيه:

لعمرك إني يوم أســلمت جعفراً		**وأصـــحابـه لـلـقـوم لمـا أقـاتـل**

لمجـتـنـب حـب المـنـايا وإنمـا		**يـهـيـج المـنـايا كـل حـق وباطـل**

ثم قام إلى كل ناقة وشاة، فنحر أولادها وألقى بها بين أيديها، وقال: "ابكن معنا على جعفر". فما زالت النوق ترعو والشــياه تثغو، والنســاء يصــحن ويبكين، وهو يبكي معهن. فما رأى العرب يومًا أوجع وأحرن من ذلك اليوم، فسُمّي يوم المناحة.

المُرّار الفَقعَسي

هو المرّار بن سعد الفَقعَسي، عاش في العصر الأموي، وأغلب الظن أنه لم يدرك الدولة العباسية. كان قصيراً وضئيلاً، وشكى ذلك في شعره، وكان شجاعاً وكريماً. سُجن مرتين، إحداهما مع أخيه بدر، فهرب المرّار من السجن وأخذ يتصعلك في البوادي، رافعاً شعاره الدائم:

إِذا افتقر المـرّارُ لَم يُـرَ فَـقـرُهُ وَإِن أَيسَـرَ المَرّارُ أَيسَـرَ صـاحِبُـهْ

وها هو يتوغل مع صاحبه في قيظ الصحراء، يلتمسان النهب في هجير يكاد أن يقتل الإبل، ويقول في هذه (اللماعة) الصحراء:

وَلماعَـةٍ مـا بِهـا مِـنْ عِـلامٍ وَلا أَمـراتٍ وَلا رِعـي مـاءِ

كَـأَنَّ قُـلـوبَ أَدلّائِـهـا مُـعَـلَّـقَـةٌ بِـقُـرونِ الـظِّـباءِ

يَظَلُّ الشُّـجاعُ الشَّـديدُ الجنانِ مَخـافَـتَـهـا مُـعصِـمـاً بِالـدُّعـاءِ

بِأَرضٍ عَـلاهـا وَلَم أَعْـلُـهـا لِـتُـخـرِجَـهُ هِمَّـتي أَو مَضـائـي

فَقُلتُ التَزِم عَنكَ ظَهرَ البَعيرِ   جَزى اللَّهُ مِثلَكَ شَرَّ الجَزاءِ

وهو لا يأبه أطلاقاً بالقادم ما دام يلتمس الدفء أو القرى:

وَماذَا عَلَيْنا أنْ يُوَاجِهَ نارَنَا   كَرِيمُ المُحَيَّا شاحِبُ المُتَحَسَّرِ

إذا قالَ مَنْ أنْتُمْ لِيَعرَفَ أهْلَها   رَفَعْتُ لهُ باسْمِي ولَمْ أتَنكَّرِ

في مكابهم الصعبة يتذكر الحبيبة التي عشقها منذ الطفولة:

وقاتلتي بعد الذماء وعائد   على خبال منك مذ أنا يافع

ليالي إذ أهلي وأهلك جيرة   وسلم وإذ لم يصدع الحي صادع

نسر الهوى إلا إشارة حاجب   هناك وإلا أن تشير الأصابع

فما لك إذ ترمين، يا أم هيثم   حشاشة نفسي، شل منك الأشاجع

وها هو في تضحياته الكثيرة يتذكر نجدا:

لَعَمرُكَ إنَّني لَأُحِبُّ نَجداً   وَما أَرْأى إلى نَجْدٍ سَبيلا

وَكُنتُ حَسِبتُ طيبَ تُرابِ نَجدٍ   وَعَيشاً بِالطَّريفَةِ لَن يَزولا

خَـلـيـلَـيَّ أقـعُـدا لي عَـلّـلاني وَصُـــدّا لي وســـادي أَنْ يَمـيـلا

ولم يمل المرار رأسه الى الوسادة وقبل ان يعدها صحبه حتى مات:

رَمَـيــتُ وَأَيــقَــظــتُ غِــزلانَهَــا بِمِـثـلِ السّـــكـارى مِـن الإِنـطِـواءِ
تَســـاوَرُ حَـدّ الضُّـــحى بَعـدَمـا طَـوَت لَـيـلَـهـا مِـثـلَ طَـيِّ الـرِّداءِ
تـعـادي نَـواحِـيَ مـن قَـبـصِـــهـا عَـنِ المَـروِ تخضـــبُـهُ بِالـدِّمـاءِ
كَـأَنَّ الحَصــــا حـينَ يَـترُكـنَـهُ رَضــيخُ نَدى القَســـبِ بَينَ الصّـــلاءِ
إِلى أَن تـــنـــعـــلَ أَظـــلالَهَـــا وَلَم يَـــعـــلُ أَظـــلالهـــا بِالحِــذاءِ
فَـأَقـبـلـهـا الشَّـــمـسَ راعٍ لَهَـا رَهــينٌ لَهَــا بِجَـفـاءِ الـعَشـــاءِ
فَـأَمسَـــت تُغـالي وَقَـد شـــارَفَـتْ لايــرادِ قــائِــلَــةٍ أَو ضَـــحــاءِ
إِذا مـا وَنَـتْ حَـثَّـهـا بِالـنَّـهـيـمِ وَطَــوراً يُــعَــلِّــلُــهــا بِالحُــداءِ
فَـبـاتَـتْ لَهَـا لَـيـلَـةً لَمْ تَـنَـم تمَـيــلُ الجـرومُ بِهـا لِـلـوَطـاءِ

وَضـــــحـــوتهـــا يا لَهَـــا ضَـــــحـــوَةً إِلى أَن وَرَدنَ قُـــبَـــيـــلَ الـــرِّعـــاءِ

إِذا صـــــدرَ الـــقَـــومُ ناجٍ بِهِـــم إِذا وَرَدَ الـــقَـــومُ مَســـــقـــى الـــرِّواءِ

سَــــــريـــعٌ إِراغَـــتُـــهُ دَلـــوَهُـــم سَــــــريـــعٌ تـــعـــلـــقـــه بِالـــرُّشـــــاءِ

وبالرغم من أن حياة الصعاليك تتسم في مكامنهم بالتكتم والسرية، إلا أن المرّار، حتى في مكمنه، يقول لصاحبه:

فَيـــا مُوقِـــدَي نارِي ارْفَعـــاهـــا لَعلَّهـــا تُضـــــيءُ لِســـــارٍ آخِرَ اللَّيـــلِ مُقترِ

آلَيْـــتُ لا أُخْفِـــي إذا الـلَّـيـــلُ جَنَّـني سَـــــنـــا الـنَّـــارِ عَنْ سَـــــارٍ وَلاَ مُتنوِّرِ

ابن الطيب الحنفي

الشطار والفتيات: لأن الشاطر هو من تباعد عن الاستواء أو نزح عن أهله وتركهم رغماً أو مخالفاً، واعياً خبثهم، وقد اغتنمت هذه الفئة الظروف التي عمت فيها الفوضى نهاية الدولة العباسية، وأخذوا يغيرون على التجار والأغنياء والقرى ويستولون على ما يستطيعون نهبه وحمله لاحباً في الغزو والغنيمة، بل كسباً لا لقوى أهلهم.

ابن الطيب، ولعل من أهمهم (ابن الطيب) إسحاق بن خلف الحنفي، نشأ مغيراً وقد حُبس في مطلع حياته بجانبه حباها، وها هو يفسر سبب تلصصه:

لَولا أُميـمَـةُ لَمْ أَجـزَعْ مِـنَ الـعَـدَمِ — وَلَمْ أُقـاسِ الـدُّجى في حِنْـدِسِ الظُّلَمِ

وزادني رغـبـةً في الـعـيـش مـعـرفـتي — ذلّ الـيـتـيـمـة يجفـوهـا ذوو الـرحـم

أُحـاذِرُ الـفُـقْـرَ يَـومـاً أَنْ يُـلِـمَّ بهـا — فَيهْتِكَ السِّـتْرَ عن لَحْمٍ على وَضَـمِ

تَهْوى حَيـاتِي وَأَهوى مَوْتَهـا شَـفَقـاً — وَالمَـوْتُ أَكْـرَمُ نَـزّالٍ عـلـى الحُـرَمِ

أَخْشَـى فَظاظَةَ عمٍ أو جَفـاءَ أخٍ — وكنـتُ أبقي عليهـا من أذى الكِلَمِ

وها هو يصف سيفه بهذا الوصف الرائع:

القـــــى بجانـــــــب حضـــــــره أمضـــــى مـــــن الاجـــــل المتُـــــاحِ

وكأنمـــــــــــا ذر الهبـــــــــــاءِ عليـــــــــه انفـــــاس الصـــــباحِ

وها هو يمدح عيسى بن موسى القمى الذي أخرجه من السجن ورافقه في غزواته ضد الكرد:

ولـــلـــكـــرد مـــنـــك إذا زرتهـــم بـــكـــيـــدك يـــوم كـــيـــوم الحـــمـــل

ومـــازال عيســـــى بن موســـى لـــه مـــواهـــب غـــير الـــنـــطـــاف المـــكـــل

لســـــل الســـــيوف وشـــــق الصـــــفوف لـــنـــقـــض الـــترات وضـــــرب الـــقـــلـــل

وقـــد كشـــــرت عـــن شـــــبـــا نابهـــا عـــروس المـــنـــيـــة بـــين الشـــــعـــل

إذا خـــطـــبـــت أخـــذت مـــهـــرهـــا رؤوســـــــاً تحـــادر قـــبـــل الـــنـــقـــل

ألـــد إلـــيـــه مـــن المســـــــمـــعـــات وحـــث الـــكـــؤوســـــــه في يـــوم طـــل

وها هو يهجو أحد الامراء:

باب الأمـــير عـــراء مـــا بـــه أحـــد إلا امـــرؤ واضـــــع كـــفـــا عـــلـــى ذقـــن

قـــالـــت وقـــد أملـــت مـــا كـــنـــت آملـــه هـــذا الأمير ابن ســـــهـــل حـــاتم اليمن

كفيتـك النـاس لا تلقى أخـا طلـب **بفيء دارك يســـتعـدي على الزمن**

إن الرجـاء الـذي قـد كنـت آملـه **وضــــعتـه ورجـاء النـاس في كفـن**

وها هو يعري المنافقين والمتظاهرين بالتدين والتقوى:

مــاســـــرّني أنّــني في طــول داود **وأنّــني عــلــمٌ في الــبـأس والجـود**

مـا طـول داود إلاّ طـول لحـيـتـه **يـظـل داود فـيـهـا غـير مـوجـود**

إن هـبّـت الـرّيـح أدّتـه إلى عـدنٍ **إن كـان مـالفّ منـهـا غير معقود**

وها هو يرثي أميمة التي تصعلك من اجلها:

أمســــت أميمـة معمورا بهـا الرجم **لقـا صـــعيـد عليهـا الترب مرتكم**

يا شـــقـة النفس إن النفس والهـة **حرى عليـك وإن الـدمع منســـجم**

قد كنت أخشـــى عليها أن تقدمني **إلى الحمـام فيبـدي وجههـا العـدم**

فـالآن نمـت فـلا هـم يـؤرقـني **تهـدأ الـعيـون إذا مـا أودت الحـرم**

للموت عنـدي أياد لســـت أكفرهـا **أحـيـا ســـــرورا وبي ممـا أتـى ألم**

العديل

هو العديل بن الفرخ الوائلي، شاعر أموي قليل الكلام لكنه فاتك، يقطع الطريق ويقتل. ولما طلبه الحجاج فرّ إلى بلاد الروم ولجأ إلى قيصر، فقال في ذلك:

ودونَ يـد الحـجـاج مـن أَن تَـنـالـنى بِسَـــــاطٌ لأَيْـدى اليَعْمَلاَتِ عَريضُ

مَـهَـامِـهُ أَشْـــبـاهٌ كـأَنَّ سَـــرَابَهَـا مُـلاَءٌ بأَيْـدى الغـاســلاتِ رحِيـضُ

فبلغ شعره الحجاج، وكتب إلى قيصر الروم: "أما أن تبعته أو أرسل إليّه جيشًا؟" فبعث به قيصـــر، وحينما دخل على الحجاج قال له: "أأنت القائل ذلك؟" فقال: "بل أنا القائل."

فلو كُنتُ في سَــلمَى أجا وشـــعابها لـكـان لحـجّـاج عـلـيّ ســـبـيـل

فأخلى سبيله وتحمل ديات قتلاه، وذات مرّة حاول الدخول إلى الحجاج، فمنعه صاحبه، فانصرف إلى يزيد بن المهلب، وأنشأ يقول:

لئن أرتج الحجاجُ بالبخل بابَه   فباب الفتى الأزديّ بالعُرف يُفتحُ

يداه يدٌ بالعرف تُنهبُ ما حوتْ   وأخرى على الأعداء تَسطو وتجرحُ

فأمر له يزيد بخمسين ألف درهم وأفراس، وقال له: «الحق بعلياء نجد، وأحذر الحجاج». ولما بلغ الحجاج خبره، هرب إلى قبيلة بكر بن وائل، وقال لهم: «أنا مقتول هكذا، فتسلموني وأنتم أعز العرب». فقالوا: «لا والله». فأجتمعت وجوههم وطلبوا من الحجاج. فقال لهم: «عفوت لكم كل جرم إلا الفاسق العديل». فقالوا: «أيها، لا يُستثنى على أهل طاعته وأوليائه في شيء». فقال لهم ذلك، وأخذ يمدح وائل:

صرم الغواني فاستراح عواذلي   وصحوت بعد صبابة وتمايل

حدبت بنو بكر عليّ وفيهم   كل المكارم والعديد الكامل

خطروا ورائي بالقنا وتجمعت   منهم قبائل أردفت بقبائل

قوم إذا شهروا السيوف رأوا لها   حقا ولم يك سلها بالباطل

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة   يستب مجلة وحق النازل

وكان العديل يحرض اهل العراق على الحجاج بقوله:

دعـوا الجـبن يا أهــل العـراق فـإنمـا　　　يهــان ويســـبى كـل من لا يقــاتــل

لقــد جرد الحجـاج للحق ســـيفــه　　　الا فــاســـتقيموا لا يميلن مــائــل

وخــافوه حتى القوم بين ضـــــلوعهم　　　كنزو القطـا ضـــمت عليـه الحبـائـل

ثم مال العديل للبصرة وصحب الفرزدق ونادمه ولما مات رثاه الفرزدق بالقول:

فمــا ولــدت مثـل العــديـل حليلــة　　　قــديمــا ولا مســـتحــدثات الحلائــل

ومـا زال منـذ شـــــد الإزار بوســـطـه　　　يــفــتــح لــلأبــواب بــكــر بــن وائــل

حريث بن عتاب

فحريث بن مطر بن سلسله ابن أسودان، شاعر أموي، كان ينهب سجستان ويهوى فتاة اسمها حُبَى، وقد وعدته ألا تُجيب للزواج إلا منه، فخطبها رجل من شـــعل وكان موسرًا، فزوجها أهلها له. وبذلك يهجوهم قائلاً:

بَني ثُعَـلٍ أَهـلَ الخَنـا مـا حَـديثُكُم   لَـكُـم مَـنطِقٌ غـاوٍ وَلِلنـاسِ مَنطِقُ

كَـأَنَّـكُـم مَـعـزى قَـواصِـــعُ جَـرَّةٍ   مِـنَ الـعَـيِّ أَو طَـيرٌ بِخَـفَّـانَ تَـنـعِـقُ

دِيافِـيَّـةٌ غُـلـفٌ كَـأَنَّ خَـطـيـبَـهُـم   سَـــراةَ الضُـــحي في سَـــلحِهِ يَتَمَطَّقُ

وكان حريث قد أغار على قوم من بني أسد، فاشتاقوا إليه وعقابهم السلطان، فهرب إلى جبلي طي، ومن قوله:

عَوى ثُمَّ نادى هَل أَحَســـتُم قَلائِصـــاً   وُسِمنَ عَلى الأَفخـاذِ بِالأَمسِ أَربَعـا

غُـلامٌ قُـلَـيـعِـيٌّ يَحُـفُّ سِــــبـالَـهُ   وَلِحيَتُـهُ طـارَت شَـــعـاعـاً مُقَزَّعـا

غُلامٌ أَضَـــلَّتـهُ النُبوحُ فَلَم يَجِـد بِمـا بَـينَ خَبـتٍ فَـالهَبـاءَةِ أَجمَـعـا

وحينما كان ينهب سجستان واستمرار السلطان في طلبه قال في تأبده:

إذا الـدِّين أودى بالفَسَــادِ فقل لـه يـدعنـا وركنـاً من مَعَـدّ نُصــادمُـه

ببيـض خفـافٍ مرهفـاتٍ قـواطع لــداودَ فــيــهــا أثــرهُ وخــواتمــه

إذا مـا خرجنـا خَرَّت الأكم سُــجّـداً لُــغــرَّ عــلا حَــيــزومُــه وعــلاجُمــه

وتـفـزع مـنـا الانـسُ والجـنُّ كـلُّـهـا ويُشـــربُ مهجورُ الميـاه وعـائمـه

وقال وهو في جبلي مري والشموس:

سَـــتَمُنع مُرُى والشـــموس أخـاهمـا إذا حكم الســلطان حُكُماً يضـــاجمُه

وحينما آسن حريث ومر بنساء قليع يتوكأ مع عصا سخرن منه ومن هيئته الرثة وبذلك قال:

هَزِئـت نِســاء بَني قَليعٍ أَن رَأَت خلق القَميصِ عَلى العَصــا يُتَركعُ

وَجَـعَـلـنَـني هُـزُؤاً وَلَـو يَـعـرِفـنَـني   لَـعَـلِـمـنَ إِنّي عِـنـدَ ضَـــيـمـي أَروَعُ

عبد الحميد الديب

عاش عبد الحميد الديب (1889م – 1943م)، وقد كان بائساً، سليط اللسان في هجائه المقذع، وساخراً لاذعاً، ومتشرداً لا يقر له قرار، حتى استعطفه أصدقاؤه وزير الشؤون المصري ليؤمن له وظيفة تقيه ذل الحاجة، وحينما قابله الوزير وسأله عن مؤهلاته أجاب:

قـالوا المؤهِّـلُ قلـتُ الجوعُ والعَطَـلُ يا أمَّـةً ليس فيهـا النَّـدْبُ والرَّجُـلُ

ولكن الوزير عنّفه، ولما ذهب لممارسة العمل لم يجد كرسياً ولا مكتباً يليق به، فقال:

بالأمـس كـنـتُ مشـــرَّداً أهـلـيـا والـيـوم صـــرتُ مشـــرَّداً رسمـيـا

وكان عبد الحميد يقول عن حاله:

أذلـه الـدهر لا مـال ولا سـكن فـتى تزيـد علـى أنفاسـه المحـن

ثيابـــه كأمانيـــه ممزقـــة كأنهـا وهـو حـيٌّ فوقـه كفـن

كأنـه حكمـة المجنـون يرسـلها من غير قصد فلا تصغى لها أذن

وقال عن غرفته التي يسكن فيها:

أفي غــرفــتي يا رب أم أنا في لحــدي ألا شـــــد مـا ألقى من الزمن الوغـد
وهــل أنا حي أم قضــــيـت وهــذه إهــابــة إســـرافيـل تبعثني وحــدي
لكم كنـت أرجو غرفـة فـأصـــبتهـا بنـاء قـديم العهـد أضـــيق من جدّي
فـأهـدأ أنفـاســـي يكـاد يهـدّهـا وايســـــر لمـس في بـنـيـاتهـا يـردي
أرى النمل يخشـــى الناس إلا بأرضـــها فأرجله امضـــى من الصــــارم الهندي
تســـــاكنني فيهـا الأفـاعي جريئـة وفي جوهـا الأمراض تفتـك أو تعـدي
تـراني بهـا كـلّ الأثاث فـمـعـطـفـي فـراش لـنـومـي أو وقــاء مـن الـبرد
وأمــا وســــاداتي بهــا فــجــرائــد تجـدد إذ تبلى على حجر صـــلــد
تعلمت فيها صــــبر أيوب في الضـــنا وذقـت هزال الجوع أكثر من غـانـدي
جـــوارك يا ربي لمـــثـــلـــي رحمـــة فخـذني إلى النيران لا جنـة الخـلـد

محمد حمام

حاول أن ينشر له الصحف، ولم يُنشر له إلا ما كان يرجوه، فعمل قصاباً، وجاءه صديقه شرف الدين يعاتبه على هذا العمل، فقال:

لا تلمني يا سـيدي شـرَفَ الدِّينِ إذا مـا رأَيـتَـني قَصَّـاباً

كيف لا أشـكرُ الجزارةَ ما عشـتُ حِـفَـاظـاً وأَرفـضُ الآدَابا

وبِهـا أضـحَـتِ الـكـلابُ تُـرَجِّـيني وبالشِّـعـرِ كـنـت أرجـو الـكِـلابا

وقد داعب صديقاً اسمه عبد السلام وكان شديد السمرة:

سـلامٌ على عبـد السـلام ولعنـة مـن الله تـترى كـل يـوم ولـيـلـة

أرى وجهك الاسـود ينضـح سـيرجاً ومسـمـك الأ لمعي مجـاري (زويلـه)

وحينما ضاق به الحال:

أمـا الـفـلـوس فـبـالأحـبـة أخـلـق والـقـرش أقـرب لـلـفـؤاد وألصـق

لم يـبـق في جـيـبي سـوى تـعـريـفـة والله يمـنـح مـن يشـاء ويـرزق

**لما قصــــدت البنـك أطلـب ســـلفة		قـالوا : ابتعـد فـالبنـك لا يتصــــدق**

**هــل مــن كــريم أرتجـيــه لــورطــتي		سمح اليـديـن إلى المكــارم يســـبق**

**شـــــاورت للتكســــي أريـد ركوب		فـمضــــى يـبرطـع كـالحـمـار ويـنـهـق**

**الســــائقون دروا بإفـلاســــي فـمـا		يــقــفــون لي وأنا اشــــير وأزعــق**

وحينما آواه صديق وأحس بثقله عليه كتبه له ومضى:

**ثقلـــــــت عليـــــــك مـــــؤونتي		إني أراهـــــــــــا واهيـــــــــــــة**

**فـــــــافرح فـــــإني ذاهـــــــب		متوجـــــــــــه في داهيـــــــــــة**

إمام العبد

إمام العبد (1862 . 1911م) شاعر صعلوك نشأ في القاهرة، أسود خفيف الدم، وكان زجالاً بارعاً ومن المتسكعين في المقاهي، وكان كثيراً ما يقول الشعر الحلمنيشي. فقال مرة شعراً لم يعجب أحدهم، فقطع القراءة العبد وقال:

لـــو كـــان شــــعـــري شــــعـــيراً لاســـــتـــحســـــنـــتـــه الحـــمـــير

لـــكـــن شــــعـــري شــــعـــورٌ هـــل لـــلـــحـــمـــير شــــعـــور

وكان يقطن في شقه بائسه قام صاحبها بدهانها فأرسل اليه يريد الإيجار قائلاً:

أمـــــــام يا رب المحامــــــــــــد والعــــــــــزائم والمكـــــــــــارم

أن كــــــان اعجبـــــك الـــــدهان فجـــــــد بأرســــــال الــــــدراهم

فأرسل إمام الى الرجل نصف جنيهاً مع هذين البيتين:

أن كـــــــــان أعجـــــــــب اولاً ف الــــــــدفع لا بدعنـــــــــــه

إليـــــك بنصـــــف جنيـــــه فخـــــذ بحقـــــك منـــــه

وسأله خليل مطران لماذا لم تتزوج فقال:

يا خـلـيـلاً وأنـت خـير خـلـيـل — لا تـلـم راهـبـاً بـغـير دلـيـل

أنا لـيـلٌ، وكـل حســـنـاء شمـس — فـاجتمـاعي بهـا من المســتحيـل

وكانوا كلما قالوا به عبد:

تكـاد عيوني تقرأ الغيـب في الـدجى — وتســـمع أذني فيه ما تضـــمر النمل

ومـا أنا مـن قـوم تهـون نـفـوســـهـم — عليهم إذا خانتهم الصـــحب والأهـل

فلي من مضـــائي رفقـة وعشـــيرة — فلا ســـيد ينأى ولا صـــاحب يســـلو

فيـا حظ لا تســـعـد ويا خـل لا تزر — ويا دهر لا تعـدل ويا عيش لا تحـل

فما هـاجني ســـخط ولا كفني رضـــا — ولا ســـاءني ظلم ولا ســـرني عـدل

ومـا قــتـلــتـني الحـادثات وإنمـا — حيـاة الفتى في غير موطنـه قتـل

وكان إمام كثيراً ما يثير في مجالسه أنه هو الذي صنع الشاعر حافظ إبراهيم، شاعر النيل، أو بالأحرى هو الذي خلقه. فأحتاج مرة، وجاء يطلب من حافظ بعض النقود، فقال له حافظ يتيماً: "أجيبه منين وأنا يا مولاي كما خلقتني؟"

عرار

هو مصطفى وهبي التل (1899-1949م)، إربد- الأردن، شاعر صعلوك مثقف، تبوأ مناصب عدة، ولكنه كان يتركها ويلجأ إلى الصعلكة ويتسكع مع الغجر، مؤمناً بقوله:

إنّ الصــــعـاليـك إخـواني وإنّ لهـم　　　حـقـا بـه لـو شـــعـرتم لم تـلـومـوني

فـالعزل والنفيّ ، حبـا بالقيـام بـه　　　أسمى بعـيـنيّ مـن نصـــبي وتـعـيـيـني

ثم يهاجم بقسوة بالغة أولئك المسؤولين المتغطرسين الذين يستخفون بالناس، بقوله:

يا شـــرّ من منيـت هـذي البلاد بهم　　　ايـذاؤكـم فـقـراء الـنـاس يـؤذيـني

إنّ الصـــعاليك مثلي مفلســـون وهم　　　لمثـل هـذا الزمـان " الزّفـت " خبوني

(فبلطوا البحر) غيظـا من معـاملتي　　　وبالجحـيم ، إن اســطعتم فزجوني

وحينما عين قاضياً وحثه مفتي الديار الأردنية على العدل نهره قائلا:

قولوا لعبود على القول يشـــفيني　　　إن المـرابـين إخـوان الشـــيـاطـين

وأنهم لا أعز الله طغمتهم قد اطلعوا رغم تنديدي بهم ديني

كأنما الناس عبدان لدرهمهم وتحت إمرتهم نص القوانين

أأسجن الناس ارضاء لخاطركم وخشية العزل من ذا المنصب الدون

أم رغبة بتقاضي راتب ضربوا نقوده من دماء في شراييني

ثم ترك عرار المناصب وصاع وضاع في بلاد الله يتبع النور ويكرع الخمر بقوله:

هات اسقنيها يا غلام فقد مضى شهر الصيام

واعزف على أَوتار عود جميل أَلحان الغرام

إخوان سلمى خربشوا فالاحتفاء بهم لزام

والهبر قد زار الربوع فيا هلا عم السلام

ثم يبرر حبه وعلاقته بالغجر انطلاقاً من انسانيته:

هيا لنسري عند من لم يعرفوا طعم الخصام

ودع السياسة للألى قد أتقنوا صف الكلام

لبسوا الحرير وشعبنا   يا هبر لا يجد المضام

وهكذا يستمر الشاعر عرار في صعلكته ومعاقرته الخمر:

سكر الدّهر ، ولم يفطن إلى   سكره حرّ أبيّ النفس قحّ

ضربوا الأمثال بي عربدة   فلسكري عندهم : متن وشرح

بعضهم يسكر للسكر وفي   الناس من يسكر ، يا شيخ ليصحو

كتب الله علينا شربها   ليس خطّا كتب الله فنمحو

ثم يحتد في سكرته الطاغية الحزينة رافعاً صوته:

أيّها الباكي على أوطانه   لا يردّ الروح للميت نوح

بارك الظلم ، وصفق للأذى   فهما نصر من الله وفتح

وحينما يلقاه صديق في أحد شوارع عمان يسأله عن حاله فيجيب:

أصبحت أشرب كنياكا ويشربني   ولست أدري لعمري أينا سكرا

ولعل من طريف أحكامه، حين كان قاضياً، أن قدموا له متهمة جميلة وكانت تهمتها السرقة، وحين استمع إلى نطق الحكم قال: "إنها سارقة قلوب وليست سارقة جيوب، وليس في القانون ما يحاسب على ذلك". ولأنه كان نبيلًا وإنسانيًا، طلب من زوجاته أن يحضرن وليمة عامرة لأنه سيغرم الوزراء، وحين أعددن الوليمة، جاء بحشد من الشحاذين والفقراء والسوقة والمشوهين، وقال لزوجاته: "هؤلاء هم وزراء شعبي". كما أنه أعطى صاحب أحد الصيدليات مبلغًا كبيرًا من المال لصرف الدواء لكل فقير لا يستطيع ذلك.

وشـي فيه جماعة اختصـموا مع جيرانهم بأنه حكم للطرف الثاني، وكان سـكرانًا وليس في مكان عليه علم الحكومة، فلما سمع بذلك وضـع علمًا على غرفته في القيد. ومن طرائقه أنه حكم في قضية كان طرفها زوج امرأة جميلة تحرش بها رجل آخر فقتله، وكان حكمه كقاضٍ أن يشوه جمال المرأة لأنها السبب في الجريمة.

وحينما كان محافظًا لإحدى المدن وزاره بعض الوزراء، أعد لهم وليمة من أعشاب البر، وحين استاءوا من ذلك قال لهم: "ذوقوا ما يأكله شعبكم!". وذات يوم لامه صديقه رئيس الشرطة على كثرة شربه فقال له:

فمواكب الحانات بعض هوادجي وهوادج الخمار بعض ظعوني

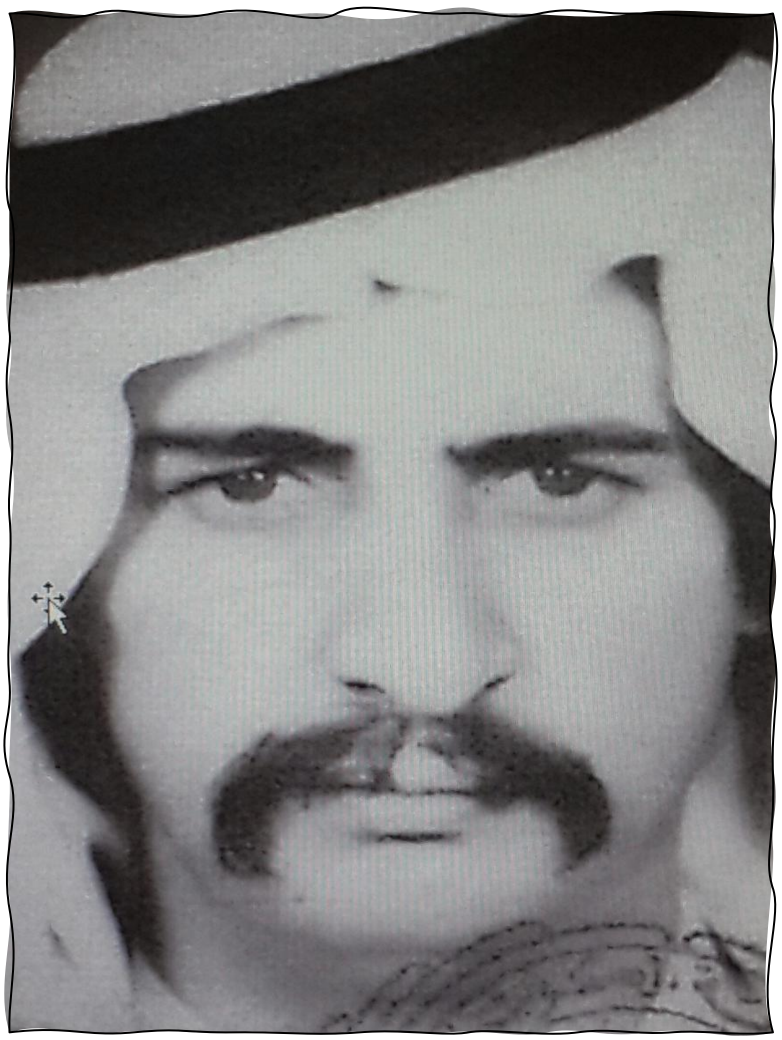
لو كنت كنياكاً وجندك وسكياً وشربتكم تالله لا ترووني

ولعل أجمل حكمه الشعرية قوله:

والناس كالكاس ما عادت مودتهم على الوفي لهم إلا بأضرار

يزجون من سامهم خسفاً وأرهقهم عسفاً تحيات إجلال وإكبار

حَيْهَلا



سليمان الفليّح – في عمر الأربعين عاماً

الكلاب

كـان أبي الطحـان القيـني أحـد مُـلاص العـرب، الفاتـك وكثـير التأبـد في الـبراري والقفـار، وكـان كثـير الجنـايات وقطـع السـبل علـى المـارة، وتعـددت جناياتـه إلى أن شملـت قبائـل كثـيرة. وكـان نادرًا مـا يسـتجار بقـوم إلا فنفـوه وتـبرأوا منـه، بحيـث لم يبـقَ أحـد في زمانـه قـادرًا علـى إيوائـه وإجارتـه إلاّ مالـك الشـمخي الـذي أجـاره وتحمـل كـل جرائـره، وبـذلك قـال أبي الطحـان في مـدح مالك:

سَـــــأَمدَحُ مالِكـــــاً في كُـــــلِّ رَكـــــب
لَقيـــــــتُهُم وَأَتـــــــرُكُ كُـــــــلَّ رَذلِ
وَقَـــــد عَرَفَـــــت كِلابُكُـــــم ثِيـــــابي
كَـــــأَنّي مِـــــنكُمُ وَنَســـــيتُ أَهلـــــي

وقـد عـنى بأن كلابهـم تعرفـه لكثـرة مـا تصعلك بينهم، وتسـطو علـى أنعـامهم وإبلهـم، أي أن الصـعلوك العتيـد أو الحنشـولي الفاتـك يتغـنى بمعرفـة كـلاب القـوم لكثـرة مـا يسـطو علـيهم. فهـاهو الشـاعر والفـارس المشـهور شـليويح العطـاوي يقول:

إن قلّـــت الوزنـــه خـــذوها المشـــافيح
أخلـــي الوزنـــه لربعـــي واشـــومي

الوزنة: هي الماء القليل يوضع في إناء، فتلقى فيه حصاة صغيرة يغطيها الماء، فإنه هنا بمثابة قائد اقتصادي، يقنن استهلاك المياه باعتبارها من أندر الموارد في الصحراء. ولذا كان الغزاة القدامى حينما يقطعون البيد يقتصدون في الماء إلى الحد الأقصى، خوفاً من شح هذا المورد المهم في حياة الأفراد. ثم يستمر شليويح بالقول:

وإليـــا رزقنـــا الله بـــذود المصـــاليح
يصـــير قسـمي مـــن خيـــار القســـومي
واضـــوي إليـــا صـــكت علـــيّ النـــوابيح
واللـــي قعـــد عنـــد الركـــاب مخـــدومي

و(النوابيح) هنا الكلاب التي تعرف شليويح لكثرة ما يغزو القوم من ذويها، ولا أدل على ذلك إلا قوله أيضاً:

خاويـــت شـــبان علـــى فطـــر شـــيب
كـــم مـــارد جيتـــه تعـــاوى ســـباعه
يامـــا لمســـنا قرصـــنا بالمشـــاعيب
ويامـــا دفعنـــاهن ورا الشـــمس ســـاعه

كـــم ليلـــة عقلتهـــا تضـــرس النيـــب

وانا اتـــوحى نـــبح كلـــب الجماعـــة

رحـــت اتخطـــى وكـــنهم لي معازيـــب

إليـــا رمـــى عـــذب الثـــايا قناعـــه

اهـــدي الحـــامي واخطـــر الاطانيـــب

وانـــدس مهاويـــه الجمـــل باندفاعـــه

والحـامي هنـا هـو الكلـب أيضـاً. وكـذلك قـال حريـث بـن عتّـاب، ناهـب سجستان، يصف غزواته وعلاقته مع كلاب القوم:

عَـــوى ثُـــمَّ نـــادى هَـــل أَحَســـتُم قَلائِصـــاً

وُسِمـــنَ عَلـــى الأَفخـــاذِ بِالأَمـــسِ أَربَعـــا

غُـــلامٌ قُـلَيعِـــيٌّ يَـحُـــفُّ سِبـــالَهُ

وَلِحيَـــتُهُ طـــارَت شَعاعـــاً مُقَزَّعـــا

غُـــلامٌ أَضَلَّتـــهُ النُبـــوحُ فَـــلَم يَجِـــد

بِمـــا بَيـــنَ خَبـــتٍ فَالهَبـــاءَةِ أَجمَعـــا

أي أنه يشبه قول شليويح :

طـــارت عمايمنـــا وطـــارن الاجعـــاد

وتبيـــنن عقـــب الغيـــا بالبيـــاني

يأهـــل الركايـــب علقـــوا فـــوقهن زاد

حطـــــو علـــــيهم مـــــن خفيـــــف الاواني
يمـــــاهن مـــــن غـــــب الاثنـــــين ميعـــــاد
لا مالـــــت الفيّـــــه علـــــى المســـــنحاني
وانا دليلـــــتهم وســـــبر لـــــلأولاد
قلّـــــت ابشـــــروا يا شـــــاربين الـــــوزاني

والـوزان جمّـع وزنـه وقـد أشـرنا إليهـا. ومـن هنـا نـرى ذكـر الكـلاب كثـيراً في أقـوال الفرسـان والشـعراء مـن أهـل الباديـة، بـل يضـربون بهـا المثـل بالوفـاء، كمـا قال علي بن الجهم في مدح الخليفة:

أنـــــتَ كَالكَلـــــبِ في حِفاظِـــــكَ لِلـــــوُدْ
وَكَـــــالتَيسِ في قِـــــراعِ الخُطـــــوبِ

الأمر الذي دعا الخليفة أن يرسل إلى الرصافة ليعودَ بقولٍ أجمل إلاَ وهو:

عُيـــــونُ المَهـــــا بَـــــينَ الرُصـــــافَةِ وَالجِســـــرِ
جَلَـــــبنَ الهَـــــوى مِـــــن حَيـــــثُ أَدري وَلا أَدري

أمّا ما نحن بصدده اليوم في هذهِ الحلقة، فهو يتعلّق بالوفاء وحفظ الجيرة لدى أهل البادية ومعرفة الكلاب أيضاً، فكم جارٍ قتل رجلاً قتل كلب جاره، حتى لو كان من أقربائه.

سنذكر قصة عن قتل الكلب قبل الدخول في قصتنا اليوم، إذ نقول القصة الاعتراضية: أن أحدهم كان له أولاد، وقد قتل أحد أبناء عمومتهم كلب جارهم، فطلب أبوهم منهم أن يقتلوا ابن عمهم بدية الكلب، فتعجبوا ورفضوا إذ كيف يُقتل رجل بكلب.

وقد تتالت مشكلات هؤلاء الأولاد إذ استهان بهم القوم، وكان في كل مرة يحرضهم والدهم على قتل قاتل الكلب، وفي كل مرة تزداد الاستهانة بهم، إلى أن أرسل والدهم إلى امرأة طلقها في ريعان شبابه وكانت تحمل ولداً صغيراً، فلما حضر ابنه البعيد واحتفل به قال له: أريدك أن تقتل فلاناً لأنه قتل الكلب، وبالفعل قتله، وأخذ الناس يهاجمونه.

بعد كل هذا الاستطراد، نقول قصتنا اليوم: أن رجلاً شمرياً — أي من قبيلة شمر — قد حلّ نازحاً عند (رفيع الركابي العنزي)، وأقام لديه ثمانية أعوام كاملة، وكان موضع الحفاوة والتكريم. وحينما حُلّت مشكلة الشمري مع قبيلته عاد إليها مودعاً الركابي. وذات يوم غزا رفيع الركابي مع ثلة من قومه قبيلة شمر، واستاق في الليل إبلاً وأخذ يبتعد بها، وكان كلما ابتعد لحق به كلب يصمت ريثما يقترب من رفيع ثم يبدأ بهز

ذيله. فتعجب رفيع من هذا الموقف، وحينما تأمل الكلب جيداً عرف أنه كلب جاره الشـــمري الذي فارقه منذ عدة ســـنوات، فطلب من الغزو إرجاع الإبل لأنها تخصّ صـــاحب هذا الكلب الذي كان اسمه "قبّاس". ثم لوى عنان جواده وتبع الكلب إلى المضـــارب، إلى أن وقف على منزل جاره الشـــمري وأخبره أن قبّاس الكلب هو الذي أرجع الإبل، وذلك كناية عن احترام الجيرة بل حتى كلب الجار. وبذلك قال الشـــمري مادحاً:

أمـــس الضحـــى عديـــت فـــي راس نابـــي
كنـــي خـــلاوي مـــا تقـــل حولـــه أونـــاس
وذكّـــر علـــي قـــرب حلـــو الجنابـــي
قلبـــي يلوعـــه بيـــن الأضـــلاع هوجـــاس
أنـــا ثمـــان سنيـــن عنـــد الركابـــي
أمشـــي عزيـــز وسطهـــم عالـــي الـــراس
اسمـــه رفيـــع ومرتفـــع مـــا هـــو غابـــي
مترفّـــع عـــن الرذايـــل والأدنـــاس
وبعـــد رجعـــت لربعنـــا والمرابـــي
ورحنـــا لهـــم عـــدوان مـــع سايـــر النـــاس
وغـــاروا علينـــا القـــوم قـــوم الركابـــي
ومـــن شيمتـــه رجّـــع لنـــا الـــذود قبـــاس

الدخان

شـــــي بقلـــــبي واهجـــــه مســـــتمري
لـــــولا أزرق الـــــدخان يطفـــــي لهيبـــــه
ســـلط علـــى الـــدخان لـــو هـــو مضـــري
لـــــه حـــــزتٍ عنـــــد احتكـــــام المصـــــيبه

هذا ما قاله بندر بن سرور وهو يشرب الدخان، بالرغم من أنه مضر ونحذر الجميع من ضرره، غير أن الدخان كالقهوة قد ورد كثيراً في الشعر الشعبي: قديمه وحديثه، أي بدءاً من ذعار بن ربيعان الذي يقول:

لـــــولا شـــــراب العظـــــم يـــــوم أني أمـــــلاه
اكويـــــه بالجمـــــره ويكـــــوي جروحـــــي
يا معـــــذربين التـــــتن لـــــولاه لـــــولاه
لـــــولا شـــــرابه يا عـــــرب ويـــــن اروحـــــي
مـــــع دلـــــةٍ صـــــفرا علـــــى النـــــار مركـــــاه
أبصـــــر بصـــــبتها علـــــى كيـــــف روحـــــي
فنجالهـــــا يشـــــدي خضـــــاب الخونـــــداه
الجـــــادل اللـــــي عنـــــد اهلهـــــا طمـــــوحي

وبعد ذلك قال الشيخ والفارس الشجاع النوري بن شعلان:

الله علـــــى مــــزة سبيـــــل العراقــــي
أصفـــر يجيـــك بلـــوذت التتـــن مفـــروك
آملـــه وعـــده عـــن خطـــاة الهلاقــــي
يقلـــط علـــى البـــارد ويقصـــر عـــن احـــوك

***

وقبل ذلك أيضاً قال محمد بن مهلهل الشعلان الذي كان جالياً عن أهله بسبب جناية اقترفها، إذ يستوجب العُرف القبلي الجلاء عن القبيلة في حالة قتل أحد أفرادها، إلى أن يتصالح ذوو القاتل وذوو القتيل، أو أن ينزح الجاني لمدة خمس عشرة سنة، وقيل عشرين لدى بعض القبائل، حيث يعتبر بعد ذلك الحق ساقطاً بالتقادم وقبول الدية.

ولعلي هنا أذكر قصة الرجل الذي رضخ لجلاء قاتل أخيه، وكان يراه دائماً ولم يقتص منه. وقد لامه الناس كثيراً، إلى أن اقتربت مدة الجلاء على الانقضاء فوثب عليه وقتله، وقال: "إني أريد أن أقول للذين كانوا يلومونني إنني أردت أن أقتله مرتين: مرة بالنفي والجلاء، ومرة بالقتل الموضعي الحقيقي". ما علينا من ذلك.

نقول إن محمد بن مهلهل، حينما أنقضـــت مدة نفيه، عاد إلى قبيلته. وبينما هو في الطريق إليها رأى جمعاً من الناس (ضـــول)، فأتجه إليه أي (عَسّـــه)، ورأى مجموعة

متخاصــمة تتقاتل. ففر أحدهم والتجأ إلى محمد بن مهلهل، وكان أن رد خصــمه ولم يرتدع، فقتله ابن مهلهل. وهنا كان عليه أن يلجأ مرة أخرى، فقال قصيدته الشهيرة:

طـــس الســـبيل مـــن اصـــفر اللـــون طســـه
الشـــاوري يجلـــي عـــن القلـــب علـــه
مـــــن كيـــــس قـــــرمٍ دايمٍ مايدســـــه
تلقـــاه مقـــروطٍ علـــى جـــال دلـــه
لاشـــفت ضـــول النـــاس بالـــك تعســـه
لاجنبـــك شـــر المخاليـــق خلـــه

هـذا البيـت أصـبح مثـالاً يتبادلـه العامـة في الجزيـرة العربيـة وسـائر البـوادي. وتقول شاعرة بدوية توصي حبيبها بعدم شرب الدخان:

لا تشـــــرب التـــــتن ياالمملـــــوح
يخـــــرب ثنـــــاياك يالغـــــالي

ويقول بندر بن سرور في قصيده له:

عطـــني الكبريـــت بولـــع ســـيجاره
يا عشـــير اللـــي تهـــزأ بالبنـــاتِ

كذلك يقول شاعر بدوي آخر:

الســـــــجاره شـــــــربها يشـــــــفي الغليلـــــــه

بـــــــرهم المكنـــــــون لجـــــــروح جـــــــوايح

والشـــــــخاطه جابهـــــــا ناقـــــــض جديلـــــــه

ولعـــــــت بالشـــــــاوري زيـــــــن الـــــــروايح

مـــــــن هنـــــــوف يامـــــــلا مـــــــاهي بخيلـــــــه

والجمالـــــــه مثـــــــل زراع الفلايـــــــح

وقال آخر في ذم الدخان:

يأهـــــــل الـــــــدخان ياللـــــــي تشـــــــربونه

ياجعـــــــل دخـــــــانكم يقلـــــــب حيـــــــايا

لاهـــــــو قـــــــوت ولا هـــــــو ثـــــــوب تلبســـــــونه

ينحـــــــف الرجـــــــال ويجيـــــــب الـــــــبلايا

وذات مرة أمسكني رجل حكيم من قبيلتي ونصحني النصيحة التالية عن الدخان:

ينقصك ما يزيدك

ويرميك على من لا يريدك

ويحرق أيدك

ويأثر على وريدك

مكروه في الدين

ويضر العين

ويكثر الدين

ويولعه لك أبلس اللعين

فأتركه كأنك فطين

وقد حورب الدخان منذ القديم بقول الشاعرة:

ياشـــــارب الـــــدخان شــــاربك لا طـــــال
حســـــبي علـــــى اللـــــي بالمـــــلأ يشـــــربونه

فأجابه شاعر آخر بقوله:

شـــــرّابة التنبـــــاك بهـــــم ســـــعة بال
واللـــــي يطـــــولّ شـــــاربه يقصـــــرونه
يســـــتاهل التنبـــــاك مثـــــل ابـــــن هـــــذال
اللـــــي يشـــــيله في مشـــــاني ردونـــــه

وقد كان الدخان في القديم لا يُشرب إلا عند الضرورة، بل قبل المعركة، لذلك كثيراً ما نسمع أن الفارس قبل أن يبدأ المعركة يقول: "عمّر غليونه حتى طقطق". بالطبع، طقطق هذه مبالغة تستوجبها الرواية. وقد مُنع الدخان، والحمد لله، في الجزيرة العربية إبان حركة الإصلاح التي قادها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكذلك الإخوان يعتبرونه حراماً، بل أسموه (المخسأ).

وقد كان غزو الجهراء في الكويت بسبب أن أهلها يشربون (المخسأ)، وكذلك قاموا بغزو بعض القرى الأردنية والعراقية المحاذية، للسبب نفسه.

ولعلي في هذا الصدد أذكر قصة طريفة تبين سلطة الدخان وما يفعله من النفس،إذا كان هنالك حرب قبلية بين قبيله الظفير بقيادة شيخهم ابن سويط وقبيلة عنزة بقيادة شيخهم أبن هذال وبعد مطاردات عدة تستأنف إلى اليوم التالي (خلص) دخان أبن سويط وقهوته أيضاً وهذهِ وسائل (الكيف) لدى أهل البادية ولما فقدها أبن سويط ركب حصانه وتسلل ليلاً إلى مضارب الأعداء من قبيله عنزة وشيخها خصمه أبن هذال وكان أبن هذال نائماً في ربعته يفكر في الحرب وفجأة أحس برجل غريب يقترب من دلال القهوة ففتح عينيه وإذ هو الشيخ أبن سويط (عدوه) فأخبرهُ فقال أبن سويط على الفور:

ياشـــــيخ ياشــــــيخ الســـــــلف والجهامـــــــه

زيـــــــزوم ربعـــــة بالنهـــــــار الكبيـــــــري

جيتـــــك علـــــى عـــــوص بـــــداجي ضــــلامه

والـــــراس مـــــني دايخــــن   مستديــــــري

علــــــى رفيـــــقٍ مالقينـــــا غرامـــــه

شـــاله جليــــل الملـــــك منـــــي لغيــــري

ويقصد برفيقه الدخان ففهم أبن هذال قصده وكعادة العرب في النبل والمروءة قال له داعياً:

يامرحبــــــا بــــــك يامــــــوارث ســــــلامه

مهــــــوب بغـــــضٍ مـــــير ربي خبـــــيري

شــــفك علـــــى الملـــــه مبــــني خيامـــــه

بيمنــــا غـــــلامٍ محتفـــــي بـــــه بصـــــيري

مــــع كـــيس أزرق تـــــو فكــــه بلامـــــه

عنـــــك العمـــــاس إليـــا شــــربته يطــــيري

مـــع منســـــفٍ فوقـــــه ســــواة العدامـــــه

كرامـــــةٍ ماغـــــاب عنهــــا قصيــــــري

وانتهت الحرب بين الاثنين

الصقر

واطــــيري اللـــــي كـــــنّ عينـــــه ســـــنا الكــــير
مخالبـــــــه مـــــــن كثــــــــر ضـــــــربه دوامـــــــي
يشـــــبه غــــــلام مشـــــلّحٍ لــــــه علـــــى بـــــير
متحيـــــــــزمٍ يســـــــــقى حيامـــــــاً ضـــــــوامي
ولا صــــــار مـــــا بـــــين الســـــلف والمظـــــاهير
وحبـــــــاري كثـــــــر الجـــــــراد التهـــــــامي
يهــــــوي علـــــيهن ينثـــــر الـــــريش تنثـــــير
وعلـــــــــيّ أنا تجمـــــــــيعهن بالعســـــــــامي

هذا ما يقوله الشاعر البدوي عن صقره. أما الشاعر الصيني دوفو فيقول عن صقره:

كما يتصاعد الثلج والريح كالحرير الأبيض

يتراءى لي هذا الصقر بأصابع حاذقة

يحدق مقطباً كالهمجي العابس

ناهضاً كفيه قليلاً

ليندفع نحو فرائسه ما أن يسمع صيحة منك

لينقض على جحافل الطيور التي تغطي السهول

ليغطيها بالريش والدماع.

لعل أول من عرف الصـــيد بالجوارح هم الفرس وكانوا يصـــيدون بالباز ومعرفتهم بالباز تعود إلى أن ملكهم كسرى أنو شروان كان في نزهة فرأى طائراً حينما حلق بقربه خافت منه الطيور وابتعدت عنه فأصطاد حمامة وحط على شجرة ونتف ريشها وأكل لحمها فقال الملك لرجاله.

لقــد رأيــت مــن هــذا الطــائر مــا يحـير (فهــو عظـيم السـطوة، شــديد البأس، كبير النفس، طويل الصبر، جليل القدر).

وقد تعلمت منه ما لم أكن أعلم في السياسة فقد أرشدني إلى معنى التفرد، والاستئثار عن أوباش الناس وغض الطرف لاستمرار الهيبة ودوام الصمت للخديعة، والسرعة في البطش وطول الأكل للاستمرار وتصغير اللقمة للأمن من الغصة وتشمير الثوب للنظافة، ثم أمر رجاله بالقبض على الطائر وكان الطائر فزعاً من الناس حوله فأشار إليه أحد حكمائه أن يغطي عيونه فعرف (البرقع) لأول مرة.

ثم عهد به إلى أبنه (داد) الذي يحب الطيور كثيراً وكان داد يأخذه إلى البستان (با غ) وهو المكان الذي سميت بغداد باسمه أي (با غ داد) ثم أخذ داد ينزع برقع الطائر ويربطه بخيط طويل حتى ألفه وصار يدربه على الصيد وضع له (الدستبان) أي الوكر ثم وُلع الفُرس بالصيد بالباز وقد تعلمت منهم الأمم ذلك فقد قيل إن قسطنطين ملك عمورية قد درب العقاب لدرجة أنه روضها حتى أنها كانت تظلله عن الشمس وهو يسير لقنص الغزلان وكما ضرى الفرس الباز فقد ضرى العرب فيما بعد الصقر وكان أول من ضراه الحارث بن كندة إذ رأى صقراً أتى على عصفور علق في الشبكة فجعل يأكله، فأمسكت الشبكة الصقر وأخذه الحارث وضراه كما كانوا يضرون الباز، لذلك قيل: (الباز فارسي والصقر عربي)، فالباز غادر والصقر أمين لصاحبه. وهكذا ظل العرب يصيدون بالصقر والكلاب إلى أن جاء الإسلام، وقيل إن زيد الخير وعدي بن حاتم سألا النبي صلى الله عليه وسلم فقالا: "إنا نصيد بالكلاب والبزاة والصقور، وقد حرّم الله تعالى الميتة، فماذا يحل لنا منها؟" فنزل قوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ۖ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (4)﴾ [المائدة: 4].

***

وازدهر الصيد في عهد الدولة الأموية، وخصوصاً في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك، الذي عيّن مسؤولاً عن الصيد هو الغطريف بن قدامة. أما في الدولة العباسية فقد قيل إن الخليفة المعتضد كان يدفع يومياً من بيت المال سبعين ديناراً للبازيين والفهادين والكلابين والعقّابين، أي ما يعادل نحو 1% من مصروفات الدولة. وهكذا كانت الصقور تحظى بأهمية قصوى حينما كان القنص هواية الملوك، وهي الهواية التي تجذب إليها اليوم حتى عامة الناس، وخصوصاً من أهل الخليج. ولهذا ترى محبي الصيد والقنص يبحثون عن إشباع هذه الهواية في أبعد البلدان وأخطر الأمكنة، لأن القنّاص مغامر كصقره، لا يعرف الخوف، بل يركض خلف هوايته مهما كلّفته من مخاطر.

العرب الأواخر والصقر

وقد اهتم العرب الأواخر بالصقر، وأنزلوه منزلة أولادهم، وتباروا في تدجينه وترويضه والصقارة فيه، فها هو أحدهم قد أضاع طيره والسلوقي أيضاً، فقال فيهما:

طـــــــيري غـــــــدا والســــــــلوقي راح
لا واحـــــــــــــلالاة ياطـــــــــــــــيري
اصــــــــيح وادعيـــــــــه بالملـــــــواح
واظـــــــن طـــــــيري لقــــــى غــــــيري

والملواح: هو قبضة من الريش تُربط في حبل، يُلوِّح بها الصقّار للصقر ليظنّها حمامة فيأتي إليه من بعيد.

أما طرق صيد الصقور فهي تتم بعدّة أساليب، منها:

1- **الشَّبك** بالحمامة :وهو وضع شبكة على ظهر حمامة، ثم تُطلق في الفضاء، فينقضّ عليها الصقر فتتشابك مخالبة بالشبكة ويتعثر طيرانه.

2- **النَّقْل** :وهو ربط شبكة بقبضة من الريش وتعليقها برجل طائر آخر كالغراب، فإذا رآها الصقر ظنّها فريسة فانقضّ عليها فتشبكه.

3- **الكوخة** :وهي حفرة مغطاة بالأشجار يجلس فيها الصقّار، ثم يربط غراباً بخيط طويل، ويعلّق في مخالبة "شِلواً" أو قبضة من ريش الحمام، وينصب شبكة قائمة على عود. فإذا رأى الصقر الغراب ظنّ أنه يحمل فريسة، فانقضّ عليه، فإذا ما أمسكته الشبكة بدأ الصقّار يسحب الخيط شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى الشبكة ويطبقها عليه.

4- **المشبكة** :وهي قفص مملوء بالأشراك، يُوضع داخله حمامة أو "فَرّي" أو مريعي، وما أن يراه الصقر حتى ينقضّ عليه، فتعلق أقدامه بالأشراك. وغالباً ما تُستعمل هذه الطريقة للطيور الأقل أهمية من الصقر.

وهناك طرق أخرى غيرها.

هواية الملوك

وقد اهتم أمراء الخليج بالقنص بالصقور وتولعوا بها، حتى بلغت أثمان بعضها مبالغ خيالية، وأصبحت من أنفس الهدايا المتبادلة بينهم. وقال العديد من الشعراء في وصف القنص بالطيور، ولعل من أشهرهم بدر الحويفي الحربي، إذ يقول في إحدى قصائده:

انا علـــــى المقنـــــاص قلـــــبي يـــــرفي
فـــترة ونرجـــع يم آهلنـــا منـــا كيـــف
بـــديار لفـــروق الحبـــارى اتلفـــي
جنـــوب مـــن حـــزم الجلاميـــد وطريـــف
الطـــير هـــو غايـــة غرامـــي وشـــفي
اقـــدره تقـــدير الاجـــواد للضـــيف
مـــن كـــبر قـــدره شـــايله فـــوق كفـــي
وراعـــاه تســـع اشـــهور بالقـــيظ والصـــيف
تســـع اشـــهور بالقـــيظ والصـــيف
نقلـــه يشـــرفني وشـــوفه يكفـــي
عـــن شـــوف ناسٍ مـــا تعـــرف المعـــاريف
القـــيظ كلـــه جـــالس ومتعفـــي
بـــرد المكيـــف نشـــف الـــدم تنشـــيف
مـــتى سمـــوم القـــيظ عنـــا تقفـــي

وســــهيل قبـــل يعمـــد الفجـــر قـــد شـــيف

والنـــــار يصـــــلح شـــــبها للتـــــدفي

الـــبرد نـــوجس مـــن نســـيمه هفـــاهيف

قمنــــــا لعزبتنــــــا نشــــــيل ونظفـــــي

ونكمــــل النـــاقص ونمــــلا المظـــاريف

اللـــــي نشـــيل مـــن اللـــوازم امكفـــي

امكتفــــين العفــــش بالحبـــــل تكتيـــــف

في رفقــــة اللـــــي نارهـــــم مــــا تطفـــــي

علـــى الشـــرف والجـــود ربـــع مواليـــف

مجــــلاس طلقـــين الشــــوارب امصـــــفي

علـــى الـــدلال اللـــي بهـــن ســـاخن الكيـــف

خــــويهم مــــا أوجــــس كــــلامٍ يخفـــــي

غـــــير المــــزوح الطيبــــة والسواليـــــف

عقــــال وزن عقولهـــــم مــــا يخفـــــي

ويقول الشاعر عبد الرحمن العطاوي:

لـــه ســـبوعٍ ســـهيلٍ كـــل عـــينٍ تشـــوفه

جـــاك حـــل الـــبراد وراح وقـــت الســـمايم

مـــن يخـــف الكلايـــف شـــايفين امعروفـــه

أشـــقر الـــريش جـــاء وقتـــه وقلـــبي مهـــايم

مولـــع الطـــير والله مـــا يطـــاوع ظروفـــه

دوم قلبـــه وعينـــه يم نجـــم النعـــايم

يـــــذكر الأشـــــقر اللــــــي عـــــايزاتٍ وصــــــوفه
ومـــــن ذكـــــر ذاك ماطــــاوع كثـــــير اللـــــوايم
صـــــافي الــــــريش ســــــرواله مغطّـــــي كفوفـــــه
أصـــبح الوجـــــه صـــــافي الــــريش مالـــــه وقـــــايم
كـــــن جـــــوهر عيونـــــه في محـــــاجر قحوفـــــه
فضـــــةٍ فصـــــها أســـــود مـــــن حجـــــارٍ كـــــرايم
لا قفيتـــــه تشـــــوف الــــــريش شـــــعلٍ حروفـــــه
ذاك عــــــوق الخـــــريش اللـــــي تحـــــب الهـــــزايم

القهوة

للقهوة شأن كبير لدى سكان الجزيرة العربية بشكلٍ خاص، ولدى سائر العرب عموماً، إذ تُعَدّ مقياساً للكرم ووسيلة للكيف، وقد قيل فيها كثير من الأشعار. وقد صُنّفت القهوة من خلال **فناجينها** على النحو الآتي:

- **الفنجان الأول** :فنجان الهيف – يذوقه المعزب للتأكد من صلاحيتها.
- **الفنجان الثاني** :فنجان الضيف – وهو الذي يُقدَّم للضيف.
- **الفنجان الثالث** :فنجان السيف – ويُقدَّم للفرسان.

وقد وصف شعراء كثر القهوة وفناجينها، مثل مشاري بن ربيعان وهايس بن مجلاد، حيث يقول مشاري بن ربيعان:

أما هايس بن مجلاد فيوزع فناجينها كما يلي:

قم سو مايجمد على الصين ياذياب
بدلال يشدن البطاط المحادِيب
أحمس إلى من العرق فوقها ذاب
كبه بما يجذب عليك الشوارِيب
صبه لمن قاد السريا للأجناب

لـه مفـرسٍ يشـبع بـه النسـر والـذيب

والثـــاني اللـــي لفــوا علـــى ركـــاب

بأطـراف بيتـه تقـل مجـزر قصاصـيب

والثالـــث اللـــي لاغشـــا الزمـــل

يـرخص بعمـره دون زمـل الرعابيـب

وباقـي المـلا يكفـيهم التـول لـو شـاب

رصاصـــة المجلـــس حمـــير المشـــاعيب

اللـــي نهـــار الكـــون يفـــزع بمصـــلاب

كبــار الأنفــس ســاهجين المواجيــب

وكذلك وصف القهوة وصفاً دقيقاً من حيث صنعها وطريقتها الشاعر الكبير عبد الله القاضـي في قصـيدته الشـهيرة، التي راهنه فيها بعض جلسـائه أن لا يقول بيتاً من الغزل، فجاءت قصيدةً خالصة في القهوة، ومطلعها:

احمـــــس ثـــــلاث يانديمـــــي علـــــى ســـــاق

ريحه على جمر الغضـــا يفضـــح الســـــــــوق

واحـــــذرك والـــنيـــة وبـــالـــك والاحـــــراق

واصـــحا تصـــير بعاجل الحمـــــس مطفـــــوق

الى اصفـــر لونـــه ثـــم بشّـــت بالاعـــراق

صـفرا كما الياقـــوت يطـــرب لهـــا المـــوق

ولكن أشهر القصائد في القهوة هي التي قالها دغيم الظلماوي، وهو من كرماء العرب، إذ نظم قصيدته الشهيرة التي تناقلها الرواة وذاع صيتها بين الناس:

ياكليب شـب النار ياكليب شـبه — **عليك شـــبه والحطب لك يجابي**

وأنا علي يا كليـب هيلـه وحبـه — **وعليـك تقليط الـدلال العـذابي**

"الوالمه" يا كليب عجل بصـــبه — **والرزق عند اللي ينشـي السـحابي**

وإدغث لها يا كليب من جزل خبه — **وشـــبـه ليـا منـه هبا كـل هـابي**

أبي لـيـا شـــبيـتـهـا ثم قبـه — **تجلـب سـراة من بعيـد غيـابي**

بنســرية يا كليب صـــلف مهبه — **ليا هب نسـناســه تقل سـم دابي**

مـتـكـتـفـين وناطـحـين مـهـبـه — **متلطمين وســـوقهم بالعقـابي**

صـبه لقرم صـرفته ما حسـب به — **يوم البخيـل مكنهب الوجه هـابي**

وصـــبـه لمنعور و من جـاه نبـه — **يرخص بعمره والدخن له ضـــبابي**

وعده عن اللي مايداري المســبه — **اللي يـدور بالقصــير الغيـابي**

ليـا باطن الهلبـاج خطو الجلبـه — **يازين تالي الليـل خبط الركـابي**

افرح لهم وأبـدي ســلام المحبـة — **ليـا شـــح بالهين كبير العلابي**

ســلام احلى من شـــخاليل جبه — **واحلى من السـمن الجديد العرابي**

وخطو الولـد يوم الملاقـا نكبـه — **يصـــير معنا من حســاب الزهابي**

وش عـاد لو يلبس زبون وجبـه **معيرة على غضـــير الشـــبـابي**

أنا لقيـت الصـــبر يازين غبـه **يرقيك روس مشـمرخات الهضـابي**

ومن لا صـبر يا كليب في حكم ربه **هـذاك يوم البعـث مـالـه ثوابي**

يقولها اللي ما حســب للمســبه **ولا عرقـل الأجواد ببعض الهلابي**

هــذا هـوى بالي وهــذا مـطـبـه **من قبـل مـايســـفي علينـا الترابي**

وقد استثارت هذه القصيدة العديد من الكرماء المشهورين، ومنهم علي القبالي راعي قصر العشروات، الذي عارضه بقصيدة موجهاً كلامه إلى صبيّه علي فقال:

يا علي شـــب النار يا علي شـــبه **لا مال في مشـــمرخات الهضـــابي**

باغٍ الى شـــبيتهـا واضـــلهبـه **قـلـط ثـلاثٍ لـونهـن كـالـغـرابي**

حنكيـةٍ مـا ينفعـه لو تربّـه **بلفودها تلقى ســـنا النار صـــابي**

ان ســـانع الباري وســـانع مهبه **نقضـب مكان الشـب بين الغيابي**

باغٍ الى من الســـنين اشـــلهبـه **وجـونا فـزيـع محـتـتـين الـزهـابي**

اظهرت للعطشـــان فرغ المصـــبّه **لـزمـالـتـه بارض الخلا لا تهـابي**

أي كما يقول عروة بن الورد:

أُضـــاحِكُ ضَـــيفي قَبلَ إِنزالِ رَحلهُ **وَيُخصِـــبُ عِندِي وَالزَمانُ جَديبُ**

وَما الخِصـــبُ لِلأَضـــيافِ أَن تُكثِرَ **وَلَكِنَّمـا وَجـهُ الكَريمِ خَصـــيـبُ**

ثم يكمل القبالي:

زادك وميســـورك ولين المحبـه أخـير مـن كـبـشٍ سمـينٍ يجـابي
الــنـار دربـه هـين والمســـبـه والطيـب وعر والمراجـل صـــابي

وقد عارض دغيّم أيضاً لبيّد بن المتينه البلاز العنزي بقوله :

يادعيس شب النار يادعيس شبـــه بين القطوب وطـارف البيـت نابي
واجدع بها من صـامل الرمث ضبه لا ما تجف لباسهم والثيابـــــــي
واتعـب بحمســـتهـا وبالنجر كبّـه وســـوّه وعـجلّهـا لـربـع تعـابي
بنجرٍ إليا حرك بصوته ينبـــــــه قنيب ذيبٍ في علو الشعابـــــي
وقلط لهم مـايســـورنا مـاننبـه وكمـالتـه حشـــمـه وزين الجوابي
ترى جود العبـد من جود ربـه ماجود إلا مد منشـــي الســـحابي
وإلا دغـيّـم تايـهٍ مـن يســـبـه من اللابة اللي ما ذكر به عيابـــي
ولو هو من الاجناب قلبي يحبـــه راعي الـدلال المكرمـات العـذابي

أي أن البلاز يرى الكرم بالحشمة ولطف الجواب ويحترم دغيّم لكرمه حتى لو كان من غير قومه، كما عارض دغيّم أيضــاً ســعد بن مســعد الأيدا وهو من شــيوخ عنزه بقوله:

يا عيد شـــب النار يا عيد شـــبه وقـلـط دلال مـكـرمـات عـذابي
ودق البهــار وثم للربع صـــبـه يصـبغ على الفنجال مثل الخضـابي

ودرهـا على المجلس بنفس محبـه | **فنجـالهـا يجلي عن القلـب عـابي**
أقصــــر بمـاهـا ثم زود بحـبـه | **حتى تـزيـن بـلـونهـا والشـــرابي**
كم راس كبش للنشـــامى نـذبـه | **ان جن بهم عقب المســافة تعابي**
يـديان شــيختنـا بالادوار عبـه | **أهـل بيوت مثـل لون الهضــــابي**
ذباحــة للحيـل وسمن نصـــبـه | **ماهم هل العقرة خشــوم الكلابي**
ادخـل على الله باني البيـت قبـه | **بـعـاث باب الـرزق فـتـاح بابي**
نصـــبر على نقل الخســارات دبه | **من أول الى اتلانا شــباب وشــابي**
انهـب من الـدنيـا قبـل مـا نكبـه | **من قبـل مـا يرجـد علينـا الترابي**

أي أن الأيدا يقول إن الكرم بالإضافة الى تقديم القهوة فيتوجب نظافة المكان وتهيئته لاستقبال الضيوف وقد عارض دغيم أيضاً التبنياوي الشمري بقوله:

يا حسين شب النار يا حسين شبّه | **بقصــــيصــــةٍ ما به دبيبٍ و دابي**
باغٍ إلى شــــبـيـتـهـا ثم قـبّـه | **قـلّـط ثـلاثٍ مـيرهـا بـس دابي**
من مير ســلطان العرب جبت حبّه | **واللـي تبـقى يلـحقونـه حبـابي**

وقد غضب الظلماوي من هذه المعارضة لقول التبيناوي (بس دابي) ولقوله من (مير سلطان العرب) ويقصد محمد بن رشيد آنذاك وسبب غضب دغيم أن ما يعطي السلاطين لا يقارن بمالك الخاص لذلك قال:

ياحسين دلوك ماتعدي المصبه	**من الحوض زلت زلفه بانكبابي**
الضيغمي حط المراجل بعبه	**وحنا نلقط ماوقع بالترابي**
لاصار دابه جعل رمح يدبه	**رمح مع الابهر غميق الصواب**
جعله يطيح بديرةٍ ماتحبه	**وتأتي ذلوله بس علمه يجابي**
طيبي وطيبك بين رجليك ذبه	**لا جت لهم فالكف لك والهبابي**
ياكليب خذ علمي وبالك تكبه	**افهم نبا من هو عطاك الصوابي**
الموت يقعد لك ومالك يكبه	**لو ان مالك كثر طش السحابي**

وهذا الأمر بالطبع أقحم محمد ابن رشيد في هذه المعارضات، وقرر أن يتأكد من صحة الظلماوي في أن دلاله على النار دائماً، فزاره متخفياً ليلاً وقال: "هات الوالمه التي تقول فيها (الوالمه ياكليب عجل بصبه)". فعرفه راساً وقال مستدركاً وهو يمد يده مصافحاً لمحمد الرشيد:

مده رهن لولاك ماقلت ياكليب	**ولا قلت شب النار وصر موقد له**
في ليلة تجدع له سواة المشاهيب	**نسرية تلصق خليل لخله**
نطعن بعزك ياحصان الاطاليب	**وعسى اللي جمع حزمتك ما يفله**
ياالجوهر الناريز يالمسك يالطيب	**يا عنبر من جربه مايمله**
تكفي محاليب وتملى محاليب	**وكبد تيبسها وكبدٍ تبّله**

وهنا قال له ابن رشيد: "اسمع يا دغيم، مادمت حياً فإن هيلها وحبها عليّ حتى تموت أنت أو أموت أنا".

ياراكباً (الذلول)

الله على الهوجا طويلة مناكيب　　حمرا ردوم وجالس مرجحانه
مرباعها من خشم لاهه وتغريب　　في سهلة متخالف ديدحانه
تقطع محاويل المقور الضنابيب　　بالقيض ما تشكي الحفا سعويانه
أول نهاره مشيها هورفت ذيب　　وتالي نهاره مشيها زرق زانه
بارض السعين وقاع هاك العراقيب　　مصباح خمس وهي بروض الشنانه
هوجا ليا حدوا عن الما بتجنيب　　تنحر لها عد خفي البيانه
وان وردوا مع ماحيات العواليب　　والما بعيد وهي توالي الذنانه
تارد على الماء قبل بيض المحاقيب　　مع الاوايل جيدات الامانه
ابي عليها مع عيال شراعيب　　معهم صفوق الصمع كالجبخانه
تشاوحوهن واغرضوا بالمشاعيب　　وشافوا جهام زارق ويضحانه
وصارن خزايزهم كبار الدباديب　　تلقا بهم غير الكتايف بطانه
وعقب اخشروهم بالفذوذ　　بالحشو والا فاطر عيدبانه

هذا نص قديم محتشد بالألفاظ البدوية الموغلة في صحراويتها، وهي قصيدة للشاعر محمد الدسم العنزي صاحب الحكم الشهيرة والنصائح المتعددة، وهو من خيرة الشعراء وأكثرهم حكمة. إلا أن هذه القصيدة، التي يصف فيها الذلول، تعتبر نموذجاً حقيقياً للمفردة البدوية وللوصف البدوي أيضاً، مع أن أهل البادية عادة ما يبدؤون

قصائدهم بــ"البارحة" أو "نطيت رجم" أو "أيا راكباً من فوق"، ثم يستهلون القصيدة تماماً كما كان الشـــاعر العربي القديم يبدأ بالوقوف على الأطلال، الأمر الذي حدى بالشاعر المجدد أبي نواس بقوله منتقداً:

قُـل لِمَـن يَبكـي عَلـى رَسـمٍ دَرَس   واقِفـاً مـا ضَـرَّ لَـو كـانَ جَلَـس

المهم أنني من خلال قراءة هذه القصيدة، فإننا لا نجد ضيراً من أن نفسرها للجيل الجديد الذي لم يعش تلك الأجواء التي تحدث عنها أجداده. فمحد الدسم يصف الذلول بقوله هوجاء – أي من أهوج طويلة المناكب، أي الأكتاف، وهي حمراء، والشاعر جالس على كورها متأرجحاً (مرجحانه).

ثم أن هذه الذلول مرباعها غرب منطقة لاهه في سهول متشابكة زهور الديدحان. وهذه الذلول تقطع محاويل المقور (وهي الجبال الصخرية التي يتجمع الماء في أعلاها في القيظ)، وهي سعويانه كثيرة (أي كثيرة السعي والجري). وجريها في أوله مثل هرولة الذئب (هو رفه) وفي آخره مثل حركة الرمح (الزانه).

وهي تتوجه من السعين لتصبح في اليوم الخامس بأرض الشنانة، ومن صفات هذه الذلول أنها إذا وجدت الماء محتلاً تعرف عدّ أي بئر آخر من تلقاء نفسها.

وإذا وردت الآخرون من جبال ممحله وآبار قديمة ماحيات العواليب والماء بعيد، فهي توالي الذنانة ما تبقى من الماء القليل. وترد قبل بيض المحاقيب، قيل: الهجن

الأخرى (شيب المحاقيب) أو الشباب المتمنطقين بالبياض، أو القطا والعيال الشراعيب – الشباب النشطين، وصفوف الصمع أي محازم الفشك كالجنجانه (لفظة تركية تعني الجبة الحمراء). ثم تشـــاوحوا هذه الهجن بالمشـــاعيب (العصـــي) وراوى (جهام زراق ويضحانه) والجهام مجموعة الإبل، وهو يبدو على البعد أزرق رغم أنه أبيض.

ثم تركوا من لا يفكرون إلاّ بالحيل أو الذهانه، وصـــارت خزايز أولئك الشـــباب (الشـــراعيب) كبار الدباديب الإبل المدللة، ثم أخشـــروا أي قاسموا أولئك الكســـالى بالفذوذ، أي (ما فذ) من الحشو أو الفاطر العيدبانه الكبيرة (لسن).

بالطبع لم يشدّ الدسم وحده الذلوله، فأغلب شعراء البادية يشدون الهجن أولاً في مطلع القصيدة (كمشدّ) للقصيدة أيضاً. فها هو خلف أبو زويد الشمري، وهو من خيرة من وصف الهجن في الشعر النبطي، يقول في إحدى قصائده:

يا راكب اللي كن مشـــيه يضـــدي	**محاقبه من ســـوجهن للحقب بيض**
تزها إلى صـــارت بكورة تشـــدي	**لا مس حبلـه لـه تنهوص وتجويض**
حمرا على الســـندا عـديم تهدّي	**عليه ســـنامٍ شـــاتٍ عقب تقييظ**
حمـرا عشـافـر منـوة اللـي يمـدي	**حزوبره ، منوة مقضـــي الأغاريض**
مهجـاج عنـد المزهبـة لو تغـدي	**ما تلهدك بالرغرغه والتفاضـــيض**

وهنا نرى مفردات أبو زويد الخاصـــة مثل "عشافر" و"حزوبر" و"مهجاع"، وإلى آخر الأمر، الذي يذكرنا بقعود محدى الهبداني، الذي يقول فيه:

عنسٍ سـبرسٍ بالسـواد الوغطسـي　　قطـاع دوٍ هوذلي سـوسـحـاني
هزتـه بعود اللوز من غير لمسـي　　وياما قطع من نازح السـمهداني

وقد تفنن الشـعراء في وصـف الرحلة أو الذلول، ووصـفوها بالربداء، النعامة، الأدمي، الغزال، القطاه، أو غيرها، فهذا شاعر يقول:

ياراكـب اللي كن اذانيـه حربـه　　حر يسـوقون المهر في ضـرابه
اشـقر رباع موحش عقب طربه　　وليا حدوا به على العسـر ما يهابه

وهذا شاعر آخر يصف قعوده بالأدمي – أي الغزال بقوله:

يا راكـب اللي كن الأدمي توازيـه　　من عبكلي من ذلول البـديني
امه ذلول ذويخ منسـب وغاذيه　　وابوه جـابـه من شمـال الحنيني
يسـرح قعودي والزبيره مماسـيه　　يلفي مفرج شـوق موضـي الجبيني

أما الآخر فيصفه بالوضيحي – البقر الوحشي بقوله:

ياراكب اللي ناعتـيـن هداده　　يرعى ثمان سـنين عشـب المرابيع
خرجه امتوبك زاهي في شـداده　　ومكلف دشـنه على كل توضـيع
مثل الوضيحي وان جفل مع حماده　　والا النداوي يوم ياخذ تناويـع

وهذا يصفها بالظليم بقوله:

يا راكب الحمرا الطويلة تبي وين ... تـشدي الظـليم بنهـشه واختباطه
إلى خذا مع سهلةٍ و قم شوطين ... كـن الضـواري يـنهـشـنه بـبـاطـه

بينما يقول شاعر آخر أسمه عمهوج متيمناً ذلولاً:

يا بوي انا شـــفي من الجيش حره ... بعيـدة المســـراح يوم اثنى الورك
تشــــرب حثـال بالقلص يوم اثره ... لا جـالهن عنـد الموارد لهن عرك
غدا لهن من عقب الادراج صـــره ... صـــرة قطاةٍ حركوا بيضـــها حرك

أما ابن شريم فيخاطب بن ربيعان بقوله:

يا راكـب حمرا براســـه ســـطاره ... حمرا من العيرات نســـاع الازوار
حمرا تقلـب عينهـا كـالشـــراره ... ومن العيا فيها زعانيف وســـطار
شـــيبا القرا من نابيـات الفقـاره ... وضـــلوع طفاح المواخير وقصـــار
حمرا بها من مقدم الصـــيد شــــاره ... بقمـة غزال ذاره الملح وانـذار

الى آخر القصيدة. ولعل أجمل وصف سمعته يوصف الذلول هو قول ساكر الخمشي:

أنـا شـفـاتـي حـايــل حـيـلـوهـــــــا ... إليـا مـا تـعـادل بـالأبـاهـر شحمهـا
مثل القموعِ ديودهـــا ما احلـــبـــوهـــا ... فصلت بـدن مـا بيـن فخـذه وفمهـا
وصـــايــف الــريــمي إلــى وصفــوهـــا ... مــار أن في عينـك تكابـر اقـصمهـا
لـــو أمهـــا بضرابها مـــا احفظــوهـــا ... كان أتهموا غدي الوضـيحي غشـمها
عــوصى نجيــبــه للســفــر ولــمــوهـــا ... حايـل ولا عـمـر الحـويّـر لـغـمـهـا
ذلـــول من هجـــن اللحاوي شروهـــا ... يا كبـر حـظ الـلي قـنـاهـا وغـنمهـا
عـيـنــه تــشــادي جــمــرة خــلصوهـــا ... أركـا عـليـه السمكري مـن فحـمهـا
عين السروق وسرقـــته كـــد لقوهـــا ... تــفــت سواعـد لحيتـه مـا حشمهـا
شيبا ضهر من كثـــر مـــا غربلـــوهـــا ... ولا هـي بـرغـايـه كتــوم نـسـمهـا
أســرع مــن الــلي بالــولع نفجــوهـــا ... تـزبـنـــت قــور تـقــادح رضـمـهـا
تشـــدى تجضـــور خـــفـــرة زوجـــوهـــا ... لخطـو الغشيم الـلي بكـفـه رشمهـا

المرأة والشعر

طـــافَ يَـــبـــغـــي نجـــوةً   مـــن هـــلاكٍ فَـــهَـــلَـــك
لَـــيت شِـــعـري ضـــلّـــةً   أيّ شـــــيءٍ قَـــتَـــلـــك
أَمـــريـــض لم تُـــعَـــد   أم عـــدوٌّ خَـــتَـــلَـــك
أَم تـــولّى بـــكَ مـــا   غـال في الـدهـرِ السُّـــلَـك
وَالمَـــنـــايا رصـــدٌ   لِـلـفَـتى حَـيـثُ سَـــلَـك
أيّ شـــيءٍ حســـن   لِـلـفَـتى لَم يـكُ لَـك
كـلّ شـــيءٍ قـاتـلٌ   حـينَ تـلـقـى أَجَـلَـك
طـالَ مـا قَـد نـلـت في   غـيرِ كـدٍّ أَمَـلـك
إنّ أَمـراً فـادحـاً   عَـن جَـوابي شَـغَـلـك
سَـأُعـزّي الـنـفـسَ إذ   لَم تُجِـب مَـن سَـأَلَـك
لَـيـتَ قَـلـبي سـاعـةً   صـبرهُ عَـنـك مَـلَـك
لَـيـتَ نَـفـسي قُـدّمَـت   لِـلـمَـنـايا بَـدَلَـك

هـذا أقـدم نـص شـعري للسـلكة وهـي ترثـي ابنهـا السـليك، وقـد حفـل الـتراث العـربي بالعديـد مـن أسمـاء الشـاعرات المبـدعات، أمثـال الخنسـاء الـتي اشـتهرت بـرثاء أخيهـا صـخر، وليلـى الأخيليـة صـاحبة

توبة بن الحمير، وعزة صاحبة كثير، وليلى بنت طريف التي رثت أخاها ولاقت شجر الخابور بقولها:

أَيَا شَجَرَ الْخَابُوْرِ مَالَكَ مُوْرِقاً كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيْفٍ

وكذلك ميسون الكلبية التي تزوجها معاوية وزهدت بحياة القصور وقالت قصيدتها الشهيرة:

لَبَيتٌ تَخفِقُ الأرياحُ فيه أَحَبُّ إليَّ مِن قَصرٍ مُنيفِ
ولُبسُ عَباءَةٍ وتَقَرَّ عيني أَحَبُّ إليَّ مِن لبسِ الشُفوفِ
وكَلبٌ يَنبَحُ الطُّراقَ دوني أحبُّ إليَّ مِن قِطٍ أليفِ

إلخ القصيدة. وقد عُرف من العرب أيضاً الشموس التي حرضت قومها على الطسمين إذ كانوا يقدمون لسيدهم كل ليلة فتاة منهم ولما جاء دورها خرجت سافرة وقالت تحرض قومهم بقولها:

وَلَوْ أَنَّنَا كُنَّا رِجَالاً وَكُنْتُمُ نِسَاءً لَكُنَّا لاَ نَقَرُّ بِذَا الْفِعْلِ
فَمُوتُوا كِرَامًا أَوْ أَمِيتُوا عَدُوَّكُمْ وَدِبُّوا لِنَارِ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ

وكان أن أنتفض قومها واقتتلوا مع الطسميين وحرروا أنفسهم من ذلك الذل، كما اشتهرت (العفيفة) – ليلى بنت لكيز من ربيعة والتي أسرها العجم وحاول ملكهم أن يتزوجها وأرسلت الى أبن عمها (البراق) قصيدتها الشهيرة:

**لَيـــتَ للِبــبَرّاقِ عَينـــاً فَـــتَرى		مـــا أُقاســـي مِـــن بَـــلاءٍ وَعَنـــا**
**يا وائِـــلًا ويا عُقَـــيلاً وَيلَكُـــم		يا جُنَيـــداً ســـاعِدوني بِالبُكـــا**
**عُـــذِّبَت أُخــــتُكُمُ يا وَيلَكُـــم		بِعــذابِ النُكــرِ صُــبحاً وَمَســا**
**يَكــذِبُ الأَعجَــمُ مــا يَقــرُبُني		وَمَعــي بَعــضُ حِساســاتِ الحَيــا**
**قَيِّـــدوني غَلّلِـــوني وَافعَلـــوا		كُــلَّ مــا شِــئتُم جَميعــاً مِــن بَــلا**
**فَـــــأَنا كارِهَـــــةٌ بُغيَـــــتُكُم		وَمَريــرُ المَــوتِ عِنــدي قَــد حَــلا**
**أَتَـــدُلّونَ عَلَينـــا فارِســـاً		يا بَــني أَنمــارَ يا أَهــلَ الخَنــا**
**يا إِيادُ خَسِـــرَت صَـــفقَتُكُم		وَرَمــى المَنظَــرَ مــن بَــرد العَمــى**

فهب البراق وقبيلته لإنقاذها وقد سمّيت العفيفة بعد تلك القصيدة.

***

الزرقاء: ومن أشهر نساء العرب التي اتصفت بالحكمة والشعر، هند بنت الخنس الإيادية، وهي جاهلية فصيحة وحكيمة، تزور سوق عكاظ وتحكم بين الشعراء. وقد أتاها رجل يومًا يستشيرها في امرأة يتزوجها، فقالت: "انظر ركاء جسيمة أو بيضاء وسيمة في بيت جد أو بيت حدّ أو بيت عز".

فقال: "ما تركت من النساء شيئًا؟" فقالت: "بلى، شرّ النساء: السويداء الممراض والحميراء المحياض".

وقيل لها: "أي النساء سواء؟" فقالت: "التي تقعد بالفناء وتملأ الإناء".

وقيل لها: "أي النساء أفضل؟" فقالت: "التي إذا مشت أغبرت، وإذا نطقت صرصرت، متوركة جارية في بطنها جارية تتبعها جارية".

وقيل لها: "أي الغلمان أفضل؟" فقالت: "الأسوق الأعنق الذي إذا شب كأنه أحمق".

وقيل: "أي الغلمان أسوأ؟" قالت: "الاويقص القصير، العضد العظيم، الحاوية، الأغيبر الغشاء، الذي يطيع أمه ويعصي عمه".

ركاء: سمراء، الاويقص: قصير الرأس، الحاوية: البطن. وقد قيل في النساء وسطوتهن لدى العرب:

نَحْنُ قَوْمٌ تُـذِيبُنَـا الأَعْيُنُ النّجْـلُ عَـلَـى أنّا نَـذيـبُ الحَـدِيـدَا
وَتَـرَانَا يَـوْمَ الـكَـرِيـهَـةِ أَحْـرَاراً وَفِي السِّـلْمِ للغَوَانِي عَبِيـدَا

وها إن أحدهم يصف امرأة بقوله:

وبـدت ثريا قرطها وشـعرها متصـل بكعبها كما ترى
يا عجبا لشـعرها لما ابتدى من الـثريا فـانـتهى بالـثرى

وقال شاعر آخر:

لقــــد فـــتكت عيون الغيد فينا　　　بـبـيـضٍ مـرهـفـاتٍ وهـي سـود
وتـطعنُنـا الـقـدودُ إذا اعـتـقـنـا　　　بـسُـمـرِ مـن أسِـنَّتِـهـا الـنـهودُ

المرأة في البادية

وكما قالت ميسون الكلبية في العصر الأموي، فإن الكثير من النساء البدويات في عصرنا هذا أو في القرون السابقة قد وقفن موقف ميسون. فها هي الشاعرة بنت صنيتان بن راجح الحربية، كانت تسكن المدينة مع زوجها، فتذكرت البادية وقالت:

يامل قلب كن في داخله نار	**نار الشويط بعامرات الهبايب**
جعل المدينة ماتغشاها الأمطار	**حطيت فيها وأصبح الراس شايب**
صكوا عليه بين ضلعان وإجدار	**مثل الربيط اللي بعيد القرايب**
يامن يدني لي من الزمل معطار	**اشقح من القعدان مشيه نهايب**
آبي أتنحر دار شبابة النار	**عمي وأبويه ناطحين النوايب**
لو كان شوقي للمواجيب جبار	**ماهوب مثبور يبيع الصلايب**
يفرح إليا جو ربعته له بمسيار	**وإن غاب وصاهم إذا كان غايب**
يارب عضني في عشيري وأبختار	**قرم يفك الجيش يوم الحرايب**

وأيضاً مثلها قالت جزعا بنت راجح بن فدغوش العجمي حينما زوجها أبوها الى رجل من الحاضرة فتذكرت أهلها وقالت:

أمس الضحى في عالي الرجم	**متهيّض باعلاه من وقت الاشراق**
بين النخل والزرع بالبيت خليت	**مابه أحد بيوسع الصدر لا ضاق**

عز الله إني في ضـواحي البلد جيت	**تشـــبركت كبدي الغايات الأحراق**
وأنا من المقعـاد والبلـد مليـت	**يالله دخيلـك من تواعيس الأرزاق**
لاشفت زعجولٍ من البل تشـاليت	**قلبي مع حرش العراقيب يشـــتاق**
والا أوحيت صــوت النجر بالنوم	**فزة ربيطٍ بشـــروا لـه بالأطلاق**
يازين صـوت النجر في ربعة البيت	**راعيـة قرم يصـــفقـه بالتحـذلاق**

وقد قالت المرأة البدوية الكثير من الشعر بزوجها أورثته أو أشتاقت إليه بعد فراق، فهذه وضحى الجدعية المطيري ترثي زوجها:

لا والله إلا صـــدق هزاع غـادي	**يا اخبلني اللي قـاعـده واتحراه**
الـدم فوق الميركـه والشـــدادي	**شـــفت الذلول اليوم جتنا بليّاه**
اليوم أبليس لـه ثيـاب الحـدادي	**والـدمع من عيني على الخد مجراه**
مرحوم يامروي حـدود الهنـادي	**لاحـل باطراف الركـائـب مشاراه**

***

حواريه: ولعل هناك قصـــيدة حواريه بين امرأة من الحاضـــرة وبين بدوي عابر إذ قالت الحضرية:

منين جيتونا من البعـد عـانين	**وش جـابكم للحضـــر يا أخو**

فأجابها:

جينا على هجنٍ سواة الشياهين   القفـل زاويهن ســـواة الأهلـة

فردت:

هو عندكم مثل الذي شفت بالعين   لو كـان مع غيرك ولا تســـتحلـه

فقال:

عندي مثل ما شفت زولٍ مكفين   أسوق فيها دق مالي وجله

فقالت:

إن قمت وسط بلادنا قدر يومين   تشـــوف مالاً شـــفت بالعمر كله

فقال:

البدو لا جو ديرة الحضر عجلين   رجـالهم كن السّـــعـاير تملـه

غزل المرأة بالرجل

النساء في البادية قليلات الغزل، وهن يتمنين الفرسان ويتغزلن بهم كما تغزلوا بهن. فهذه "مويضي الدهلويه" تتغزل بزوجها الفارس الشيخ جديع بن هذال، وهي عند أهلها، وهو مشغول بالغزوات:

ياراكبٍ حيل ابروسه لجاجـــــــه	**امظريات للمســـــاري والادلاج**
لا روحن بالدو كن إنزعاجـــــه	**سفنٍ حداها بالبحر بعض الامـواج**
سفن البحر سود بروسه فجاجــه	**وارقابهن زعاج من يبس الامـــواج**
تلفون شيخٍ نازلٍ بالعجاجـــــه	**جديع اللي للمجاويخ زعـــــاج**
وقل لابن وايل كان وده ايواجــه	**القيظ فات وبارق الوسم زعـــاج**
حطيت لك ريش النعامه أولاجــه	**والبطن لك يامدبس الخيل مسهاج**
أمي توصيني عن الانزلاجـــــه	**وقلبي اليا جاء طاري البدو ينفاج**
أمي تقول إن التمني سماجـــــه	**وأقول إن بعض التمني به أفـــراج**

وعندما سمع كلامها جديع أرسل لها جواباً بالكلام وذلك بقوله:

يا راكــبٍ حِيْــل إليــا لجلجني	**عوص لهن مع نازح البِيْد مرمال**
إليا مشن مديدهن ما يونـي	**لكـن حاديهـن مع الدو خيال**
مدن من الأنجاج حين انهلني	**والظهر عنـد صـــخيّف اللون**

الظهر عند صويحبي بركني — **الـلي ثـمـانـه كـنـهـن در**

لا جيـت مـوضي يا منـاي — **وصـل سـلامي بنت ماضـين**

وقلـه تـراهـا طـالـق الحبـل مـني — **اللي قصيده يلعبه كل رجال**

فأجابت:

جـديـع يـوم أنـه بـغـانـي بـغـيـتـه — **مـا طمحوني عنـه كثـر العشاشيق**

والـيـوم مـا دامـه رمـانـي رمـيـتـه — **رمـيـة وضـيـحي رمـوه التفـاقـيـق**

والوضيحي: هو نوع من الغزال يعيش في النفود .

البحر

لقد كانوا في سفينة تمخر بهم البحر مجموعة من البحارة الكويتيين، وبينهم الشاعر العبيدي الذي ينتمي إلى الزلفي الواقعة في نجد، وحينما اقتربوا من جبل "حالول"، قال العبيدي:

يقول العبيدي يوم طالع جبل حالول ... تهيض بزين القيل وبيوت قيفانه
تماثيل وازنهن بهن شاطرٍ ويقول ... كما تاجرٍ يازن (قماشه) بميزانه
أبي أرد قيلي يابو ناصر حصان الشول ... آنا عارفه طيب ولا ابور باحسانه
ابا اطلب الله رافع الشان منه اسول ... لعله يوفق نوخذانا على الدانه
وراشد هديب الشام ما أنساه راع ... ذكرته بزين القيل ما اسعى بحقرانه
راشد وعبدالله هل المجلس المدهول ... على السيف حطوا به (دلاله وسامانه)
عسى عزهم يارافع الشأن مايزول ... هل الطيب والمعروف والصدق وأديانه
بكت عيني اللي دمعها كما الهملول ... تنثر عبايرها على الدار ولهانه
أنا باتمنى عقب ركب البحر اذلول ... بعيد الخلأ تطويه لو طال خدانه
إليا روّحت تهذل كما ذيبة الهذلول ... والا قطاةٍ وردت الماىّ عطشانه
عليها الشداد وفوقها مزهب المرسول ... ونجرٍ على المطلوب تطربني ألحانه
من الشط مروي قربتي ماهر ودحول ... وكل الملازم عليها الصيف مليانه
بدوّر عليها ديرتي ضامري مملول ... كما دلةٍ ملت على حضو نيرانه

والعبيدي، مثله مثل غيره من أبناء نجد وباديتها، قد ركبوا البحر وعملوا به وتعلموا فنونه، وكابدوا مخاطره، وقالوا فيه الأشعار الكثيرة، كما تحملوا مآسيه وفجائعه. فهاهي موضي العبيدي – قريبة الشاعر – ترثي ابنها الذي أكله البحر بقولها:

يا بو سعد عزي لمن ضاعت أرياه ... قلبه حزين ودمع عينه يهلّي
يسهر طوال الليل والنوم جافاه ... في مرقده كنّه بنارٍ يصلّي
على وليف عذب الحال فرقاه ... الطيب اللي للقرايب يهلّي
مدري دراديـر أزرق الموج ودّاه ... ولّا كلاه الحوت يا كُبر غلّي
يا ليتني تقاسمت الغرابيل وياه ... نصيفةٍ حقه وأبي نصفهن لي
ويوسف خطف بشراع وأقفى ... وأنا اموصيته على جبرتن لي
يا ليتني دميت بالهير وياه ... موج البحر فوقي وفوقه يزلي
الله يسود وجه يوسف وجزواه ... ما ذكر دمعي وسط حوشه يهلّي
جتني هدومه عقب عينه امْطواه ... لا وفق الله محملٍ جابهن لي
ليته ورا سيلان والهند مرباه ... وأرجي يجيبه لي شراعٍ معلّي
البندق اللي عندنا له مخباه ... نقالها من عقب عينه يولي
وصلاة ربي عد ما حل طرياه ... وأعداد ما سار القلم بالسجلي

أي أننا هنا نلاحظ المفردات البحرية أو التي يتداولها أهل البحر مثل: دراير، أزرق الموج، الحوت، الحصير، القوع، خطف بشراع، محمل جابهن لي، شراع يفلي. بالطبع،

نلاحظ قلة المفردات البحرية لدى الشاعرة لأنها حديثة عهد بالبحر على عكس أهله، وكذلك بالنسبة للذين انتقلوا من "جمل" – سفينة الصحراء – إلى السفينة، سفينة البحر. فهاهو ابن البحر فهد بورسلي يقول:

مـا دامنـا شـــتى بفلـك واحـد　　　ذاب الشـــراع وضـــاعت الغرافة
هــذا جزانا زين ســـوت فينــا　　　خـل الغرق مـا يوصـــــل النزافـة

وكذلك يقول الشاعر زيد الحرب:

يجاهد الدنيا بمجداف واشـــراع　　　ما دمت انا حي وأمشـــي بظهرها
مرة بغبــة ســـور ومرة بحر باع　　　ومرة بصـــــافيهـا ومرة بكـدرهـا

وأيضاً يقول الشاعر الكبير المرحوم عبدالله الدويش، وهو من الرجال الذين ركبوا البحر ووصفوا رحلاته الصعبة، يقول الدويش:

ياتـل قلبي تـل ســـيبٍ لغيصـــــه　　　مـاية حمـل والغيص عرض بأياديـه
يادق قلبي حيل من دق "بيصـــــه"　　　من فوق شـــفت مخلّف في مجاريه

ويقول فهد بورسلي أيضاً في قصيدة يشكو منها فقره رغم ركوبه البحر:

البـارحـة في مرقـدي مـاهنيـت　　　من لاهـبٍ بالقلب نشـــف لهاتي

ليمن تنهوا في حلا النوم تمنيت ... في ضـــيجـةٍ والمبتلي مـايبـاتي
أنا الفقير المبتلي لو تمنيت ... دِبْ الليـالي مـا تجي مشـــتهـاتي
الحظ شـــين ومن ردا الحظ وافيت ... طرشـــة بلح من بد كل إطرشـــاتي
من البلح يا لايم القلـب مليـت ... عشـــرين يوم في خبيث المشـــاتي
قالوا علامك يافهد ماتعيشـــت ... قلـت القهر راعيـة عـاف الحيـاتي
جفيـت أهتي بالقوت والقوت ... وكوز يصيح بصوت ذيب الفلاتي
من البلح بينـت مـاجـان كنيت ... الجمـه صـــاير عنـدنا كـالمهـاتي
منين ماتنصـــي جنوبٍ عن البيت ... قـام الـدهر يرفع علينـا الجنـاتي
زودٍ على ضرب الخواليف والشيت ... ســـبرة وعنهـا مـاتفيـد "الجواتي"
يانوخـذا ياليـتـنيْ مـاتعنيـت ... مـايـنـيـغـي دربٍ وراه المـمـاتي
لين إطرحوا ويا أهـل الخشـــب ... صـــفة صـــفوفٍ ينطرون الزكاتي

وما دمت في الحديث عن البحر وركوبه وأهواله، أذكر أننا كنا نتحدث أمام الشاعر الراحل عبد الله الدويش عن أهوال الصحراء ومتاعبها، فقال لنا: "إن الأهوال في البحر... فقد أبحرنا للهند، وفي وســط المحيط أخذت الســماء تمطر علينا ليلتين، وكنا ننزف من السفينة إلى أن ظهرت لنا جزيرة"، وبذلك راح ينشد لنا معلقته البحرية الآتية، والتي منها:

ياراكبـاً من فوق سمح العوالي ... ســـاجيـةٍ تقطع بحور طويلـه
لي علّق شـــراعه وهب الشـــمالي ... توحي عجيج الموج مثل الـدبيلـه

خاطف من الديرة من الحمل خالي ناصــــي المعامر والحمل مرتكي له
له وشــــطن وحمّل لين حد الجوالي وخلي الكرايخ والحمل زاد شـــيله
فيّض من البصرة وشحن كل غالي وخلي « ســــلامه » عن يمينه مخيله
ســــند على العيون والريح مــالي في ريهجان البحر ما اخلي صـهيله
وان هب عاصوفٍ من الريح شـالي جلاميــد صـــخر بالبرور المحيلـه
ويمم على مســـكت وعنها متوالي من صـــوب فارس ما يبدل بديله
جبــال فــارس عن شمــالـه توالي (هينام) مع (شــــهبار) والكوه نيله
اقبل على (مكران) صعب الصعالي اللي أهـلهـا للقـا تلتقي لـه
"ديو الجقـت" عن يمنـه ومتعــالي و"المحرقة" ياضـــي ســناها شـعيله
وشـرّع "كراشـي" وباسـنا عنه زالي وخلي "جوادر " من خلافه تميله
وبنـدر كمـاري عــالي كـل عــالي شــــاف المنارة والمســـــافة قليله
نزّل بعض حملـه من المـال جـالي وخطف يبي (بومبـاي) وربه كفيله
دار الهـوا لــه مـولم باعــتـدالي وكمّـل مســــــاره في نهاره وليلـه
والم شـــراعــه والهوى دار حــالي مع بمته مـا أحلى مســـيره وميله
وشـــطن (ابومباي) راســي بالحبالي والنوخـذا يرجى بعلمٍ يجي لــه
شــــهرٍ تكمّــل من طلوع الهلالي وجزوَّاه كــل متفق مع عميلــه
نــزل ولا حمــل ودار الــتـوالي غير الطعان وما تقاصــر بشـــي له
وشـــــال الاناجر طالب كل غالي ناشـــر شـــراعه ما يضـيع دليله
يعوم في دوٍ من الموج صــــــالي مســـــنـــاده الهيلي تزاخر نخيلـه
واصـــبح مبندر في كالكوت خالي ســــتين يومٍ والبضـــــايع مهيلـه

جزواه في البندر ســـهاري الليالي **في ونســـةٍ كلٍ صـــفا له عديله**
يا ما حلا المطراش والبال ســـالي **والنفس فيمـا تهتوي لـه جميلـه**

ثم يتحدث الدويش عن بندرتهم في كالكوتا ولهو الشباب ويعود يتحدث عن العودة إلى الكويت بقوله:

عليـت من بنـدر كـاليكوت عـالي **ناصـــي الكويت وكل رزق نشـــيله**
معنـا من الخبرات مـا كـان غـالي **من كل غرض و انعام ربي فضـــيله**
عـلى وعـبر غـبتـه مـا يـبـالي **ناشـــر ثلاث الشـــرع والله وكيله**
عشـــرين يومٍ بالتيـاســـير والي **"اجـنـبـز" وقــدرة الله اهـي لـه**
بـين أبـو داود شمـخ الجـبـالي **اللي بســـفحـه نازلين قبيلـه**
وحــدّر يبي مطرح ومـدّ التوالي **داربهـا المُـولـه يـدّور حـلـيـلـه**
الحر يشـــهر في ربوع المعـالي **وألـبـوم بالخـربات دوم مـقـيـلـه**

شيخة النجدي

نص وتحليل شيخة القصيد لمقحم النجدي الصقري العنزي:

يا الله يالمعبود يا والي الأقدار	يا فارج الشدات لو هي كليفه
أنت الذي تعلم خفيات	معيش الخلند اللي عيونه كفيفه
يا رب يا رحمن عاون هل الكار	يا معاون العبد الضعيف وسعيفه
اللي مجالسهم بها بن وأبهار	ونجر يصوت للهجا في رجيفه
اللي صيانيهم وسيعات واكبار	ومفطحات الحيل للضيف ضيفه
تقليطهم للضيف قعدان	وحيل الغنم وقت السنين الحفيفه
حنا كما المشخص اليا طب ما	بالوزن يرجح بالدراهم صريفه
حنا لك الله ما نخفي سنا	ولا ننزل ألا بالديار المخيفه
وحنا لك الله من بعيدين	والنفس ما نلحق هواها حسيفه
وحنا لك الله دوم نبعد عن	ولا نقبل العيلات لو هي طفيفه
وحنا لك الله من قديم لنا كار	عن جارنا ما قط نخفي الطريفه
الجار ما نذكر خماله ولو جار	وجاراتنا عن كل عايز عفيفه
ما زارهن من يبغي الحيف زوار	ألا ولا عنهن ندس الغريفه
وحنا لك الله للمعادين جنزار	والجار ما نجفاه لو بان حيفه
نرفى خماله رفيت العش بالغار	ونودع له النفس الثقيلة خفيفه
وعن المهونه والردا جارنا مجار	بربا عنا يلقا وناسه وكيفه
والجار له قيمة وحشمة وتعبار	نضحك حجاجه بالعلوم

نبغي أن كانه بدل الدار بديار   وقام أيتذكر ما حصل من حليفه
يعد ما شافت عيونه وما صار   والكل في جاره يعد الوصيفة
جار على جاره بختري ونـّوار   وجار على جاره صفاة محيفه
ولا بد ما تذهب تواريخ   والطيب يشرى بالعمار القصيفه
الطيب نوهاته صعيبات وأعسار   مبطي لدسمين الشوارب وضيفه
نكرم سبال الضيف حق وتعبار   يوم أن خطو اللاش شح برغيفه
يا مزنة غراء من الوبل مبدار   برقه جذبني من بعيد رفيفه
هلت من القبلة هماليل   من سيلها الوادي غداله وحيفه
تنزل على الوديان من ديم   وتصبح بها ريضان ربعي مريفه
صبح المطر فاحت بها ريح   وتخالف النوار مثل القطيفه
ترعابها قطعاننا سر وأجهار   تقطف زهر مرباعها مع مصيفه
قطعاننا ما ترتع بدمنة الدار   ترعى زماليق الفياض النظيفة
ترعى بحد السيف قصاف   في ظل مروين السيوف الرهيفه
في ضفة الله ثم جبر وجبار   خيالة يوم الملاقا عنيفه
ترعى من البكري اليا خشم   ما حده الوادي لرجم الحتيفه
تسمن بها العرا من الذود معطار   غبوقة الخطار عجل عطيفه
يبني عليها بنيت اللبن لجدار   عقب الضعف صارت ردوم
أن سوهجوا عنها معاميس   حنا نرد اللي يبيها نكيفه
ما هي سوالف مسرد عقب ما   مع العرب يشبه لخطو الهديفه
ومن لا صبر ما حاش بالفود   تصبح أحواله عند ربعه كسيفه

خطو الولد مثل البليهي اليا | **زود على حمله نقل حمل أليفه**
يشدا هديب الشام حمّال | **اليا زودوا حمله تزاود زفيفه**
وخطو الولد مثل النداوي اليا | **صيده سمين ولا يصيد الضعيفه**
وخطو الولد فعله على العيب | **صفرٍ على عود تضبه كتيفه**
وخطو الولد كوبان ما يقرب | **لا نافع نفسه ولا منه خيفه**
وصلاة ربي عد ما أخضر | **على الرسول اللي علومه شريفه**

هذه هي "الشيخة"، أي شيخة الشعر النبطي كما أجمع عليها حاضرة نجد وباديتها وما حولها من البوادي. وقد قيل إن السبب في هذا الإجماع أن هذه القصيدة تحوي على الكثير من المعاني الرائعة والجميلة، إذ تتحدث عن الكرم والشجاعة، والحمية والإيثار والاعتداد بالنفس، وحق الجار، والتواضع، إلخ..

الصفات الحميدة التي يجب أن تتوفر في الرجل، وقيل إن سبب تسميتها بالشيخة يعود إلى أنه سمعها ابن رشيد وقال مغضباً: كيف لم يجد شعراء حائل بعض المعاني في أبياتها، وخصوصاً البيت القائل عن الجار:

نرفى خماله رفيت العش | **ونودع له النفس الثقيلة**

أي أنهم يهتمون بجارهم كما يهتم الطائر بعشه، ويخضعون نفوسهم لرضاه مهما كان بها من آنفه وقوة واعتداد. ونحن بعد أن أوردنا نصها كاملاً أو

(بعضـــه الكامل) لأن هناك من يحفظ منها أكثر من ذلك، كما أننا نعتقد أن هذه القصـــيدة أطول مما حفظه الرواة الذين بدورهم أملوها على بعض جامعي التراث الشعبي أو مقدمي برامج البادية مثل: منديل الفهيد، ومحمد الشلاحي، وسليمان الهويدي، وسعود بن نوطان المري، وسعود الجمران، وإبراهيم اليوسف، وغيرهم ممن خدموا هذا التراث خدمة جليلة.

أقول بعد أن أوردنا النص، لا نجد ضيراً من تفسير بعض أبياتها للجيل الجديد من الشباب في الخليج.

***

المفردات:

- الكار: أهل العادة أو المحصنة
- شطات: أزمات
- الهجافا: الجائعون أو الضامئون إلى شيء كالأكل والماء
- أصيلات وبكار: في العشية والإبكار
- مبدار: بمزنة مبكرة أو (بدرية)
- الخدان: الأمكنة، مفردها (خد)
- القطيفة: السجادة أو ما أشبهها من المنسوجات
- الزماليق: أفواف الزهر

- الدمنة: المكان الثابت الذي تُدفن فيه الإبل
- الغوش: المجموعة من الرجال
- غبوقة الخطار: التي تجلب للضيوف في المساء، وعكسها الصبوح الذي يقدم في الصباح
- المسرد: الكذاب الذي يسرد أخباراً غير صحيحة
- البليهي: الجمل الكثير التحمل
- الهديفة: الرجل الخامل الذي يأتي من قبيلة أخرى بلا عمل
- النداوي: الصقر الحر
- المشخص: عملة تركية من الذهب عالية القيمة
- الطريفة: الأكل النادر كالصيد وما يشابهه
- البختري: زهر في الصحراء
- صفاةٍ محيفة: صخرة قاسية
- سبال: لحريه له

***

تحليل القصيدة:

ها أن الشاعر يرفع يديه إلى السماء ويطلب رب العزة (والي الأقدار) الذي (مدت جوده لطيفة)، ويطلب منه أن يســـاعد (أهل الكار) الذين لديهم مشـاكل تكلفهم كثيراً، لاسـيما وأن (مجالســهم) أو دواوينهم بها (برّ وبهار)، وأيضاً (نجر) لدق القهوة حينما (يدقه) صاحبه ينادي (للمضرمين) أو الهجافا.

هي عبارة عن (مفطحاتٍ في صحونٍ نظيفة). ثم يتوسل الشاعر للمزنة أو الغيمة المبكرة التي اجتذب لها من خلال (الهواء والبرق) الذي (يرف)، والتي يتمنى أن تمطر على (المفالي التي ترتع فيها القوم) وتصبح معها (أماكن جماعته مشمولة بالريف). ثم يتمنى الشاعر أن تفوح في تلك الأماكن رائحة الزهر ويتشابك النوار كما السجادة، لأنه لا يريد أن ترعى هذه القطعان في (دمنة الدار) أي القرى والهجر والمدن، ولكنه يريدها أن ترعى بحماية جماعته (الغوش) بحد السيف (قصاف الأعمار)، وأن تستمر في رعيهم من (المرباع) — أي الربيع — وحتى الصيف وذلك بحماية فرسان قبيلته (جبرٍ وجبار).

هو يريد أن ترعى (الوضحاء) النبهاء من الإبل والتي يغبق بها الطيوف، والتي سرعان ما تدر بالجليد (عجل عطيفه). وهو يتحدث عن نفسه بأنه ليس مسروداً أو كذاباً ولا جبان عاد ولم يقاتل: (لأطراف رمحه نظيفة). ثم يتحدث الشاعر عن الرجال بقوله: (خطو الولد) ويقسمهم كالتالي: أن أحدهم مثل (البليهي إلا ثار) أي كالجمل الذي يحمل ثقله ويحمل ثقل (زميله) أو صاحبه، وبعض الرجال

يقتنع بالخمول (موتته النار)، وبعض الرجال يتمنى أن يموت (يا مال قصاف الأعمار حيث لا ينفع نفسه ولا ينفع أحداً)، ولكن بعضهم مثل النداوي – الصقر – يكتسب رزقاً ولا يرضى بالقليل.

ثم يتحدث الشاعر عن جماعته ويصفهم (بالمشخص) أغلى العملة العثمانية، ويعود إلى الحديث عن الجار الذي مهما أخطأ فإنه مسامح، ويتحدث عن الجيرة والجيران بقوله: إن بعضهم مثل زهر البختري وبعضهم مثل الحجر (الصفاة). بعد ذلك يتحدث الشاعر بحكمة أن الجار لابد وأن يرحل كما كان عادة البادية، ولابد أن يتحدث (ويعد الوصفِه). ثم إن الشاعر هنا يتحدث عن الضيف الذي يقدم له الأرغفة حينما يشح (ولد العفن – السردي) بأرغفته.

وأخيراً يقول الشاعر المبدع مقحم الصقري أن كل هذه الأمور:

ولا بـد مـا تـذهـب تـواريـخ   والطيـــب يشـــرى بالعمار

الخوي

قل هيه هلا ياشــــايبات المحاقيب	أقفن من عندي اجداد الأثاري
أقفن بالرخصــة كما يقفي الذيب	لا طالع الشــاوي إبليل الغداري
إليا كن لســب أذيالهن بالعراقيب	رقــاصـــــة تبغي بزينـه إتمـاري
يا بن رخيص كب عنك الزواريب	عمـارنا يا بـن رخيـص عواري
خوينا ما نصـــلبه بالمصـــاليب	ولا يشـــتكي منا ادروب العزاري
لازم تجيـك أمي بكبـده لواهيـب	تبكي ومن كثر البكاء ما تداري
تنشـدك باللي يعلم السر والغيب	وين ابني اللي لك خويّ إمباري
قل له قعد في عاليات المراقيب	في قنـه مـا حولـه الا الحبـاري
يتنـا خويـه لين يبـدي بـه الطيـب	ولا يجيه من الصــــواديف جاري
وان كان ما قمنا بحق المواجيب	تحرم علينـا لابســـــات الخزاري

إلى وقتٍ ليس بالبعيد، في الجزيرة العربية بشـــكل عام، وفي أغلب البوادي العربية، كان المصــاب بالجذام أو الجدري يُترك وحيداً وهو حيٌّ يعاني ســكرات الموت، وذلك تجنّباً لانتقال العدوى إلى الآخرين من أفراد القبيلة أو القرية. ثم ترتحل القبيلة وتتركه وشــأنه. فكيف الحال إذا كان هذا المصــاب قادماً في ركبٍ

من الحجيج في طريقه إلى مدينة الرَّس، إحدى مدائن إقليم القصـــيم في المملكة العربية السعودية؟

إذ نقول: (حكـايتنـا اليوم أن ذلـك الركـب كـان بقيـادة ابن رخيص، وقـد أُصـــيب أحد أفراد الحملة بمرض الجدري، وقيل إنه قد كُســـرت ســـاقه، ولكن الأخيرة لا تبرر تركه مهما بلغت إصـــــابته. غير أننا هنا نميل إلى القول إنه قد أُصـــــيب بالجدري، وكـان من عـادة أهـل ذلـك الزمـان أن يحجروا على المريض ويتركوا لديه الزاد والماء ويتركوه وشـأنه، كما حصـل للشـاعر ابن فاضـل الذي لم يجلس لديه أحد ســـوى كلبه (شـــير)، بينما ارتحلت قبيلته، مما حداه إلى قول الكثير من الأشعار المعاتبة، أو التي تفيض بــــ"العتاب" الذي لم يكن مألوفاً في الشـــعر النبطي، إذ يغلب عليه طابع التوجس والغنائية والحزن والهذيان المنظوم، مما عُرف بعدها بفن (العتابا).

أما صاحبنا هذا، الذي نحن بصدد قصته، فقد تركته الحملة، فأشار عليهم ابن رخيص أنه بدلاً من تركه في الخلاء يُصلب على جمله ويُترك وشأنه في ملاقاة قدره، لكي تنجو الحملة من العدوى، ثم تواصل سيرها إلى الرس. إلا أن رجلاً نبيلاً قرر الجلوس مع هذا المصاب وتحمل كافة النتائج الوخيمة. فقد قيل إن الذي جلس معه هو خالد العلي، أو محمد المنصور، وقد بقي عنده أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر. وقيل في رواية ثالثة إنه ابن ريّس، وإن المصاب هو ابن

جارد. وكان ذلك النبيل يصطاد له ويطعمه إلى أن عافاه الله فلحق بأهله، وقد قال صاحبه تلك القصيدة الشهيرة التي بدأنا بها هذه الحلقة.

وهذه القصة الرائعة تذكرنا أيضاً بقصة (خوه الشلقان)، الذين غزا معهم أحد الشبان من قبيلة أخرى، فلما أصيب قرروا ألّا يتركوه، بل حملوه على أكتافهم من وادي رم في الأردن حتى وصلوا ضواحي حائل في المملكة. أما أبيات القصة فتذكرنا بأبيات مشابهة للشاعر والفارس المشهور عبيد العلي الرشيد، حينما أُخذ عليه مصاحبته الدائمة لـ شريدة الصلبي أو ساهي كما قيل في رواية أخرى، إلا أن الأصح من ذلك كله أن اسمه شريدة أو ريشود. فرد عليهم عبيد مذكّراً باسم الرجل المقصود، بل ومبيناً فعله وموقفه الرجولي معه، حينما كان لاجئاً في العراق بعد أن انقلب عليه العلي، إذ كان شريدة يذهب إلى السوق والعتبات المقدسة ويقرأ على المرضى ويعالج بالقرآن، وأحياناً إن لم يجد من يعطيه شيئاً.

كان شريدة يتغافل الباعة ويسرق ليطعم صديقه الفارس عبيد العلي الذي كان متخفياً لا يخرج من مكمنه. وحينما ثبت عبيد أركان الإمارة وتنازل عنها لابن أخيه طلال، وسمع الناس يغمزون بقناعته في مصاحبة شريدة الصلبي، قال قولته المشهورة مدافعاً عن صاحبه ومبيناً وفاءه.

قلت اخبروني ويشــم فضــا هاك   قالوا على ســـاقة رفيقك تحامي
قلت ان ذاك عيبٍ من قديمٍ لنا   مســـتارثينه من خوال وعمامي
العيب ترك المعرضـــه بالمواجيب   والا الرفيق بفزعتـه مـا تلامي
رفيقنا كنـه بروس الشـــخانيب   بيراس حيـدٍ نايفٍ ما يضـــامي
رفيقنا ما نجدعه للقصــاصــيب   يجبر بنـا لو مكســـره بالعظـامي
رفيقنا لو هو من الجد بصـــليب   متجودٍ منــا برأس الســـنـامي
الشـــر ما نســـعى بجره بتقريب   ونــذرا إلى هبــت لنــا بلولامي
هـذي قـدايمنـا إلى عـدوا الطيـب   وكـلٍ يريع لفعـل اهلـه القـدامي
يوم الوغا ما نســتشــير الزواريب   الى طار عن ســود العيون اللثامي
مركاضنا يشبع به النسر والذيب   ونـروي معــاطيـش الســـيوف
نلحق على حردٍ يجنك جناديب   بمطارقٍ مع مثل صـــف النظامي

الذئب

تخاويت أنا والذيب سـرحان	**دعـيتـه بأمـان الله وجـاني**
يجـر العـواء من قـبـل الأذان	**وأنا أعـوي وجـاني في مـكـاني**

نعم، لقد تخاوى ابن خرصان العجمي هو والذئب، إذ كان ابن خرصان هذا "حايفاً" أو "حنشولي"، وفي طريقه صادفه ذئب جائع وعطشان، وكان يسير معه. وحينما استراح ابن خرصان، افترش الذئب أمامه، فما كان من ابن خرصان إلا أن صبّ له بعض الماء وأعطاه شيئاً من الزاد. ويقال إن الذئب يصادق من يصادقه، وهكذا عندما سار ابن خرصان سار الذئب معه يباريه، وكان الذئب أحياناً يسبقه للمراقب ويعود مسرعاً ثم (يلوقص) له كناية عن أنه رأى شيئاً.

ولما أشرف ابن خرصان على إبل القوم انحدر عليهم واستاق ناقة، بينما نهب الذئب (بوّ) أو (ضير) أحد النوق (المضيرة) على حاشيين. و"البو" هو جلد الحاشي المتوفى يُحشى بالرفث أو غيره لكي تظن الناقة أنه وليدها فتدر الحليب. والمهم أن الذئب لما نهب "الضير" لحقته النوق، ولما وصل ابن خرصان بناقته التي أخذها، وجد أن الذئب قد جاء بناقتين تبعتهما مجموعة من الإبل. وسار

الصديقان، ابن خرصان والذئب، حتى وصلا قوم ابن خرصان، وهنا ارتاع الذئب حينما رأى بيوت الشعر وعوى عواءً مراً كناية عن فراق صاحبه.

ولكن ابن خرصـــان ذبح للذئب إحدى النياق إكراماً له، وأخبر قومه أن لديه (خوي) في القلعة الفلانية، وحذّرهم من التعرض له، ويعني بذلك الذئب. إلا أنّ أحد الرجال، كما قيل في بعض الروايات، قرر أن يقتل الذئب، وقيل إن ابن خرصان قتل قاتل الذئب.

معشى الذئب

وليس ابن خرصان وحده الذي عَشّى الذئب، فإن ابن سعيّد من الدغيرات من شمر قد سمع الكلاب تطرد ذئباً جائعاً، وكان يعوي عواءً مخنوقاً، فاعتقد أنه جائع، فقام من فوره وطرد الكلاب عنه وذبح له شـــاة ودعاه إليها، وسُمّي منذ ذلك الحين (معشّي الذئب). وكما هو ابن خرصان، ها هو عبيد العنبري الذي تأبّد طويلاً في الفلوات وخالط الوحوش والذئاب والغيلان، يقول في إحدى تأبّداته عن صحبة الذئب.

أراني وذئـــبَ القفـــر إلفـــين	**بـــدأنا كـــلانا يشـــمئز ويـــذعر**
تألّفـــــني لمـــــا دنا وألفتـــــه	**وأمكنـــني للرمـــي لـــو كنـــت**
ولكنـــــني لم يأتمـــني صـــاحب	**فـــيرتاب بي، مـــا دام لا يتغـــير**

ثم يتحدث العنبري عن الغول أيضاً:

فَللَّـــهِ دَرُّ الغـــولِ أَيُّ رَفيقَـــةٍ لِصـاحِبِ قَفـرٍ خـائِفٍ يَتَسَـتَّرُ
أَنِســتُ بِهـا لَمّـا بَـدَت وَألفتُهـا وَحَـــتّى دَنَـــت وَاللَّهُ بِالغَيـــبِ

والغول أعتقد أنها الغوريلا التي تشبه المرأة، ولو أن العرب كانوا يعتبرونها مخلوقاً عظيماً من الجن، إلاّ أن الشعراء الصعاليك الذين ألفوها، ومن خلال وصفهم لها، يتضح أنها الغوريلا من كبار القردة. إذ يقول تأبط شراً واصفاً إياها:

أَلا مَـــن مُبـــلِغٌ فِـــتيانَ فَهـــمٍ بِمـا لاقَيـتُ عِنـدَ رَحـى بِطـانِ
بِأَنّي قَـد لَقيـتُ الغـولَ تَهـوي بِسَهبٍ كَالصَحيفَةِ صَحصَحانِ
فَقُـلتُ لَهـا كِـلانا نِضـوُ أَيـنٍ أَخـو سَفَـرٍ فَـخَلّي لي مَكـانِي
فَشَـــدَّت شَـــدَّةً نَحـــوي لَهـــا كَفّـــي بِمَصـــقولٍ يَمـــانِي
فَقالَـت عُـد فَقُلـتُ لَهـا رُوَيـداً مَكانَـكِ إِنَّنـي ثَبـتُ الجَنـانِ
فَـــلَم أَنفَـــكُّ مُتَّكِـــئً لَدَيهـــا لِأَنظُـــرَ مُصـــبِحاً مـــاذا أَتانِي
إِذا عَينـــانِ فـــي رَأسٍ قَبـــيحٍ كَـرَأسِ الهِـرِّ مَشـقوقِ اللِسـانِ
وَساقـا مُخـدَجٍ وَشَـواةُ كَـلبٍ وَثَـوبٌ مِـن عَبـاءٍ أَو شَنـانِ

أي من هذا الوصف يتضح لنا أنها الغوريلا، إذ إن القردة كانت تتكاثر في الجزيرة العربية، ولاسيما في منطقة الجنوب، غير أن سكان الصحارى كانوا يجهلون شكل القردة والغوريلا.

***

عن الذئب أيضًا، قيل إن صويلح العرادي من قبيلة بلي أضاع إبلاً له في الليل وراح يتبعها، وقد رأفته ذئب جائع. ولأن صويلح لم يكن يحمل زادًا، فقد كان الذئب يقترب منه محاولًا مغافلته، وهكذا أخذ صويلح يسايره إلى أن اقترب من صخرة احتمى فوقها وضرب الذئب الغادر بالسيف فأرداه قتيلاً، وبذلك قال صويلح البلوي:

يا ذيب أشوفك لي تحدْ المخاليب ... تبي تعشاني وأنا ابا اتعشاك
الكل منا ما درى وش ورى ... والعلم عند اللي مدبرٍ
مالي زهاب ولا لقيت ... غير أنت باليني عسى الرب
ناديت ربعك من علو ... جمعتهم ليّه وربي كفاناك
جمعت كل مشوّكات المناويب ... جمعتهم ليّه وشرّك تبلواك
والأجل عند مرتب الرزق ترتيب ... ليا انتهى عمرك دنت لك مناياك

كذلك استأنس الشاعر الصعلوك الأحيمر السعدي الذئب بقصيدته:

عوى الـذئبُ فاســـتأنســـتُ بالـذئبِ إذ عوى

وصــــوَتَ إنســــانٌ فــكــدتُ أطــيرُ

يـــرى اللهُ إنّــي للأنيــــــسِ لكـــــــارهٌ

وتبغضــهمْ لـــــــــي مقلةٌ و ضــميــــرُ

وفي حكايات الذئاب، ومادام الشــيء بالشــيء يُذكر، هناك قصــة طريفة تقول: كانت هناك فتاة متزوجة من قبيلة أخرى، وأصــبحت بينها وبين قبيلتها عداوة. وفي يوم من الأيام، جاء أخو الفتاة (حايفاً أو حنشـولياً) وصـار خلف بيت أخته، وعوى كالذئب علّها تعرف نبرات صــوته. ففهمت أنه أخوها قد جاء للحيافة، فما كان منها إلا أن غنت بأعلى صوتها:

ياذيب ياللي جرّ صوتٍ عوى به	**مـدري طرب والا مـن الجـوع**
يا ذيـب لا تقهرك عنـا المهـابـه	**يا مجفّـل الغزلان حنـا المعـازيـب**
البوش كلـه يم خشـــم العقـابـه	**في فيضة السرداح والبل عوازيب**

أي أخبرته بمكان الإبل، ولم يكن لديها إلاّ العبد. فانتبهت لها أم زوجها، وظنت أن الأمر يتعلق بعشيق لها، فقالت له بالرمز:

حذراك من ذيبٍ يعضـــكِ نيابه　　　ترى صواب الذيب مابه تطابيب

أي أن خيانتك لاعلاج لها عند القبائل والعرف القبلي فأجابتها بذكاء:

وحياة جلاب المطر من سحابه　　　إني عذيّه مادخل عرضي العيب

أنــا كـمـا عـــدٍ قـلـيـل شـرابـه　　　مادوّجت عليه حرش العراقيب

المرقاب

عـديـت راس مشـــلوحٍ يجـذب ناب الحجا روح المشـــقى فتنها
رجم بـدى فتّـان في مرقبـه نوف أم الوحش بحمـاه تبني وكنهـا
عمرّدٍ يزمي على راس قفقوف يكشـف طوارف شـامها عن يمنها
معلولٍي من نحت الارياح منحوف في راس عيطـا مكهفـاتٍ أركنهـا

هذا الوصف الرائع للمرقاب من الشاعر المبدع صالح الضويحي. والمرقاب هو المكان المرتفع الذي عادةً ما يقصده الشعراء للتأمل وإلقاء الشعر. وقد وصف المرقاب قائلاً:

مايرقب المرقاب كود المشـــقى ولا غريب الدار والا الهواوي

والمشقى هو الذي يعاني الشقاء، أما غريب الدار فهو المغترب عن أهله، وأما الهواوي فهو راعٍ للهَوَى، أي العشق. وفي هذا الإطار، كان مسعود عبد بن هذال يرتقي مرقباً ليتذكر أهله ويسترجع ذكرياته:

أمس الضـــحى عديت في رأس تومي بي الارياح شـــرقٍ وشـــامي
مــاكر حرارٍ مــا يوكر بــه البوم كود العقاب الصـيرمي والقطامي

أبكي هلي يا ناس مانيب مليوم   وأظن من يبكي هلـه مـا يلامي

أي أنه غريب هنا عن أهله الذين رحلوا إلى الشمال. وهذه قصة مشهورة تتحدث عن العبد الذي لم يرتحل مع أهله وأعمامه لأنه متزوج من أهل القرى ولديه أغنام. والدليل على ذلك قوله:

من طاوِع الثنتين يصبر على اللوم   يصبر على فرقى الأهل والعمامي

والثنتان هما المرأة والغنم، إذ لا تستطيعان مجاراة الإبل. وقد قال ساكر الخمشي في هذا السياق:

نطيت راس معمرد وقت الادماس   وعرفت رقي الرجم مابه لنا زود

لا زان شـــوفك لازم شـــفت   لازم تشـــوف اللي ورا جرِع ابا

وأبا الدود هي منطقه تقع الى الشمال من عين ابن فهيد في الاسياح

ويقول سرور الاطرش وهو من اهل الجريدة:

يا طول مـا عـديـت في راس مرقـب   وهـو كـان قبـلي بالخلي يهـاب

لا بان نور الصـــبح عديت راســه   وطيرت من عـالي حجـاه عقـاب

ويقول الشيخ مسلط الجربا وهو من شيوخ قبيله شمر الكريمة وهو شاعر وفارس مشهور:

عـديـت روس مشـــمرخـات المراقيـب   رجــم طــويــل نايــف مــقــلــحــزي

جريت صـــوت مثـل ما جره الـذيب   اوجس ضـــميري من ضـــلوعي ينزي

خوفي من اللي روســـهم كـالجعـابيـب   وســـيف على غير المفـاصـــــل يحزي

لاصــــار مـاناتي ســـواة الجلاليـب   بــقــلايــع بإيمــانــنــا لــه نخــزي

ويقول الشاعر الكبير الأمير محمد الاحمد السديري في قصيدته الشهيرة والمغناة:

يـقـول مـن عـدى عـلـى راس عـالي   رجــم طــويــل يــذهــلــه كــل قــرناس

في راس مــرجــوم عســـــيرالمـــنـــالي   تلعـب بهـالارياح مع كـل نســـنـاس

في مــهــمــه كــفــرمــن الــنــاس خــالي   يشـــتاق له من حس في القلب هوجاس

قعدت في راســـــــه وحيـــــد لحـــــالي   براس الطويل ملابقه تقـــــل حـــــراس

متذكر فـــــي مرقبـــــي وش غدالـــــي   وصـفقت بالكفين ياسٍ علـــــى يـــــاس

والى أن يصل الى بيته الشهير والذي أصبح مثلاً يتداوله الناس في الجزيرة العربية:

لاخـــاب ظـني بالـرفـيـق المـوالي   مالك مشـــاريهٍ على نايد الناس

لعـل قصـــرٍ مـا يجيلـه ظلالي ينهد من عـالي مبانيه للســـاس

ومثله يقول بركات الشريف في نصيحته الشهيرة الى ابنه مالك:

يا مرقب بالصـــبح نطيت راقيك مـا واحـد قبلي خبرتـه تعلاك

وليـت ياذالـدهر مـأكثر بلاويـك الله يزودنا السـلامـه من أتلاك

يامالك اسمع جايتي يوم أوصـيك واعرف ترى يابوك بآمرك وانهاك

وأما النصيحة الشهيرة، التي لا يتسع المجال لذكرها، فهي من عيون النصائح، وهذه القصيدة من عيون الشعر. أما مخلد القثامي العتيبي فيقول عن مرقبه:

مخلد بـد حيدٍ طويل الاشـــاذيب ذكر علـه وكلمـا بالحشـــا جـاب

لو لا اني اجلا عن ضـميري لواهيب في كنّـة الغليون في راس مرقـاب

وملا وحي باكوار شـــيب المحاقيب لغدا حريقة نار في راس مشـــهاب

أما الشاعر الآخر فيقول:

لا ضـــاق صـــدري وقت راس الطويلة أشرف على المرقاب لاجل الضياحي

وهذا يذكرنا بما كان يفعله الصعاليك في المراقب كقول الشنفرى:

وخَرقٍ كظهر الترسِ ، قَفْرٍ قطعتهُ   بِعَـامِلتين ، ظهرهُ ليس يعمـلُ

فذاك يقول: "بدلت عقب الدُّلجة بانبطاحي" وهذا يقول: "أفعل وأمثل"، والذي يماثل قول محدى الهبداني:

اقعـد على مقرٍ خفيـه مواريـه   برهراهـةٍ مـايصـــلـه كود حـايـل

أما رميح الخمشي الشاعر المشهور فيقول عن طويلته تلك:

ياليــت مــايم الطـويلـة تعنيـت   اللي تعزل جلاعـده من جليعيـد
هليــت فوقــه عبرةٍ حين عــديـت   طويلـةٍ تاخـذ على القلـب وتزيـد
شـفت الضـعاين غلس حين راعيت   مغـرورقـات كـنـهـن همـلّ الـغـيـد
قلبي كما عشـــب الهيافا اليا بيت   ولاحشـــيشٍ ســرهدوه الحواصـيد

ويقول الشاعر الفارس مريبد العداوني:

عديت راس مشمرخات الشواهيـــق   اشقاني القلب المشقى وشيقـــــــي
دموع عيني فوق خدي غواريـــــق   على مراد النفس وايبس بريقـــــي
بلاي من هم لجا بالصناديـــــــق   القلب من قل المواشي شفيقــــــي

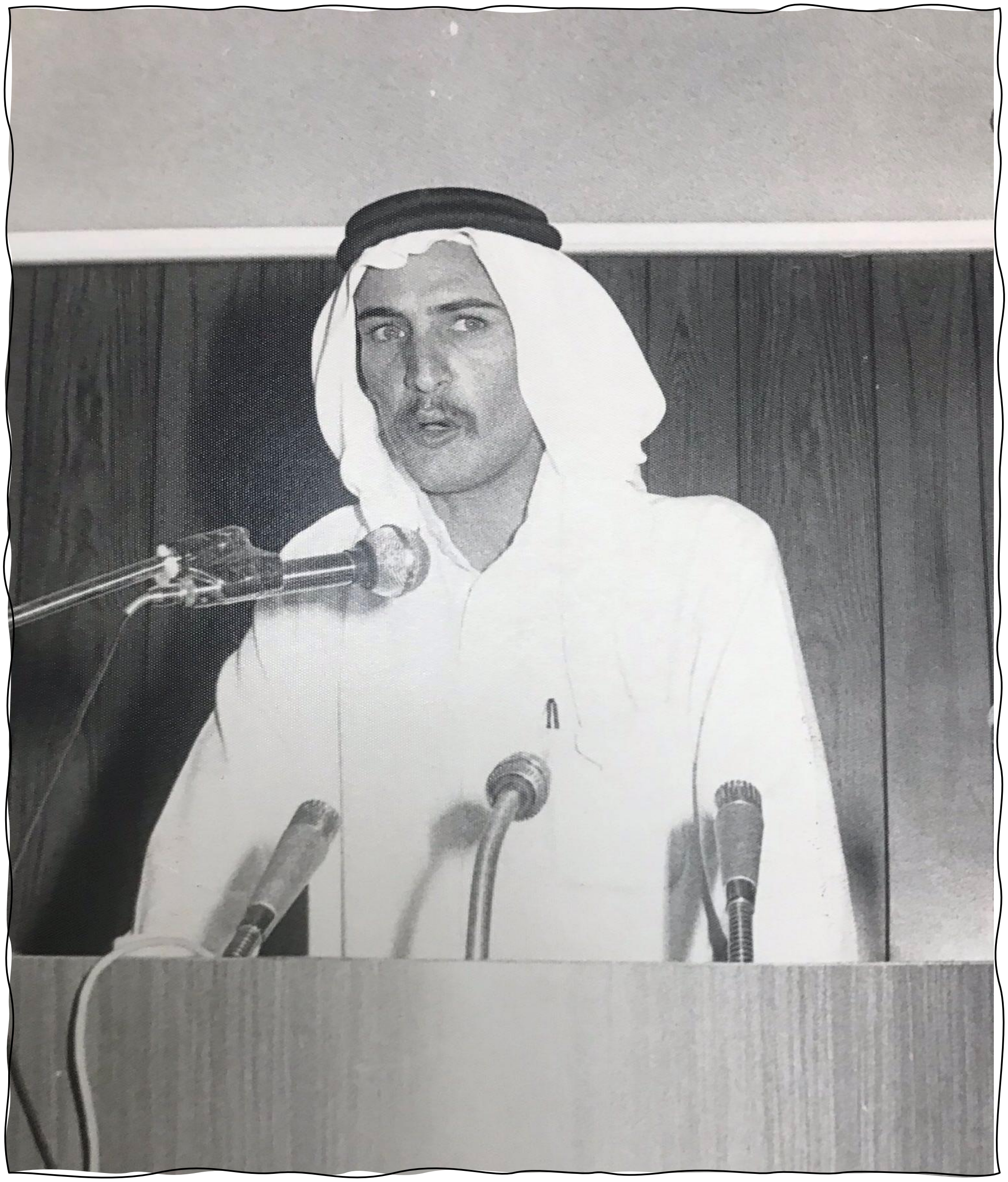
أي أن هذا المشقى يريد الحلال والمواشي، ولا يقصد محبوبه، وليس بغريب كما ذكرنا من بين الثلاثة الذين يرقبون المرقاب: الشقى، وغريب الدار، والهواوي.

أما رميح، فيقول أيضاً في قصيدة أخرى غير التي ذكرناها:

نطيت راس معمرد يبرح الشـوف	**عمرد وازين وســقـه للارقـاب**
سـلبوت عيطا جانبه تقل ملهوف	**رجم الطرادي للهوى تقل نعاّب**
عمّردٍ تّمن براســـه عن الخوف	**بعيني ينّور لي على كـل مرقـاب**

أي أن أغلب المراقب في الشعر النبطي تشبه كثيراً المراقب في الشعر أي فهذا أبو خراش الهذلي يقول:

لَســـتُ لِمُرَّةَ إِن لَم أوفِ مَرقَبَـةً	**يَبـدو لِيَ الحَرفُ مِنها وَالمَقاضــيبُ**
في ذاتِ رَيدٍ كَذَلَق الفَأسِ مُشـــرِفَةٍ	**طَريقُهـا سَـــرَبٌ بِالنـاسِ دُعبوبُ**
لَم يَبقَ مِن عَرشِــها إِلّا دِعـامَتُهـا	**جِـذلانِ مُنهَـدِمٌ مِنهـا وَمَنصـــوبُ**



سليمان الفليّح في اواخر العشرينات من عمره- أمسية رابطة الأدباء -الكويت

1966

مُذَكِّرَاتُ الْغَزْوِ

تمهيد:

مذكرات الغزو هي عبارة عن مجموعة مقالات كتبها الرحال إبان أزمة الكويت (1990-1991م)

يقول الباحث الكويتي جاسم الشمري مؤرخاً لتلك المرحلة: أن الفليح الذي كان يقصف بغداد لمدة سبعة شهور بصواريخ أرض جو أرض، بلا رقيب، بلا حسيب، بلا رئيس تحرير ، بلا أوراق أو اقلام كان صعلوكاً في جريدة تعرف كيف تتعامل مع عبقرية الصعاليك وكان مجنوناً يتعامل مع شعب يعرف استغلال عظمة الجنون وكان فوضوياً حتى النخاع وتركوه على سجيته يحضر في يوم واحد ثلاث مقالات ويغيب

اسبوعاً ويظل اسبوعاً اخر يطل في كل مكتب من جريدة الرياض ويبتسم، وما ان يراني حتى يصرخ اين أنت !؟ ولا اجيب لأنني قبل ساعة واحدة كنت معه، ولكن وحده سليمان الذي تظل كل اسئلته بلا جواب واجوبته بلا سؤال وعتبه بلا غضب بلا حقد، كان بمثابة وزيراً للإعلام الكويتي في جريدة الرياض يسأل عن جميع الصحفيين الكويتيين يحث ويشجع ، ينصح بأسلوب التلميذ لم يلعب دور الأستاذ يوماً لأنه خلق أستاذا.

يقول أيضاً: سليمان حرفاً ورأياً لابد من الوقوف امامه بعض الوقت فقد كان أول حرف كويتي في الجرائد السعودية، والعربية وآخر صوت حتى يوم النصر العظيم لقد كان (صوتاً) لوحده وسياسياً بطبعه (وقبساً) من نور

لدرجة أن إذاعة بغداد قالت عنه يوماً العميل سـليمان الفليح وظل الاعلام العراقي ينعته بين الفنية والأخرى فقد كان قلماً أقلق نومهم وقلباً نابضاً بحب الكويت.

ويقول الصحفي الكويتي فارس السلمان: تصدى الفليّح إثناء الأزمة واصل حمل تحرير بلاده بلا كلل أو ملل ، وقد كتب عنه الكثير أثناء الأزمة وكتب ضده الكثير، ولكنه تصدى بصلابته المعهودة وصلافته البدوية لكل ما كان يعرقل مسيرته البيضاء نحو العدالة والحق،

كتب في الزميلة (الرياض) بشـكل يومي طوال الأزمة وكتب في العديد من الصحف العربية وساهم في العديد من الندوات والمهرجات وعمل في المركز الاعلامي الكويتي في الرياض وتطوع للعمل في عدة مجالات ثقافية من أجل قضية الوطن، هكذا هو سليمان الفليح يأتينا كحصان عربي أصيل تتراءى من خلاله الصحراء بكل شموخها وعزتها.

***

إذ تعتبر هذه المقالات كوثيقة دفاعية عن دولة الكويت، ومن خلال هذه الوثيقة اخترنا كل الحصيلة المتوفرة لدينا من المقالات التي كتبها الراحل عبر زاويته في جريدة الرياض وقد صنفتها حسب التسلسل الزمني (اليوم- الشهر- العام). والحصيلة المجملة (83)

مقــالاً، كتــب أول مقــالاً في تاريــخ 12/09/1990 بعنــوان "احــتلال عاصــمة المثقفــين" إلى آخــر مقــال في تاريــخ 24/05/1991 بعنــوان "خبطة صحفية للقراء "

قصيدة القنصل الصيني (لي قوانغ بين)

إلى الشاعر الشاعر سليمان الفليّح:[112]

لكلٍّ منّا أسرتان:
الذاتية والوطن.
ثلاث أسر لي أنا،
والثالث هو القرين.
عبرتُ جسراً طويلاً
إلى أبراج الكويت من النهر الأصفر،
بنيتُ جسراً فيما بين الأحبّة سنيناً.
ها هنا وجدتُ خردةً صينيةً قديمةً
في متحف الكويت الوطني،
وفانوساً صينياً ماضياً
في متحف فيلكا.

[112] – الدكتور لي قوانغ بين (الصين) ولد عام 1936 في تشيفونغ ، حاصل على ليسانس في اللغة الإنجليزية، وبكالوريوس في اللغة العربية من جامعة بكين عميد قسم اللغة العربية في مكتب ترجمة مؤلفات ماوتسي تونغ, وقد سبق له العمل سكرتيرا في السفارة الصينية بالكويت 1971، وعُمان 1979، وصنعاء 1981. ويعمل الآن مترجماً في السفارة الكويتية لدى الصين. (معجم البابطين)

إنما هي دليلٌ ساطعٌ على المحبة
بين الأمتين الأخويتين،
وليست مشاعر خاصة تجاهنا من الكويتيين.
لا تسأل أين الآن قوانغ بين؟
يا أخي العزيز سليمان:
إنه بينكم على الدوام ليلاً ونهاراً،
وابنه رضوان متواجد بينكم الآن.

احتلال عاصمة المثقفين[113]

وهكذا، كالعادة، ها إنَّ بعض مفكرينا العرب الكبار لا يملكون إلا أن يضعوا أقلامهم الفخمة بين أصابعهم، ويُقَرْموا بتعديل نظاراتهم قليلاً، ويشعلوا غلايينهم العاجية بالتبغ، ويمارسوا التحديق في الفراغ وهم يمطّون شفاههم في وجه تساؤلات مواطنيهم المدهوشين من هوس السياسة الرعناء.

وهكذا أيضاً، يبدأ الواحد منهم – وأقصد المفكرين إياهم – بالتفكير البطيء، وتحريك يديه كالعنكبوت، لينظر في حدود نظارته السميكة والغائمة جداً، ثم يبدأ باللعلعة والجعجعة حتى يُصدِّع دماغ المواطن بترهات لا يصدقها عقل.

هذا المشهد بالضبط يذكرني بأحد الكتّاب الذين كانوا يكتبون معنا في أوائل السبعينات، حيث كان الزميل المذكور إياه إذا أراد أن يتناول ارتفاع سعر السكر في لبنان، بدأ التحليل من ناميبيا، ثم يربط علاقتها بكمبوديا، ثم يعرّج بنا على قناة السويس وتأثيرها على قضية الشرق الأوسط، التي سبّبتها إسرائيل وأوجدتها أمريكا، ليخرج إلينا في النهاية بالنتيجة التالية: أن كوبا لم تزل تعاني الحصار الأمريكي رغم ارتباطها بالسوفيات (!!).

---

[113] – صحيفة الرياض 12-9-1990

هذا التحليل والتعليل (من علّة) يذكرني اليوم بموقف بعض المفكرين (!!) من قضية الكويت والاجتياح الهمجي الذي تعرّضت له.

ومع أن الأنماط المثقفة إياها كانت قبل أمدٍ وجيز تشتم النظام العراقي في السر والعلن، وكانت تُفنِّد القمع السياسي الذي يمارسه على أصدقائهم المفكرين، وكانت تدين الإرهاب الفكري والوصاية التي يمارسها ذات النظام. واليوم – يا سبحان الله – صمتوا على هذا الغزو البربري الفظيع، وكأن صدام حسين هو الذي بغزوه الكويت يريد أن يفتح لهم آفاق الحرية والفكر، ويطعم من خير الكويت كل جياع الأرض، ناسين أو متناسين أن الكويت كانت – وإن شاء الله ستظل – هي الواحة التي تفيأ ظلالها الكثير من المفكرين العرب، وهي النهر الثقافي الثر الذي استقى من معينه أكثر القراء العرب، وهي الملتقى الحميم لأغلب المثقفين العرب، وهي المنبر النقي الذي كانت تنطلق منه أغلب حناجر المفكرين العرب، ولكن بلا أضراس أو إرهاب أو تخويف أو قمع، حتى غدت الكويت في فترة من الزمن هي العاصمة الثقافية لكل المفكرين العرب.

ولكن المؤسف بالفعل هو أن بعض أولئك المفكرين ليسوا أوفياء لعاصمتهم، بما يدعو للقول: إن من لم يكن وفياً لعاصمته الثقافية فليس وفياً – بالقطع – لعاصمته الروحية ولا السياسية أيضاً.

جيش شعبنا الباسل [114]

مما يندى له الجبين أن بعض الجهلة، بما فيهم بعض "المستصحفين" وصغار الكتبة، يعتقدون – ولربما يسألون بغباء صارخ – عن كيفية سقوط الكويت تحت المدافع الهمجية بهذه السرعة المذهلة! هذا إذا لم يُلقوا اللوم – ويا للأسف الشديد – على الجيش الكويتي الباسل.

ولكن الحقيقة الصارخة (الصافعة في الوقت ذاته) أن ذلك الجيش الفتي قد تلقى أوامر مشددة، حسب رؤية حكومته الشرعية الرشيدة، بألا يثير بتحشداته الصلفَ العراقي، وألا يُوجد الذريعة العدوانية لدى الجار (العزيز!!). كما أن أغلب أفراد الجيش الكويتي كانوا في إجازاتهم السنوية، ولم يتم استدعاؤهم حتى أثناء الاجتياح.

ولكن الوحدات والألوية الكويتية التي اجتاحها الجيش العراقي قد اشتبكت معه في معارك ضاربة لا هوادة فيها طوال الأيام الأولى للاجتياح، كما أسقطت الدفاعات الجوية عشرات الطائرات المغيرة.

أما أَكْداس القتلى من العراقيين فكانت أمام المعسكرات الكويتية بالمئات، وكذلك الأسرى. ولعل أصدق دليل على ذلك هي معركة اللواء الخامس والثلاثين، ورئاسة الأركان، ومعركة الحرس الوطني، ومعركة قوة حرس الحدود.

---

(114) – صحيفة الرياض 14-9-1990

كما لا ينســـى المواطن الكويتي اســـتبســـال الحرس الأميري، ناهيك عن البطولات المشرفة التي أبدَاها جيشنا البطل في كافة الوحدات.

أما عندما أُخرج الجيش الكويتي من معسكراته فقد تشكّل مع الشعب في مقاومة وطنية باســـلة تذكرها كيفان والفيحاء والدسمة والرميثية، هذا عدا مجموعة من قادة الوحدات الذين اســـتطاعوا النجاة بآلياتهم وطائراتهم وأسلحتهم. كما أن الجندي الكويتي لم يلقِ سلاحه إلا حينما نفدت الذخيرة وأُمر بالاستسلام.

هذا بالطبع عن آلاف الشـــهداء وآلاف الأســـرى الذين يعرفهم شـــعبنا بالأسماء، والذين أبعدهم صـــدام إلى الصـــحراء المتاخمة للأردن. يبقى القول أخيراً: البقاء والشـــموخ لكويتنا، والمجد والخلود لشـــهدائنا الأبرار، والنصـــر لشعبنا العظيم، وإننا لعائدون.

بالمدفعية يقصف الأطفال[115]

حينما كان القلب أخضر كورق النعناع، والحلم الذهبي يتماوج بين الماء وبين الماء، وكان (أبو خليل) الباسل إذ ذاك – (يهوس) على مشارف المحمرة – تدحرج ذاك القلب وأصبح كرة من نار، وتقاطر دمع الفرح الطاغي كلآلي (هيرات) الأعماق. كنتُ رقصتُ كالبائل في الأدغال المتوحشة على إيقاع النصر، وهتفتُ بأعلى الصوت لبطل التاريخ.

وحينما انداح الجيش العراقي نحو زحف الجراد على امتداد الجبهات، انكمش القلب الشاسع وغدا "حنظلة" مصغّرة تنقرها الغربان، وتراجع الحلم الزاهي ليغدو قبراً للروح. كنت أعول إذ ذاك كيتيمة تركها البدو الرحل عند تخوم الصحراء.

بعد ذلك كان لا بدّ للروح أن تنهض كقشعم أنهكه الترحال، وانحنيتُ أرفو تمزقات الروح وأكابد (غلب) الأيام، ولكن الأيام كانت تكفهر حيناً وتضحك أحياناً كلما تقدّم بيرق العراق. وكنتُ أسقط كلما سقط جندي من شعب العراق، وأوشّح قلمي بالسواد لتضيئني ثانية الأناشيد.

وعندما سقطت الفاو، سقطت في روحي قذيفة من (نابالم)، ولكنني ضمّدت الروح، وكنت تماماً بمحاذاة الفاو الوَح للمقاتلات العراقية، وأنا

---

[115] – صحيفة الرياض 16-9-1990

أتمترس على حدود الوطن الغالي الذي أصـــبح (محتلاً) مع مرّ الأيام. وكان لشـدّ ما عانى رفاق السـلاح من القصـف أو الإغارة أو (سـيلكوورم) عابر، تصيح من حفيفه النوارس وتفزع أسماك الماء.

وكان جزء من جيشنا الكويتي الباسل يحتضن الجزيرة العزيزة (بوبيان) لحماية ظهر الشـــقيق، وكانت الانفجارات تتوالى في شـــوارع الوطن الجميل لتبلغ ذروتها عندما اسـتُهدف – لمواقف الوفاء – موكب صـاحب السـمو الأمير، ليسـقط فداءً لرمز البلاد شـهيدان من أجمل الأصـدقاء. كل ذلك لتهنأ عين الشقيق.

ولما استعاد الشقيق تكتيكه العسكري واستعاد الفاو، استعادت ألقها الروح و(هوَس) القلب مع أطفال العراق، وغنّى أطفالي لنصـــر العراق، وأصـــبحوا يحبّون (أبا عُدي) أكثر مني، لدرجة أن أحد أطفالي كان يحفظ كل الأغاني التي تُقال عنه عن ظهر قلب.

وبالأمس القريب فقط، وحينما كنت أحشـر أطفالي كالسـردين في سـيارتي الخربة، وكنت أعبر من أمام دبابة عراقية رابضـــة، ســـألني نفس الطفل، وبالحرف الواحد: (بابا، ليش صار صدام مع اليهود علينا؟)

وبالأمس أيضـــاً، أخبرت طفلي أن صـــدام قد ســـرق مدينة الأطفال (الترفيهية)، وقتل (السـنافر) الذين كانوا يحيّون الأطفال، و(مها) التي كانت تقدّم الورد للصـغار، و(توم وجيري). وأن نفس ذات (الصـدام) قد نقل كل

مقـاعـد رياض الأطفـال والمـدارس الابتـدائيـة إلى أطفـال العراق. وأن ذات (الصدام) قد أخرج الأطفال المعاقين من المعاهد الخاصة. وأن ذات (الصدام) لم يسرق الوطن فحسب، بل سرق حتى براءة الأطفال.

ثناء خاص لشعب عظيم [116]

يا الله، هكذا يستقبلنا الشعب السعودي النبيل بـــ(مشلحه) الفضفاض الذي يفوح من أردانه الطيب ويعبق عبر طياته الندى. ويا الله، كم كانت تمد أياديها الصغيرة القرى، ويا الله، كم كانت تفتح أذرعتها الشوارع الفساح لتستقبل أبناء وطني السليب. ويا الله، كيف رتبت حكومة خادم الحرمين استقبال شعبنا الجريح بهذه الدقة المتناهية. ويا الله، ما أعظم الأصالة، وما أروع المبادرات الفردية الأسطورية التي قام بها مواطنو هذه الأرض الطاهرة العظيمة.

وأنا حينما أقول ذلك فلأنني أجهشت مرتين بالبكاء: مرة حينما تركت الوطن مكرهاً تدوس ثراه الطاهر أقدام المغول، ومرة حينما رأيت هذه الأريحية الهائلة، والإيثار المدهش، والوفاء العظيم لهذا المواطن الوفي.

يا الله بالسمو وجوه العرب السمراء التي كانت تصطف في مدخل (الحفر) و(الخفجي) تتوسل أبناء وطني بقبول الاستضافة والإيواء. يا الله وبالشموخ الرجال – الرجال الذين خرجوا من بيوتهم في المدن ليعودوا إلى قراهم البعيدة لإسكان إخوانهم القادمين من الوطن الأسير، ويا الله وبالبهاء أمهاتنا الكبار اللواتي كن يدخلن إلى بيوتنا الجديدة يحملن لنا الأغطية والمحبة والخبز

---

[116] - صحيفة الرياض 18-9-1990

و(كاكاو) الأطفال. يا الله ويا للشهامة المواطن السعودي (عبد الله صالح النجراني) الذي تخلّى عن كل أملاكه وأمواله من أجل عيون الكويت وشعب الكويت، ويا لليد البيضاء لـ(الراجحي) الذي فتح بنوكه وجيوبه وبيته وقلبه من أجل أهل الكويت. ويا للأمثلة الكبرى التي سأظلّ أُحدّث عنها ما حييت، لهذا الشعب العظيم.

كل ما ذكرته آنفاً قد أبهج القلب، ومسح النزف، ولامس الجرح. ولكن ما غمَّ الفؤاد ونكأ الجرح ـــ ثانية ـــ هو موقف تجّارنا وأثريائنا في هذا الظرف العصيب (!!) وأخصّ بالذكر أولئك الذين ما زالوا في عواصم الفخفخة و(التكشّخ) والثراء، في غيّهم يعمهون... أولئك الذين لا تنطبق عليهم سوى تلك الصورة الكاريكاتيرية الساخرة التي كأنني أعددتها للأيام، فإذا بها تطابقهم على الحقيقة.

السيد البطريق
يدبّ في الطريق،
مدجّجًا كأنّه التمثال،
بمجده العريق،
مُنشَكِحًا بآلته،
(مُتشكّخًا) بماله،
و(بِشْتِه) الأنيق،

براءةُ الأطفالِ في عينه،

وخواتمُ الألماسِ في يديه،

والمسبحةُ من عقيق.

عرفتُه فصدَّ،

حيّيتُه فارتدَّ،

مغيّرًا طريقه...

فشارعٌ أمشي به،

به لا يليق!

الخروج من الدهشة[117]

أن حالة المواطن الكويتي الآن تشـــبه إلى حد ما حالة المقاتل الكويتي أثناء الاجتياح، لاســـيما حينما كانت تســـقط أمامه قذائف الهاون و(المنثورية)، وهو يســـدد بندقيته بكل اتجاه، لكنها ســـرعان ما تهوي أمامه القذائف التي تغوص في الأرض، ثم تنبعث منها غازات كريهة تشـــل الحركة وتصـــيب المرء بالوجوم. ثم ســرعان ما ترتفع تلك القذائف إلى مســافة نصـف متر أو أكثر قليلًا لتتشظى في الهواء، فتدمر المقاتل وتصيب كل ما حوله.

أي إننا الآن لم نزل في مرحلة انبعاث الغاز، حيث الذهول والارتباك، ولم يبرد علينا الجرح بعد، حيث يكون أشـد إيذاءً وأقسـى ألمًا. وهذا ما سـندركه فيما بعد. ولكي نتعلم من هذا الدرس الشـاق، علينا أولًا أن نوقف الصـراخ والتهويش، ونتجـاوز جعجعـة الإعلام، لنعرف كيف نفكر بجـديـة وعمق للخروج من وطأة الألم. ونبدأ نتعلم ثانية الســـير والصـــبر على أذى الجراح، وبذلك نستطيع أن نؤدّ الارتباك ونتناسى الدهشة ونجتاز وحشة الكابوس.

ثم علينا ثانية أن نتخطى ســـخافة التجزئة والفئوية والطائفية، وتبادل التهم النتنة في مجتمعنا النازف الصغير، فقد علمتنا المأساة أن هذا الشعب العظيم،

---

(117) - صحيفة الرياض 20-9-1990

بمبادئه ومواقفه، سرعان ما يعلو فوق خلافاته الاجتماعية والفكرية، ويضحي بكل القناعات التي لا تؤدي إلى سيادة واستقلال وحرية الوطن.

وصحيح أيضًا أن العدو قد حاول النفاذ من ثغرة بعض الخلافات الوطنية الصغيرة التي كانت تخص بالدرجة الأولى البيت الكويتي وحده، لكن الوطن الكويتي، وكما عرفناه دائمًا، سرعان ما تلاحم أميرًا وحكومةً وشعبًا (بمختلف اتجاهاته الفكرية والسياسية)، ليلقن العدو درسًا لن ينساه في الوحدة والثبات. وبذلك أفشل محاولاته اللئيمة في تفتيت وحدته الداخلية، الأمر الذي جعله يفقد اتزانه، ويتخطى هذا التخبط الإجرامي الشنيع ويضرب في كل الجهات.

ويبقى القول أخيرًا: إن الشعوب العظيمة، مهما مرّت عليها من كوارث وويلات، لا بد لها أن تنهض فوق الجرح وتستعيد استقلالها الوطني المجيد. فلنا لسنا أول الشعوب التي تتعرض للويلات، ولسنا أيضًا آخرها.

التحرير الاحتلالي[118]

قبل الاجتياح، اتهمت العراق الكويت بالإمبريالية (!!)، وحسب معلوماتي المتواضعة جدًا، فإن الإمبريالية تعني التوسع على حساب الغير. ومن هنا ظننت، مع أن بعض الظن إثم، أن الكويت تمتلك جيوشًا جرارةً وأساطيل هائلة تجوب المحيطات، وأن لها قواعد جوية في جزر البهاما، والمالديف، وجزر القمر، بحيث تراءى للذهن أن الكويت قوة عظمى ونحن لا ندري، وإلا من يفسر لنا اتهام جارتنا العزيزة لها بالإمبريالية (هكذا!!). ومن خلال مذكرة وزير خارجية العراق إلى الجامعة العربية قبل الغزو أيضًا، أحسسنا للوهلة الأولى أن العراق (مسكين) مظلوم وعاجز عن صد الإمبريالية الكويتية (!!)، لذلك شكا. ولأن الشكوى لغير الله مذلة، ومن خلال لوعة الشكوى ولأنها لغير الله – أي للجامعة – فاننا اعتقدنا أن جارتنا لا محالة تعاني من مذلة.

ما الأمر الذي جعلنا نفكر ونبحث عن نوايا الكويت التوسعية على حساب الغير (!!)؟ فذهبنا نفتش في الجغرافيا والتاريخ والسياسة، بل إننا قمنا بجولة فضولية على حدود الوطن، فلم نرَ لا إمبريالية ولا ما يحزنون –

(118) - صحيفة الرياض 1990-9-22

اللهم إلا تحشـــدات عراقية كالعادة وتجاوزات مســـتمرة طوال هذه (الجيرة) المحزنة.

ولكننا اكتشـفنا أسـوأ أن على الإمبرياليات، حينما قامت الجارة العزيزة ذاتها بابتلاع الكويت بين عشـــية وضـــحاها وبطريقة أذهلت حتى الإمبريالية نفســـها!! بل والنازية والفاشـــية والصـــهيونية، لدرجة أن المفكرين والمنظرين والعسكريين لم يجدوا إلى حد الآن تسمية جديدة واحدة تليق بهذا الاجتياح، وذلك لســـبب جد بســـيط، وهو أنه لم يحدث أصـــلاً مثيل له في التاريخ.. ولذلك، وحتى يتم إيجاد تسمية جديدة لهذه الحالة، لا بأس أن نسميها مؤقتًا بـ (الصهدومية)، لأنها (صدامية – صهيونية – دموية). هذه واحدة.

أما النقطة الثانية الأعجب والأغرب منها، والتي لم نجد لها تفســـيرًا حتى الآن، فهي موقف (المناضــــل) الآخر إياه من الاجتياح نفســــه وتأييده المضحك للعراق بــ (احتلال الكويت!!) مع أننا نعرف أن الأخ إياه يناضل منذ أكثر من أربعين عامًا ضــــد (الاحتلال)، ومهما كان هذا الاحتلال، باعتبار أن (فلسطيننا السليبة) لم تزل ترزح تحت الاحتلال

هـذا إذا كـان يرى، مثلاً، أنـه باحتلال العراق للكويـت يتم إنهـاء احتلال إســرائيل لفلســطين (!!) على اعتبار أن الكويت من وجهة نظره أصــبحت هي إسرائيل، وأصبحت إسرائيل بقدرة قادر هي (الكويت)، والدولة العربية

الوحيدة التي انطلقت منها ولأول مرة في التاريخ شـــرارة الثورة الفلســـطينية، ومن ساحل الصليبخات بالذات حينما فكر بتكوين تلك الثورة..

أقول: إذا كان الأخ إياه يرى ذلك، فليحتل العراق سـوريا ليحرر فلسـطين من الجبهة الشـرقية، ولتحتل اليمن والسـودان ومصـر لتحرير فلسـطين من الجبهـة الغربيـة، وهكـذا مـادام هو يؤمن أن تحرير فلســـطين لا يتم إلا بالاحتلالات، فليكن تحرير فلسطين يمر من احتلال إلى احتلال حتى تتحرر من الاحتلال.. (أما موقف محتل و(...) أيضًا.(!!)

أما حيونه![119]

في العالم المتحضر يحاولون أن يطوروا الحيوان ليصل إلى مرتبة الإنسان، بينما في عالمنا العربي (فقط) يحاولون أن يطوروا الإنسان ليصل إلى مرتبة الحيوان!!

تذكرت هذه المقولة وأنا أسمع عن إعلان المنظمة الدولية لحماية الحيوان عن ضـــرورة حماية الحيوانات الموجودة في حديقة الحيوان في الكويت بعد أن تعرضت لغزو (حيواني) أشرس منها، لاسيما حينما أقدم (أسود القادسية!!) على افتراس (غزلان الكويت) وملاحقة أيائلها (!!).

ولم تتوقف المنظمة إياها عند هذا الحد من الإعلان، بل إنها كلفت (الجنرال) فيكتور واتكينز، المسـؤول عن حماية الحيوان في الشـرق الأوسـط (!!)، بضرورة الاتصال بالمسؤولين عن (الحيوانات في العراق) لتوفير الرعاية الصـــحية للحيوانات الموجودة في حديقة الكويت، بل وحمايتها من الإبادة التي تتعرض لها على أيدي جنود صدام.

والآن، والربع هناك في بغداد قد أبادت حكومتهم البطلة بلدًا عربيًا كاملًا، فقد ذهبت مناشدة المنظمة إياها أدراج الرياح، وذلك لأمر جد بسيط، ألا وهو أن المسؤولين أو (المسعورين) — لا فرق — عن حديقة الحيوان هناك لو

---

[119] - صحيفة الرياض 1990-9-24

فكروا مجرد تفكير بالامتثال لهذه المناشـدة الـــــ (جد حضـارية) لأكلهم هم وحيواناتهم صدام.

ونحن إذ نقول ذلك فلأنه يحزننا من القلب كله أن الغرب (المتحضــــر) المتمثل بتلك المنظمة قد هب ورق قلبه لإبادة الحيوان باعتبار أن إبادته عمل ليس حضاريًا البتة، بينما نجد في بلادنا العربية (الحبيبة) ويا للأسف الشديد ألف حيوان يدعو لإبادة الإنسان.

رحيل النوت[120]

أعرف أن عيونكم الآن تبرق في اللحود، أو في عطفات الوطن، أو معاقل الخلاء، وأعرف فجيعتكم القاتلة في المنافي القصـــية، وأعرف أنكم ترنون إلى الوطن الســـليب بعيون تقدح بالدمع والحنق بانتظار اليوم العظيم. وأكاد أحسكم تتنفسون في القلب وتمزجون قصائد الوجد في خلجات الروح.

أعرف كم استشـــهد من الأحبة، وكم غربتنا الرياح، وأعرف كم احتمى، وكم وقع في الأسر، وكم احتشد في قبة الروح، لكنني لم أتخلص ـ رغم بشاعة الكابوس ـ من وجهك الشامخ (يا مبارك النوت).

كنت نقيًّا كمطر الوسم، وصادقًا كالبرق، ومشعًّا كفجر الصباح. أهكذا تنتفض تلك الوداعة الكاســـرة وذلك الهدوء العميق لتكون أقوى من دويّ انفجاراتهم وصـــهيل مدافعهم، من أجل كرامة ذاك الوطن الجميل؛ الجميل كإشراقتك العريقة وأنت تتحدث دائمًا عن الغد الجميل.

يا الله! أهكذا يا مبارك يكون الغد، وأنت تهوي مضـــرجًا برياحين دمك النقي من أجل شعبك العظيم؟ آه أيها الصديق الراحل نحو فلوات الخلود، كم كنت أصدقنا في الحلم، وأروعنا في الحب، وأعظمنا في الرحيل.

---

(120) – صحيفة الرياض 26-9-1990م

المذؤوبون(121)

(المذؤوبون) مقالة عن سينما الرعب وقعت في يدي مؤخرًا بالصدفة، يتحدث فيها الدكتور جمال عبد الناصر عن (مصاصي الدماء!!) في التاريخ والسينما، بدءًا من (الكونت دراكولا)، مرورًا بالكونتيسة (إليزابيث باتوري) و(بيير بورجو وصاحبه ميشيل فيردن)، انتهاءً بالبارون الفرنسي (جيلي دي راي) الذي عاش في القرن الخامس عشر، وأصبح رمزًا للمازوشية والقسوة المفرطة والمعاناة الجامحة للدم، التي دفعته إلى ارتكاب أفظع الجرائم، فكان يسفك دماء الآدميين كلما عاودته أزمة الضعف التي كان يعاني منها، حتى قيل عنه إنه كان ينزع أحشاء الأطفال الأحياء ويشرب دماءهم في عربدة مشينة.

ثم راح الدكتور عبد الناصر يتحدث عن الحالة الذئبية التي تتقمص بعض أصحاب الأرواح الشريرة، الذين كانوا يتحولون إلى ذئاب بعد دهن أجسادهم بدهان غريب ممزوج من الهباب ودم الخفاش (!!).

ثم راح الكاتب يتحدث عن بحث خطير لطبيب إنجليزي يُدعى (لي إليس)، أوضح فيه أن ظاهرة التذؤب التي اجتاحت أوروبا كان سببها صفة وراثية تؤدي إلى نوع من حساسية البشرة، فيهتاج المريض عند تعرضه للضوء

(121) - صحيفة الرياض 28-9-1990

في النهار، ويتحول إلى ذئب في الليل بعد اضطراب جهازه العصبي وتدهور حالته النفسية، إثر نوبات من الصرع يعقبها ميل هائل إلى العنف.

لست أدري لماذا بالضبط أثارت هذه المقالة اهتمامي، لاسيما وأننا نعيش اليوم بالفعل زمن مصاصي الدماء والمذؤوبين من الحكام العرب الذين تحولوا في أزمنة السلام إلى وحوش ضارية تمتص دماء شعوبهم وتعتدي على سائر الشعوب من جيرانهم، كما حدث مؤخراً في اجتياح الكويت.

ولكنني أيضًا تذكرت (الكونت دي موساد) الروائي الهائل الذي كان يكتسب أفظع الروايات عن عذابات ضحاياه من النسوة والرجال على حد سواء. ولست أدري لماذا ربطت بين المذؤوبين من الحكام والمذؤوبين من الكتّاب. ولكنني أيقنت بما لا يدع مجالًا للشك أن المذؤوبين من الحكام هم أرحم كثيرًا من المذؤوبين من الكتّاب، لاسيما وأن الصنف الأخير يدّعي الإنسانية والتقدّم وحبّ الحرية وإيهام الناس باستشراف الغد الأفضل والأبهى، بينما هم مصابون بسعار الحكام إياهم، على اعتبار أن بعض الحكام هم مذؤوبون أساسًا، بينما الكتّاب يدافعون عن ذئبية أولئك الحكام (!!) في الوقت الذي كانوا ـــ وإلى وقت قريب ـــ أشدّ الناس تضررًا بذئبيتهم تلك.

ولكنهم اليوم، وهكذا وبقدرة قادر، انقلبوا للدفاع عن نفس تلك الذئبية (!!). ونحن إذ نقول هذا فلأننا أردنا أن نقول بملء الفم إن ذات الفصيلة التي كانت بالأمس تعاني من بطش صدام حسين وتناصبه العداء الشديد

من منطلق تقدّمي، أصبحت هي اليوم تصفّق لتقدميته المجيدة (!!) لمجرّد أنه (تقدّم) فقط بجيشه الجرّار لوقف تقدّم الكويت!! وهي نفسها التي أصبحت اليوم ترى أن صدام "اشتراكي" لمجرّد أنه (شارك) أطفال فقراء الكويت لقمتهم طوال الحرب، وهي نفسها التي رأت أن صدام "حر" لأنه (حرّ) في اتخاذ قرار الاحتلال وحده.

وهي ذاتها التي رأت اليوم صدام حسين "ديمقراطيًا" لأنه لا يحاور بالمنطق والعقل فقط، بل بالمدفع والدبابة أيضًا، ومختلف وسائل الصدامية. وهي نفسها التي رأت أن صدام "وطني" بدليل أنه ضرب أبناء (وطنه) بالكيماوي. أمّا بقية دول العالم كله فلم تعد لا ديمقراطية ولا حرّة ولا اشتراكية ولا تقدّمية لمجرّد أنها وقفت مع عدالة قضية الكويت!!

يبقى القول أخيرًا إن الموقف المشين (للماشين) «عبد الله علي صالح وحسين» مع موقف (المهين ـ أو المهيب لا فرق) هو موقف مخجل حتى التفاهم ـ هذا إلا إذا كان الكتّاب أو (الكذّاب) إياهم يرون أن في توزيع رواتب فقراء الكويت على فقراء (نيكاراغوا) هي العدالة الوحيدة في الدنيا.(!!)

أخبرني ومر[122]

تجيئون على أكتافكم غبار الوطن، وتعبق من أكفكم أدخنة البنادق، ومن ثيابكم تضـــوع رائحة البحر، ومن عيونكم المتقدة تطلّ بســـالة الصـــقور. بالأمس طرق أحدكم باب القلب فأشرعت له (ديوانية) المحبة، وضجّ المكان برائحة الهيل والشـــاي المعطّر بماء الورد والزعفران، وقلنا بعض الأناشـــيد الجميلة، وقبّلني وسافر إلى الشمال.

وبالأمس همس في أذني بأن عمّنا الشـــايب الباســـل قد كتب كثيرًا عن المقاومة في النهار، عندما كان يشعل سماء الوطن بلهيب الرصاص في الليل، وأنه جُرح أخيرًا وأخرجه الشباب على مضض. وأخبرني أن (الغراب) لم يزل يدور في الشوارع والأزقّة يوزّع الأغذية والابتسامات والثقافة واللهب.

وأخبرني كيف كان الشباب يضعون في فوهات بنادقهم المشموم والريحان ويهزجون في مســـاء الوطن. أخبرني عن أنين البواخر النائمة على مشـــارف المدينة، وصـــراخ النوارس وفزع الحمام، وأخبرني عن وحشـــة الجهراء وكآبة الأحمدي ونزف كيفان وعويل الفحيحيل وحزن الرميثية.

---

[122] - صحيفة الرياض 2-10-1990

أخبرني عن أشيائنا الصغيرة و(سكيكنا) القديم، وذبول نخيل الواحة العزيزة في كنف الجهراء، وأخبرنا عن جرح ســـــاحلنا الجميل، وانهدام مطاعمنا ومدارسنا وديوانياتنا القديمة. هكذا، هكذا أخبرني ومر

حب في زمن الحرب[123]

يخجلني أن أحبكِ يا حبيبتي في زمن القتال،
فأجمل الرجال قد سافروا إلى خنادق الشمال،
وأنا هنا، "متمترس يا حبيبتي،
مخندقي جريدة،
وبندقيتي مقال".

(١)

من خلال أدخنة القذائف، حينما كان الحرس الوطني ورجال قوة الحدود يلتحمون في أجمل المعارك مع الاجتياح الغاشم، كان وجه (أبي صلاح) يُلهم الرجال، وكان (ناصر غازي) يقطع الشارع برجاله الأبطال لتطهير (الرقعي). كانت جدائلك الهفهافة تلوح لنا من الطابق العاشر، وكنتِ تزغردين. لست أدري إذ ذاك كيف كان إيقاع الرصـــاص يتوافق مع زغاريدك العذبة وأهازيج النشامى.

(2)

(123) - صحيفة الرياض 1990-10-4

يا دمَعَك النقي الذي كان يقطر في القلب عندما ســـقط مضـــرجًا بدمه الزكي (أبو عواد)، ويا صـــرختك المجلجلة حينما مرت القذيفة من خلف (رهيف) الذي كان يحب النســاء والثرثرة الجميلة. ويا العذوبة، أهتك الخافتة حينًا جرح (محمد النواف).

(3)

أي التهـاليـل البهيـة التي كنتِ بها تهللين حينمـا دحرنا العـدو، وأي نواح جميل حينما انسـحب الجميع وتفرقت بنا الأزقة وابتلعتنا الشـوارع، وأي غربة كنتِ تعيشين حينما توزعتنا المنافي.

(4)

بالأمس، وحينما كنت حزينًا مغتمًا والقلب كقذيفة ميتة، كنت أعبر أحد شــوارع الرياض لا ألوي على شــيء ســوى الحلم بالوطن، اســتوقفتني عينان لامرأة هائلة ذكرتني بك، ولكنني واصلت الحزن والغربة، وكان صوتك العربي يخترقني من الظهر ليدحرج قلبي ويهتف: قف.

(5)

يا الله، أثانية أنت، واستدرت لألقي بك وطني!!

(6)

كنت خجلاً منك، ولكنك ربت على كتفي وقلت بهمســـتك البدوية الخافتة: "ولكنكم لم تقصروا!!"

أي فكر[124]

أي فكر جاءوا من أجله يا (أولئك) المفكرون أو (المكفرون) لا فرق. فهل قصف الزهر بالمدافع، ومطاردة الفراشات بالطائرات، واجتياح الحدائق بجنازير الدبابات، وطعن الكتب بالحراب، وتدمير المؤسسات الفكرية والعلمية (ببوز المدفع)، والعبور على وجه الثقافة بالحذاء الثقيل، وإحراق المتاحف بالبازوكا، وإشعال المعارض (بالديزل)، وملاحقة الموسيقى بالصواريخ، وتفجير اللوحات بالعبوات الناسفة، وسحب الأغراد من حناجر الطيور، وإخراس النوارس (بالفشك) الهمجي، واعتقال البحر في (قرب) الجنود المدلاه من مجنزراتهم؟ يا الله، أي هلع يصيب الأسماك، وأي كآبة تجتاح الشمس، وأي انكسار مريع يحيق بوجه القمر! فأي فكر جاء من أجله المفكرون؟! وهم يقتادون "المدنيين العزل" إلى تخوم الصحراء بلا تهمة، ويطلقون الرصاص على أشعة الظهيرة، ويدمرون شجيرات البر، ويوقدون نيرانهم المغولية بالأزهار.

أي فكر جاءوا من أجله أيها المفكرون، وهم يلهثون كالذئاب في شوارع الكويت بحثًا عن أقرب أصدقائهم من الفنانين والكتاب ليقتادوهم تحت وطأة الحراب لشتم أهلهم وبنيهم ووطنهم العزيز. أي فكر جاءوا من أجله؟ وأي كفر وأي همجية وجنون؟! وأي فكر أيها المفكرون؟! وهم يعلقون قادتهم

[124] - صحيفة الرياض 1990-10-8

على رافعات العمائر ويكتبون زورًا أن "هم نهبوا الكويت" – والكويت، أيها المفكرون، قد نهبت شــوارعها وملاعبها ومســتشــفياتها وأدوية الأطفال فيها من أجل طفولة أخرى (!!). وأي فكر أيها المفكرون؟! وهم يقصفون الغيوم الخريفية (بالهاون) لتســـقط على وجوههم مطرًا من دم وفجيعة، وأي عويل للغيوم وأي تجهم للفضاء.

الأولئك !![125]

من المؤسف حقاً أن بعض الذين يضعون ساقاً على ساق في أفخر الفنادق و(يعلكون) أفخر السيجار وأرداً الكلام لم يزالوا يتجادلون بخواء مميت (هل البيضة أم الدجاجة أولاً؟) وبيزنطة تحاصرها جيوش الغزاة بل اجتاحتها وهم – يرحمهم الله – لم يزالوا في أكفانهم البيضاء.. يجوبون ردهات المقاهي ويواصلون نفس الجدل و(الدجل)!! ويزايدون على بسطاء الوطن بتنظيراتهم العرجاء وتقسيماتهم التافهة وفرزهم السمج، فأولئك هم الأعداء الحقيقيون للوطن.

وذلك لأنهم بكل بساطة تشبه (بساطة بحار متعب أو بدوي تصهده الظهيرة، أو طفلة تلهو على شاطئنا المهجور، أو غيمة تمرق فوق أبراج الكويت في أوائل أيلول)، أقول إن أولئك بكل تلك البساطات التي أسلفت لم يعد يهمهم أن ذهب وطن أو شرد شعب أو طمست هوية أو ظمئت أسرة كويتية على مشارف النفود.. ولم يعد يعنيهم هذا التوزع الحزين في هذه المنافي الكثيرة، وذلك عبر أسوأ تشتت عرفه التاريخ، وأعني بذلك حاملي أقلام الديبون ونظارات الكارتيه الذين أمحت المرايا من كثرة تحديقهم فيها، والوطن يسيل دمه من السقف حتى أحذيتهم اللامعة.

---

[125] – صحيفة الرياض 1990-10-10

أقول إن هذه النماذج الرثة هي المناخ النتن الذي انبعثت منه بوادر الكارثة، وهي نفسـها التي تتفاقم عبر تفاهاتها الكارثة، هذا إذا لم نؤمن جميعاً بوحدتنا الوطنية العظيمة والارتقاء الشامخ فوق كل المقولات التي تضج بفحيح الفرقة وعواء التجزئة والاستئثار الضيق بادعاء الوطنية (لأن المغالاة في الوطنية أعدّم لها).

يبقى القول أخيراً إنني قلت ما أسـلفت لأنني أسمع جعجعة حتى في هذا الوقت الضـيّق، الذي لم يعد يتسـع إلا لرصّ الصـفوف وإعادة الانتظام للوقوف باتجاه الوطن، لاسـتعادة كرامة التراب وتطهير بحرنا العزيز من تلك "الجراجير" اللاهثة التي قضمت مصابيح بلادنا الحزينة.

ومن هنا، ها أنذا أصرخ بملء القلب، ذلك القلب الذي لم يعد يملؤه سوى نسـيم الكويت ووجوه أطفالها الذين يطلّون من نوافذ الغيم، وعيون أمهاتنا المتشحّات باللوعة والسواد.

ومن هنا، ها أنذا أصـرخ بملء القلب، ذلك القلب الذي لم يعد يملؤه سـوى نسـيم الكويت ووجوه أطفالها الذين يطلّون من نوافذ الغيم، وعيون أمهاتنا المتشـحّات باللوعة والسـواد. ها أنذا أقول، وبأعلى الصـوت، إن الكـارثة أكبر مما تتصـوّرون، وإن (الآتي أفظع)، هـذا إذا لم يدرك الجميع، وبالعقـل كلـه، أن لنـا وطنـاً لن يعود إلا بالوعي الكبير، والإيمـان العميق بقضـيّتنا الأولى، ومحبتنا لكل ذرّة رمل من أرضـنا الرائعة، تماماً كما نحبّ كل قلب كويتي أو عربي صـميم، تزهر في سماواته دوحة المحبة الهائلة، التي تضـرب

جذورها في الأعماق، وترتفع أغصانها القويّة الخضراء بأعلام كويتنا الحبيبة في وجه الفجر المنير، (وإن غداً لناظره قريب).

رسالة إلى مقاتل على تخوم الوطن [126]

الى الصديق الكبير (ر. ح)

عزيزي أبا نايف،

«الحرب يبدأها المجانين، ويخوضها الشجعان، ويستغلها الجبناء.(!!)» نعم، هكذا أيها الصديق الفذ، لا بأس عليك. أعرف أنك – رغم جرحك الغائر في القلب وأمراضك المستديمة – ها أنت تتكئ على صبرك الفظيع، وتنهض كالجمل الذي لم تهده الأعباء، ولم ترهقه المسافات، ولم توقفه الأشواك.

وأعرف أنك لها أينما كنت، سواء في حدود الوطن الغالي، أو على تخومنا الشمالية، حينما تفقدت إخوانك فرداً فرداً، والعدو قد وصل البحر، ثم اتجهت بالبقية إلى جهتك الغربية، ثم انخرطت جنوباً بكامل العدّة والعتاد، لتكون أول قائد ينجو بفرسانه الأبطال.

وأعرف أنك لها، حينما تكون سخريتك الحكيمة حاضرة، سواء في وحدتنا الأسيرة أو في أيّ مركز من مراكزنا الأمامية، حينما تكون محاطاً بإخوانك الأبطال، تحتسي القهوة معهم، وتوقد العرفج، وتنثر دخانك الثقيل،

---

[126] - صحيفة الرياض 1990-10-12

وتتحدث عن الشـــعر والغزوات، أو تحكي لهم عن خط ماجينو أو معركة ستالينغراد.

آه، أيها الصديق الفذ، منذ أعوام بائسة رحل الصديق العميق جداً خضير محمد، الذي كان يتوقع مثل هذا الاحتمال، وكان كل من حولنا يســـخرون (!!). ســـاعتها، نحن وحدنا بكيناه من القلب، وكفّنّاه بدمعنا الأبيض، وأقفلنا الباب على معارفه البيضاء.

آه أيها الصـديق البطل، ها هو الاحتمال يأتي، وها هو الشـتات أفظع مما يتصـــوّرون. وها هي الأيام تثبت أن المعرفة بيننا من زمان قديم.. ما هي بذلولٍ، ليا شان الدهرُ حَفِيت عراقيبُها، هكذا كما تحب أن تعبّر أنت!!

هكذا كما تحب ان تعبر أنت !!. وآه أيها الصـــديق الكبير، بالأمس في غمار الرصـــاص والأدخنة الســـوداء كنت تبحث عن (أبي نواف) في ركام الحرب وقد تقطّعت بكم الســـبل. وأمس، في القريب الأدنى، همس في أذني أحد شـــباب المقاومة قائلاً: (اطمئنوا، إنه بخير). أمّا الراحلون من الإخوة الشهداء، فلهم الخلود والرحمة.

وأما الأحياء، فلماذا تتوزّعهم ثانية المنافي؟!! وهل يليق بهم ذلك؟! بقي أن أسألك سؤالاً واحداً صغيراً: أما زلتَ مُصِرّاً على أن تستلم الحراسة بدلاً عن (أمهدي) وهو يفتل شـــاربيه متجهاً إلى بوابة (الحدود)؟! يا لك من رجل رائع.

وطن ثالث [127]

حينما رايت الصديق القديم صالح الشايجي في مدينة الرياض وفي جريدة الرياض بلذات. وكان قادمًا لتوه من البحرين التي اتخذها مسكنا له بعد الغزو مددت له يدي محيياً وعلى الطريقة العربية (أهلا بك في وطنك الثالث؛!، ساعتها ضخ الزملاء بالضحك وانتهت (السالفة) وفي صباح اليوم التالي افقت كما افاق اي مواطن كويتي أمن في الخميس الأسود لأرى ان المساحة التي اتخذتها وطناً لي بعد الغزو في الرياض قد احتلت عن بكرة ابيها وعلى الطريقه الصدامية.

وذلك بجرة قلم من (سيادة الرئيس) واعني بذلك مساحة زاويتي الصغيرة في الرياض والتي قرر سيادة رئيس التحرير الاستاذ تركي السديري ان ارحل عنها بلاعودة لاتركها لمحتل أخر الا وهي الزميلة ليلى أحمد.

حقيقة انا لم افاجأ بقرار الرئيس لأن قرارات الرؤساء قي عالمنا العربي لم تعد مفاجئة لان عليك كمواطن عربي مغلوب عل امره ان تتوقع دائما منهم غير المتوقع!! ومن هذا المنطلق لم اتألم ولم احزن ولم احتج لان قرارات الاحتلال اصبحت (سبهللاً) في عصرنا هذا ما ان تعن الفكرة برأس الرئيس!!

---

(127) - صحيفة الرياض 15-10-1990

ولكن ما ألمني حقاً ان المحتل الجديد هو من بني جلدتي ومن لحمي ودمي وبيني وبينه خبز وملح و(شرف كلمة) وأمل كثيرة بتحرير وطن مغتصب!! ومن هنا فأنني (تعشمت) منه ان يرفض هذا القرار الاجتياحي. ولكن يبدو لي ان (ليلى) مثل ياسر عرفات لها وطن محتل وتؤيد احتلال أوطان الأخرين (!!)، ومن هنا فلنني سوف (اشيل قشي) مرغما.

(وانزح) الى وطن ثالث في الصفحه السابعه من (الرياض) موكلا امري الى الواحد الأحد فليس لي أحد سواه في ازمنة الاجتياح والقرارات الصدامية (للرؤساء).

بقي أن اقول للصديق الشايجي إن بامكانه الأن ان يرد علي بنفس التحيه شكرا لاستقباك ليفي وطنك الثالث!! اما العزيزة ليل فاهلأ بها في اوطانها الكثيره فكل قلوبنا لها اوطان، حتى يعود وطننا العزيز.

بعد ان ركد الرمي [128]

الآن، وبعد أن (ركد الرمي) وأخذت أدخنة الحرائق بالانقشاع، وأخذ يطل وجه الكويت الحبيبة المليء بالقروح والأخاديد، بدأت تلوح في الأفق سحب جديدة. ولكنها، على أية حال، هذه المرة ليست كسحب الأولى، بل إنها سحب صفراء مريبة، خانقة، قاتلة، بل (نووية!!). وأخذ المواطن الكويتي المطرود من بلاده يقف على هضبة عالية، يجوس بنظره الدامع في كل الاتجاهات، ويسمع انفجارات بعيدة وقصفاً.

عود نائية وانبعاثات صحراوية لغازات زرقاء.. وكما ماتت، تخرج من باطن الأرض كالفطر الغضّ، فأصبح مذهولاً يقلب البصر في الجهات الخمس لعل بارقة أمل تطل.

والآن، بعد أن كدنا نصحو من هول الصدمة ودوي الفاجعة، وأصبحنا (نهمز) الذاكرة لليقظة، وأخذنا نربط الأحداث ونشرع أفكارنا لرياح التحاليل القويمة، ونستقرئ معطيات الأحداث، ها نحن نقع في بئر سحيقة من الظلمة و(الظلم)، ونغوص ثانية في كابوس رهيب.

وألا من يفسر لنا نهب الكويت، وسياسة الطرد والإحلال، وإلغاء الهوية، ومحاولة زج المواطنين الفلسطينيين، وبالذات، في معمعة الاستيطان؟ ولماذا هم

---

[128] - صحيفة الرياض 17-10-1990

بالذات دون سواهم من المقيمين؟!! ولماذا (يحرك) بعض الإخوة الفلسطينيين كالدمى الجوفاء و(المكركة) للتحرش بالمواطن الكويتي هناك؟ ولماذا بدأ بعض الانتهازيين والجهلة باحتلال بيوت الكويتيين ومتاجرهم (!!)؟ لماذا المواطنون الفلسطينيون بالذات (!!)؟ ولماذا حادثة الأقصى الشريف في هذا الوقت بالذات؟!

ولماذا حادثة الأقصى الشريف في هذا الوقت بالذات؟! ويبقى السؤال القائم والحاد كالسكين: لماذا لا تُثار كل هذه المشاكل مع أي جنسية أخرى؟ ولماذا لم يفهم الإخوة الفلسطينيون هذه اللعبة؟! ولماذا تتجه بنادق الإخوة (الأبوات) لتهديد وزعزعة أمن البلدان العربية، وكأن فلسطين أصبحت تقع خلف القاهرة أو خلف الرياض أو خلف قطر أو حتى خلف جزر الواق واق؟ ولماذا كنا نعتقد طوال هذا العمر أن الإخوة (الأبوات) كانوا (يفهمون)؟ هل لأننا لم نكن نفهم، أم لأنهم حقيقة لا يفهمون؟!

اعدام الذئب الجميل [129]

الوطن ما هو قصيدة تنكتب في وسط دفتر
الوطن ياوليدي أكبر الوطن ياوليدي ناسك
عزوتك وحبال راسك يمه لا يذبل حماسك
يمه لا يذبل حماسك

(مسفر الدوسري)

مسفر الدوسري: غراب جميل يعيش على الشعر والحب والأصدقاء، فيكويه عصره، ويلويه دهره، ولكنه، كعصا الخيزران، يرفض الالتواء. عرفته في الأزمنة البيضاء، الأزمنة التي كانت تسمى أزمنة الحرارة والأمل، والوطن العظيم الذي نعرف أزقته وشوارعه الفسيحة وحواريه القديمة، وكنا نقتسم الشعر والصعلكة والوجبة الواحدة. وحينما سكن في شقة الضواحي الجديدة، كنت أزوره كل مساء جمعة بعد أن أزور الذئب في حديقة الحيوان.

(129) - صحيفة الرياض 21-10-1990 أ

أما الذئب، فقد قيل لي إن القوات المحتلة قد أعدمته لأنه لم يعلق صـــورة المهيب في قفصه!! أما الدوسري، فها هو قلبي يقفز معه في لحظة من اللهفة والشـوق. صـحيح أنني قد بكيت طويلاً حينما فوجئت بالصـديقين الرائعين ســعود العنزي ومحمد أشــكناني وهما يهبطان عليّ في بر (بنبان)، لأن بيننا ومســفر خبز وملح وموســيقى وثقافة مشــتركة، وكنا نلتقي دائماً في بيت (الغراب الذي كان يقطن في الطابق السادس).

(2)

وقد بكيت أكثر لأنني لا أكلم سعود منذ عام، حينما وعدته بإقامة أمسية شعرية في جمعية الخريجين الرائعة، ولكنني (كشـت) به وبالجمعية، ولم يكلمني منذ ذلك اليوم!! أما محمد أشــكناني، فلم أره منذ مدة طويلة، وكان حينها عازفاً رائعاً للبيانو.

(3)

أما الذي أحزننا أكثر، فلأن بعض الشـباب السـعوديين كانوا يغنون أغنية عوض دوخي الشويرة (يا أم عمرو)، وها نحن نلتقي في مكان قصي بعد أن كان لنا (برنا) الخاص، وكانت لنا أغانيْنا ورقصاتنا الخاصة.

(4)

المهم أننا، بعد أن جففنا الدمع، تشابكت قبضاتنا وأخذنا ننظر إلى الفجر الذي كان يطل من ربوة رائعة من هذه الصحراء العظيمة، وعقدنا العزم على العودة إلى كويتنا الحبيبة مهما كان الثمن، وأخذنا ننشد قصيدة الدوسري:

(انت ياوليدي سندنا

انت ياشمعة بلدنا

يمه والله زين ساسك)

وها أنتذا في الرياض [130]

منذ "1973"، حينما هدد جناب نائب الرئيس باحتلال وطنك الرائع، وأنت تحمل القلم، قال لك أمرك المجرب العجوز، الذي خاض حربين عالميتين: «شوف يا أبني الصامتة، بتجر صامتة، وعلينا أن نبني التوجيه المعنوي. أنت بقلمك الشاب، وأنا بفكري العسكري، والفراش بإتقان الشاي. صحيح أن عسكرة الساسة وتسيير العسكر خطر على الاستقلال، ولكنك أنت بالذات تقف بين المفصلين».

روح الله يوفقك. في تلك اللحظة الجميلة نظرت إلى العجوز الذي شكّل أول جيش لتحرير فلسطين، وأديت له التحية، وذرفت دمعتين، وتوكّلت على الله. ولكنك، قبل أن تنصرف، سحبك من ياقة قميصك العسكري، وقال لك بالحرف الواحد: «بدي تبيض وجه عمك وجيه المدني، وترفع رأس الجيش في (السياسة)».

ولكنني أذكر أننا كنا مغمومين باحتلال (الصامتة)، والصامتة، لمن لا يذكر، مركز كويتي احتلته القوات العراقية بأمر من المهيب الأول (البكر). ولكننا اقتنعنا آنذاك أن الحقيقي كان بأمر من نائبه السيد (صدام حسين).

---

[130] - صحيفة الرياض 23-10-1990

فتطوّعت، والزميل الرائع حسين العتيبي، بأن ننسل إلى جبل (سنام)، ونصور التحشدات، ونردد بيت عمنا الصعلوك (مالك بن الريب):

تـــــذكرني قبـــــاب الـــــترك اهلـــــي

ومبـــــد اهـــــم اذا نزلـــــوا ســـــناما

فنشــر حســين موضــوعه في اليقظة، ونشــرت ذات الموضــوع في جريدة السياسة. واليوم، ها هو التاريخ يعيد نفسه، ولكننا كما قالها (موشيديان)، لا نقرأ التاريخ. أقول: هـا أنا أكتب في (الرياض)، وأتذكر ما قد بدأته في (الســياســة)، وها أنا ما زلت أتجول بين المســاحتين، وأذكر الناس ما بين الزمنين 1973–1990م.

موقف [131]

في بداية السبعينيات كنت في قاهرة العز، وكنت لتوي قادماً من جبهة السويس، حيث كان لواء اليرموك الكويتي الباسل يشارك في حرب الاستنزاف. وبينما كنت أنتظر على الرصيف، مرت سيارة (تاكسي)، فأشرت إليها بالوقوف. ولما استويت على المقعد، سألني سائق التاكسي، كعادتهم هناك: «الأخ من فين؟!» فأجبته على الفور: من ليبيا، وكان ثمة خلافات حادة بين الرئيس السادات والعقيد القذافي.

وما إن سمع السائق هذه الكلمة حتى (ضرب الفرامل) وبسرعة قصوى، وبكل الغضب صرخ بي: «انزل يا ابن إلـــ... والله لو تديني فلوس القذافي بتاعكم مش حوصلك». ولكنني طلبت منه التمهل قليلاً، وسألته سؤالاً واحداً فحواه: «يا هل ترى يا أسطى، لو نزلتني من التاكسي، هل يعطيك السادات جنيهاً واحداً؟ ولو تركتني في الشارع، هل يرسل لي القذافي سيارة تقلني إلى المكان الذي أريد؟» وبعد برهة من الصمت، أجابني الأسطى: «أه صحيح، وأحنا مالنا بكره، يتصالحوا». وتبقى العداوة بينا، ياالله بينا، وواصلنا المسير.

تذكرت هذا الموقف حينما كنت أتجول في حراج (ابن قاسم) في الرياض لشراء بعض (الحاجيات)، فتوجهت إلى تجمهر صغير حول شراء بعض أثاث

---

[131] - صحيفة الرياض 25-10-1990

أحد الإخوة اليمنيين، والذي رسى مزاده على مواطن سوري. فجاء مواطن كويتي وسأل اليمني عن الترسية، وما إن عرف اليمني أن من يساومه كويتي، اعتذر للسوري وتنازل للكويتي عن الأثاث وبالمجان.

وكان على مقربة منهم مواطن سوداني، وما إن رأى هذا الموقف النبيل حتى سقط مغشياً عليه لروعة الموقف، فحمله المواطن اليمني والكويتي والسوري، ونقلوه في سيارة مواطن سعودي إلى المستشفى.

أما أنا، فقد وليت وجهي ولَففته بالغترة، وكدت أصرخ بملء الصوت!! لأنني أيقنت بالفعل أن الحكام دائماً يأكلون الحصرم، وشعوبهم (يضرسون) أو يهرسون أو يخرسون!!

وردة على ضفيرة طفلة كويتية [132]

الى (سهام)

منذ اعوام كتبت عن قصف اسرائيل

لروضة (بحر البقر) وبعدها باعوام كتبت عن

قصف ايران لروضة اطفال البصرة.. واليوم

هل تسمح لي ياسيدي الزمن بان اكتب عن

قصف بغداد لاطفال الكويت (؟!!) صحيح

بلنهم كلهم اطفالي ولكن ان تصل الشظية الى

بيتي فثمة شيء أخر!!

***

[132] - صحيفة الرياض 27-10-1990

يؤلمني ياطفلتي ان اقبل الخريف

وبيتك الطيني

عل رمل (السيف)*

وذبحوا النوارس البيضاء

وافزعوا (قباقب)* المياه

وجن (بوالخصيف)*

وقصفوا بالمدفع الرشاش:

ارنبك الصغير

واللعبة الزرقاء

وقطك الاليف

***

لكنما لا تحزني

ياوردة الحروف

سياتي الشتاء

ويغسل الكويت

من درن الغزاة

ويزهر الرصيف

بالعشب و(النوير)

ويرحل المحتل في الفجر مثل الطيف [133]

[133] – * السيف: السلحل باللهجة الكويتية . القباقب: مخلوقات بحرية صدفية . بو الخصيف: طائر ساحل كئيب بليد الطيران * القصيدة كلها تتكرر الا في المناسبات المعتمة في تاريخنا العربي (المضيء)!! * انا لا احسن الكنابة للاطفل، لكنها الحرب!

موت الجوقة والكورس أيضاً [134]

مطلع:

القادسية اللي يقول

جندها من هالبلد

ديرتي دار الرسول

وانبتت ارضي سعد.

لم يكن صمود العراق طوال أعوام الحرب يعتمد في الأساس على الفيالق العراقية السبعة، بل ثمة فيلق ثامن، كما كنا نسميه، ألا وهو الشعراء الشعبيون وكتّاب الأغنية وبقية الجوقة من المغنين و(الهتيفة) و(المهوسين).. هذا بالنسبة لهم هناك.

أما نحن، وحينما وقعت الكارثة، فلم يبق لدينا سوى (المهوسين) أو (المهووسين) بالأصح.. من شعراء الولائم والارتزاق والمديح، والذين (لهم في كل عرس قرص) و(بشت) أيضاً. هؤلاء (الجوقة)، لم نرَ أحداً إلا القليل

[134] - صحيفة الرياض 29-10-1990

القليل الذين عبّروا عن موقفهم الوطني النبيل.. أما البقية فبحياتكم (!!). فما إن تساءل أحدهم، وهو يكرع نارجيلته، إلا وقال لك: «لافَض فوه يا أخي، الكارثة أكبر من القصيدة!!» - (أهـ.)!!

مع أنه في هذا الحال هو الكارثة بعينها، وفمها وأنفها أيضاً.. تذكرت هؤلاء (الأولئك) حينما استمعت بملء القلب إلى شريط يحتوي على أغانٍ تعبويّة جديدة، اشترك في كتابتها عدة شعراء مبدعين مثل: غازي القصيبي، محمد طلعت، بدر بن عبدالمحسن، محمد عبدالله الفيصل، وإبراهيم خفاجي.

لكن أكثر ما شدّني في الشريط ذاته هي الأغنية التي كتبها الأمير بدر، وذلك لنكهتها الوطنية والتاريخية والقومية. فالأغنية تبدأ بعرضة لرجال الملك عبد العزيز بن سعود، ثم تبدأ في إيقاعها الحداثي الجميل الذي يثير غبار النقع:

لا همى وبل الرصاص
مرحبا بحتوفنا
ودنا ناخذ قصاص
لأهلنا وضيوفنا

ثم يضيء الأمير بدر حقيقة تاريخية، يصفع فيها صدام بعينه حينما يقول:

القادسية اللي يقول
جندها من هالبلد
ديرتي دار الرسول
وانبتت ارضي سعد

ينبغي القول أخيراً إننا بأمس الحاجة اليوم إلى الشـــعر التعبوي أولاً.. أما شعر المناسبات والولائم، فقد ولى عهده إلى الأبد، وولت جوقته الفارغة التي أثبتت (فراغها) الأحداث.

وسائل التهويل و(التقويل) (135)

الآن، وبعد أن وقع الفأس في القلب ووطننا يعاني نزيفه الذريع ويستصرخ الكون، تظهر علينا بين الآونة والأخرى بعض أجهزة الإعلام التي تنبح في وجه الجرح لتبث عوائها الكريه، الذي يطغى على أنين الوطن. وأعني بذلك أجهزة التطبيل والتهويل و(التقويل)، التي لا يهمها سوى السبق على جسدنا الجريح، و(تقويل) بسطاء الناس ما لم يقولوه، أو تضخيم ما قالوه، واصطياد العبارات العفوية التي تخرج من أفواه الناس لا برازها لاستدرار شفقة الناس، وكأن القضية "تعتمد على الشفقة لا على العزم والإصرار وتعبئة الناس واستيعاب المشكلة والنهوض من كبوة الكارثة".

وألا من يقل لنا لماذا تركز تلك الوسائل على كلمات كهل بسيط، أو بكاء عجوز كويتية، أو دموع امرأة تتحدث عن الشرف!! صحيح أن الكثير من ذلك حدث، ولكن الآن علينا أن نتجاوز النواح إلى الصرخة المدوية في أسماع الكون، وأن نجفف مأقينا ونفتحها باتجاه الشمس، ونقول كلماتنا الصارمة الحادة، وننشد من أجل تحرير الكويت.

ونعلم الطفل قبل الرجل كيف يفجر العبوة او يحمل الرشاش أو يفهم كل شبر في عطفات الوطن. ونعلم المرأة كيف تضمد الجراح وتشحذ همم الرجال

---

(135) - صحيفة الرياض 31-10-1990.

ونعلم الطفل قبل الرجل كيف يفجر العبوة، أو يحمل الرشاش، أو يفهم كل شبر في عطفات الوطن. ونعلم المرأة كيف تضمد الجراح، وتشحذ همم الرجال، وتقف جنباً إلى جنب مع إخوانها باتجاه تحرير الأرض وصيانة العرض، وأعني بذلك (عرض الوطن). كذلك علينا أن نستنهض تاريخ المسنين فينا ونتعلم منهم كيف صمدوا طوال تاريخهم أمام المتغيرات والأهوال، سواء كانوا في الصحراء أو البحر، لنتعلم منهم أجمل الدروس.

كل ذلك، بالطبع، يتطلب تعبئة إعلامية وطنية جادة يساهم فيها كل شبابنا المثقف، وكل من له علاقة بالثقافة والفكر والإعلام، على أن تشكل، وبالسرعة القصوى، (لجاناً رسمية) أو حتى شعبية يتطوع فيها كل أبناء الكويت المخلصين على مختلف ثقافاتهم واهتماماتهم وعطاءاتهم. وذلك على الأقل لحماية شعبنا من بعض أجهزة الإعلام التي لا يهمها سوى (الظهولة)، وتفخيم النواح، والحث على اللطم والحزن والانكسار.. لأن هذا الأسلوب لم يعد جديراً بالمأساة، تماماً كما قال الشاعر: «الي يترجى الناس ما يرحمونه!!». فهل نحن فاعلون؟ ذلك ما نرجوه ويرجوه الظرف.

التقدمية رأسا على عقب!! [136]

لست أدري ما الذي قلب التقدميين العرب رأساً على عقب و(وقفوا على رؤوسهم) بدلاً من أرجلهم في حركة بهلوانية تاريخية لا تبعث على الضحك فحسب، بل على الرثاء والقنوط والخيبة. فأغلبهم، سبحان الله وبقدرة قادر، قد وقفوا (على رؤوسهم) لتأييد الغزو الصدامي الفاشستي للكويت.. وهكذا، (بانقلاب) فظيع، وجدتهم في صف أكثر الدكتاتوريين تخلفاً ونازية، وأصبحوا عنهم يدافعون.

وألا من يقول لنا: متى أصبح صدام حسين، الذي جزر الآلاف من التقدميين وشرد الآلاف منهم في بلاد الله الواسعة، متقدماً حتى يقفوا مع دباباته وبوليسه وقمعه وإرهابه؟ ومتى أصبح الملك حسين، الذي جزر وأباد الشعب الفلسطيني طوال تاريخه المجيد، (تقدميّاً)؟ اللهم إلا إذا كانوا يعتبرون تقدميته هي بدخول حليفه عرفات إلى الأردن بالدشداشة الكويتية وخرجه تحت القصف بالدشداشة أيضاً.

ومتى اصبح بنظرهم الجنرال البشير الذي اجهض اول انتخابات ديمقراطية في السودان وجوع شعبها ديمقرطيا.. وكذلك كيف غدا علي صالح الذي اجتاح الجامعات وانتهك حرماتها واقتاد اساتذة الفكر فيها الى سجونه ومتى

---

[136] - صحيفة الرياض 2-11-1990

أصبح، بنظرهم، الجنرال البشير، الذي أجهض أول انتخابات ديمقراطية في السودان وجوع شعبها ديمقراطياً؟ وكذلك، كيف غدا علي صالح، الذي اجتاح الجامعات وانتهك حرماتها واقتاد أساتذة الفكر فيها إلى سجونه الحجرية، تقدميّاً؟! ومتى أصبح التقدميون يصفقون للدبابة، ويكتبون بالمدفع، ويخطبون بأجراس الإنذار؟! ومتى أصبح التقدميون يؤيدون الاجتياح و(الإمبريالية العربية!!) ويهتفون لسقوط الثقافة والفكر، ويهللون لتشريد شعب عربي آمن من وطنه، وتشريد شعب عربي آخر من بلاد له من الامتيازات فيها كما لمواطنيها!! ومتى أصبح التقدميون يؤيدون تجويع (عمال العالم) وتشريدهم من البلدان التي يكدحون فيها خلف لقمة العيش!!

ومتى أصبح التقدميون يبتهجون لإغلاق الجامعات ورياض الأطفال، ونهب المتاحف والأندية العلمية وجمعيات النفع العام، وتفكيك المطابع، وبالتالي إيجاد المبرر الحقيقي للتواجد الأجنبي بسبب هذا الدمار الذي أضيف إليه دمار آخر؟!

على أي حال، نحن آسفون لكل ما قلنا، فالتقدميون العرب هم التقدميون الوحيدون في العالم الذين يفكرون، وهم التقدميون (الأوحدون) في الكون. بالطبع، أستثني من ذلك تقدميي الكويت؟! أتدرون لماذا؟! لأنهم ربما، بنظر التقدميين العرب، لم يعودوا تقدميين لسبب بسيط، ألا وهو أنهم لم ينتهزوا (ولا هذا الغزو) للرقص أمام دباباته وامتطاء سدة السلطة.. ولم يقبل أي واحد منهم رشوات الغزو ببريق (الكرسي)، ولم يتنازل أي واحد منهم عن

مبادئه النبيلة التي تقول: الوطن أولاً، والوطن ثانياً، والوطن ثالثاً. ولذلك، لم يخذلوا كويتهم العزيزة رغم رهق الغزو الخاســر.. فهل هؤلاء ليســوا تقدميين، أيها التقدميون العرب، أو (الخرب)؟ لا فرق!

الدب والسيرك [137]

أرزقــي كبــير اسمــاً وحجمــاً (أعــني لحمــاً وشــحماً)، ولا غــير ذلــك!! صَـفَّق، دَبَّـق، متحـذلق، متسـوّل، متحـوِّل، (متقـول)، (هَـبَر) مـن خـير الكويـت حـتى غـدا كـدبّ السـيرك يـرقص علـى كـل الحبـال وفي كـل الأحـوال، يُنـافِق الصـغير حـتى يزحـف نحـو الكبـير، ويتحـذلق للقصـير حـتى يتسـلّق الطويـل، (يسـتجدي) بأطرافـه الأربعـة!! ويكتـب بأطرافـه الأربعة وبالاتجاهات الأربعة!!

تشـاهده في الـدوائر الرسميـة (وغـير الرسميـة) يـدب كالفيـل، وينقـل القيـل والقـال بدمـه الثقيـل وعقلـه العليـل. يكتـب كمـا يكـذب، ويكـذب كمـا يكتـب. مهـرّج متعـرّج متـدرّج حـتى يصـل إلى غايتـه، وبعدها الطوفان.

رأيته بالأمس يطل من نافذة إحدى المطبوعات (الثخينة) مثله، يتحدث عن أغاني (الطشت قللي) و(السح الدح أمبو) و(سلامتها أم حسن) وبقية أغاني الحب التافهة مثله.

صـــدقاً، نحن لا نعترض على محبة (الفيل) إياه، ولو أنه أرذل العمر، فهذا شأن الفيلة لا شأن لنا نحن (الضعفاء) فيه، ولكن اعتراضنا العريض (مثله)

---

(137) - صحيفة الرياض 2-11-1990

هو: كيف يكتب في هذا الظرف العصـــيب الذي يعاني فيه البلد التي طالما أجَلَّها ومجَّدها وأطنب في امتداحها أيام كان يلهط ويشـــفط منها؟! نقول: كيف يكتب في احتلالها مثل هذا الكلام؟!

ثم كيف (ذلف) بكل ما أوتي من جحود وجمود ليتبع جوقة الســـيرك التي خَرِســـت حالما قبض (مهرجُهم) المقســـوم والمعلوم حتى بلغت بهم التُّخمة البلعوم؟! نحن لا نلوم الآخرين على صـــمتهم إزاء مـا حـدث لبلـد الخير والخيرين، لاسيما الذين لم ينتفعوا من ذلك الخير. ولكننا نلوم الذين (هبشوا) من خيراتها حتى (تكرَّش الواحد منهم فأصبح بلا رقبة).

كما أننا لا نلوم أنفسـنا على صـمتنا عن هذه النماذج الشـائهة التي كانت تلوث سمعة حتى الذين يعيشـــون في الكويت، لأننا نعرف تماماً مواقف مثل هؤلاء أيام الشدة. ولكننا نلوم العديد من المسؤولين الذين كانوا يضعون مثل هذا النموذج الرث في مجلس الصدارة (!!) ويتحلقون حوله ويضحكون!!

ولولا أن الحق (يُغال) في تلك الأيام لكان يعد ناســـه أكثر حباً للكويت حتى من رملها، بل كان يزايد حتى على أبنائها المخلصـــين الذين طالما نبهوا إلى مثل هذه الفواجع التي لا تجلب سوى الأمراض والصديد لوطن نقي مثل الكويـت. يبقى القول أخيراً: إننـا لا نريـد إيـذاءكم بمثـل هـذا المشـــهـد (الأراكوزي) الكئيب الذي لا يتقنه ســـوى أمثاله، لأنه مســـتعد للرقص و(النقص) و(الهقص) حتى تقوم السـاعة!! ولكننا أردنا أن نضـيء السـيرك

قليلاً قبل أن نطفئ الأنوار وننســــحب كجمهور حزين قد مَلَّ تماماً من سخافة الحفلة.

لم الشمل [138]

حينما شــرعت بالكتابة في العزيزة "الرياض"، لقيني بعد طول غياب الزميل ناصر الخالدي، الذي كان يتعلم الصحافة في جريدة السياسة منذ سنوات. وبعد السـلام (والذي منه)، همس لي بحزن شـفيف أنه يشـعر بأنه لا يؤدي واجبه الوطني كاملاً إزاء ما حدث للكويت الحبيبة.

وحينما سـألته عن السـبب، أخبرني أن كل ما يفعله هذه الأيام هو تلقي نداءات الكويتيين ونشـرها في الجريدة، وأنه يحس – أي ناصـر – بأن عليه أن يفعل الكثير من خلال الصـحافة. لكنني شـددت على يده، وقلت له بصوت عالٍ: ما تفعله أنت الآن (الصح).

وحينما سـألني عن كيفية هذا (الصـح) أخبرته بأن ما تقدمه هو دور وطني وإنسـاني لم يقم به أيٌّ منّا، نحن الذين نتكئ في الزوايا الضـيقة ونردد بعض العبارات التي قد لا تعني الشعب شيئاً، ولا سيما عامة الناس الذين يريدون منا كلمات بسيطة تترجم مشاعرهم وأحاسيسهم، وتلمس مأساتهم، وتمسح جرحهم الجديد.

إن الدور الحقيقي للكاتب هذه الأيام هو العيش وسـط شعبه وتلمس لغته البسيطة وهمومه الواضحة، وبالتالي معايشته عن قرب وبحميمية أكثر من ذي

---

[138] – صحيفة الرياض 12-11-1990

قبل، صحيح أن كلماتنا قد تعبر عن المأساة، ولكنها لا تتحدث بلغة من يعاني هذه المأساة.

هذا الأمر يعيد لأذهاننا حكاية الأبراج العاجية للكتاب حتى في أسوأ الظروف. وهذا ما يتوافق تماماً مع ما طرحناه في هذه الزاوية قبل عدة أسابيع فيما يتعلق بالشعر التعبوي، أي الشعر الذي يجب أن يكتبه الشاعر الآن، لا الشعر الذي ينتظر أن يتصدق عليه به الإلهام وما إلى ذلك من تنظيرات نقدية لا تصلح لظرفنا هذا. ومن هنا، فإن من يقوم (بلمّ الشمل) يقوم بدور وطني عظيم، لأن لمّ الشمل ليس مثل (بعثرة الشمل!!). فهل يدرك كتابنا ذلك؟!

لست أنت السائمة

في بدء السبعينات، حيث كنا منشغلين بنار الشعر وتوهج الثقافة، ودفء النقاش، وصلنا صوتك الصامل كصرخة برق في البرية، كلنا انتبه له وتلفتنا إلى حائطك الأبيض النقي وقرأنا رسوماتك عليه، وغبطنا القلب الذي امتلأ إذ ذاك بمطر أول الوســـن، وهزجنا على إيقاعاته (كهّبان) فخيم، وأعدنا قصــائدك الأولى؛ كانت أول (الوبل)، وكانت غيوم الصــحاري شــحيحة، وكانت ثمة أمطار متفرقة نسمع عنها ولم نرها، ولكننا تفاءلنا بها مثلما يتفاءل البدو الرحل بأوَّلات المواسم، ثم بعد ذلك يا (سعد).

لقد:

تقدَّمتني أناسٌ كان خطوهمُ

وراء خطوي، ولو أمشي على مهلِ.

كلُّهم يثرثرون، ولا يشمخُ أحدُهم

فوق أناه، ويذكرك – لو صحفًا.–

وبالرغم من ذلك، ها أنتَ تعضّ على صمتك العظيم،

وتدير وجهك الهادئ بكل الجهات،

ولا تنبلج، ولا ترفع اليدين،

ولا تجهر – ولو مرّة – بالصراخ.

رأيتك بعد أن سمعتك بعد أعوام،

وذكرتك بأنك أول من رسموا في الذاكرة،

ولكنك لم تفه – ولو بجملة واحدة.

رأيتك بعد أعوامٍ أخرى،

وذكّرتك بالشعر،

فأدرت وجهك نحو الحائط، وقلت لي:

هل أنا سائمة؟!

وأكملتُ لك...

ولكنهم لم يزالوا على الشعر، يا سعد: يدّعون.

قوات[139]

دمنا أغلى من الذهب

ولكنه حينما يحتاجه الوطن

يصبح رخيصاً كالغبار

ولكنه غير غبار بلادي

هكذا ما أدندن به الآن،

وأرفع هذه الأغنية الفيتنامية العذبة،

كما أرفع فوهة رشاشي باتجاه الوطن،

وأستنشق غبار خريف بلادي،

وأتنفّس رائحة أسماكه الوديعة الهَلْهَلة،

وأسمع أنين أزهار حدائقه الذابلة

في الفؤاد المكتظ بالأمل الفسيح...

وأستريح.

---

(139) - صحيفة الرياض 14-11-1990

(وين استريح

وأنا الجريح

وأنهض واطيح

أقتل وأقوم

وبلادي في دمي تصيح

قم ياولد

(قط) القلم

أرم الورق

خل الكلام

صوت السلاح هو الفصيح)

أنهض كأحد أبراج الوطن الأسير،

وأشمّر عن ساعدٍ معروق، كساعد بحّار قديم،

وأطوي ألمي كصارية ترشّح بالملح،

وتعبق برائحة الأصداف،

وأرفع العقيرة بصوت صديقي الشاعر،

الذي لا أدري أين طوّحته المنافي،

وأنشد:

(شطآن رملك واحة معطار

وأجـاج بـحرك سكر وبـهار

ياموطن (الهولو) الذي غنت له

من أمس أمس سواحل وبحار

ياساحل الفيروز حيث سفينه

مـلء البحـار كأنـها الاقـمار)

أنظر إلى رفيق سلاحي العربي في الخندق الأيمن وأطوح له التحية:

أمـتـي كـم غـصـة دامية

خنقت نحوى علاك في فمي

فيرد على بصوته الشمالي العذب:

أمة العرب لن تموت وإني

أتحداك (ثم يغص الدمع! !)

أنصرف عنه،

لعله يُكمل النشيج إلى الرجل (الأصفر) الحزين،

الذي لا أعرف جنسيته بالضبط،

ولكنه إنسان.

والذي شرع بالغناء هو الآخر:

ها أنذا مخلوق غريب

قذيفته التكنولوجيا

يجلس تحت قبة النور الأزرق

تحت أبطه غير المعطرة نار محمومة

تهبط عليه لحظة

قنابل في غلائل رقيقة

خزانات من المتفجرات

في شكل دموع من النابالم والبنزين

آه أن العالم يذرف دموعاً أكثر

على مخلوقاته البائسة [140]

(140) – القصائد على التوالي ، (1) الفيتنامي نغوين فانيثو ، (2) الشعر شعبي للشاعر محمد الفايز . ، لعمر أبي ريشة ، للشاعر سليمان العيسى ، للشاعر الامريكي جيمس ديكي ، هذا الشاعر الانساني نتأمل الا يحدث لأخرين ولكن على ان تعود كويتنا السليبة لتواصل دورها القومي ودورها الانساني الذي عرفت به على طول تاريخها المشرق

اعتقال السمك [141]

بالأمس دعت الحكومة العراقية صيّادي السمك، الذين يريدون الاصطياد في المياه العَكِرة ـ عفوًا، في المياه الإقليمية الكويتية ـ أن يتقدّموا بأخذ الإذن اللازم لذلك.

وما إن سمعت أسماك الكويت بهذا الغزو حتى اضطربت في الأعماق، وأخذت تنفض البحر إلى الأعالي، وأخذ البحر يرتجف مرعوبًا من هول الغزو.

صحيح أنّ السمك لا ينام، ولكنه من شدّة الفزع قد يتحوّل إلى سمك من نوع آخر، بل إلى سمك متوحّش أيضًا. فالنقرور، ذو العين الشهيرة التي أصبحت مثلًا للحنين إلى الكويت، والذي يقابل المثل المصري القائل: من يشرب من ماء النيل لازم يرجع تاني، يقابله في الكويت المحتلّة: من يأكل عين النقرور لا بدّ أن يعود إلى الكويت.

أقول: إن النقرور ذا العين البهية الصافية، قد تحوّل ما إن سمع بخبر اجتياح البحر واعتقال أسماكه بالشباك لنقله إلى العراق، أقول: تحوّل إلى (جرجور) رهيب لنهش أطراف الغزاة، والسمكة (الحمرة) قد تحوّلت إلى زرقاء من الهلع، أما (الزبيدي) الأبيض كقلب المواطن الكويتي، فقد عراه السواد

---

[141] - صحيفة الرياض 16-11-1990

وأصبح (لخمة) متوحشة، أما (الهامور) فقد تحوّل إلى حيتان ضخمة تصرخ على حواف الشواطئ المقدسة وتشجب الاجتياح.

صـــحيح أن الغزاة قد نهبوا الكويت ونهبوا حتى الماء حينما فككوا محطة تقطير المياه، ولكن السؤال القائم كأبراج الكويت ـــ هذا إذا لم تُنهب بعد ـ هو: هل سمع التاريخ على طول امتداده بغزاة يعتقلون حتى الأسماك؟!

بالطبع ســـيكون الجواب بالنفي، ولكن إذا ما عرفنا أن الشـــعب العراقي المبتلى يعاني اليوم من مجاعة هائلة بسبب الحصار، فإننا لا شك سنعجب بحكمة وحنكة و(زنكة) حكومته الرشـــيدة (جداً) التي ســـتقدّم له أسماك الكويت بدلاً من الخبز (!!). مع علمنا بأن ذلك الشعب العربي كان يتذوّق أجمل أصـــناف الأسماك حينما كان (المســـكوف) يلبط في حياض مطاعمه الفاخرة قبل الحرب، ولكن لا بأس أن نهمس في أذن ذلك الشـــعب بأن السمك الكويتي الآن هو سمك عسر الهضم (!!).

صرخة شهيدة أدت للوفاق الدولي!! [142]

صرخة شهيدة يونانية في الحرب الأهلية في أواسط هذا القرن جاءت في رواية لكاتب يوناني–أمريكي ألهمت الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغن أن يدعو الرئيس السوفيتي غورباتشوف إلى اجتماع دولي للحد من التسليح لأجل أطفال العالم. هذا ما حدث بالضبط في حديث للكاتب العالمي نيكولاس غايج، صاحب رواية (إيليني) التي تعتبر من أكثر الكتب مبيعاً في العالم، وهو يتحدث عن سيرته الذاتية وفي الفصل الذي يتكلم فيه عن علاقته الحميمة بمدرسته الآنسة هيرد.

وهذه الصرخة هي صرخة أم الكاتب حينما أعدمها العدو، وصرخت في وجوههم وهي تحتضر: (أولادي.. أولادي)، وظل صدى صوتها يتردد في شعفات الجبال. فها هو (غايج) يتحدث عن تلك الذكرى الأليمة التي كانت سبباً في الحد من الأسلحة، وبالتالي في الوصول إلى الوفاق الدولي.

يقول غايج: «بعد انتقالي إلى مدرسة تشاندلر المتوسطة في أمريكا، إثر مغادرتي بلادي اليونان بسبب الحرب، طُلب منا أن يختار كل واحد منّا هواية لمتابعتها في حصة النوادي. لذلك قررت أن أتبع أجمل فتاة في صفي،

[142] – صحيفة الرياض 18-11-1990

فقادتني خطواتها إلى نادي الصحافة، وهناك التقيت بمارج هيرد، مدرسة اللغة الإنجليزية، وكانت سيدة لاذعة اللسان لا تفسح مجالاً للتفاهات».

ثم سرد غايج تنامي علاقته بالصحافة، وتحدث في جزء من ذلك الفصل عن بداية تعلمه الكتابة حينما طلبت منه هيرد أن يكتب عن بلاده، فقال:(لقد علمتني هيرد أن بلادي هي مهد الحضارة الغربية، وكانت كلما أتت على ذكر أرسطو طاليس أو أفلاطون تغمرني بعينها وتقول لي: شرف آخر لبني قومك دانيكولاس، فيكبر اعتزازي ويزداد فخري بأصلي. وحينما طلبت منا أن نكتب عن سيرتنا الذاتية كتبت: الربيع بالنسبة إلى أناس كثيرين يعني نهاية الشتاء، وعودة طائر الحنّ، وبداية الأحلام والحب، أما بالنسبة لي فإنه يحمل معاني مختلفة تماماً، إنه الفصل الذي ودعت فيه أمي وبلادي. ثم يستطرد غايج: كتبت كيف احتلنا العدو واستولى على بيتنا وطعامنا، وكيف خططت أمي لهربنا عندما علمت أن جميع الأولاد سيرسلون إلى معسكرات الأشغال، لكن العدو كان قد أرسلها لـ (درس) الحنطة في قرية نائية. كتبت عن كابوس هربنا في الجبال ليلاً، وكيف أعدموا أمي، وكيف صرخت بهم: (أولادي... أولادي).

هذه الصرخة التي ذكرها نيكولاس في روايته قرأها رونالد ريغن في 10 ديسمبر 1987م، وقرر أن يتصل بغورباتشيف من أجل الوفاق وصون أطفال العالم. وفي ذات اليوم ــ يقول غايج ــ اتصلت بي معلمتي هيرد لتزفّ إليّ هذه البشرى العظيمة، وتخبرني أن صرخة تلك الشهيدة التي حدثت في

منتصف هذا القرن قد غيّرت القرن. هذا بالنسبة لهم هناك، أما نحن هنا فلا صرخات الأطفال، ولا أنين الأمهات، ولا مناشدة العالم كله استطاعت أن تحرّك شعرة واحدة في قلب ديكتاتور واحد يريد أن يجلب الدمار للعالم. فأي زمن هذا؟ وأي زمن ذاك؟

نحن جيل مأزوم ومهزوم ايضاً [143]

على مدى أربعين عاماً يخرج عليك المذيع العربي – أطال الله لسانه – ومن أيّة إذاعة عربية، بعد أن أخرج نصف صدره من المذياع وراح (يقح) عليك بصوته الأجش (مُكشِّراً) في صباحك بقوله: لا فُضَّ فوه، يا صباح الأمل! ساعتها تحس أنه يصفعك في الضمير، وتكاد أن تُقفل المذياع على صدره، ولربما على لسانه أيضاً، وتكاد أن تلعن (أبا مخترع الراديو)، لأنك في ذات الصباح بلا أمل ولا ما يحزنون، ولربما حتى بلا صباح خير!! ومن أين يجيء الأمل؟! ونحن من جيل وُلد بين النكبة والنكسة، فأصبحنا جيلاً بلا طفولة، وبعدها بأعواما

كدنا أن نفرح ببشائر الصبا حتى جاءت حرب أكتوبر، فأصبنا بطعنة الدفرسوار. وبعدها بأعوام قلنا سيأتي الشباب بأفضل ما نكون، فابتُلينا بالحرب اللبنانية، فمرّ بنا العمر بلا شباب. ودخلنا في مرحلة الرجولة المبكرة، وقلنا لعلنا سنبني أوطاننا في مرحلة الرجولة، فجاءت الحرب العراقية الإيرانية، ووضعنا أغلب مقدراتنا في حرب لا لون لها ولا طعم، وفقدنا خيرة شباب الأمة، فاكتهلنا قبل الأوان، وعانينا ويلات الدمار. وقلنا لعلنا في سن اليأس نهنأ ببعض ما تتمتع به الشعوب والأمم من استقرار وبناء، فجاءت الطامّة

---

[143] – صحيفة الرياض 20-11-1990

الكبرى باجتياح بلادنا الكويت من قبل بلادنا العراق (!!) يا للهول، أَهكذا تتعاظم البلاوي على جيلنا المهزوم والمأزوم؟!

فأي صباح يا جناب المذيع؟ ونحن كنّا نحلم منذ الطفولة بأن تصبح مصر دولة صناعية متقدّمة فأنهكتها الحروب. وأي صباح حين حلمنا بأن تكون لبنان سويسرا الشرق فدمّرتها الحرب. وأي صباح حينما تفاءلنا بقوة العراق فإذا بها تدمّر الكويت، درّة الخليج، وآخر آمالنا بالتقدّم. أغلق مذياعك أيها المذيع، بل أغلق فمك، فلا أمل ولا ما يحزنون إلا بالله.

ميثيولوجيا بيضاء [144]

جبلان متعانقان ونائمان على مشارف الحجاز، لا تكسوهما إلا سماء الله الثَرّة بالأمطار. وكانا يهمسان بالمحبّة وبشؤون الجبال.

نهض "سنام" كما ينهض أكثرُنا في آخر الليل، وسار شمالاً متجهاً إلى براري الله الشاسعة، مقرّراً ألّا يعود إليها. وسار طويلاً في الليل، فانتبهت له وصرخت به: قف!

ولم يزل واقفاً منذ صرختها الأولى حتى الآن. وكونت مسيرته "شعيب الباطن".

***

قال بعض الرعاة: إنه حينما تُمرِع الأرض لا يشبهها أي خِصبٍ في الدنيا.

***

قلت للكون إنه "شعيب الباطن"، وإنه الآن ممتلئ بالمدرعات الصديقة ودبابات الجند، ودوي (الهيركوليز). الهيركوليز التي كنا نسميها (أم حديجان) حينما كان هذا الجيش الكويتي الصغير الباسل يقاتل في مصر العروبة. هذا الجيش الذي كان يرابط على هضبة الجولان، وكان حينما يتكلم مدفعه

---

[144] - صحيفة الرياض 26-11-1990

(ابوردين) تحرس كل الجبهات. هذا الجيش الصغير الباسل دافع عن كرامته بلا أي أمر، وخرج من معسكراته التي يعرف أشجارها وردة وردة بلا أي أمر، وجُرّد من ملابسه العسكرية بأمر (!!).

***

ستة آلاف أسير، كما قال لي آخر العائدين من الأسر، وآلاف من الشهداء والمفقودين. أَهكذا يُكافأ هذا الجيش من أجل قوميته؟!

الشعيب:

الباطن، حمائم سوداء وصقور قلقة تتجول في الأسواق بأسلحتها العسكرية وغمّ في القلب، وبعض البُدّاة يقعون مثل النسور ويتجهون نحو الغيم. كنا نتوجه نحو الغيم ونعرف مجيء الوسم، وكان "شعيب الباطن" دليل الحياة. كنا نهرع إليه قبل أن نبدل الخيام بالخيام، وكان صديقاً نصوحاً لنا.

***

إنه "شعيب الباطن". بالأمس وصلت إلى الحي أقصاه، ورأيت رفيق ضياء بلادي، وغنيت بعد خمسين ميلاً. إنني أتجه لاستخاب المياه. القيصومة شمالاً، وساعتها اختطفني بدوي صديق وقال لي بالحرف الواحد، وكان يشرع "ربعته" للضياف: (ما ضل فيها مهاش!!). قال لي: يا سليمان، اشرب القهوة البدوية وتغنَّ بجمال الطبيعة، ولسوف تعود إلى الكويت.

أشلون الإبرة تصير «هيب»[145]

لَك الله يا عمنا (سويلم الحميد). منذ 1937م كنت تهزج بشعرك الشعبي الساخر.

لك شايفن أمراً عجيب   شلون الإبرة تصير هيب
هـيبنا مـن غير ذكـره   صـايـر لـلـناس فـكـره
ومـن حفـر لاخيه نقره   ذبـــه الله ي جـلـيـب

بالفعل، يا عمنا الحميد، لقد أصـــبحت الإبرة هيبا، وأصـــبح الكل يحفر لأخيه، و(ســيذبه الله) في نقرة مهما طال الزمن. أعني أن الزمن لم يتغير منذ عهدك حتى اليوم، وها هو الزمان هو الزمان الذي قلت عنه:

عــنــدنا في هــالــزمــان   صـــارت الليرة غران
والبغـل مثـل الحصـــان   سابق خـــيل النقيب

---

(145) - صحيفة الرياض 28-11-1990

وها إنهم ما زالوا (يصقرون) فراخ (السباري) كما كنت تهجس.

«صقروا فروخ السباري وقامت تصيد الحباري

والجعل صار الضواري والسلوقي صار ذيب

ورغم ذلك، أيها العم الساخر، مهما تقلبت الأمور ومهما تزيّأت الأغربة بريش الصقور، لابد أن تعود الأمور إلى نصابها، وستبقى الإبرة هي الإبرة، ويبقى (الهيب) هو الهيب مهما تضخمت الأمور.

***

في زمنك ذاك، يا عمنا الحميد، كان الناس أكثر صدقاً، وكان لكل مقامه تقييمه وقيمته، مهما، ياسيدي، (زنيونا بالبياس والذنب حطوه راس). وذلك لسبب جد بسيط، إلا وهو: من بنى من غير ساس، لازم المبنى يعيب على أي حال. نحن لم نرد قصيدة الحميد عبثاً، وذلك لأننا نرى أن الزمن هو الزمن، والزيف هو الزيف، أي منذ 1937م، ولم تزل قصيدته تلك ترتج في الأسماع حتى يومنا هذا.

(الست و الأوحش) [146]

السيدة الحديدية تأشر رغم صلابة الوضع وتسارع الأحداث وأزمة المنطقة، وقدمت استقالتها لصالح الحزب الذي ترى أنه يمثل صالح بلادها. وهكذا ترجلت (الحرمة) المسترجلة من على الكرسي، وامتطت سيارة الحكومة لتهنئ السيد (ميجور) بالفوز، ثم لتسلمه (سويتش) سيارة الدولة، وتمتطي سيارتها الخاصة أو تأخذ (ليموزين) حسب وضعها المادي بعد الاستقالة. ثم تعود إلى بيت زوجها كما يليق بـ (ست بيت) محترمة، لتربي أولادها وتهتم بشؤون الطبخ والنفخ أو الهمبورجر إن صح التعبير، وهكذا سلمت زمام الأمور لمن ترى أنه جدير بقيادتها وبنفس طيبة، بلا عنتريات ولا جعجعات ولا تشبث بمقبض المقعد، فقط لأنها رأت أن مصلحة البلاد تتطلب ذلك.

تتطلب ذلك، والسؤال القائم الآن هو: ما رأيكم لو كانت ثاتشر زعيماً عربياً وهمس في أذنه أحد مستشاريه بأن ظروف البلاد (مش ولا بد!!)، أظن أنه سيشنقه من وريده في الساحة العامة، حتى لو كان قد عينه مستشاراً بمحض إرادته. أليس من يقول لنا لماذا (يتلخبط) العالم و(تعتفس) الكرة

[146] - صحيفة الرياض 30-11-1990

الأرضـــية وينزلق العالم إلى عالمية، فقط لأن رئيس أحد دولنا العربية يرى أنه هو الصحيح والكون كله على خطأ!!

تماماً مثلما فعل الرئيس العراقي صـــدام حســـين، فهذا الرجل لا يهمه أن مات شعبه، ولا يضيره أن شُرد شعب أخ وصديق وجار، ولا يهمه إطلاقاً أن تفني البشـــرية أو تصـــاب الأرض بالبوار والدمار، وتنفق كل المخلوقات الجميلـة على هـذا الكوكـب الحزين. كـل ذلـك لا يهم الرئيس الأوحـد و(الأوحش)، ما دام هناك من ينعق له من إذاعاته الخمس. (صــدام، اسمك هز أمريكا) وكأن أمريكا هي الكرســـي (الهزاز) الذي يجلس عليه فخامة المهيب!

يبقى القول أخيراً: هل يقبل التاريخ أن تفنى البشـرية من أجل ســواد عين رجل واحد أعماه السواد عن استشراف المستقبل؟ وهل يقبل هذا القرن أن يدوسـه رجل واحد؟ ذلك ما يخجل الزمان ويطأطئ له العصـر!! وهو الفرق بين ظاهرة (صدام) وسائر الأمم التي تعنيها الحياة.

أنين اشجار الوطن [147]

منذ أعوام دعا سمو الشيخ جابر الأحمد إلى حملة تخضير الكويت، فهبّ شعبنا الأخضر القلب والطوية والنظرة، شعبنا المحب للحياة والأخضرار، شعبنا المتيم بالجمال والمحبة والبهجة. هبّ شعبنا كله إلى المشاتل والمزارع ليحمل الأشجار والبذور ويزرعها في حدائق البيوت والخلوات الصغيرة وجزر الشوارع، وأصبحت الكويت في زمن قياسي خضراء كعيني امرأة شقراء هائلة الجمال، وأصبحت الكويت تضج بالأزهار والتفاؤل والمحبة، وأصبح الوطن الصغير مضاء بالنوار والنخيل والأعشاب.

وهكذا تشكّلت لوحة ثلاثية تتأرجح تحت سماء الوطن، لوحة تتحد ألوانها الخضراء من الأشجار، والصفراء من كثبان الصحراء، والزرقاء من زرقة البحر. وهكذا غدت الكويت لوحة رائعة الجمال وبهية اللون، وجميلة إلى الحد الذي جعلها حديقة هائلة تمتد بين البحر والصحراء، وتصرخ بالعبير والبهاء والندى. واليوم، وبعد أربعة أشهر من الغزو الهمجي، ماتت الأشجار وذبلت الورود، وهاجرت الأغاريد من أفيائها العذبة، وصاحت أغصانها اللدنة، وانحبس الماء، وتشققت التربة، وعمّ الخراب، وذلك لسبب جد

---

[147] - صحيفة الرياض 2-12-1990

بسيط، إلا وهو أنه ظلّ الغزو (حتى الحديث عن الأشجار يوشك أن يكون جريمة!!).

ولم لا؟! فهو غزو ضد الحضارة والنماء والخضرة، لذلك احتجت الأشجار واصفرت أوراقها وأصبحت جرداء، ينعق فوقها البوم وينعب الغراب بعد أن كانت تغرد عليها البلابل ويمزج القمري بالألحان.

***

نعم، لقد ماتت أشجار الكويت واصفرت، وجاء بدلاً من التحضير (التصفير). وهذا هو الفرق بين شعب يحب الحياة، وغزو يحب الموت والذبول والخراب.

كتابة على جدران الوطن [148]

نحا — حينما كنا في الوطن الحبيب — كنا إذا أدخلنا أطفالنا إلى المستشفيات، كانوا يطلبون منّا الحلوى والألعاب وباقات الورد، وبعض مباهجهم الصغيرة كالأمل.

أما اليوم، حينما أدخلت طفلتي إلى أحد مستشفيات الرياض، لم تطلب مني سوى كراسة للرسم وعلبة ألوان.

ورغم ألم العملية التي أجريت لها، رأيتها في اليوم التالي وقد ملأت الكراسة بالرسوم التي تحكي عن مأساة بلادها وهمجية الغزو. صحيح أنها — عندما كانت هناك — مولعة برسم الأزهار وطلعات البر والطيور الملوّنة والحمام الأبيض وأبراج الكويت وضفائر الصغيرات وهنّ يذهبن إلى مدارسهن في الصباح، أما اليوم فقد كان علم الكويت يتصدّر كل الرسوم، وكذلك خارطة الوطن الحبيب وقد ابتلعتها الأفاعي، وثمة مناظر لوحوش كثيرة وحرائق ودبابات، وشعارات صغيرة تندد بالغزو، وبعض العبارات في حب الكويت.

أنا بعد ما رأيت هذه المشاعر رغم فخري بها أصبت بطعنة في القلب لأنني لم أتصور أن أطفال الكويت سيعانون هذه المأساة الكبرى في زمن السلام والوفاق

---

(148) - صحيفة الرياض 10-12-1990

أنا، بعد ما رأيت هذه المشاعر، ورغم فخري بها، أصبت بطعنة في القلب، لأنني لم أتصور أن أطفال الكويت سيعانون هذه المأساة الكبرى في زمن السلام والوفاق، وكل ما بذلته بلادهم من أجل ذلك.. وتذكرت من جانب آخر شهادة الأطفال في زمن الحرب للفنانة الفلسطينية منى السعودي، عندما جمعت رسوم أطفال لبنان وفلسطين لإدانة الغزو الهمجي الإسرائيلي لفلسطين ولبنان. وتمنيت ألا أصل يومًا ما إلى الربط بين الغزوين وما حصل للأطفال في هذين الظرفين، ولكنني أيقنت أن الغزو هو الغزو، وقد يكون غزو الشقيق والجار أشد مضاضة من غزو العدو، حتى لو كره المطبلون والمجعجعون والمزايدون الذين أصبحوا بين عشية وضحاها يعتبرون الغزو وحدة (!!) مع أنهم طوال تاريخهم ضد الوحدة!!

وبمناسبة الحديث عن رسوم الأطفال، والتي أضجرت البعض، فإنني أقول: إنه حينما يكتب أطفال شعبي على أعلى العمائر، وحينما يكتبون على مصاعد الشقق العالية، وحينما يكتبون على الأسفلت أو على دفاترهم الخاصة، يكتب الغزو في قلوبهم البيضاء، بالأدخنة والرصاص، مأساتهم العظمى.. إذ ذاك تكون كتاباتهم أصدق الكتابات، وتكون تعابيرهم أصدق التعابير.

وحتى أذكّر الجميع بأجمل مشهد تركه الغزو: هل رأيتم الطفلة الكويتية التي تظهر يومياً في رسالة الكويت، وهي تكتب على الجدران أجمل التعابير،

وتُجسّد أصدق الصور وأروعها؟ إنهم الأطفال – أصدقنا جميعاً – وأروعنا في الحب، حتى ولو كره الكارهون.

نضال ابي رغال [149]

منذ أيام، وحينما كانت الوفود الشعبية الكويتية تجوب بلدان العالم لشرح قضيتها العادلة، وأثناء مرور الوفد الذي كان يرأسه الدكتور أحمد الربعي إلى عمّان، انبرى له أحد مدّعي التقدمية وتوزيع الثروة بين أغنياء العرب وفقرائهم، وكأن الدكتور أحمد لم يكن من أشدّهم قبل ذلك!

أقول: انبرى ذلك المدّعي للوفد قائلاً لهم ببجاحة وجرأة: "نحن لا نناقشكم لأنكم مواطنون عراقيون، وكان الأجدر بكم أن تأتوا من بغداد لا من مكان آخر!"

بالطبع، أنا أعلم جيدًا أن الرد المقنع، الصادم، وربما الجارح أحيانًا، لا يخون – "أبو قتيبة" – أي صديقنا الربعي. لكن العار والخجل كل الخجل أن يُوجَّه هذا الكلام لأحمد الربعي بالذات، وهو يؤدي مهمته المقدسة. والسبب بسيط: كل تقدميي العرب، وربما العالم، يعرفون من هو الربعي. والشعب الفلسطيني قبل غيره يدرك أن أحمد الربعي كان من أشد المدافعين عن قضيته، بل ومن أكثر المتطرفين في الإيمان بعدالتها.

لذلك حمل السلاح هو والشهيد فهد الأحمد، وتوجها إلى الأغوار منذ نشوء منظمة التحرير الفلسطينية، وقاما بالعديد من العمليات في الداخل.

---

(149) - صحيفة الرياض 12-12-1990

وأكثر من يدرك ذلك جيدًا هو الأخ ياسر عبدربه، الذي طالما اقتسم معه الزيت والزعتر ، لم يعد وفياً لرفقة السلاح ولا للصداقة الحميمة التي يحتفظ بها له أحمد، ولم يحفظ له وفاءً تمامًا، كما لم يحفظه كل "الأبوات" بالوفاء للكويت، لاسيما الذين "عرضت الكويت مقاسات رقابهم"، مثل: أبو عمار، وأبو إياد، وأبو اللطف، وأبو الحسن، وأبو رغال أيضًا.

وبالمناسبة، يُعَدّ أبو رغال هو الذي استدل به الأحباش لغزو مكة في عام الفيل. ونحن إذ نخص عبدربه بالذات، فلأنه قبل أشهر قليلة من الغزو كان يزور صديقه القديم أحمد الربعي، أما اليوم فيزور بلاد أحمد ولا يزور أحمد نفسه، بل يذهب ليتفقد أحوال الجالية الفلسطينية في الكويت، ويدعو المجتمع الدولي إلى إرسال الغذاء والدواء إليها، ناسياً الكويت والكويتيين الذين كانوا يقفون مع قضيته أكثر من تلك الجالية نفسها.

هذا إلا أن عبدربه اعتبر أن الشعب الكويتي لم يعد كويتيًا، وكذلك صديقه الربعي لم يعد كويتيًا هو الآخر، بل أصبح عراقيًا، كما تفوَّه بذلك الأخ المدعي في زيارة وفدنا إلى الأردن.

أما أنا، فأكثر ما ألمني هو الرسالة التي وجَّهها الدكتور الربعي إلى صديقه القديم، والتي جاء في ثناياها: "(ماذا يمكن أن نقول لشعبنا، فقد كان أصحاب المنظمة يطرحون شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، وكان القائد الوحيد للمثل الشرعي يقول لهم في كل خلاف عربي–عربي: فلماذا هذه المرة يقول نعم كبيرة للاحتلال العراقي للكويت؟)" ثم

يستمر الربعي في عتابه ورسالته قائلاً: "لماذا هذا الاندفاع غير العقلاني وراء شعارات توزيع الثروة بين أغنياء العرب وفقرائهم؟!! وهم قد ازدادوا فقراً قبل غيرهم جراء احتلال الكويت، وهم يدركون جيدًا من أفقر من من؟ من "تسبب في تدمير من؟ ومن تسبب في التواجد الأجنبي؟"!

ثم يتساءل الربعي بمرارة، موجّهًا السؤال إلى صديقه القديم ياسر عبدربه بقوله:

"وما دمت يا ياسر قد زرت الكويت بعد الاحتلال، فنحن في شوق لأن تعلن لنا عن مشاهداتك. فإذا كان الاحتلال العراقي (متحضّرًا!!)، فمن حق الشعوب العربية أن تعرف ذلك". ثم يختتم الدكتور أحمد رسالته بـ "(آه)" ضخمة ترتج في أسماع كل دعاة التقدمية، إلا إذا اعتبروا أحمد الربعي من خلال دفاعه عن بلاده ليس تقدمياً، كارثة أخرى.

رغيف وكتاب وطلقة [150]

صحيح أن المواطن السعودي (هادي كزرقة الساحل الشرقي، عسر كعسير، منبسط كفيافي الشمال، صعب كنجران، نقي كالحجاز، عال كتهامة، بهي كأبها، جاد كجدة، أصيل كمدائن صالح، جميل كالباحة، شاسع كصحراء نجد، شامخ مثل حائل، حاد كالربع الخالي ومعطاء كالقصيم)، ولكنه أيضًا ضوّاع بالطيب كالقهوة البدوية، وحلو المعشر كتمر (بيشة)، ومتدفق بالمحبة كالجوف، وبعيد النظرة كاليمامة.

هذا المواطن العربي الرائع قد تشكلت شخصيته الفذة من تضاريس بلاده ومن امتزاج (إصرار البحارة، وصلابة الفلاحين، وفروسية البدو، وشموخ سكان الجبال)، لذلك اتسم بهذه الأصالة التي لا حد لها، والتي انتفضت إزاء الأحداث الأخيرة ففتح قلبه وبيته لإخوانه أهل الكويت الذين لا يقلون طيبة وأصالة عنه، هذا إذا لم يكونوا من نفس المعدن من حيث الامتزاج والتزاوج والاندماج الذي أشرنا إليه.

نقول إن هذا المواطن السعودي الرائع يجب ألا ننسى موقفه مهما طال الزمن، وكيف ننسى من تخلى لنا عن بيته، وقاسمنا الخبز والملح والرداء والراتب في بدء الأزمة، وقاسمنا المحبة والألم، وسيقاسمنا الطلقة وشرف التحرير

---

(150) - صحيفة الرياض 16-12-1990

وموفع الشهادة، كيف ننسى من قاسمنا مقعد الدرس وحبة العلاج وعشب الحديقة وألعاب الصغار وحليب الطفولة.

أما بالنسبة لنا، من نكتب من خلال هذا المنبر الشريف، فلن ننسى من قاسمنا الورق وحبر الكتابة والموقف النبيل، وفتح لنا القلب والصحف ومكاتب التحرير من أجل (التحرير)، وحتى التحرير بإذن الله.

بقى أن أشير إلى موقف طريف قد حدث لي في بدء الأزمة، إذ تقدم لي الزميل العزيز (عبد العزيز الجار الله)، المحرر بالقسم الفني في جريدة الرياض، وكان يحمل لي من بلاده القصيم بعض الحلوى للأطفال وكمية من المجلات الثقافية التي أخذها من مكتبته الخاصة، ودعاني بمحبة إلى اقتسامها معه، قائلاً لي بصوته الودود: "أعرف أنك الآن لا تحتاج إلا لبعض الكتب وبعض الطلقات حتى يتحرر الوطن." فيا لهذا الشعب من عظيم، ويا لعظمة من يحفظ له المودة.

علي جيعة كبير القصعجية [151]

لم أكن أعرف علي «جيعة»، كما كان يلقّبه الجند في معسكرات الوطن المحتل، لكنني سمعت عنه الحكايات الكثيرة النادرة. كان نقيًا كنسمةٍ شمالية، وضحّاكًا كقمر الصيف، وكان سلوى رفاقه في السلاح وهم يقطعون البحر لحماية سواحلنا الرائعة. كان علي «جيعة» نكتةً متحرّكة، ونادرةً جميلة، وملحةَ «الرُبع» في البحرية.

وبالأمس الأدنى طرق باب البيت «علي جيعة»، وكان لتوّه هاربًا من الأسر الصدّامي، فقدم لي نفسه وانفجر بنكاته المتلاحقة قائلاً: «أقدّم لك كبير (القصعجية) في معتقلات العراق من جيشك الباسل». ثم قعد يروي لي حكايته مع الأسر ومع هذه (القصعجية) التي فسّرها لي بأنها (القصعة) أو صحن الجندي كما يسمونها في العراق. أما حكايته معها فتتلخص في أنه تطوّع لغسل قصاع زملائه الأسرى الكويتيين، فسمّوه «كبير القصعجية». وعلي لم يتطوّع لمجرّد غسل الصحون، بل ليتنفس الهواء خارج المعتقل ولو بين الزنزانات والمطبخ.

لكنه سرق ذات مرة بصلة من الطباخ، فشم رائحتها الأسرى الذين «صار البصل عليهم بالحسرة». وحينما اكتشفوه قسم البصلة بينهم بالتساوي.

---

(151) - صحيفة الرياض 18-12-1990

لكن أروع وأطرف حكايات علي هذا أنه كان «يتفسّح» في باحة السجن، وكان جائعًا للغاية، فرأى أحد جنود العدو يضع «قطعة خبز» على كرسي ويذهب إلى الحمام، فنهض علي وسرقها. لكنه فكر بأن هذا السجّان قد يكون جائعًا هو الآخر، فترك «الخبزة» وأوكل أمره لله. وحينما أُمر الأسرى بالدخول إلى زنازينهم، جاءه جندي آخر وناوله قطعة خبز، مربتًا على ظهره قائلاً: لقد رأيت ما فعلت، وتعلمت أن نفوسكم أبية أيها الكويتيون حتى تحت أسوأ الظروف. هكذا حدثني «علي جيعة»، وغادرني وهو لم يزل غارقًا بالبهاء والضحك. هكذا أبهجني ومرّ.

مدائن المحبة [152]

عند مرتفع تذروه الرياح في جنوب غرب تركيا، مدينة متآلفة تنهض من التربة التي طمرتها ما يزيد على ألف سنة، اسمها (أفروديسياس) – أي الحب – وفي وسطها آثار «فينوس» رمز الحب والجمال، المعروفة بـ«أفروديت».

كانت «أفروديسياس» إبان عصرها الذهبي مدينةً مستقلةً مزدهرة، تسنّ شرائعها وتسكّ نقودها الخاصة، وكان مصدر ثرائها غلالها ومرمرها وزوارها. وكانت فيها نخبة من عشرين أسرة من كبار ملاّكي الأرض، تعهّدت مشاريع الأبنية الفخمة ورعت الفنون على مرّ الأجيال. لكن الزلازل عاثت في المدينة خرابًا، وبحلول العام 700 غطّت خرائبها أتربة تقاذفتها الرياح. إن بعثها من سباتها اليوم يعود إلى رجل واحد يدعى «كنعان أيريم»، وهو عالم آثار أمريكي، وهذا «أيريم» صيّاد كنوز، موهبته في الحدس مروّعة، إذ يُحرز موقع شيء مطمور فيستدعي حفّارين فيعثر على التحفة. وقد اكتشف عام 1977 – على سبيل المثال – منحوتة رائعة الحسن من المرمر الأزرق لجواد بالحجم الطبيعي، مدفونة تحت بقعة مغطاة بشجر العُلّيق خارج حمّامات هادريان.

---

(152) – صحيفة الرياض 23-12-1990

هذه المقطوعة الشعرية التي تتحدث عن الآثار هي لشاعرة فرنسية، تتحدث عن عالم أمريكي يبحث عن مدينة تركية رائعة كانت تمثّل رمزًا لبهاء المدن، وهي تذكرنا باهتمام الشعوب بمدنها الرائعة، على عكسنا تمامًا، إذ كلما نهضت مدينة جميلة في عواصمنا البائسة اجتاحتها الهمجية والغوغاء، وزوبعت فيها عواصف الخراب والدمار؛ تمامًا مثلما حدث لبيروت طوال الخمس عشرة سنة الماضية، وكما يحدث للكويت، درة الخليج، في أيامنا هذه من نهب وتدمير وسطو في وضح النهار.

الأمر الذي يجعلنا، كمحبّين للحياة والجمال، نمارس نزفنا الذريع ما دمنا نحيا في أمة تتقدّم إلى الخلف، في زمن تتقدّم فيه كل الأمم إلى الأمام. فيا أمةً ضحكت من جهلها الأمم، متى تضحكين من جهلك أنتِ؟!

صديق [153]

أيّةُ مدينةٍ تحتويك أيها التَعِس؟! بالأمس شـيّدتَ مبانيها، وغرستَ أشجارها الباسقة، وكتبتَ على جدرانها الصلدة عباراتك النازفة، وأقعيتَ ككلبٍ ينفضه البرد تحت لافتاتها المضيئة، وسرتَ وحيدًا في الليل تُشاجر عُسّاسها المتجهّمين.

ثلاثون عامًا وأنت تُنير بقالتك الحقيرة وتطفئها كيفما شئت، ثم تُحصي النقود. بالأمس قيل إنك صرتَ تمتلك البلد، وتملّكتني الغبطة الشاسعة بأنني سأذخرك للأيام السوداء. ثلاثون عامًا أيها الظالم، حينما اكفهرّت المدينة واعتمت الشوارع، وتقدّمت بأطرافها العنكبوتية الليالي السوداء... وأنت لم تزل كما أنت، تُحصي الحماقات، وتُدير ظهرك المطعون، وتمضي صفر اليدين.

أيُّ رجلٍ أنت، وأيُّ ادّخارٍ أيها البائس، حينما جاءت الحرب وتبعثرت قبائلُنا العزيزة في المدن، وصرخت نساؤنا المكلومات بالشهداء والأسرى على تخوم البوادي... وأيُّ مخلوقٍ أنت؟ طُزٌّ عليك... ها أنت مثلي الآن لا تملك

---

(153) - صحيفة الرياض 25-12-1990

إلّا التحديق في قارمات الشـوارع لتعرف أيُّ الدروب يُؤدّي إلى أيِّ صـديقٍ حميم، وها أنت تشرئبُّ بقامتك القصيرة وهامتك العالية إلى أيِّ فجرٍ يُطلّ.

بالأمس قيل عنك أيضًا، حينما عبرتَ أحد شـوارع البلد، وكنتَ بالضبط تتأبط صُـرّةً من أعواد البقدونس اليانع، اشـتجرتَ مع بعض الصـبية.. وقيل لي إنهم ضـربوك بأعواد البقدونس حتى الفقدان. أصـحيح كنتَ تصـرخ مثل جملٍ عجوز وتلعن سـنسـفيل الثقافة والخُضـرة والأيام؟! هذا لا يهم الآن؛ فالرجل يا مولاي ينهض رغم الكبوات والبلاوي الصـعبة وكوارث الزمان، أمّا أنت فما زلتَ تُقتل في اليوم مرتين، وتنهض مثل الحصـان الجميل، و(تعدّي الكباري) الكثيرة صاهلًا في الزحام الكثيف.

همس: بالأمس همسـت لي بعض عواصـمنا الجميلة: كيف حال الكويت؟! وجففتُ أدمعهنّ البيضـاء بأردان دشـداشـتي الممزّقة بفعل الحرب والإهمال والصعلكة المستديمة، فانحنيتُ عليهنّ وقبّلتُ فلسطين، يا سيدي، في الجبين.

استطراد:

إذن أيها الصديق الموغل في المحبّة والفقر:

"شِلْ صوتك وغنِّ

يا ليل دانا لا دانا".

بس:

هكذا يا صديقي الجميل

تداخل وجه الصديق النقي

بوجه الصديق العميل.

فليس الفراتُ الفرات،

ولا بردى بردى،

ولا النيلُ نيل.

وليست عمّانُ عمّان،

ولا أم درمان هي،

ولا حضرموت هنا ها (المقيل).

هكذا يا صديقي الجميل

عنَّ لي: أنّه الزمن المستحيل.

أخيرًا:

يكون الإهداء إلى علي عبدالقيوم، وأمجد ناصر، ومنيرة مصباح، وعبدالله بامحرز.

الوطن للجميع[154]

بعض الجهلة، ومن خلال ادعائهم الوطنية، يشـــبهون حكاية الدب الذي أراد أن يحرس صاحبه من الذباب. فما إن حطّت أول ذبابة على أنفه، حتى حمل صخرة هائلة وألقاها على الذبابة ليهشم وجه صاحبه!

أما البعض الآخر، فيشبه تماماً "الكلب" الذي يفرح بمصيبة أهله، فما إن تحلّ بهم كارثة حتى يمدّ لسـانه الطويل ويأخذ يلعق دماءهم النازفة وهم يئنّون من الألم والمصيبة. أما البعض الآخر، فمثل قمّة اللؤم والخسّة، إذ يحمل قبضة من الملح ليرشّها في جسد الوطن النازف الجريح. ولكن الأدهى والأخطر هم الذين يحملون مشـارطهم الدقيقة الحادّة، فيتلفّت أحدهم ذات اليمين وذات الشـمال، لينتهز أول فرصـة يراها ليقطع جزءاً من أطراف الوطن ويضـعه في جيبه كاللص، ليعاود الكرّة مرة أخرى كلّما سنحت له الفرصة بذلك.

أمّا الأسـوأ من هذا وذاك، فهو من يمدّ لســانه القذر كالتنين ويبدأ ببثّ فحيح الفرقة في أسماع الناس الجرحى، ليس هذا فحسـب، بل يشـكّك في ذاك ويُثَمِّن من "عندياته" الوطنية، وينفخ كالأفعى الجرسـية في ثياب خاوية ليملأها بالهواء، ثمّ يتسرّب بعدها كالعقرب الضئيل ليلدغ الوطن في القلب.

---

[154] - صحيفة الرياض 27-12-1990

وثمّة نوع آخر لا يقلّ خطورة عن كل تلك الأصناف، ألا وهو ذاك "التنبل" الذي لا يدري هل هو في عرس أم في مأتم، فكلّ ما يهمّه أن تسـير أموره الخاصة، ويقعد منتفخاً كديك البط، وينام تحت صدفته السميكة كسلحفاة الشـواطئ، وكأنّ الأمر لا يعنيه، بانتظار أن يُقدَّم له الوطن على طبق من ذهب (!!).

يبقى القول أخيراً أن الوطن للجميع، شاءت تلك الأصناف أم أبت، وأن شـرف تحريره حق للجميع، وشـرف الاستشـهاد من أجله حق للجميع، وشرف العودة إليه من حق الجميع. وساعتها سيحاسب الوطن كل من تلكأ أو قصـر في الذود عنه سـواء في الداخل أو في المنفى، وسـاعتها سـيعرف الجميع من هو الوطني الحقيقي، ومن لا يعرف الوطن إلا من خلال الرصيد.

النخلة البيضاء [155]

نخلة بيضاء
تتجول في شوارع الكويت
يتطاير شعرها الأخضر في رياح الخليج
تتأبط مسدسها الذهبي
وتطلق نحو العدو رصاص العيون.
بالأمس
همس لي أحد الصقور
الذي مر بفيئها الأزرق
إنها لم تزل راسخة حتى الغيم
وترتاح أحيانًا بين
قصائد الزهر
وعطر الموسيقى
ونوح الموج

---

(155) - صحيفة الرياض 31-12-1990

***

نخلة بيضاء

لا تشبه الأشجار

ولا تشبهها الأشجار

كانت في ليالي الوطن

تنحني وتقدم

زهر القرنفل

وتسمق عالية في الشموخ

***

نخلة بيضاء

كان يجرحني سعفها الفضي

ويمسح عني الجروح

أغفو مثل السناجب

بين خصلاتها اليانعة

وأحلم بالفجر مثل الطيور الطليقة

أغرد بالأغنيات

كبحارة في أعالي المحيط

يبللني دمعها القرمزي

ويوقظني ضوعها المتسرسب

عبر حنايا الضلوع

وينفض مني الفؤاد

***

نخلة من رغوة الموج ومن فضة الأنجم النائية،

جذرها يرضع الملح ويتوجها الغيم صبحًا ومساءً.

وضحكتها شفق من زهور، وهي أجمل ما خلق الله في الكائنات،

تشع بروحي منذ قرون، فتشعلها بالحرائق ثم تفر.

لذلك حان إليها بهذا الزمان فراري،

وعيني (...) واحة أمن ظل، وباحة بن وفل،

يُفيء إليها القطا المستريب وتأوي الحباري،

وعيني (...) نبعين ثريين في حمأة القيظ لما تشح (الخباري)

لعيني (...) وهج يشع – إذا اعتم الوقت ليل الصحارى.

تشعان نارًا بها يهتدي السائرون،

وتفزع منها وحوش الخلاء والضواري،

شعرها غيم المسك يعبق بالعطر لما تجف خزامى الصحاري.

***

بالأمس، حينما حرّني من وطني،

أخبرني الصقر أنها لم تزل راسخة،
وقد قاومت بسكاكين السعف المعدني اغتراب الغزو،
وقاومت الريح، وكانت تردد:
«النخل باقة الجياع، وبوكيه الفقراء، ومائدة الطير».
فعليها السلام.

تداخلات القصف

على ساحل السلام [156]

على ساحل البحر تمشي وئيدًا
لتحمي النوارسَ من قصفهم
وتسمع أم كلثوم وهي تغني:
(الدر في بحرها.. والتبر في برها)
وتغذّ المسير
وترفع رشاشك العسكري
وتطلق حولياته في الهواء.
كنت قبل ذلك تتمشى ساعة العصر مبتهجًا بالنوارس،
تسمع موسيقاك الهادئة،
وترفع كفك بالورد والتحية للأصدقاء،
ولكنك اليوم
تجن إذا ما سمعت الدوي القصي الذي أرجف (الدفلة) المستريحة على (بوابة المقصب) الأثرية،

(156) - صحيفة الرياض 2-1-1991

وتصرخ: أيها الهمج القادمون

أموت وتحيا الكويت!

أما كانت تلك البوابة موعدًا للمحبة في الأمسيات الجميلة،

وكنت تقطف من زهرها للزهور!

تئز الشظية من خلف ظهرك

وتسقط في ردهة (الشيراتون).

وكنت تنحدر من بوابة المقصب إلى الشيراتون، متأبطًا أزهارك الرائعة، متورّدًا بالعبير،

وكان للشيراتون باقاته وشلة أصدقائك الذين تبعثروا في المنافي.

أتذكر قهوتنا في المساء الأخير،

وتصرخ..

أحقًا لجأنا؟

وقد كنت يا موطني ملجأً للفقير.

***

تئز الشظية، يضطرب الموج

تهوي، تفجر قصر السلام

ويشمخ في قلبك الصلب وجه الأمير.

إذ ذاك تهاج:

وتطلق في كل صوب رصاص الحنين

وتحصي الصحاب:

شهيد،

فقيد،

جريح،

أسير.

حينذاك تضج البنادق، ينسحب البحر،

تعوي الجراجير من (ريحة) الدم،

تهتز إحدى الصواري،

حمام يطير.

غدًا الملح ماءً نميرًا،

غدًا الرمل مسكًا يضوع،

غدًا الموت حلماً قصيرًا،

غدًا القلب كل الكويت،

وروحك أصبحت الوطن العربي الكبير.

(تهوم في تلك اللحظة بالضبط متذكّرًا مساءك الأخير الذي ودعتها فيه)

يا لذاك المساء الأخير،

كنت قبلتها في الجبين

وأقسمت أن لا تلين،

وضعت وردة في زناد السلاح،

وكدت لفرط البهاء تطير.

بعد ذلك تجتاحك الكآبة والقنوط والقهر كغيمة رمادية تتوزع في القلب وتطلق أهتك الداكنة.

آه يا موطني،
يا عذاب الضمير،
تركناك (تنخى)،
وتبكي،
وطاردنا الهمج القادمون لأقصى الحدود.

فبمن تستجير؟
لقد مات من مات،
ليس المهم، ولكن:
لتحيا بلادي الكويت،
وشعبي العظيم،
ويحيا الأمير.

نهمتان[157]

"كلما ضاقت الجملة
صارت الرؤية أوسع"

كل يطرق معدن
صار أقوى، ثم ألمع.
وكذاك القمح يغدو
عندما يطحن أنصع.

أنت إن شئت أن أسمع رأيك
فاسمع – رأيي لأسمع.
أنت لن تقنعني بالرأي بالقوة
مالم من صميم العقل أقنع.

فاشهر السكين في وجهي
ولا تخفِ نواياك عني،
وبذا تصبح في عيني أشجع.

(157) – صحيفة الرياض 4-1-1991

فأنا أؤمن أن الشمس شمس
من سجوف الظلم تطلع.

أيها المأموث، يا عصرًا من الظلم،
يا ظلمًا ذريًا،
يا ظلامًا في ظلام يتلفع،
يا عدو النور أسمع:

هذه الأرض التي دنستها
سوف تبقى في ضمير الشعب تسطع،
وستبقى بي كويتي،
درة في القلب تلمع،
وسيأتي الفجر شعاعًا مضيئًا
وجميلًا مثل شعاع الشمس.

حينها يا لص أرضي
تحت نعل الشعب تركع.

***

جار:

صرت أخيك بعصر النفط؟!
أينك مني زمن القحط،
ظمآن بجوارك اشكو
وتصب ببحرك ماء الشط؟

لكن لما جادت أرضي
ضدي قد مارست الضغط.
أسقيتك من دم عروقي
كي تعطي بعض حقوقي.

رحت تصب عليّ السخط،
حلفتك بالجيرة يومًا،
ناقشتك بالمنطق دومًا،
فوق المنطق قمت تنط.

آزرتك في الزمن الخالي،
قاسمتك خبز أطفالي،
فغدا نمرا ذاك القط!!.

اشارة: النهمة: اغنية بحرية.

موسيقى الحرب[158]

بالأمس، وحينما كنت أدير قرص (الراديو) - مغتمًّا - أبحث عن آخر أخبار الوطن، وبشائر السلم ونذر الحرب، وكنت حينها لم أسمع الموسيقى منذ الغزو، لقناعتي (البدوية!!) أن الموسيقى تصبح ترفًا في زمن الكوارث والحرب، اجتاحتني صدفة رياح موسيقى (أوكسجين) للمؤلف المبدع (ميشيل جار)، تلك المقطوعة التي كنت أحبها حد الوله، لأنها تبدأ عبر حركاتها الست بتأمل مشوب بالحرص لأصوات نائية تتقدم حاملة طلائع الصخب، وكأنها أمواج عاتية تلطم ساحلًا صخريًا، ليقتفيها صوت نوارسي هلعة، تشير كما أعتقد إلى رمز الحياة، والذي ما يلبث أن يتداخل مع ضربات قصيرة تفسح لقصف قذائف تؤكد حتمية التصادم بين الموت والحياة.

وبالرغم من انحياز (جار) الشديد إلى جدل الحياة حينما يعود لصخب نوارسه، إلا أنه يقدم رؤية قاتمة لأحزان سوداء تعصف بهذا الكون، لكنه سرعان ما يلاشيها بالأمل. هذه المقطوعة الرائعة، التي طالما تجادلنا فيها منذ أوائل الثمانينات، أراني اليوم، رغم حبي الشديد لها، أحاول تجاوزها إلى آخر أخبار الحرب والسلام. يا الله، كيف أصبح وطني محتلاً بهذا الكابوس

[158] - صحيفة الرياض 6-1-1991

القصـير؟! وكيف كنت أدين بسـماعي لهذه المقطوعة، لهجة الحرب في الزمن الغامر؟!

المهم أنني، وقبل أن أدير القرص ثانية عن مقطوعتي المفضـــلة، تذكرت أن الموســـيقى لا تقل أهمية عن الرصـــاص في تحرير الأوطان. تذكرت (بيانو) شـيكولسـكي في حصـار سـتالينغراد وكيف كان يلهب الجبهة بالحماس، مما دعا الألمان إلى محاولة قصـــفه عدة مرات، وكان الجنود الروس يدافعون عنه كما يدافعون عن العلم، إلى أن هربته القوات الروسية بطائرة خاصة، اقتفتها الطائرات الألمانية بالقصف لإسقاط ذلك البيانو.

وتذكرت كيف عبر (المارسيلينر) – النشيد الوطني الفرنسي –كل جبهات الحرب، وكـان يهرب من جبهـة إلى جبهـة إلى أن غير الموازين في الجبهـة الفرنسـية. وتذكرت أيضًـا نشـيد (بلادي) لسـيد درويش وأثره على الشـعب المصـــري العظيم في العدوان الثلاثي، وتـذكرت الكثير الكثير من الأعمـال الخالدة. لكنني لم أتذكر إلى الآن، وللأسـف الشـديد، أغنية واحدة تتحدث بوعي وطني عن قضـــية وطني الكويت. ســـاعتها أغلقت المذياع ورحت أستعيد عرضات قبائلنا في الحرب، واجتاحني الأسى (!)

برك تحرثه الدبابات[159]

الى الصديق (ص. س) فق الداخل

آه أيها الصديق الناصع كغيمة بيضاء تنداح في زرقة نائية، كيف برك هذا العام؟! في الأيام النبيلة المشرقة كقلب الوطن كنت تشبح للغيم كعيني صقر نزق (أتذكر حينما سألتني لماذا يكمم الصقار الصقر لدى أول الاصطياد؟ فقلت لك: لكي لا يموت كمداً وهو يرى الناس يحدقون فيه وهو رهين الأسر، ولذلك يصرخ حتى ينفجر القلب).

إلا تشعر اليوم، أيها الصديق، أنك ذاك الصقر وأنت ترى العدو يتجول في بركك الصغير ويحرث (فيضة الأحلام) بالدبابات؟! في مثل هذه الأيام، وحينما كنت ترى غيمة قادمة، كنت تهتف لي كطفل كبير وتبشرني بالمطر، لنغادر بعدها المدينة إلى بقعة نائية في الوطن العزيز، تحضنها هضبة ليست عالية وتنحدر باتجاه البحر لتخترق أشجار الهرم التي نصطاد فيها البواشق والعقبان وبط البحر، وكنت تبرر لي أن العقاب طائر جسور.

أما الباشق فهو طائر انتهازي يعيش على الطيور الصغيرة الأقل قدرة منه، لذلك يستحق الموت!! أما فكرت، أيها الصديق الموغل في الطفولة والنبل، أن كويتنا اليوم مليئة بالبواشق والغرباء وبغات الطير!!

---

(159) - صحيفة الرياض 8-1-1991

ذات ربيع ســالف، وجدت في مخيمك الغريب صــقرًا مفقؤ العين أسميته (دربيل)، وحصانًا أعرج أسميته (صاروخًا)، وجملًا أضبط أسميته (عصفورًا)، وكلبًا لا يجيد حتى مهمة النباح أسميته (ذيبان)، وبطة تحجل أسميتها (فلانة) على اسم إحدى الزميلات. أما العنزة السوداء فأسميتها على اسم زوجة أحد الأصــدقاء، وحينما جئتك أطلقت الجمل ليهيم على وجهه في البراري والقفار. أما الكلب فقد قلبنا عليه قدرًا نحاســيًا كبيرًا، وأخذنا نطرقه من الخارج حتى كاد أن يفقد صوابه، ومن يومها تعلم الحراسة والنباح (!!)

أما العنزة فقد ذبحناها وليمة للصــديقين (صــالح الشــايجي وعبد الرحمن النجار)، وقلنا فيها بعض قصائد الرثاء.

أما الديك الذي اسميناه (نزار قباني)، فقد تأمرت عليه – من خلف ظهرك – أنا والعم (حسنين)، وطبخناه ذات ليلة شاتية، ولم نبح لك بالسر حتى اليوم. أه، أيها الصديق الغرائبي المدهش الذي تطول عزلتك أحيانًا عن (المدينة – الكويت) حتى تتقطع بك الأســباب! أتذكر حينما أجيئك في نهاية الأســبوع لنشــد الرحال إلى (الرتقة) التي أخفت اسمها الأحداث فأصبحت (الرميلة!!) والتي كانت تضيء ليالينا قرب سنام، لنتذكر مالك بن الريب الذي مر من هناك هو و(شظاظ الضبي وأبو حردبة وغويث الطائي).

يا لتلك الليالي الرائعة، التي كنا فيها نحتسي حليب النوق و(نهيجن) بأعلى الصوت، ونتغزل بــ(النخلة) و(المرأة الرصاصية)، ونتشاجر في قضايا الوطن والناس. أتذكر وتذكر،؟! أه، كم أنا حزين لأنني بعيد عن الوطن وعنك،

وأنني حزين – حـد الموت – لوطن تحرثـه الـدبابات، وحزين عليـك، وإلى الملتقى في الربيع حيث يزهر الوطن بـ(النوير) ويتورد بالتحرير.

شعر عظيم لوطن أعظم(160)

في قصيدة للشاعر الإسباني خوان خيمينث، يقول فيها:

»لقد حاولت أن أكظم قهري،

لقد حبسته عميقًا في الذات،

لقد كتمته طويلًا،

ولكنني لم أستطع أكثر من ذلك،

انفجرت،

تمزقت شلوا شلوا،

ولكنني بعد ذلك فكرت طويلًا في الأمر،

فانحنيت لألملم أشلائي التي علق بها

بعض الزهر والعشب،

فأعدتها إلى مواضعها،

وهكذا سرت متبرعًا بشكل

(160) - صحيفة الرياض 10-1-1991

(عجيب).

وفي موقف للشاعر التركي ناظم حكمت، حينما حاول الدكتاتوريون إهانته بوضعه في غرفة ضيقة بأسفل السفينة، وأطلقوا عليه نتانة الماء ومصارف المياه، أخذت القاذورات ترتفع تدريجيًا وهم يضحكون، حتى ما إن وصل العفن إلى عنقه، إلا ورفع صوته بالغناء هاربًا بخياله الفظيع إلى حقول الوطن وقرى تركيا وأزهار الأناضول، وبذا وجه صفعة هائلة إلى من حاولوا إهانته، فأسقط في أيديهم واقتنعوا أن هكذا شاعر عظيم لا يمكن إهانته حتى عبر أحط الطرق وأكثرها خسة. هذان الموقفان الرائعان يجسدان بشكل عظيم الموقف الحقيقي للشاعر (الحقيقي) حيًّا تحت أسوأ الظروف وأكثرها قسوة.

ويدلان بشكل قاطع أن الشاعر إذا آمن بقضية بلاده وتلقى في سبيلها أشد أنواع المحاصرة والتثبيط والمصادرة ومحاولة الخنق، كلما أصبح شاعراً عظيماً يليق بوطن عظيم، كأن الوطن العظيم لا يليق به إلا الشعراء العظام الذين يموتون دفاعاً عنه وعن قضاياه العادلة. أما مدعي الوطنية من مدعي الشعر، فلا يهمهم أمر الوطن إلا في أيام الرخاء والهدوء وتوفر المناخ (الرومانسي) للتحليق في خيالاتهم الملونة التي يصبغونها باللون الذي يلائم رؤاهم، حتى لو اختلطت عليهم الألوان. يبقى القول أخيراً، لا يسعنا إلا أن نردد مع الشاعر العراقي المطارد مظفر النواب:

وهو يتحدث عن أيام (المزبن) هكذا:

أيام (المزبن) قضن
تقضن يا أيام اللفت
تقضن وارد يا ديرتي
لحسنك وأموتن على التبن
هم آنا أضوج بميتك
وأركض بزخات المزن
دونك يجز بلوزتي الخنجر
وأكابر عيب أون

سقاك الغيث أيتها الرياض[161]

حينما هبت (هبايب) المزنة بالأمس، وكدت أسمع (رعادها) في الجو يكاد أن يزلزل الأفق، رحت أردد مع (بديوي الوقداني) وأنا أرنو إلى الديمة القادمة:

ديمومة سُبُلت وأرخت ذوايبها

وانهل منها غزيرُ الوبل همالي

ساعتها رفعت هامتي إلى السحب الداكنة التي تشبه شعر الجميلة، وكانت الرياح تعبث بها إلى الأوج، وأخذت أشهد (ريح العوالي من المنشأ تجاذبها) تمامًا كما ذكرها الوقداني، وكأنها (جذب الدلاء من جباء مطوية الجال).

عند ذلك بالضبط رفعت حنجرتي هاتفةً وبأعلى الصوت:

(سقاك الغيث أيتها الرياض)،

يا مدينة المحبة والنماء والرجال

النخيل،

والنخيل الذي يتسامى

كهام الرجال.

---

[161] - صحيفة الرياض 15-1-1991

ورحت بفرح أهزج مع كلمات الشاعر المبدع الأمير بدر بن عبد المحسن.

لي ديرة عالي السحاب

يسكن بشم جبالها

اطهر ثرى وأغل تراب

تفخر بفعل رجالها

ورحت أشد على لازمة الأغنية بعنف قبائل الأدغال على سواحل الكونغو ومجاهل بحيرة التمساح.

وفي حمأة الاندماج التام مع المدينة

الغيم،

رأيت شوارع الرياض تصرخ بالنوارس،

وتضج أرصفتها (بالبختري) وتتورد وجوه الناس بالأقحوان،

وتخرج من صدورهم البيضاء (شواشي) النخيل محملة بعذوق التمر،

وتضوع من قلوبهم المحبة.

وتذكرت من خلال وجوههم الأبية وجه الكويت، وهي ترتسم خارطة خضراء في القلب،

وأيقنت بحتمية العودة والثقة الطاغية بالتحرير، وتفاءلت باسترسال الغيث واطلالة الربيع.

***

ساعتها رأيت الرياض والكويت كعاشقتين تمسكان بأيدي بعضهما البعض وترقصـــان رقصـــتهما الخليجية الرائعة، بينما ينبلج من شـــفاههما البرق و(تلفحان) بالغيوم السوداء كهدب عيون مهاءات أقصى البراري.

***

تستريحان،

تنهضان،

مضيئتين بالنوار يفوح منهما عبير المودة والزهر،

فيما تتورد وجنتاهما بألق الفجر وتصدع ذوائبهما بأريج النفل النفاذ،

وتمتد أهدابهما كشوك القتاد.

وتضيء أعينهما بألق الأرْبيان ويفوح من أهابِهما المسك والزباد،

وهما تتأودان تحت زرقة السماء بأوشحتهما القزحية.

***

وهكذا، فيما يستمر هطول (المزنة)،

استمر في تحليقي البعيد نحو سواحل الوطن البعيد القريب، واهتف ثانيةً من كل القلب:

(سقاك الغيث أيتها الرياض)،

ورد الله غربتك يا حبيبتي الكويت،

وردني إليك.

النسور قادمون [162]

كما بكى القلب دماً وأنا أخرج من وطني الحبيب، ها هو اليوم يبكي بدمع الفرح الأبيض وأنا أسمع أن الجيش الكويتي الباسل قد تمركز في أول بقعة محررة من وطني السليب، ألا وهي منطقة النويصيب المحررة، وذلك بعد أن أعمت (عاصفة الصحراء) عيون العدو (الصدامي) وصفعته على وجهه المتجهم، حتى لدى رؤيته لشمس الحق وهي تسطع في أنحاء الكرة الأرضية لتطرد خفافيش الظلمة وعناكب الظلام التي تدب تحت سقف كوكبنا الجميل. وكما بكى القلب بدمع الفرح، ها هو يزغرد بحنجرتي الجريحة بزغاريد الأمل، وانا أقصف الآلة الحربية لطاغية القرن، مما جعلني أردد من أقصى القلب أغنية كنت قد رددتها في أيام البهجة والاستقلال، يقول مطلعها:

(نحن في الجو نسور طائرة،

وبموج البحر ريح هادرة،

واسود في البراري كاسرة،

أقسمت بالله ان نحمي العرين)

[162] - صحيفة الرياض 22-1-1991

وها أن نسورنا البواسل يثبتون للعالم كله أمنهم بنفس الكفاءة العالمية، أسوة بزملائهم نسور الجو في القوات المشتركة.

صــحيح أننا لا نريد أن يشــرد المواطن العراقي كما شــرد شــقيقه المواطن الكويتي، ولكن المؤرخين يقولون دائماً إن التاريخ يعيد نفسه، وإلا من يفسر لنا كيف تزامن الهجوم الدولي، من حيث الســـاعة واليوم والتاريخ، مع نفس زمن اجتياح بلادي؟

ولكي يتذكر الجميع أن القوات المشـــتركة قد دكت معاقل الطاغية في الساعة الثانية وخمسين دقيقة من يوم الخميس في الثاني من رجب، تماماً كما اجتاحت القوات الصـــدامية الكويت في الثاني من أغســـطس في الخميس الأسود.

يبقى القول أخيراً، إن الدهر يومان، (يوم لك ويوم عليك)، وليتذكر ذلك كل طغاة التاريخ وجلاوزة الشعوب، وأن النصر قريب، وأننا لعائدون.

إشـــارة: بعد الانتهاء من كتابة هذه المقالة، اتصـــل بي الشـــاعر عبيد العجلاني ليضيف مشكوراً.

ثاني رجب تصحيح ثاني اغسطس

خميسنا يمحي مساوي خميسة

انا احمدالله يوم راح البلاء طس

خلوه لصقور الجزيرة فريسة

(فشنج) [163]

قبل بدء العمليات العسكرية في منطقة الخليج، كان الفوهرر (صدام حسين) يهدد جيوش التحالف الدولي بوحشة الصحراء في الليل ومجيء بنات أوى، أو بالأحرى (الواوية) حسب تعبيره، لتأكل الأمريكيين (!!). ثم أخذ يهدد مجتمعات الخليج بالكيماوي المزدوج، الذي اكتشفنا فيما بعد كمواطنين أن تأثيره لا يتعدى مسافة (٣٠٠ م).

من موقع سقوطه، وأن هناك مضادات مختبرية لإفشال تأثيره في حالة الانفجار، كما أن صاروخ سكود الذي يحمل المواد الكيماوية لا يستطيع الوصول إلى المسافة المحددة له إذا ركبت عليه إضافات، لأنها في هذه الحالة تقلل من قدرة اندفاعه، وبالتالي لن يصل إلى المسافة المحددة له إلا إذا حمل على طائرة، مما يستحيل معها وصوله إلى الهدف في حالة وجود دفاع جوي متطور كما هو الحال على حدود المملكة ومدنها الهامة.

وبعد هذه التهديدات الفوهررية، بدأنا نستقبل صواريخه العتيدة، التي كان الهدف منها بث الرعب في قلوب المواطنين، الذين ما إن عرفوا (عن قرب) عدم فاعلية هذه الصواريخ حتى أخذوا يخرجون لرؤيتها، وأصبحت تسليتهم

---

(163) - صحيفة الرياض 24-1-1991

الليلية الوحيدة. ولم يتوقف الأمر عند المواطن العادي، بل تعداه إلى أطفال الرياض الذين أصبحوا يقلدون الصافرات، ولم يعودوا يعبؤون حتى بالانفجارات أو صفارات الإنذار.

كما أن الشارع العام أصبحت الحياة فيه أكثر من عادية، وذلك لقناعة الكل بعدم فاعلية هذه الصواريخ، وأنها لا تعدو كونها (فتوش) أو (فشنج)، وهي أقوى ما يملكه الرئيس المهيب الذي رقى نفسه إلى (فوهرر)، أسوة بنظيره النازي أدولف هتلر، الذي كان يملك من الإمكانات ما أهله لخوض حرب عالمية، كانت نتيجتها انتحاره المأساوي مع عشيقته (أيفا). الأمر ذاته سيلاقه صدام نفسه مع عشيقته الجديدة، التي أجبر زوجها على التخلي عنها لتقليد هتلر حتى في العشق، ولكن كما قالوا: من العشق ما قتل، ومن الحرب أيضاً. وما أقرب مصير الطغاة.

نفط العرب.. للبحر!![164]

لقد برر الفوهرر احتلاله للكويت بأنه سيعزّ العرب الفقراء، وسيقاسمهم ثروات الخليج، وسوف ينتعش اقتصادهم، وتتحسن أحوالهم المعيشية، وسيمتلك كل فرد منهم فيلا وسيارة، وسيوفر لهم الخدم والحشم، وما إلى ذلك. وقد انصاعت بعض الدول العربية خلف هذه المقولة ووقفت وراءه كما يقف العبد خلف سيده، وأخذوا يحركون أذنابهم ويهللون ويطبلون للبطل المجيد (!!)، وأصبح في نظرهم المنقذ والمناضل، وبالتالي المحرر الوحيد لجميع الأراضي المحتلة، بدءاً من عربستان إلى إسكندريون إلى فلسطين.

وصحيح أن الفوهرر قد حرر يوماً (عربستان)، ولكنه خسر في معارك المحمرة أمام جند العراق أكثر من سكانها، وعاد يجر أذيال الهزيمة و(التورط)، ونسي تماماً (عربستان)، واستبدلها باحتلال الكويت، وكأن الكويت أصبحت إسرائيل، وكأن شعبها لم يكن جزءاً من الشعب العربي كما يقول دستور بعثه (المشوّه).

وهكذا، عندما احتل الكويت وطرد شعبها ونهبها، قال العرب الآخرون الذين وقفوا خلفه إن الثروة آتية لا محالة، وجلسوا ينتظرون أن تتدفق إليهم

[164] - صحيفة الرياض 29-1-1991

أنابيب النفط الكويتي. ولكن المهيب خذل الجميع، وراح يصـــبّ خزانات النفط الكويتي في البحر ويحرق السواحل، ناسياً أنه قد احتل الكويت لتوزيع الثروة، فبدلاً من أن يزيد عدد الأغنياء، ها هو يمعن في إفقار العراق، ويحطم بجهلٍ ذريع قوته العســـكرية، ويلوث البيئة في المنطقة. وبذلك ازداد عدد الفقراء من العرب، وظلت الكويت شـــامخة تمنح القروض لأكبر الدول. وها أن مواطنيها لا يزالون يتمتعون بنفس المستوى المعيشي السابق، وها هم بين إخوانهم العرب بانتظار أن يتحطم صـــدام وآلته الحربية، وســـاعتها ســـيعود الكويتيون إلى وطنهم.

الســـليب ليعمرونه من جديد، ويبقى العراق، وللأســـف الشـــديد، يعاني لســـنوات طويلة ما جره عليهم هذا الطاغية العنيد الذي لا يريد لأي مواطن عربي أن يشعر بالعز والرفاه مادام حياً... إلا إذا كان يظن أن تحطيم العراق قوة للعرب، وهذا هو الغباء والجهل المطبق الذي لا يقبله أي عربي شـــريف للعراق. ولكن يمكننا القول إن (الشـــرهة) على شـــعب عريق يقبل بأن يبدد منجزاته، طاغية كهذا سيذهب إلى مزابل التاريخ، وذلك لقريب.

الكويت تتجول في الرياض[165]

1- الملز

مضمار لسباق الجياد
وعجاج كان يسد الآفق
صهيل لأحصنة نافرة الأعناق
ووقع حوافر تطوي الرياح
غداً اليوم يكتظ بخيل شردها الغزو
وبفرسان جاءوا من عاصمة البحر
و(نواخذة) أحرق مراكبهم قرصان العصر
ها هم يحتشدون الآن في قلبي
كاحتشاداتهم في الملز
وأمسح فوق الجباه الأبية ملح التشرد
أو عرق الصهد
أو آهة القهر
أسمع صرخات التحدي ترتج في القلب
وتقذفني إلى بلادي

---

[165] - صحيفة الرياض31-1-1991

***

آه بلادي

بلادي، بلادي

يا بلادي الأسيرة

أنك الآن في قبضة الغزو

يا (عرضة) البدو

يا نهمة الحضر

يا طعنة في الضلوع الكسيرة

يا صباح النوارس لما يباغتها في المساء

الرصاص وتسقط مذبوحة في حواف شواطئ الجزيرة

بلادي الحبيبة، يا وجه أمي

ويا همّي همّي

ويا دمعة في عيون الصغيرة

بلادي، بلادي الصغيرة

غدت اليوم وسع المدى

ودمعة حق بجفن الرديء

وصوت يدوي قوي الهدى

فصارت بعين الزمان كبيرة

2 – المعذر:

مرعى للخيل

غدًا واحة فأبتلعتها ضواحي الرياض

أقيم فيه مجمع للإسكان العاجل فأستوطنه الكويتيون في حقبة سوداء من الزمن، ولكنه

الآن،

نوافذ مفتوحة في السماء

يبادرها الغيم صباحًا ومساءً

خفيف رياح،

اصطفافات أبواب،

أدوار،

آمال

حزن شفيف

نسوه يتشحن بلون الحداد،

حماس رجال،

ضجيج صغار،

مركبات بلوحاتها الصفر،

تلاميذ يمضون مع غبشة الفجر، غسيل يرفرف عند ارتفاع النهار

(غترة) بيضاءِ من شرفة عالية.

تلوّح للوطن المستباح كصارية في عباب البحار.

3 – أم الحمام:

أيه أم الحمام

ها هم قومي

يجيئونك بـ(دشاديش) مثل قلوبهم

ناصعة البياض

يقطعون حواري الرياض

يسألون:

ترى أين أم الحمام؟!

يقفون على الباب مثل حمام السلام

لا يريدون شيئًا من الكون غير

الكويت

انسحاب العدو

السلام

السلام

السلام

أغاني الداخل[166]

ها أنتذا تذرع شوارع الرياض منكسراً

كطائر لوثه نفط البوارج التي قصفها العدو

وينفض من البرد والهزيمة و(اليتم)

كسمكة ملونة يلفظها الشاطئ المثقل بالنفط والبارود

لتلفظ آخر الأنفاس...

تجتاحك أغانٍ كثيرة للببغاوات

استغلوا ظروف الحرب وملأوا الأسواق بالأشرطة

والضجيج ونشاز الصوت.

***

تمد أذنيك (كفرانز كافكا) لتصغي إلى الرعود القادمة من بيداء بعيدة،

ويصدع رأسك دوي ال(سكود) الأخير

ويعقبه انفجار (لباتريوت) ووميض رعد الهلاك.

ولكنك عندما ترفع الرأس كأعرابي يحدق في بشائر الغيم

لترحل إلى نيران "واره" في وطنك الذي يرسف في الأغلال،

تلمح من خلف وهج النيران حزن الأبل،

وأنهضامات الرعاة،

---

[166] - صحيفة الرياض 2-2-1991

ورعب الخراف التي يجفلها دوي الرعد.

***

صاروخ آخر يرتج الغيم،

ثم يتضارع أطفال الرياض من المباغتة والاندهاش وحب الاستكشاف،

ليقلدوا صافرة الإنذار،

ويتبادلوا قصف صواريخ الورق،

وكأن شيئاً لم يحدث في مدينة البهجة والسلام.

***

وفي مدينتك الصغيرة تلك،

ها أن أصوات أطفال المقاومة تنسل إلى أسماعك في آخر شريط يأتيك من الكويت المحتلة،

ليلغي كل النشاز وطنطنات الانتهاز،

وتروح تردد معهم:

ما نطلع منها، ما نطلع

صوت الحق أقوى من المدفع

تغيب الشمس وترجع تطلع

وترفع الصوت: "ترجع تطلع، ترجع تطلع"

ثم تشف الأصوات الطفلية أكثر،

لتنطلق بحميمية رائعة:

كسرة خبزة واسم كويت

تكفي كل اللي في البيت

تشبعنا حكمة كويتية

ذكرى أيام الحرية

نتجمع للحب لهنيه

ونسولف عنك يا كويت.

بعد ذلك تتداخل أصـــواتهم مع صـــوت فنان يبدو أنك تعرفه جيداً، ليجتاحك من الداخل:

(عند الحدود

ما أقدر أخليهم وأعود

أمي وأم عيالي هم شمس الوجود

وعيالي في دمي

وفي صدري ورود

كل المعزة حقهم

وفي قربهم كل الوجود

إلا الوطن

لا يا وطن لازم أعود

ولك أنا بكل شيء أجود

لازم أعود)

ثم يصيح الصوت الأليف، شفافاً وعذباً كقلب طفل كويتي، ترفع النغمة:

(يا دمعة بلادي.. أنا المنديل

والقنديل، والصبر الجميل)

ثم تحت الخطى وترقص طرباً كجمل في الربيع:

(عزمي غرسته في البلد

وعمري وهبته للبلد

وأموت.. أموت ومن بعدي الولد

يستشهد بأرضه ولا ينوي الرحيل)

وهكذا ترفع رأسك عالياً حتى الشهب، وتبرق عيناك باتجاه الكويت.

ملاحظة: الشعر العامي من أغاني المقاومة من الداخل.

طغاة[167]

ها هو الدم المسفوح من أجل دكتاتور أرعن يختلط بالدم العربي، ويمتزج بالنفط والماء، وها هو خليجنا العربي يموت، وتصرخ في أعماقه الأحياء، وها هي المرأة العربية تُغتصب في أرض عربية، وها هم الأطفال العرب يهيمون على وجوههم في الصحراء العربية بلا مأوى، وها هو الشعب العراقي يفر من بلاد الرافدين إلى صحاري التيه وبيد التشرد، وها هي الأنهار العربية تحتجز من منابعها، وها هي الدبابات تحترق على مشارف المدن والطائرات تهوي على مدرجاتها الخربة، وها هو الإنسان يصبح أذل من ذي قبل، وهو يلعق جروحه النازفة بفعل أول من نادى بحفظ كرامته والذود عن تاريخه المجيد (!!)

وها هي إسرائيل تتلقى القروض والأسلحة وتعاطف الكون، وها هو شعبنا في الضفة الغربية تُقصفه الصواريخ العربية كما تُقصف الأرض المقدسة التي يدعي الدكتاتور «تحريرها»، وها هو الطفل العربي، عماد المستقبل، يصاب بالرهبة والخوف كل يوم وهو ينظر إلى السماء بانتظار «هديته» التي أصبح يقدمها له الدكتاتور كل مساء بدل النشيد والموسيقى والألعاب.

---

(167) - صحيفة الرياض 4-2-1991

وها هو عدد الثكالى يزداد، وها هي العواصم العربية تنقسم على بعضها البعض، وتلوح ببيارق الضغينة والكره والعداء، وها أن الكويت، أبهى المدائن، تصبح محتلة كفلسطين، وها العراقي يعاني التشرد مثل الشعب الكويتي بفعل صدام، وها أن بعض مدائن المملكة العزيزة تصبح مناطق عسكرية للقتال، وها أن البيئة تتلوث من البحر إلى البحر، وها هي الحرب تأكل الأخضر واليابس... كل هذه «البلاوي» والكوارث والنكسات يجرها رجل واحد على أمة عظيمة لمجرد أنه لا يحب الحياة، ولذلك أراد أن يحرم أمتنا من الحياة بينما سائر الأمم تتفرج علينا.ناطحات السحاب.

هؤلاء هم (الغيارى)[168]

لقد شعرت بـــ(دوي) يرجّ القلب ويطير به إلى الأعالي، ليتناثر في الخلاء الرحب شلواً شلواً، لتتعرض بعده مشاعري إلى قصف رهيب يدمر الوجدان. أحسست أن أفكاري تتأود كالسحب الكئيبة السوداء الملوثة بالأدخنة والغازات، حتى أصبحت هباءً في الريح، وكنت أسمع لأول وهلة عن التسلل إلى بلدة (الخفجي) الباسلة.

ساعتها ساقت أفكاري رياح الاغتراب والرهبة إلى كل المدن العربية الباسلة التي سقطت في أيدي الغزاة، لكنها نهضت لتقاوم الغزاة بسواعد أبنائها الأبطال. وتذكرت أن كل المدائن العربية قد حررت وفتحت على أيدي أبطال فرسان هذه الجزيرة العربية، بدءاً من الفتوحات الإسلامية حتى قيام الدولتين الأمويّة والعباسية.

وتذكرت أن أبطال الحرس الوطني الذين حرروا الخفجي هم سلالة أولئك الأبطال وأبناء فرسان هذه الأرض الطاهرة، وأن الذين أقاموا الدولة العربية في أرض العراق هم أجداد هؤلاء الفرسان، وأن الذين سادوا كل هذه الصحارى العربية حتى مطلع هذا القرن هم آباء هؤلاء الأبطال.

---

(168) - صحيفة الرياض 6-2-1991

وتذكرت أيضـــاً أن (النشـــامى) الحقيقيين هم أبناء هذه الأرض، وأن (الغيارى) الحقيقيين هم أبناء هذه الأرض، وأن (الأصـــلاء) الحقيقيين هم أبناء هذه الأرض الذين لم يعرفوا الغدر والخســـة والحقد، واجتياح الجار و(الاســـتكبار) على إخوتهم وجيرانهم الصـــغار كما فعل المدعون من أمثال صدام وزمرته الحاقدة. وتذكرت أيضاً أن كل ما كان يقوله صدام وإعلامه ما هو إلا خواء وهراء و(طزلقة) فارغة. لذلك ذهبت أردّد مع الأغنية الرائعة:

(القادسية اللي تقول..
جندها من هالبلد)
أرضنا ارض الرسول
وأنجت فينا سعد)

أخيراً، وكما شعرت ببشـائر تحرير الكويت، شعرت بالفرح والأمل والغبطة العظمى وأنا أسمع خبر تطهير (الخفجي)، فهي (أخـت الكويـت) وأقرب المدائن لها. وإن الحرس الوطني هو شـــقيق (الحرس الأميري) والحرس الوطني الكويتي أيضاً.

فـــ(تحية من القلب) إلى رجال الحرس الوطني السعودي الأشاوس، ورجال المدفعية القطرية الأبطال، مع التأكيد أن النصر لقريب لا محالة.

نزرق صواريخ!! [169]

ذات مساء، بهيّ من مساءات الوطن الذي أصبح فيما بعد (محتلاً) بفعل خيانة الصديق وغدر الجار وحقد الشقيق، وكان القلب كالوطن بريئاً ومليئاً بالمحبة والبهجة والنقاء، يفيض بالنكتة و(القفشة) والضحكة المجلجلة، والتشنيع الدائم على الأحبة والأصدقاء، واستيقاف المارة في الشوارع و(حبك) المواقف الساخرة المضحكة عبر (شلة) من الصعاليك.

وكنا حينها مجموعة من الشعراء والكتاب الذين يقيمون علاقاتهم الجميلة مع (المخابيل) والمفكرين والمعتوهين والأطفال على حد سواء. وكان لنا أصدقاؤنا من العجائز والمسنين، ومع الأثرياء والبسطاء، ومن كبار الموظفين وحمالي شبرة الخضار، ومن الرعاة وصيادي الأسماك على ساحلنا الجميل.

أقول: ذات مساء، من منمساءات القلب وعمر الصعلكة الفظيع، دخلت على مجموعة من الأطفال لأكبح ضجيجهم في بيت أحد الأصدقاء، وسألتهم بلهجة بدوية حادة: "ماذا تفعلون؟" فأجابني أكثرهم شقاوة وبهاء: "لا شيء يا صعلوك، (نزرق صواريخ)!" ثم ضج الكل بالضحك البريء، الأمر الذي جعلني أشك في معنى العبارة، لأنني اعتقدت أنهم يسخرون مني. فأخذت (أمثل عليهم الزعل) وصرخت فيهم: "ولكن

---

[169] - صحيفة الرياض 8-2-1991

هذا يعتبر من قلة الأدب أولاً!" فضجوا ثانية بالضحك، جاءني والدهم وقال لي بالحرف الواحد: "تستأهل من (لقافتك)، أصبحت (ملطشة) للأطفال." وهنا نهض أكبرهم وقال لي: "لا تغضب يا عم، فـ(تزريق الصواريخ) تعني أننا نمارس تبادل الأكاذيب، وأن الصاروخ في (لغتنا) نحن الأطفال يعني (الكذبة). وهذه اللعبة نمارسها في أوقات الفراغ، ليس إلا. ومن يومها فهمت أن الصواريخ في لهجة أطفال الكويت تعني (الكذبة) المدوية، ولم أستذكر هذا الاصطلاح إلا الآن.

إلا حينما أخذت مدينة الرياض تتلقى صواريخ صدام، التي ثبت لنا بالدليل القاطع أنها لا تعدو عن كونها مجرد (كذبة أطفال). ومن هنا، فإنه لم يزل (يزرق الصواريخ)، بينما أطفال مدينة الرياض يضحكون.

سلاح وموسيقى[170]

في أحد أعياد الأمن والسلام في وطن السلام، والذي حولته الأيام إلى بلد الحرب والموت والاجتياح، وحين كانت الكويت الحبيبة وطن الحب والشعر والبراءة والهدوء، ذهبت لأشتري لأطفالي بعض ألعاب العيد. فأعجبني رشاش صغير ودبابة تتحرك (بالريموت كنترول). وقبل أن أحملهما معي، تقدم مني أحد زبائن المحل، وبعد السلام والسؤال عن الأحوال، عرفني على نفسه بأنه مجرد أحد القراء ولديه ملاحظة عاجلة لابد أن أسمعها منه. وحينما دعوته للكلام على الرحب والسعة، شرع يتحدث بطريقة إنسانية مؤثرة، وبدا بالقول: «اسمع يا عزيزي، أعرف أنك شاعر رقيق وأنك طالما تحدثت عن الحب والسلام والشعر، ولكن الذي استغربته الآن منك هو كيف يقوم شاعر مثلك، بإهداء أطفاله أسلحة الحرب والدمار، بينما العالم كله يتجه نحو الوفاق الدولي واتفاقيات السلام ونزع السلاح، ولذلك – والحديث لم يزل له – سأقوم أنا بنزع السلاح منك، لأننا لا نريد أن نعلم أطفالنا بشاعة هذه الأسلحة. وسأقوم بدوري بانتقاء الهدية المناسبة لأطفالك الأعزاء.

وعندما رضخت لطلب الأخ، أخذ يفتش جنبات المحل عن (بيانو) جميل، وطفلة جميلة تتأبط بعض الأزهار، وحمامة رائعة ملونة الأجنحة تطير في

(170) - صحيفة الرياض 10-2-1991

الهواء، وقال لي بالحرف الواحد: "هذه الأشـــياء التي يجب أن تُهدى إلى الأطفال." فحملت الهدايا التي اختارها، وشكرته، وسرت.

وبالأمس القريب، وبعد اجتياح الكويت، كنت أتصـــفح بعض الجرائد، واقترب مني أحد أطفالي، وأشـار إلى صـورة إحدى الطائرات المسـتعملة في حرب هذه الأيام، وقال لي: "هذه (الشبح)." فألقيت الجريدة جانبًا ونهضت لأحضـــر كمية هائلة من صـــحف هذه الأيام، وقلت له: "اجلس، لكي أعطيك محاضرة كاملة عن أسلحة تحرير الكويت، أو ما يسمى بـــ (عاصفة الصحراء)."..

فهذا الجنرال الذي يظهر في الصـــورة هو (الدب)، أو بالأحرى نورمان العاصـــف، وهؤلاء الجنود هم (جرذان الصـــحراء)، وهذا الصـــاروخ هو (باتريوت) صـائد الصـواريخ، وهو الذي يسـقط دائمًا صـواريخ (سـكود) العراق. وهذه الطائرة هي (السـنجاب المتوحش)، وهذه (النســـر)، وهذه المضـــادة تســـمى (البطة القبيحة)، وهذه العربة التي أُبني هي (الثعبان العملاق)، أو بالأصـح مفجرة الألغام، أما هذه الراجمة العملاقة فيسـموها (المطر المدمر).

وهنا فتح الطفل فمه بذهول لغرابة ما يســـمع من أسماء، وبعدها وعدته بأنني سأعلمه يوميًا شيئًا جديدًا عن أسلحة الحرب، لأنني أيقنت أننا نعيش في عالم لم يعد فيه مكان للسلام بعد اجتياح الكويت، بلد الأمن والسلام.

رسالة من الجبهة [171]

وصـــلتني رســـالة من الصـــديق (حجب العنزي) من الجبهة، يرد فيها على رسائل أطفال الكويت، فكتبت له على الفور:

عزيزي حجـب: في اليوم الثـالـث للاجتيـاح الهمجي لوطننـا العزيز، وكـان القلب كجمرة يعلوها الرماد بعد أن أصبحت فلول جيشنا الباسل تدافع عن أحيـاء المـدينـة، ارتمي بجـانبي أحـد مقـاتليـك الأبطـال، وكـان يعـاني الألم والإرهـاق، فقـال لي بالحرف الواحـد: "يحق لله أن تفخر بابن عمـك فلان، لقد قاد بنا معركة باسلة حول مدينة الجهراء الباسلة".

فقلت له: أعلم أن ذلك ليس بغريب عليك، لأنني أعرف أنك في أيامنا البيضـــاء كنت ممتلئًا بالوعي والوطنية والحماس. وحينما فرقتنا الأيام، كنت أسمع عنك كل مـا هو جميل. حين غـادرنا الكويت مرغمين، تقطعت بنا الســـبل، ولم يعد يعرف الأخ أخاه، ولا الوالد عن ولده، ولا الصـــديق عن صـــديقه. فمنّا من خرج بســـلاحه إلى دار الأخوة والمحبة في المملكة العربية الســـعودية، ومنّا من كان في الخارج، ومنّا من اتجه إلى دول الخليج، ومنّا من وقع في الأســـر، ومنّا من اســـتشـــهد، ومنّا من بقي في الداخل يمارس دوره الوطني النبيل.

---

[171] - صحيفة الرياض 14-2-1991

وأمس، في خضم الحرب وعصف القصف ودوي القنابل، ووَزير الصواريخ، وصــلتني رســالة رائعة ترد فيها على رســائل جاءتك من أطفال الكويت، يطلبون فيها الالتحاق بجيشنا الباسل لتحرير وطننا السليب. تحدثوا فيها عن أجواء المعـاناة، والتوق إلى العودة إلى أرض الوطن الحبيـب، ولعنوا طـاغيـة العراق الذي حول مدارســهم إلى ثكنات عســكرية، ونواديهم إلى ملاهي وبارات، وبيوتهم إلى جدران مشرعة للسلب والنهب، ومنابر مساجدهم إلى أبواق للمنافقين الذين جلبهم صدام للتأثير على شعبنا الصامد باسم الدين، والدين منهم براء. كما تحدثوا عن البر الجميل الذي كان حديقتهم الربيعية، والذي حوله الغزو إلى تحصــينات عســكرية، وبحرهم الرائع الذي تحول إلى حقول ألغام.

ثم أرد على هؤلاء البراعم النقية، قائلاً – عبر رســالتكم هذه – إنني أقول لكم: ابشـروا، فالفرج قريب، ولكنني أريد منكم الصـبر، تأسـياً بقوله تعالى: {وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً}. وأتقدم بجزيل الشكر إلى كل طفل كويتي بعث إلينا برســالة، وإلى جميع أطفال الكويت الرائعين، شــاكرًا ثقتكم بنا، ووعدًا بأن نكون عند حسن ظنكم بإذن الله.

ثم تتحدث عن أطفـال الكويـت في كـل المحـافظـات الســليبـة بقولـك: ستعودون إلى الجهراء والفروانية وحولي والأحمدي والعاصمة، وستعودون إلى مدارســكم ومســاجدكم وملاعبكم وشــواطئكم ونواديكم بعد تنظيفها من دنس الغزو. ثم طلب من أطفال الكويت أن يرفعوا أصــواتهم البريئة وأيديهم

الطاهرة إلى خالق الكون، ويلهجون بالدعاء إلى العلي القدير أن يرحم الشهداء، ويعيد الأسرى، ويطهر الكويت من الغاصبين على أيدي رجالها الأبطال.

عزيزي حجب.. هذا ما أعرفه جيدًا عنك وعن كل رجالنا الأبطال الذين يقاتلون من أجل قضيتنا الطاهرة ببنادق تحمل فوهاتها الزهر والرصاص، وتستمد عزمها بعد الله من عيون الأطفال والأمهات، ومن رجالنا الأسرى خلف قضبان العدو، وأرواح شهدائنا الأبرار، وأن الله على نصرنا لقدير.. واسلم.

فلسطين – الكويت [172]

1948 –1990

لكي تُخرس كل الأصوات التي تنعق بتحرير فلسطين بعد احتلال الكويت، ولكي يعرف كل العالم أن احتلال الكويت يعد كارثة أكثر مأساوية من احتلال فلسطين، وأن عام 1990م هو أكثر بشاعة من عام 1948م، ها هو التاريخ يعيد نفسه، ولكنه هذه المرة بمرارة أشد ويعيد شهادته أيضًا.

شهادات

1- وقفنا على أعلى صوت سمعناه في حياتنا: صوت انفجارات القذائف ونيران المدفعية. كانت القرية بكاملها تعيش حالة من الذعر، وبدأ معظم أهاليها يهربون وهم ما زالوا في ثياب النوم. زوجة "قاسم أحمد سعيد" هرعت وهي تحمل بين ذراعيها مخدة، ظنًا منها أنها طفلها. (فلسطين 1948).

- كانت الساعة تقترب من الخامسة صباحًا حين أيقظتنا قذائف المدفعية العراقية. فقمت أفتش عن أسرتي وأطمئن عليهم. وبعد ساعات، وبسبب عجزنا عن معرفة حقيقة ما يحدث أو ما يمكن

---

(172) - صحيفة الرياض 16-2-1991

تصـديقه، قمنا بحزم أمتعتنا واصـطحبنا الأهل جميعًا إلى خارج المدينة. (الكويت 1990).

2- ضـربنا اليهود وأخذوا سـاعتنا وخواتمنا، وأمرونا أن نركض بأقصى ما نستطيع إلى الجانب الآخر دون أن ننظر خلفنا. كانوا يطلقون النار في الهواء، وقد ركضـــت كما لم أركض من قبل. (فلســـطين 1948).

- ضـربني العراقيون أنا وإخوتي ضـربًا مبرحًا برؤوس البنادق، وبعد ذلك أطلقوا بعض الرصـاصـات، مما جعلني أركض بلا شـعور في الصـحراء خوفًا منهم. (الكويت 1990).

3- ألقينا اليهود الذين كانوا يأتون من الشـــمال والجنوب ويتجهون نحو الكباري، وقد أوقفونا وفتشونا ولم يكن معنا أسلحة، وأخذوا مجوهراتي، وقرطًا ذهبيًا، وعقدًا، وأربعة أســـاور، وأربعين جنيهاً كانت بحوزتنا. (فلسطين 1948).

- لقد سرقوا كل شيء في بلادي، سرقوا الوطن والأمن. ثم بدأت قوافل النهب والسـلب تسـير من الكويت إلى بغداد، ولا أسـتطيع أن أصـف مقدار ما تحمله تلك الشاحنات من مواد سواء من الشركات الكويتية أو المؤسسات أو المنازل. لدي ابن عم أبلغنا أن الجنود العراقيين أوقفوه

في الشــارع وأخذوا منه ســاعته وماله وأقلامه ونظارته الشــمســية، ثم صفعوه وركلوه. (الكويت 1990).

4- دخلت قوات الدفاع اليهودية إلى الصفصاف وقتلت 70 رجلاً أمام عيني، وما تبقى من أهلها. وتردد أن الصهاينة قد اغتصبوا أربع فتيات. (فلسطين 1948)

- قام الجيش العراقي باعتقال وإعدام المئات من شعبنا الكويتي، واغتصب الكثير من الفتيات، واقتحم المنازل، وأعدم الشباب أمام أهلهم. (الكويت 1990)

5- ينبغي أن يكون واضحاً فيما بيننا أن هذا البلد لا يمكن أن يتسع لكلا الشـعبين (...) والحل الوحيد يتمثل في إفراغ فلسـطين من العرب، وليس ثمة من وسـيلة أخرى سـوى نقل العرب الموجودين هنا إلى البلدان المجاورة.. نقلهم جميعاً. ينبغي ألا تبقى قرية واحدة أو قبيلة واحدة. (مسؤول صهيوني).

- إنهم يضــمرون شــيئاً هناك، فقد قاموا بإخلاء الكويت من الكويتيين وأجبرونا على الرحيل مع نســـائنا إلى خارج الحدود، ومنعونا من حمل أية ورقة تثبت هويتنا. إن العراقيين بدأوا في توطين أســـر عراقية في المسـاكن بعد تهديد أهلها بالغازات السامة والأسـلحة، وعندما ترفض أي أسرة الخروج فإن مصيرها القتل. (الكويت 1990)

6- لقد لجأ الصـــهاينة إلى الإرهاب بصـــورة واعية، ليس لمجرد بثّ الذعر في صفوف الفلسطينيين، بل أيضاً لضمان أن ينشغل كل شخص قبل أي شيء بسلامة عائلته، فركزوا على القتل الجماعي والاغتصـــاب بقصـــد إيجاد مناخ يُضـــطر فيه الرجال إلى تغليب شرف نسائهم وحياة أطفالهم على الاعتبارات الوطنية. (فلسطين 1948).

- أما الجيش العراقي، فقد نهب وســلب جميع البنوك في الكويت، وقام بســرقة ما يجده في الأســواق، حتى إنهم دخلوا بعض منازل الكويتيين وسـلبوا الذهب والمال والمجوهرات، وأفزعوا الأطفال والنسـاء[173]. وخوفاً على العرض والشرف قررت الهروب إلى السعودية. (الكويت 1990)

---

(173) – شهادات الفلسطينيين مأخوذة من كتاب (الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع الى الثورة) تأليف روزماري صايغ .

وشهادات الكويتيين مأخوذة من عدد جرائد ومجلات صدرت خلال شهري اغسطس وسبتمبر 1990 . جميع الشهادات من اعداد مجلة (كلمات) التي تصدرها اسرة الادباء والكتاب في البحرين العدد 12 -1990م

فقر على فقر [174]

كما (شفط) و(لهط) ومسح ولحس كلامه بأحقية العراق في شط العرب، وكما لحس كلامه بأحقية العراق في استعادة عربستان، ها هو اليوم بالطريقة نفسها المضحكة المبكية، الكسيفة الأسفية، العجيبة المريبة، يلحس ادعاءه بأحقية العرب في الكويت و"عزوفة" عودة الفرع إلى الأصـــل، ويركع كذليل مهان تحت (رزح) قنابل القوات المشتركة.

وهو إن فعل ذلك فلأن هذا الأمر من عاداته، تماماً كما تقول الأغنية العراقية (هذي عاداتك ياهيه / من شـــورك ما شـــفينا). وذلك لأمر جد بسيط، ألا وهو أن الرجل المصاب بداء (التيتانوس) – غريزة الموت والرغبة فيه ممزوجة بالجبن الذي يستتر بادعاء القوة، واستعراض العضلات و(نفش) الريش كالطاووس الأعمى – نقول إن الرجل المصـــاب بداء كهذا لا بد أن يحين في النهاية من مواجهة الموت الحقيقية. وصـــدام كان يفعل ذلك كلما شعر باقتراب فوهات المدافع من القصر الجمهوري، إذ سرعان ما يستغيث كالقط الهلع كلما شـــعر بدنو الأجل. وقد فعلها (أبو عُدي) أكثر من عشرات المرات إبان الحرب العراقية الإيرانية، لاسيما حينما شعر أن القوات الإيرانية تقترب من البصـــرة أو تتوغل في حدوده الدولية، إذ حينها كثيراً ما كان بطل العروبة يُصـــاب بانهيار عصـــبي يدوم لأســـابيع، لينهض بعدها

---

[174] - صحيفة الرياض 18-2-1991

يســتصــرخ المجتمع الدولي، ومجلس الأمن، وهيئة الأمم، والصــليب الأحمر، وجمعية الرفق بالإنســان والحيوان على حد ســواء، لتنقذه من ورطته الكبرى، أو على الأقل التأثير على الإيرانيين ليقبلوا ولو بفكرة وقف إطلاق النار.

وهذه الخاصـــة الفريدة المجيدة في الرجل إيّاه يعرفها كل من كان يلاحظ ســلوكياته خلال تلك الحرب التي امتدت ثماني ســنوات، والتي نســي كل ضحاياها بين عشية وضحاها، ليبحث عن مزيد من الضحايا في اجتياح البلد الذي وقف معه موقف الأخ طيلة تلك الحرب.

(وأبو عداي) ليس بمســتغربٍ عليه أن يتخلى عن العراق كله، بل يتنازل حتى عن كل مناصــبه الرسمية بما فيها المهيب، لهَول اقتراب الموت، بل إنه على اســتعداد لأن يلحس و(يبلع) حتى قرار مجلس الثورة بتنصــيبه رئيســاً للجمهورية. وهذا الكلام الذي نقوله ليس من (عندياتنا) كما يتخيل البعض، وليس مجرد تخَرُّصـــات فارغة أو أمانٍ، بل إنه نتيجة لمجموعة من الدراســات التي أتمتها مؤخراً جماعة من المحللين النفســانيين التابعين لجامعة نانتير الفرنســية، إذ رصــدت هذه المجموعة ما مجموعه حوالي ثلاثين مقابلة وخطبة و(لخبطة) لصــدام حســين، كلها تبين أن الرجل يســتخدم في أغلبها مفردة الموت أو ما يرادفها من مفردات (تدق) على ذات الموضوع.

وقد توصـــل هؤلاء العلماء إلى أن تفكك غريزة البقاء لديه تبدو غير مفككة، والســبب أنها ارتفعت عنده فوق الحدود الفردية واتســعت لتشــغل العراق كله. وبمعنى آخر: إنه رجل يســعى للحياة عن طريق الموت الجماعي،

ومن هنا فإنه يريد أن يموت الملايين قبل أن يصله الموت. وهذا ما يفعله هذه الأيام بالضبط، إذ إنه ما إن شعر بالضربات الموجعة للقوات الدولية حتى (رغى) كعادته بقبول القرار (660) الذي يدعو إلى انسحابه من الكويت دون قيد أو شرط، ناسياً بَحترقته السخيفة (عودة الفرع إلى الأصل).

وبمجرد قبوله بذلك، فإن كل حلفائه سيدركون أن بطلهم (ما عنده سالفة)، بل إنه مُدَّعٍ كبير ومزوِّر أكبر، وذلك بعد أن سقطت قبل ذلك مقولة توزيع الثروة بين العرب الفقراء والعرب الأغنياء!! بعد أن دلق نفط الكويت في البحر وأشعل النار ببقية الآبار.

يبقى القول أخيراً: إن المنجز الوحيد الضخم الفخم الذي أنجزه سيادة الرئيس هو أنه بالفعل ساوى العرب الفقراء بعضهم ببعض، وذلك بالطبع بعد أن أضاف إليهم العراق الذي أصبح أكثر فقراً، وهم قد ازدادوا فقراً على فقر. وبذلك حقق المساواة، ولكن بالفقر فقط. وسبب ذلك كله أننا أمة فقيرة، وفقرها يرتكز في التفكير أصلاً، فما أفقرنا إلى الوعي، إذ غيابه هو الفقر.

(وين أذنك يا...) [175]

كان لنا صديق (عربي) يقيم في الكويت ويعمل في اليوم الواحد (١١) عملاً، لا أستطيع تذكرها الآن ولكنني أذكر منها أنه يفيق صباحاً ويقوم بإيصال بعض المعلمات بسيارته الخاصة لقاء راتب شهري، ثم يحمل كيساً من (النفيش) ويبيعه على باب المدرسة، ثم يذهب إلى إحدى وزارات الدولة ويؤجر سيارته لها ثم يستبدلها بوانيت نقل (يكده) بالأجرة، ثم يداوم عصراً في التلفزيون، وإذا لم يكن لديه (أوردر) يأخذ كاميرته الفوتوغرافية ويقوم بتصوير المتنزهين على الشاطئ، ثم يذهب إلى إحدى الصحف و(يُحمّض) أفلامه بالمجان لأنه يعمل أيضاً في قسم التصوير في الصحيفة، ثم يتجه بعدها إلى (شبرة) الخضار ويشتري بعض الصناديق لبيعها على بقال في منطقة سكنه، وهكذا إلى أن يرتمي في غرفته منهكاً لا يلوي على شيء.... ونحن إذ نذكر هذا النشاط الجبار لصاحبنا إيّاه فإننا لا ننوي حسده ولا السخرية من نشاطه اللامعقول، لأن العمل شرف. ولكن العجيب في أمر هذا الرجل هو أنك حينما تسأله عن سر هذا الكدح يجيبك بأن لديه مشاريع مستقبلية تخص القضية. وبعد أن تمكن صاحبنا من تجميع بعض المال، سافر الرجل في إحدى إجازاته السنوية إلى أمريكا، وسمعنا أنه اشترى (قمامة إحدى المدن!!). وعندما سألناه عن السر في ذلك أجابنا: إنه يبيع القمامة إلى مصنع لـ (اللدائن)، وأنه

---

(175) - صحيفة الرياض 22-2-1991

سيشتري في العام القادم المصنع، وسيقوم بعدها بشراء أراضٍ في المدينة، وهكذا سوف يوسع تجارته، وبذا يقطع الطريق على رأس المال الصهيوني ويُحجِّم اللوبي اليهودي الذي يتحكم في المال، وساعتها سيكون الرأي والتأثير للمال العربي على الرأي العام الأمريكي.

صديقنا هذا ذكّرني بصديق عراقي ساخر؛ فعندما كنا نسأله عن حكاية تحرير القدس عن طريق طهران، كان يجيبنا بأن القيادة السياسية ستحتل طهران وتغيّر النظام فيها، ثم تتجه إلى أفغانستان وباكستان، لتقود الأمة الإسلامية تحت راية البعث إلى تحرير فلسطين (!!).

هذان الموقفان العجيبان ذكّراني بأن النظام العراقي ومن يقفون معه، حينما عجزوا عن ذلك، اختصروا المقولة إلى أن تحرير فلسطين يمر عبر احتلال الكويت باعتبارها أقرب وأسهل، ناسين أو متناسين في الوقت ذاته أن أغلب البلدان التي تقف مع العراق لم تستطع تحرير أجزائها المحتلة أصلاً.

فالعراق ذاته لم يستطع تحرير (عربستان)، والأردن لم يستطع تحرير الضفة الغربية باعتبارها جزءاً منه، والسودان لم يستطع أن يحرر (جنوبه) من الجنرال (قرنق)، وموريتانيا لم تستطع حل مشكلة الصحراء، واليمن لم يستطع توحيد نفسه حتى الآن كوحدة حقيقية.

يبقى القول أخيراً: إن الأمر لا يعدو كونه مهزلة مضحكة، وإن هذه الأنظمة، كي تستر سوءاتها التاريخية، لم تملك سوى التصفيق لسوءة العراق

باعتبارها أحدث السوءات والمساوئ، لتنسي شعوبها عريها التاريخي المشين.

وما حكاية ربط فلسطين بالكويت إلا حكاية (وين أذنك يا حبشي) التي أصبحت – وللأسف الشديد – إحدى نظرياتنا السياسية العتيدة رغم خوائها المحزن.

طوبك أقوى لو مقواري؟! [176]

الفرق بيننا وبين الأمم الأخرى أنَّهم هناك يصنعون التكنولوجيا، ونحن الأمة الوحيدة التي لا تصنع سوى الهذرلوجيا!! وهذا هو السبب الحقيقي في تسمية هذه الزاوية بـ(هذرلوجيا). ونحن إذ نقول ذلك، فلأننا نتذكر قصيدة إنجليزية قديمة تعود إلى زمن الفرسان، تقول:

إنه في سبيل عدم توفر المسمار خسرنا الحدوة،
وبسبب عدم توفر الحدوة خسرنا الحصان،
وبسبب عدم توفر الحصان خسرنا الفارس،
وبسبب خسارتنا للفارس خسرنا المعركة،
وبسبب خسارتنا للمعركة سنخسر إنجلترا.

وهذه القصيدة تذكرنا أيضاً بمقولة الزعيم الصيني الراحل ماو تسي تونغ، التي يقول فيها:

أيها الصبي في الصين،
إذا وجدت مسماراً في الدرب فلا تهمله،
بل احمله إلى أمك وستسلمه لأبيك،

---

[176] - صحيفة الرياض 24-2-1991

وأبيك سيحمله إلى المصنع،
والمصنع سيصنع منه شيئاً مفيداً لوطنك الصين.

هذان المثلان الصغيران يجسدان لنا كيف أصبحت مثل هذه الأمم أمماً صناعية، وذلك لسبب جدّ بسيط، وهو اهتمامهم بتصنيع أتفه الأشياء لخدمة الإنسان والوطن. لذا استمرت في التقدم نحو التكنولوجيا والتصنيع، في الوقت الذي كان فيه الإنسان العربي يتمسك بفخر بتلك (الهوسة) العتيدة التي كانت ترددها بعض قبائل العراق العزيزة في العشرينيات، حينما كانوا يهجمون على الإنجليز بـ(المقاوير) – العجرات –، وهم الإنجليز يقصفونهم بالمدافع (الأطواب) في ثورة العشرين، وهم يهوسون: (طوبك أقوى لو مقواري؟!).

وهكذا طور الإنجليز (الأطواب)، وبقى شعبنا في العراق يطور (مقاويره) إلى أن وصلت إلى صواريخ (سكود)، التي لا تختلف عن المقوار في الفاعلية إلا ببعد المسافة، في الوقت الذي لا تزال فيه تلك القبائل تسير حافية على شواطئ الفرات الأوسط، ولا تملك ما يسد رمقها سوى ما يلفظه الشاطئ من أسماك صغيرة، بينما يذهب (المسكوف) الثمين إلى من يملكون السلطة والمال من زبانية النظام.

وبينما ينظر أطفالهم المصابون بالأمية والفقر إلى واجهات المطاعم الفخمة، وهم يهيمون على وجوههم بلا مدارس أو مستشفيات أو

معاهد، لأن مقدرات العراق ذهبت لتكديس آلة الدمار والحرب، والتي توجهت أخيراً إلى الصديق قبل العدو، والتي دمرتها أمم التكنولوجيا قبل أن تصل إلى مدارس أطفال العرب في الكويت والرياض والظهران.

وهكذا سار بعدها ذلك الأعرابي الحافي الجائع متجهاً إلى الكويت بعد الاحتلال، لينهب ما تقع عليه يديه، ليبسط بعد ذلك في سوق (سوادي) في الجهراء، ويبيع جهاز الكمبيوتر على أنه تلفزيون ياباني بثمن بخس، ليشتري لأطفاله بعض ثمار الموز التي لم يعد يعرفها المواطن هناك إلا بالصورة، بينما نظامه الحاكم يطلق كل يوم عدة صواريخ يكلف الواحد منها ما يربو على المليون دولار من مقدرات ذلك الإنسان الجائع، الذي لا يملك تحت سياط السلطة إلا أن يواصل الهتاف بحياة (الريس)، ويستقبل يومياً منذ ثمانية أعوام توابيت أبنائه وأقربائه وأصدقائه وأبناء عشائره ملفوفة بعلم البعث، ولا يجرؤ حتى على ذرف الدموع.

بقى السؤال القائم والمشهر على رأس المواطن العربي أينما كان، وهو: ماذا يقول ذلك الأعرابي المسكين لو قلنا له إن سياسة نظامه الأرعن قد أعادته بالفعل إلى زمن (المقوار)، أي إلى العشرينات من هذا القرن، حيث أصبح أصحاب (الطوب) يستعدون لغزو الفضاء،

بينما سيبقى هو يخوض في مستنقعات الفرات الأوسط والأهوار إلى ركبته، ويحدق للسماء الداكنة بحزن شديد، ويهوس بأعلى الصوت:

طوبك أقوى لو مقواري

طوبك أقوى لو مقواري؟!

وطني الحر [177]

عربية / سوف تبقى للأبد

مستقلة

سوف لن تتبع أحد

هكذا كانت على طول الأمد

وستبقى حرة عبر السنين.

ما بين نشـــأتها العزيزة في العالم الجميل عام 1756م وبين قيام العراق العزيز (أيضاً) في عام 1920م، ثمة مساحة من الاستقلال البهي تمتد لأكثر من قرن ونيف، حين (اختار) أهلها الرائعون صـــباحهم الأول الذي توارث أبناؤهم اسـتقلال هذا البلد العظيم، الذي لم يخضـع حتى للسـيطرة العثمانية إبّان عصـــور الظلام التي امتـدت لأكثر من أربعـة قرون، حيـث لم يعين السـلطان العثماني والياً على هذه الإمارة، التي كانت بكل شموخ تأوي حتى المتمردين على العراوة (العصــملية)، بل وتحميهم بكل أنفتها اليعربية، لدرجة أن (مدحت باشـا) الوالي العثماني في بغداد آنذاك قال: "إن الكويت تتمتع

---

(177) - صحيفة الرياض 26-2-1991

بإدارة مستقلة مستثناة ومجردة من جميع التكاليف، وأن الكويتيين قد أقاموا إمارة (يحكم الكويتيون فيها أنفسهم) منذ فترة طويلة"، كما كانت سفنهم غالباً للتجارة تحت (الراية الخاصة بأمارتهم).

وثمة شهادة أخرى من اللورد كيزون، يقول فيها: إنه لا يوجد أي اتصال فعلي بين الكويت والعثمانيين، كما لا يوجد أي مظهر للسيادة العثمانية في الكويت.

وفي عام 1913م أبرمت بريطانيا اتفاقية مع العثمانيين، اعترفوا فيها بالمعاهدة البريطانية الكويتية، واتفقت الدولتان على أن للحكم سلطات إدارية تامة في الكويت ذاتها. وحصلت الكويت على اعتراف بريطاني بها كإمارة مستقلة تحت الحماية البريطانية في العام 1914م، كما اعترف العراق (ذاته) في العهد الملكي خلال مؤتمر العقير بتحديد حدود الكويت عام 1922، أي بعد قيام العراق بسنتين فقط!! وبعد سنة من هذا الاعتراف، اعترفت بريطانيا بالحدود المقررة بين الكويت ومملكة العراق، التي كانت تشكل آنذاك من ولاية البصرة وبغداد والموصل (فقط).

وفي غرة صباح عام 1961م، أطلق أبو الاستقلال عبد الله السالم صرخته المدوية الحرة بإلغاء المعاهدة البريطانية وإعلان أن الكويت دولة مستقلة حرة ديمقراطية ومنارة حضارية في العالم العربي، داعياً شعبه لصياغة دستوره الذي يريد. وأمضت هذه الإمارة الصغيرة على ساحل البحر لتشع بالثقافة والفن والأدب، وتنبض بالحرية والجمال والبهاء، وأصبحت مأوى للمثقفين

والأحرار والمبدعين. وكان عبد الله الســـالم عربي القلب واللســـان والفكر، وملجأ للثقافة والحوار، ونصيراً رائعاً للأدب الجميل.

ولم تتنفس الكويت البهية الصــعداء وتنفث أنســامها العبقة في الجو العربي المعتم آنذاك حتى جعجع الدكتاتور العراقي البشــع عبد الكريم قاســم بإخماد تلك المنارة، لينتفض عليه شعبه العظيم ويلقنه درساً في إذلال من يريد إذلال الجمال.

وفي عام 1963م، اعترفت العراق باستقلال الكويت وعملت على توطيد العلاقـات (الأخويـة) بينهمـا، وأكـدت العراق على إقـامـة تعـاون (ثقـافي) وتجاري واقتصادي بين البلدين، وعلى تبادل المعلومات (الفنية) بينهما.

وفي 2 أغســطس 1990، اجتاح صــدام حســين الكويت، وســيخرج منها بعد أقل من عام، لينجز هذا الوطن الحبيب استقلاله الثاني بفضل الأصدقاء والإخوة، الذين يأتي على رأســهم خادم الحرمين الشــريفين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، الذي كان نعم الأخ والجار والملجأ العظيم، (وإننا لعائدون).

لحن البهاء [178]

"يا دمعة بلادي،

انا المنديل ،

والقنديل ،

والصبر الجميل" [179]

***

هكذا تتوهجين وتتورد وجنتاك الهائلتان،

وتضحكين ملء الكون،

وتلقين مناديل البهجة في قهقهة الريح،

(تلفحين) بجدائلك الشاسعة في أنحاء الأرض،

وتبثين (طيبك) الجميل،

وتوقعين بأقدامك الفضية لحن البهاء.

هكذا كما عشقتك حد الوله،

وكما بكيتك حتى النحيب،

---

[178] - صحيفة الرياض 4-3-1991

[179] - من نشيد المقاومة الكويتية من كلمات فائق عبدالجليل

وكما أرقت حد العياء،

وكما اختبلت حد السفه،

ورقصت حد الإغماء،

وأنا أسمع بأنباء تحريك الفظيع.

هكذا عجزت (التعبير)،

أنا أرى (أبا نواف) يرفع بيرقك حتى الأعال في ساحة العلم،

وسمعتك من أقاصي القلب تزغردين،

وتطفر الدموع عن أعين الرجال،

ويطوحن الزغاريد نسوتنا المتشحات بالحزن والسواد،

ويرتدين أثواب الزفاف البيضاء كقلب المراهق المحب،

وتدوي عمائر (المعذر) بسمفونية أغاريد نسائك الجميلات،

على إيقاع عزف زهراتك الصغيرات وعرضات الشباب،

وأدمع أمهاتنا المدججات بالفرح البهي وهيبة الوقار،

ورأيت لأول مرة في العمر كيف يبكي من هول الفرحة آباؤنا الكبار.

أيه أيتها الحبيبة الغائبة الآتية،

أيتها القاطعة بحبك كحد السيف،

ويا أيتها الظالمة المظلومة بعشقك الذريع،

أهكذا فجأة تعودين؟!

واصطبغ القلب بشظايا ودك الفظ،
وأسقط مقتولاً بحبك المميت.

ما هكذا يا عزيزتي الكويت تفعل العاشقة بالشعراء والحالمين،
والسائرين من عشقك في النوم،
ليصطدموا بجدران الأمل الخضراء،
ويصحون على واقع الاحتلال، أقلنا الاحتلال؟!
—بل التحرير يا حبيبتي،
وأفيق لأشرع عقيرتي للنشيد،
وأفتح نوافذ صدري لنسيم بحرك الأخاذ،
وأعود ثانية من الأحياء،
وأحبك ثانية حتى الموت.

بشر ووحوش، وحوش بشر (180)

ترقد بقايا متفحمة لحيوان ضخم عند بوابة الحديقة، في الداخل يرقد زوجان من حيوان وحيد القرن معاً على العشب، وهما يتنفسان بصعوبة ويحتضران ببطء من الجوع، بينما هناك فيل هندي ضخم يتأوه لعله يجد من يهتم به، ويهوّي بخرطومه في الهواء في حظيرة خالية من الطعام والماء (!!).

تتناثر جلود وعظام وفراء حيوانات أخرى، يبدو أنها وقعت فريسة داخل أقفاص خمسة من الأسود واثنين من النمور.

وهناك جيف لحيوانات أخرى داخل أقفاصها، يبدو أنها تتحلل منذ شهرين أو أربعة أشهر. يقول كويتيون إن الحيوانات الثمينة شُحنت إلى بغداد منذ الأيام الأولى للأحداث. وفي حظيرة الذئاب لم تكن هناك أي حيوانات، ولكن كانت عظام وجلود وزوجان من الأحذية الجلدية التي يلبسها الرجال (!!).

في الزمن الأبيض، كنت أزور تلك الذئاب كل يوم جمعة، وكتبت قصيدة عن تلك العلاقة، أذكر منها:

---

(180) - صحيفة الرياض 6-3-1991.

مرحبا يا أميرَ الوحوش أحييك من قبةِ القلبِ
وأقدّمُ نوارةً من سهوب البراري إليك
وأرثيكَ من لعنة الانزواء
فأنت أسيرُ الزنازينِ
عبدٌ لحملقةِ الآخرين
ولا تقبلُ الارتهان كباقي الوحوشِ
ولا تقبلُ الاحتواء
تلوب طوالَ النهار بـ (مترين)
صارا إليكَ جميع القفارِ
وصارا الفضاء.

وكأن هناك غطاء رأس كويتي (غترة) في قفص النمور، وبين ضلوع العظام وجلود حيوانات كثيرة، (تتردد شائعات بأن جنوداً عراقيين قاموا باحتجاز أسرى بينهم نساء في أقفاص من حديقة الحيوانات). وقد أكدت الرواية إحدى زميلاتنا في المركز الإعلامي الكويتي في الرياض، على لسان شقيقها في المقاومة، بأن العراقيين كانوا يحتجزون الأطفال والنساء والشيوخ عرايا في أقفاص الحيوانات، وأنهم عندما سمعوا تكبيرات النصر بوصول القوات

المتحالفة أخذوا يصرخون من خلف أسوار الحديقة يطلبون النجدة، فأنقذهم شباب المقاومة.

وفي مكتب استعلامات الحديقة، كان هناك خليط من الملابس، بينها أحذية وملابس نسائية، وكان هناك أيضاً بنادق سوفياتية الصنع (!!). وقال جنود سوريون يعسكرون خارج الحديقة (بعد التحرير) أنهم لم يجدوا إنساناً حياً أو ميتاً في الحديقة، ولكن الكويتيين عندما زاروا الحديقة بعد التحرير قدموا أغناماً للأسود لتتغذى عليها. تعليق: وهذا هو الفرق الواضح بين إنسانية أهل الكويت وهمجية الجيش الصدامي، لا أكثر. [181]

[181] – تقرير من الكويت من وكالة رويتر بتصرف

مدائن العمر الجميل الرياض (1) [182]

منذ أعوام زرت الرياض، وكان يشـــق جدارانها الطينية وحصـــونها العبقة برائحة المجد إنسـانها الجديد، ويتبرعم من لونها الوردي نبت أخضـر له عطر الأصـالة وزهر النمو، و"يشـيل" عرضـاتها النجدية في أسماع الصـحراء متغنياً بأمجاده السالفة ومتطلعا إلى أفق المستقبل الأفضل.

وبالأمس، لما التجأت إليها بعد احتلال وطني الحبيب، رأيت مدينة تنهض حتى عنان السـماء، ويطاول عمائرها إنسـان جديد بهامته المديدة حتى تخوم الغيم. ورأيت شـوارعها الفسـاح وجسـورها المتقاطعة، ومعالمها الخيمة التي أصـابتني بالرهبة من التعامل مع هذه البدوية الحديثة المليئة بالوعي والأصـالة والشموخ معاً.

ولكنني بعد ما تقربت حواريها وغازلت أشـجارها وعانقت مبانيها الهائلة، وتعرفت على إنسـانها الجديد بدءاً من سـائق التاكسـي حتى بائع "الكراث" في أسواق عتيقة، مروراً بالعم "صالح" عامل سنترال الجريدة، وانتهاء بمشاجرة مثقفيها ومحاورة كتابها والتصعلك مع شعرائها الرائعين، اكتشفت أنني أغوص حتى "شوشتي" بحب جديد.

---

(182) - صحيفة الرياض March 19, 1991

واكتشـفت أن سـر نهوض هذه المدينة البهية يكمن في "سـلمانها" الرائع، أمير منطقـة الرياض، والـذي لم يخلِ مواطن واحـد من مواطنيه مـالم يكن لـه قصة جميلة ووقفة جميلة معه.

وعرفت أن ســـر نهوض المدائن ليس بكثرة المال ولا بحبال الكونكريت أو تلال الأسمنت، بل بحنكة وحكمة من يرعون تقدم هذه المدائن، ويعشـــقون ناسـها الطيبين، وينهضـون بإنسـانها أولاً. وهكذا نهضـت الرياض في القلب، ولسوف تبقى شامخة للأبد.

وبالأمس القريـب، حينمـا أقْلعت لأرى لأول مرة مـدينـة العمر بعـد الغزو وحبيبتي الكويت، لوحت لي حبيبتي الرياض، وتوزع قلبي بين الحبيبتين

.

(2) الكويت

أمـا وهـا أنا أنـدا وجهـاً لوجـه مع حبيبـة العمر، التي ملأ وجههـا الحزن و"شـحار" الحريق وأظافر الغزو، وها هي تمد ضفائرها إليك وأنت تحلق فوق ترابها العظيم، وتئد دمعة في القلب وتدري خجل الرجال، بإغضـــائها إلى النافذة لكيلا تراك زميلة ســـابقة كانت تشـــاركك نفس الحماس في ردهات جريدتك القديمة في الوطن الســـليب الذي أصـــبح محرراً الآن، ويحول بينك وبينها دخان رهيب وغيم كثيف، وتكـاد أن تتفجر الزميلة بالبكـاء: "هل لنا أن نرى الكويت؟"!

هكذا تخنق عبراتك الحادة وتربت على كتفها، بل تقول: "سـنرى الكويت ولو مشـينا على الأهداب." عادت الطائرة لانعدام الرؤية ثانية إلى الظهران، ولكن لابد من الكويت.

مدائن العمر الجميل الكويت (2) [183]

وقلنا إن الطائرة قد عادت لانعدام الرؤية إلى الظهران، وقلنا إنه لابد من الكويت، وواصلت سيرك إليها في باص يقطع بك الصحراء، وها أنت ذا تراها وهي تغرق في الظلام، وتروح تتذكر – لا محالة – قصيدة (بدر شاكر السياب) حينما كان أيامها في الكويت وهو يهفو إلى العراق التي تحتل بلدك الآن، والتي مطلعها: "وحتى الظلام هناك أجمل حيث يحتضن الكويت !!"، وصحيح أنه قال العراق، ولكنه لو كان حياً لقال الكويت..

نيران الصحراء:

صحيح، هذه صحراؤك الرائعة التي طالما تغنيت فيها بمئات القصائد الحادة، ولكنها ليست تلك الصحراء، فثمة مئات النيران تركض على صدرها الفسيح، وتروح تتساءل بحزن فظيع: أهذه (الوفرة، واره، الأحمدي، المقوع)؟ وتحرق فؤادك بالأسى والنحيب وأنت تدخل إلى قلب الكويت.

كانت (الصباحية، الرقة، هدية) مضاءة جدرانها في الليل بأضواء نار الغزاة، وبيوتها مطفأة بعد أن كانت (ديوانياتها) العامرة تمتلئ بعبق الهيل والمحبة وأحاديث الرجال. ويخترق قلبك سهم يشير هكذا: (إلى مدينة

---

(183) – صحيفة الرياض March 21, 1991

النداء)، وتكاد أن تخر صـريعاً من القهر حينما ترى (الأحمدي) تعوم في بحر من النيران بعد أن كانت من أقرب المدائن للقلب بأشـــجارها الباســـقة وذكريات الأصدقاء.

وتتذكر أنك مررت (بالفحيحيل) ولم تُلقِ عليها الســـلام، وتتذكر أنك مررت بذاكرتك المليئة بالدخان على كثير من بيوت الأحبة ولم تقل لها: كيف الحال.. (أيتها الشوارع، الحواري، السواحل، الملاعب، الذكريات).

وتتذكر أن أجمل القصــائد أبت المجيء، وقد كنت تدخرها لهذا المصــاب. ولكنك اليوم مثل ناســـها، ها أنت تولد من جديد، وبعد قليل ســـتدخل (الكويت المدينة) وتواصـــل تســـطير حلمك الرهيب. ويوقظك من تهويمتك الباص وهو يعبر حفرة عميقة خلفها الغزو، ويرتج الباص منها وترتج الذاكرة وتتناثر منها الذكريات: من ذات هذه الآبار المشتعلة الآن كانت نفس قنابل الغزاة التي أشعلت الآبار، بل إن أغلب سلاح هذا الـــ(نيرون) الجديد الذي أحرق أبهى العواصـــم العربية كما أحرق نيرون روما، أقول: إن كل آلته العسكرية من خير هذه الآبار التي تتدفق في هذه الأرض التي تشتعل الآن.

وعلى وهج نيران (الأحمدي) الفظيعة تئن أشـــجار الطرقات وأزهار المنعطفات وحدائق البيوت، وتتفجر الورود حتى أعالي الســماء وتصــرخ: يا للســماء! وتســمع دوي انفجارات خزانات النفط، وينفجر القلب نثاراً إلى الأوج، وتُمعن في الحزن حتى احتجاج الرمال.

مدائن العمر الجميل الكويت (3) [184]

ها أن كويتك المحررة الرائعة، وعاصـــمة المحبة والثقافة والشـــعر والإنســـان، واللؤلؤة الجريحة في القلب، تنهض من خندق الغزاة، وتستقبل أطيارها العائدة من الغم واليأس. وها إنها تشـــمخ كأبراجها التي تلوّح للفجر الجديد، وها أن أحد جنودها الأبطال من طلائع الجيش الكويتي الباســـل، الذي كان منذ اسـتقلالها المجيد يشـارك بفصـائله البطلة في كل المعارك التي كانت تخوضـها أمته العربية (الماجدة)، ولكن ليس على الطريقة الصـــدامية إياها (!)؛ أقول: ها أن جندياً من أحبّتك الذين ضـحوا بدمائهم الزكية الطاهرة، والتي سـالت بالأمس على أرض وطنهم وهم يدافعون عنه، ها أنه يصرخ بك: قف!

حينها نهض القلب من جناحيك وقفز من صدرك ليقبّل شعار وطنك الحبيب وهو يعلو ثانية فوق جباه جيشه الفتي العظيم. وها هي نفس شوارع الوطن الحبيب يحرسها أبناؤه البررة، وها هم يقفون هناك بكل يقظة وحذر لحماية أمهم الكويت. وها هي السيارة تخترق الشوارع التي دنسها الغزو، وتروح تتذكر: هنا لعبت، وهنا كتبت قصيدتك الأخيرة، وهنا قابلت آخر الأصدقاء، وعلى تلك القارعة استشهد زميلك الرائع يوم الاجتياح، ومن ذاك البرج طارت حمائم السلام وأسقطتها المدافع بالقذائف على ساحل السلام.

---

[184] - صحيفة الرياض March 23, 1991

ها أنك تقترب من (الهيلتون) الذي طالما تسكّعت فيه أيام المراهقة والشباب، وتحثّ الخطى لترى بأم عينك زواياه وردهاته ومقاهيه. لكنك ما إن تهمّ بالدخول حتى يتوقف هدير (الموتور) الذي كان يضيء جزئياً الفندق، وتروح لتغرق ثانية في الظلام، وتصمت منارة الخليج كحمامة تغطّ في جنح الليل لتمارس الهديل .

وكان في جنبات الفندق أصوات الشباب وهم يضيئون بمصابيحهم اليدوية، وعبر تلك اللجبة والضوضاء والظلمة جاءك صوت أحدهم من أعماق زمن سحيق وكأنه يوقظك منذ السبعينات: من؟! الصعلوك! ولكن من أنت، أيها الطالع من رحم الظلمة إلى مشعل الحق وأنت تحمل في كفك الضوء؟!

مدائن العمر الجميل فندق

مطفأ في الكويت (4) [185]

حين وقع ضوء المصباح على وجه الرجل الملتحي وأبرقت أسنانه من الضحك لم أستطع تبيّن ملامحه المغطاة بالشعر الكثيف، ولكنه ضحك ضحكة هادئة وأردف: أعرف أنك لن تعرفني الآن، ولكن تعال إلى ضوء الشموع وسأقول لك من أنا.

وسرت معه يصحبنا رجلان من أصحابه إلى مكتب الإعلام في فندق المطفأ، وهناك احتضنت (طارق الرجيب)، واستغربت من هيئته (المبهدلة)، وقد كان لكل من عرفه قبل الغزو أنيقاً، حليقاً، طليقاً، نشطاً ويحب الحياة.

وبدأنا نسرد الآلام، حدثني عن الإنسان الكويتي الجديد الذي صنعته المأساة، الإنسان الذي لم يعد يعتمد على أحد في الحياة، الإنسان الذي تحوّل خلال سبعة أشهر فقط إلى (طبيب، وحلاق، وخباز، وزبال، وسمكري، وفرّان، وسبّاك) ومقاتل أيضاً. وضرب لي الأمثلة العديدة بأناس

---

(185) - صحيفة الرياض March 25, 1991

نعرفهم تماماً، والذين كانوا قبل الغزو في منتهى السلبية والتقوقع، وأصبحوا اليوم رجالاً تُروى عنهم الحكايات والبطولات والأمثال.

حدثني طويلاً عن البلد الذي يقبع تحت جنح الظلم والظلام، والذي ينهض الآن شامخاً من جديد. وفي أثناء الحديث دخل علينا رجل يبعثر النكات في ممرات الفندق، وجلس معنا وشرع يسرد قصص الشعب مع الغزو، يشنّع على الغزاة، ويروي بروح السخرية المرّة والدعابة القاتلة حكايته الخاصة معهم وحكاياتهم مع الناس، ويلعنهم ويضحك من كل قلب عليهم.

وعرفت منه أثناء الجلسة المظلمة أنه كان من أفراد المقاومة، وأن اسمه (عيسى) فقط. وشعرنا في الدقائق الأولى أننا أصدقاء، وذهبنا سوية لنبحث عن غرفتي في الظلام، وكان (عيسى) ينكّت على الصحفيين النائمين في البهو بلا غطاء وهم يتأبطون كاميراتهم وأجهزة التسجيل ويتوسدون أوراقهم.

كنت وعيسى نفتح غرف الفندق المهجور، فنصطدم مرة بشخير رجل يغطّ في نوم سلحفاة، وأحياناً يلعننا صوت من جوف الغرفة المظلمة، وأحياناً نجد الغرف مغلقة، إلى أن وصلنا إلى أحد الطوابق فقال لي بثقة العارف بالأمور: كفى يا صديقي، ما تبقّى من طوابق الفندق لا نستطيع الاقتراب منه لأننا لا نعرف حتى الآن ما بها.

وهبطنا الدرج عائدين إلى مكتب الإعلام، وأخذنا نواصل مع طارق الحديث عن جرائم الغزو التي لم يروِ الإعلام حتى الآن ربع حقيقتها، لدرجة

أنني قلت لهم: لو أن خيال هيتشـــكوك صـــانع الرعب أراد أن يصـــنع منها أفلاماً، لما توصّل خياله الخلّاق إلى ابتداعها. وهنا سحب كلٌّ منّا كرسيين، توسّد أحدهما ووضع قدميه على الآخر، ونمنا لبعض الوقت.

بقي أن أشير هنا إلى أن أحد زملائي من الإعلاميين قدّم تفاحة إلى طارق الرجيب، فرحّب بها وأخذ يتأملها وكأنه يكتشـــف شـــيئاً غريباً لأول مرة، فقضـم منها قضـمتين وتنهد قائلاً: يا الله! إنني لم أذق التفاح منذ بدء الغزو. ثم وضـعها على الطاولة ونام. وفي الصـباح الباكر قدّم لي طارق، من تحت الطاولة، فنجاناً صـغيراً من القهوة وقال لي: هذه وليمتك في هذه الأوضـاع، وهذا كوب من الماء بإمكانك أن تشـربه أو تغسـل وجهك به، وهذا كل ما لدي الآن

مدائن العمر الجميل

الحمام الأسود- في الكويت (5)[186]

في الصباح قبّلت محيا الكويت وعدنا كما كنا عاشقين، فأخذتها من يدها البيضاء وطفنا نجوب شوارعها الحبيبة التي لم تبقَ بها حصاة لا تعرفها أقدامنا، ولم تبقَ شجيرة واحدة ليس لها اسم لدينا نسمّيها به، ولم يبقَ منعطف أو سكة أو دهليز لم نتسكّع به أيام (الشقاوة) و(التصرمح) والصعلكة والفقر.

فمن (بنيد القار) هذه كنا نسرق الخبز من الخبّاز (أبو حبيب)، ومن (النقرة) هذه استأجرنا وانيت (أبو سليم) ولم ندفع له الإيجار، ومن (المرقاب) هذه كنا نشاغب المهري (سالم الظني) فيضربنا بـ(الوار).. ومن (الشرق) هذه أكلنا (الباجة) من مطعم (كرومي) وهربنا ولم ندفع الثمن، ومن (السالمية) كانت لنا شقاوة لم يلتفت إلينا أحد، ومن (الصليبخات) هذه خضنا في وحل ساحلها حتى الركب ولم نصل الجال، ومن (العباسية) هذه استمعنا إلى أشرطة الأحسائي حتى الهيام، ومن (خيطان) هذه رددنا أغنية حجاب: في السعودية وخلي بخيطان .. ألف كيلو حايلٍ بيني وبينه، وحاولنا الغناء.

---

(186) - صحيفة الرياض March 27, 1991

ومن (الجهراء) هذه تسلّقنا النخيل وطاردنا الأطيار وشجعنا نادي الشهداء، ومن (كيفان) هذه كنا نخرج متخمين بالنقاش، ومن (الضاحية) تأمّلنا أجمل هندسة للبيوت، ومن (العديلية) هذه صدحنا بالشعر وأقمنا الأمسيات، ومن (الشويخ) هذه انطلقنا بالكتابة والتجوّل في مكاتب الصحف ومشاجرة المارة بالأقلام وأفرغت جيوبنا الكراجات.

***

يا الله! أهذه الكويت؟! أهذا بحرها الآخاذ الذي طوّقه الغزو بالخنادق والأسلاك وأخذوه أسيراً إلى بغداد؟! ولكنه تسرب ليلعن الغزاة. أهذا شارع عبد الناصر المؤدي إلى الجامعة والذي كان يعبق بالأزاهير والورد أصبح مكتظاً بخوذ الجند وسترات العسكر العابرين؟! أهذه أدوية مستشفى الصباح تُلقى على الأرصفة بلا وازع من ضمير؟! أهذا مدخل كلية الآداب؟! أهكذا فعلوا بقصر السيف؟! بمجلس الأمة؟! أهكذا فعلوا بساحل السلام وأعداء السلام؟! أهكذا لوّثوا بدخان الحرائق حتى بياض حمام السلام؟

مدائن العمر الجميل بيتك (6)[187]

ها هو بيتك الصغير القابع في أحد الأحياء الشعبية المتواضعة، تلهو ببابه الرياح ويصِرّ بأنين يقطع نياط القلب، وتسفى على عتبته الرمال، بينما تصطفق النوافذ مشرعة درفاتها الحزينة مرحّبة بك. وها أنت تقف أمامه واجماً كالتمثال، ثم تندفع بأقصى الشوق إليه تقبّل جدرانه الكئيبة. يطنّ في أذنيك سكون رهيب وصمت كصمت المقابر، ووحشة هائلة كهدأة الصحراء.. ويدوم في ذهنك صخب حاد تستعيد فيه أصوات الصغار وتداخل كل الأغاني التي سمعتها في العمر ممزوجة بأنين الرباب، ودوي طبل كبير يقرع في أودية العمر، وحداء بدوي شفيف، وضحكة مجلجلة لأحد الأصدقاء.

ثم القهوة في هذه الديوانية الصغيرة كان يزورك الشعراء والأصدقاء والبداه، المثقفون والصعاليك وعابرو السبيل من هنود و(مهارا) وأفغان، وشباب صغار تعلّموا حديثاً كتابة المقالة والقصة والشعر.

وبها تنزوي عن الأهل ليومين متتالين بحيث لا يدرون هل أنت هنا أم لا؟! وبها سمعت أجمل سوالف الرجال عن حكايات القبائل والثارات والشعر الجميل. وبها سمعت تشايكوفسكي متقاطعاً مع مشعان بن مجول، ورامبو متآلفاً مع (شليويح)، والخنساء تحاور فرانسواز ساغان. وبها نظمت القصيد النبطي وكتبت الشعر الحديث، ودبّجت القصائد العصماء في هجاء شلة

---

(187) - صحيفة الرياض March 29, 1991

الأصـــدقاء. وبها ناقشـــت أزمة الفكر ومســـتقبل النص المفتوح، والحرب المستقبلية للمياه، ورأيت آخر المسـرحيات، وقرأت أحدث الكتب، وسمعت آخر شريط في الأسواق، وتبادلت من شباكها تحية المساء مع جارك الأسير، وانتظرت بها جرائد الصباح.

وها أنت إذ تدخلها اليوم تراها خالية حتى من البساط، بينما يقبع في زاوية منها آخر كتاب قرأته قبل الغزو، ولم يزل منكفئاً لربما على آخر ما وصـــلت إليه من الصـــفحات!! وها بعض الأوراق تتطاير هلعاً كنوارس الحرب، وها موقدك خالٍ من (دلالك) القليلة، وليس ثمة إلا فنجان مشـــطور، وبعض حبات الهيل، وخط من قهوة يتعرّج على البلاط.

"ديغا": قبل أن تدخل إلى مكتبتك المتواضـــعة ترى جثة (ديغا) الأرنب الصـــغير الذي كان يحبه الصـــغار لربما أكثر منك (!!)، والذي اعتقدت أن الغزاة قد أكلوه كما كنت تجيب على تســاؤلاتهم البريئة عنه، ولكنه على أي حال مات ولم يتمكن الغزو من الإمســـاك به، لأنه كان يكره الغزو تماماً كالصغار.

"جثة الثقافة": حســـناً، هذه مكتبتك التي كوّنتها طوال عمرك في اقتطاع قوت الصـغار، والتي جريت خلف كتبها كتاباً كتاباً، وكلفك الحصـول عليها الكثير من الجهد والعناء. هذا عدا الإهداءات العزيزة التي كان يرســـلها لك الأصـــدقاء من كل الأقطار. هذه المكتبة تتكوّم أمامك بهمجية مذهلة، ومختومـة أغلـب أغلفتهـا بأقـدام الغزاة.. لـذلـك ألقيـت عليهـا نظرة حزينـة

وتنهدت ملء القلب، وأدرت وجهك لغرفة أمك حيث سـطوا حتى على سجادتها العزيزة التي أحضرتها من مكة المكرمة، والتي كانت تأبى أن تصلي على غيرها إذا حان وقت الصلاة.

بالتالي كان بيتك خراباً مريعاً تفوح منه النتانة والسطو والهمجية والاغتيال. أغلقت الباب خلفك وخرجت إلى شوارع الوطن تتنفس الصعداء.

أقلام الضياء [188]

مـن لا نـفـع بالضـــيـق والمـوقـف الحـرج
وقـــت الـــرخـــاء كـــل كـــريـــم وطـــيـــب

نعم، هكذا هو الحال مع كثير من (الأصـدقاء، الشـعوب، رؤوس الأموال، الأقلام). ففي الوقت الذي كان يشـــخب دم جرح الكويت من ســـاحة الصـفاة إلى كافة أرجاء المعمورة، ويسـير فيه مواطنوها هائمين على وجوههم لا يلوون على شيء، بينما بقي جزء منهم يلعق جراحه النازفة داخل الوطن.

وفي زمن تشـــريد الأســـر، وانفلاش العائلات، وفراق الأحبة، ولوعات الأمهات والأخوات والزوجات على الأسرى والمفقودين والشـهداء، وفي زمن أسوأ ضياع سريع عرفه العصر تحت أحدث همجيات التاريخ، أقول: في ذلك الوقت العسر خرجت السحالي والعضايات والأفاعي والحرباوات تمد أعناقها (المبجلة) من جحورها النتنة وتشهر ألسنتها السامة لتبث فحيحها الكريه في قتامة الظلام، وتعلق جوقتها الناشـــزة لعزف جنائزية (الشـــماتة) وكورس الالتواء، وتمارس رقص الجحود الدنيء على جرح أرض ذبيحة وأدمع شـعب شريد يبارح موطنه غائراً في الطعون.

---

(188) - صحيفة الرياض 4-4-1991

قول: في ذلك الوقت السيئ المقيت، وكان الوطن يوغل في غيبوبة الصدمة وفظاعة الألم، وكان شعبه مثله وحكومته أيضاً، كنا نسمع اختلاط الأصوات واختلاط المواقف، ولم نعد نميّز صوت الصديق العدو من صوت العدو الصديق.

ولكننا ما إن استعدنا الوعي، (وبرِد الجرح) وارتفعت حِدّة الوعي بالألم، حتى رأينا – كأفراد أولاً – أن بعض أصدقائنا السابقين لم يعودوا أصدقاء، وقد حلَّ محلَّهم أصدقاء كثيرون أكثر صدقاً منهم، فأصبحوا هم الأصدقاء.

أما كشعب، فقد نضت بعض الشعوب التي كنا نعتبرها حديقة أثوابها التي ألبسناها إيّاها، ولم تعد تُرينا غير سوءتها المخجلة، بينما أخفت علينا شعوب أخرى أردية الإخاء حينما حاول العدو تمزيق ردائنا الوطني. ويأتي على رأس تلك الشعوب الشعب السعودي العظيم.

أما بالنسبة لرؤوس الأموال التي طالما تغنّت بمقولة (رأس المال الوطني!!)، فقد أصبح أغلبها (رأس نعامة) لا رأس مال!! لأنها دفنت رأسها في الرمال، وانتظرت ريثما تنقشع الأزمة لترفع رأسها ثانية كالديك الرومي، وتمارس (القأقاة والنقيق)، في الوقت الذي قام فيه رأس المال السعودي بواجبه (القومي) خير قيام. لا ضير من ذكر الراجحي، والوليد بن طلال، والنجراني، وبعض المنشآت والمستشفيات والشركات الوطنية السعودية الرائعة؛ هذا في الخارج، وتحديداً في المملكة. أما في الداخل، فيذكر أهلنا على سبيل المثال

لا الحصــر عبد العزيز البابطين (مع أن هذا ليس بمســتغرب عليه)، وكذلك المرزوق، والساير، والياسين.

والقليــل القليــل مــن أصــحاب رؤوس الأمــوال، أمــا البقيــة فقــد هربــوا إلى الخـــارج، لأن رأس المـــال دائمـــاً جبـــان، بـــل وخـــائن في بعـــض الأحيــان، لا ســيما في هكــذا وضــع تتعــرض لــه الــبلاد. لكنهــا مــا إن أُعلــن عــن تحريــر الكويــت وفتحــت الحــدود للتجــارة، حــتى هــرع الجميــع للقيــام (بمهمــة) التصــدير (!!). وبالطبــع، هــذه مهمــة وطنيــة لا يشــق لها غبار، وليس عليها عيب أيضاً (!!).

أمــا الأقــلام، فقــد كــان بعضــها يكتــب بمــداد مــن زعــاف، وبعضــها يكتــب بمــداد مــن مــاء، وبعضــها يكتــب بمــداد ضــياء. أمــا الــتي كانــت تكتــب بالســم الزعــاف فلأنهــا تحقــد بــلا ســبب علــى الكويــت، أو لأنهــا أساســاً قــد عبئــت في بغــداد، أو لأنهــا كانــت تكتــب أو "تكــذب" – لا فــرق، ولا تعــرف الأســباب. أمــا الــتي كانــت تكتــب بالمــاء، فهــي الــتي لا موقــف لهــا – بــل حســب الموقــف – أو أنهــا تكتــب أو (تكتــب) رهنــاً بانجلاء الموقف والأوضاع.

أمــا الــتي تكتــب بالضــياء، فلأنهــا دائمــاً مــع الضــياء، وتكتــب تحــت الضــياء، وتكتــب دومــاً للضــياء، ومــن أجــل الضــياء. ولــيس هنالــك أجمــل مــن ضــياء الحــق ضــياء.. بالطبــع، لا نقصــد (ضــياء الحــق) المرحــوم أياه.. والسلام.

خيمتان بيضاوان في العراء [189]

ما زلت أحبك مثل حليب النوم،

وأتذوقك مثل القرفة،

وأشمك مثل القيصوم.

الشعر، ها أنذا أظعن بين حاجبيك أعرابياً بلا ربيع، وأتخذ من رمشك بيتاً يأويني من المطر والخوف ولعنة الرياح.

***

ها أنذا أجعل من غدائرك المسبلة فروة لعزلتي تتضوع بالريحان ورطوبة الأنداء،

وأصطلي من لهيب جيدك البض جحائم الغضاء ودفء السفوح.

ها أنذا أعدو بسهول روحك الشاسعة،

وحيداً كالذئب، وأسمو فوق كثبانك كالنخلة، وأتكئ على جذعك حزيناً كالهدهد.

***

ها أنذا أطلق حروف قصائدي سرباً من القطا على حواف غدران عينيك، المصطفتين بأنواع العتاب...

---

[189] - صحيفة الرياض 20-4-1991

آه، أيتها الصعبة كالوفاء،

والوفية مثل الصعاب.

كم أتمنى حضورك المجسّد في القصيدة، وحضورها المجسّد فيك، لأنكما تعلّلانني معاً. فأغدو مضطرباً كالصقر لدى اصطياده بين جمع من البداة المقهقهين، وقد أموت كمداً وارتياباً.

***

يا بعيدة كالحلم،

وقريبة كالمنية،

تفرقت بي السبل، وقاطعني السحاب، لذلك اكفهرت بوجهي الصحاري، وحملت الضــباع أســلحتها عليّ، وليس لي ملجأ ســوى تلك الخيمتين البيضاوين .

قبر في الماء [190]

(إلى محمد الفايز حياً)

يا الله، كيف رحل هذا البسـيط المسـكين في تواضـعه، والعملاق في ثورته، والبركان في قصـائده، وسـط قصـف قنابل الحلفاء، ودوي مدافع الأعداء، وأنين (ساحل الفيروز الذي غنى وتُتغنى به)، وتحرير (طيبة) التي طالما نظم على جيدها البض أجمل اللآلئ.

***

يا الله، كيف نشر (سندباد الكويت الحزين) شراعه وأبحر مبتعداً في لجة الخلود ليطلق نهمته العالية:

"شطان رملك واحة معطا

وأجاج بحرك سكر وبهار

يا موطن (الهولو) الذي غنت له

من أمس أمس سواحل وبحار

يا ساحل الفيروز حيث سفينه

---

[190] - صحيفة الرياض 22-4-1991

ملء البحار كأنها الأقمار."

يا الله، كيف أقلع (محمد الفايز) البحار المسكين وسط دوي الانفجارات، وانسحاب الطغاة، وفرار الأبالسة، مبتهجاً بكونه السندباد الوحيد في هذا العصر، ليدق صدره بكل ثقة ويصرخ:

"سأعيد للدنيا حديث السندباد
ماذا يكون السندباد؟!
شتان ما بين خيال عملاق
ومجنون تراه
يطوي البحار على هواه
بحباله، بشراعه،
بإرادة فوق الغيوم،
بيد تكاد عروقها الزرقاء
ترتحل النجوم."

***

يا الله، كيف مضى غريباً حزيناً ذاهلاً كالعادة من كل ما يحدث حوله، حتى في أزمنة الرخاء والسؤدد، واقتفاء أعين المهاءات، وممارسة حماقاتنا الشعرية

الصغيرة كالأهاجي المتبادلة بيننا و(السبتي)، وبينه حينما تعن لنا (تأتأته) الرائعة لنزعجنه بأقذع الأهاجي حتى الصباح، ويمتعنا باضطرابه وارتيابه وقلقه من هؤلاء الذين يقضون مضجعه. ثم يهجونه ببيت أو بيتين ليضطرب كالصقر، وتتري تواقيه كحبات البرد.. ولكننا حينما نفصح له عن أنفسنا يغرق في ضحكته الطويلة المجلجلة، ويلتحق بنا لنواصل الشعر والشجار.

***

يا الله، كيف رحل أجملنا كلنا في الغياب، وأفصحنا في الشعر، وأحدقنا في البساطة التي كان يتباهى دوماً علينا بها على لسان بحارة الفقير هكذا:

"أمسكت مغلقة البحار

في الصبح مرتجفاً لتكتمل القلادة

في عنق جارية تنام على وسادة

(ريشيه) في حضن سيدها

ورائحة المحار

بأزارك البحري تعبق وأبحار، مملوءة درّاً سيملكه سواي"!!

يا الله، وأخيراً، كيف طوى (أبو وائل) شـــراعه الشـــامخ وانزوى في الأعماق كغواص قديم:

هل انزويت وراء هاتيك الصخور؟

هل طاردتك (اللخمة) السوداء،

و(الدول) العنيد، يترصد الأعماق؟

هل ذقت العذاب مثلي وصارعت العباب؟

هل ذقت زادك في المساء على حصير؟

***

يا الله، كم أوقفني خارج رابطة الأدباء ليطلب مني أن أكتب عنه، وكنت أقول له شريطة أن تموت أولاً (!!)، وها هو يموت وسط ضجيج آلة العصر، دون أن يكون لموته ذلك الدوي الذي يهز أعماق البحار وتضـــطرب من هوله الأسماك وحيتان الماء.

***

يا الله، كيف مات (محمد الفايز) بعيداً عن شـلة الأصـدقاء في الوطن الجميل، بعد أن توزعتهم المنافي، ولم يســـكبوا دمعة واحدة على قبره الحزين، ولم يحملوا جثمانه المضـــيء مكللاً بالورد الذي كان يعشـــقه حتى الخبل. يا الله، كم أنا كئيب عليك يا محمد، وها أنني أفي بوعدي بالكتابة عليك، وأذرف مزيداً من الدمع/الدم، وإلى أن ألتقي بك أيها الشاعر العظيم على ثرى الكويت.

الذئب من يأكل بيمناه [191]

بعض الإخوة القراء والأصدقاء، ولربما بعض الزملاء أيضاً، لم يفهموا معنى المقالة التي وجهها لي (منذ كم يوم) الزميل الدكتور فضل الفضلي فيما يخص الذئب.

وبالرغم من أن الموضوع لا يتعدى إعجابنا المشترك بالذئب كحيوان نبيل يختلف عن سائر الحيوانات الكاسرة، لأنه – أي الذئب – بوجهة نظرنا – أي أنا وفضل – حيوان لا يأكل من فرائس الآخرين كالضبع – مثلاً – ولا يأكل (الفطيسة) والنطيحة والمتردية، بل يأكل من (فعل يمناه)!! على قولة أهلنا البدو، والذين يصفون الرجل العصامي بأنه (ذئب).

أما سبب كتابة فضل للمقالة أياها، فلأن فضل يدرك قبل غيره محبتي للذئب ودفاعي عنه، بل إنني كنت أزوره – الذئب – لأفضل – كل يوم جمعة في حديقة الحيوان في منطقة العمرية في الكويت، وكنت أرثيه لوضعه البائس، لا سيما حينما أراه يلوب بأقصى سرعته في قفص لا تتعدى مساحته مترين، وطوال النهار، وغير كل الوحوش الرابضة بهدوء تعلف ما يجود به عليها عمال الحديقة، مذعنة لوضعها الكيف.

---

(191) – صحيفة الرياض 28-4-1991

ولذلك كتبت عن الذئب قصـــيدة بعنوان "أمير الوحوش". وقد ســـاء العزيز فضل أن يرد اسم الذئب ثانياً ضمن مجموعة الحيوانات في مقال نشرته أخيراً، من ضمنها القول لوصف "رجل سيئ":

"وأنت ذئب
أنت دب
أنت ضب
في سلوك السمكة"

وقد غاب عن بال الدكتور فضل أن الذئب الذي نتفق عليه – فضل وأنا – هو كما جاء في قصيدتي القديمة، والتي مطلعها:

"مرحباً يا أمير الوحوش
أحييك باسم البراري التي
يرتجف الرمل فيها لدى سمعها للعواء
وأقدم نوارة من سهوب القفار إليك
وأرثيك من لعنة الانزواء
فلا تخجلن

ولا تخفض الرأس لما ترامي

إذا كنت في قفص

كلنا في البلاء سواء

فأنت أسير الزنازين

عبد لحملقة الآخرين

ولا تقبل الارتهان كباقي الوحوش

ولا تقبل الانحناء"

وطن [192]

ياللبؤسك أيها الشاعر،

لقد تغرّبت طويلاً في الوطن عن الوطن،

وتغرّبت قليلاً عن الوطن خارج الوطن.

لأنك في الوطن كنت تحمله في القلب، وتمضي به مبتهجاً، تمارس تسكعك الفظيع غير عابئ بماذا يفكرون، بينما كانوا هم يحملونه في (الجيب)، ويضعون ساقاً على ساق بانتظار أفراحه وأتراحه، مكاسبه وأرباحه، فيكونون أول الخارجين منه وأول الداخلين إليه، بينما تبقى أنت أيها التعس تنتظر الوطن أن يجرك من القلب الذي قطن فيه، وتدخلان معاً إليه.

يالغرابتك أيها الحالم، لأنه لن يلتفت إليك أحد (فالذين يحترقون بقسوة كبرى لا يبكيهم أحد). فأرفع عقيرتك البحيحة بالغناء.. وثق أنه لن يسمعك أحد.

الأغنية:

إلى أين يمضي؟

---

(192) - صحيفة الرياض 30-4-1991

سأمضي معه،

وأبقى على عهدنا أتبعه.

سيقسو عليّ،

ويأسو إليّ،

ولن أسمعه،

لأنّي تعشّقت منه العذاب الجميل،

فصارت عذاباته ممتعة.

تعلّمت منه:

إذا ضاق بي قلبه،

فقلبي على صغره يسعُه،

لذلك أسكنته في الضلوع،

وأسكنت روحي في أضلعه،

فطهر روحي يعشق الرمال،

ومن زرقة البحر، لا البحر، لا الحبر،

سطرت من دمعه قصيدة بوح به وإليه.

لأنّي تفاجأت أن المحابر،

في بعضها أمعة،

حبيان حزن،

وصار وصرت مع الشعر والحب في الروح اثنان في أربع.

فاعرفوه إذن،

إنه وطني،

ها، يدق خطاه بقلبي،

ودقات قلبي مسرعة.

ملاحظة: الموقع أعلاه مجرد شـيء من ملايين الأشـياء التي تدب على قدمين في عالمنا العربي، ولا يعترف بها أحد.

فوتوغرافياً كويتية [193]

لصقور تتدلى مثل الخفافيش

كبرى حنطها الوقت

وعلقها بمداخل (فلل) بُنيت من شعب المرجان

لخزامى تلهث طامئة فوق الأسوار الحجرية

في أرقى حي سكني

تذوي في أول نسيان

لقباير تسقط صرعى في الساحات وفي الأسواق

فهي تحلق عابرة نحو الصحراء

لكثافة سحب الدخان

لظباء البر المذبوحة تذرف أدمعها كاللؤلؤ

لدى رؤيتها الأفران

لخيول ترعى شجر الظل بإسطبلات (مكندشة)

روضها الحوذي الفاهم جداً بسيكولوجيا علم الحيوان

لبداة هبطوا مدناً من معدن

---

[193] - صحيفة الرياض 2-5-1991

أذهلهم فيها رؤية أنفسهم بالتلفاز
واختبلوا من هذا الجان
لقدامى البحارة، يقتعدون صخور (السيف) بنراجيل (القدو)
وعبر هدير الأمواج
أعادوا الماضي بالسفر الدائم للأزمان
لدواوين قبائلنا المكتظة بـ(الفروانية) و(الجهرة)
حيث القهوة و(الشيشة)
والوانيت الأحمر الآتي بغبار الدهنا والصمان
لذوائب حسناء في إحدى صبايا البدو الرحل
تمشي حافية في (سوق الغربللي) ظهراً
حدرت، تتغرض مكحلة وجهازاً للعرس القادم
عاكسها الباعة، ما التفتت ومضت كي تحلق بالأظعان
لعجوز تخفي حدبتها
تبتاع (الكرفس) والكراث على الشارع
ترشو بعض رقباء البلدية خرزاً للحظ وللحب
وداعية أخرى بالمجان
للكهل المتفصد عرقاً بظهيرة يوم قائظ
يحمل معوله مغترباً من أجل عيون الأطفال الجوعى

في إحدى قرانا العربية

تلك الملقاة على هامش صحراء القرن بلا عنوان

لحمالي سوق الشبره

وعمال النفط

وموظفي وزارات الدولة

وصناع منطقة الشويخ

وسكن العمال القابع في خيطان

لملائكة الرحمة

وشركات التنظيف

وسائقي شاحنات الميناء

وموظفي مخازن صبحان

لصغير بمعاهدنا الخاصة

يضحك ممتناً لهدايا العيد

كبسمة فجر يوغل في ذاكرة جردها منه النسيان

لوطني، أبهى الأوطان

احني الهامة إجلالاً

وأقدم باقة حب باسم الفجر القادم للإنسان

خوش بوش [194]

قلت في مقالة سـابقة إن صـرخة أم يونانية في الحرب الأهلية في أوائل هذا القرن، كما جاءت في رواية إيليني للكاتب العالمي نيكولاس غايج، هي التي ألهمت الرئيس الأمريكي السابق (ريغن) أن يتصل بنظيره الرئيس السوفيتي الحالي غورباتشـوف لعقد اجتماع دولي عاجل للحد من التسـلح، وذلك من أجل أطفال العالم.

وبعد هذا الاجتماع، بأعوام، قام الرئيس غورباتشوف فعلاً ببيع دبابات حلف وارسـو مجرد (خردة) أو بالأحرى (سـكراب مكوّد) لألمانيا، لتصـنع منها أي شيء يفيد البشرية.

واليوم، بما أن الاجتماع الدولي يطالب العراق بتدمير أسـلحته المتطورة، فإنه أثبت أنه دولة عدوانية. وقد سمعت أن الرئيس الأمريكي بوش سـيقوم، من جانبه، بالعمل على تدمير كل الأسـلحة الكيميائية الموجودة في الترسـانة الأمريكية ، وعزمه أيضـاً على عقد مؤتمر دولي مع الدول الكبرى المنتجة للأسلحة المدمرة كبريطانيا وفرنسا والصين والاتحاد السوفيتي لتحذو حذوه في المستقبل.

---

(194) - صحيفة الرياض 4-5-1991

نقول: ماذا لو أن الرئيس بوش استمر في خطواته (السلامية) هذه، ودعا بعد ذلك إلى تدمير الأسلحة الخطيرة التي تأتي بعدها من حيث الفعالية، ثم دعا مرة أخرى إلى تدمير الأساطيل والبوارج وحاملات الطائرات، ومن ثم الطائرات الحربية. يلي ذلك اجتماع ثالث لتدمير سلاح المدفعية والدبابات، ثم في اجتماع رابع لتدمير الرشاشات وما يوازيها من الأسلحة، ليبقى أمام العالم السلاح الفردي فقط، كالبندقية مثلاً، وذلك لاستعمالها في حماية حدود الدولة، شريطة أن يستعمل العالم في أمنه الداخلي المسدس فقط.

يا لله، يا لها من فكرة عظيمة لو استمر بها الرئيس بوش لينقذ العالم من ويلات الحروب والمطاحنات والمشاحنات، لا سيما وأنه يعاصر أكبر داعية للسلام في تاريخنا المعاصر، ألا وهو الرئيس غورباتشوف.

أقول: لو أن الرئيس بوش فعل ذلك، لا ارتاح العالم من (البلاوي) وجعله يعيش بسلام دائم من أجل الغد والأطفال، وفك الإنسان من الحكاية اليومية العتيدة (خميس كمش خشم حبش)، أو بالأحرى (بوش كمش خشم غورباتشوف، يقدر غورباتشوف يكمش خشم بوش). أقول: لو لفعلها بوش لأصبح فعلاً (خوش بوش).

صيني في الكويت [195]

كثيرون في الكويت هم الذين كثيراً ما يشاهدون ذلك الرجل الصيني الأصفر، الذي كثيراً ما يتواجد في الندوات والأمسيات والمناسبات الثقافية والرياضية.

وقليلون هم الذين يعرفون أن ذلك الرجل مجرد دكتور صيني يعيش في الكويت.

وأقل منهم هم الذين يعرفون أنه بروفيسور على درجة عالية من الوعي والثقافة.

ونادرون جداً هم الذين يعرفون أن لي "غوانغ بين"، الذي كان يعيش بيننا منذ 8 سنوات، هو الشاعر الصيني العظيم (لي)، صاحب بحر الصحراء وقصائد راجفة للصين العظيم وطاحونة الورد.

وبالرغم من أن (لي) كان يعيش عزلة ثقافية هائلة في الكويت بسبب لغته النادرة، إلا أنه ما أن وقع الاجتياح الأثيم حتى وقف (لي) مثل سور الصين العظيم ليهدر كالنهر الأصفر، شاجباً الغزوة بكل اللغات الحية هكذا:

"وأسفاه،

فجأة صمتت أصوات الدبابات في أذني،

وأعمت نار الطلقات عيني،

---

[195] - صحيفة الرياض 10-5-1991

وتلبدت الغيوم في البلد المسالم.

أوه،

إن نار الأجساد منتشرة في شارع السلام.

يا له من يوم حالك في تاريخ البشرية،

حينما بكت السماء بدموع دم أغسطس،

وحينما وصل نبأ استشهاد الشيخ فهد الأحمد، وكانت بينهما صداقة وجيرة، انفجر (لي) كالبركان صارخاً:

"كالرعد يتفجر في السماء،

كالزلزال يهز الأرض،

كالسيف يتقلد للقلب،

وصلني خبر استشهادك.

أتذكر صداقاتنا الحميمة،

الصداقة بين الإخوان،

العلاقة بين الأشقاء.

أنهمكت في تفكير عميق،

لم أجد شرحاً معقولاً لذهابك المريع.

فمن سأرافقه في جولات الصيد،

من سأصاحبه في مشاهدة السباق،

من سأتبادل معه الآراء حول مستقبلها المنير؟"

***

أسأل السماء:

لماذا يقصر عمر الإنسان الطيب،

ويطول عمر الطغاة؟

وبالرغم من أن الكويت، حينما سقطت في براثن الاحتلال، لم تعد تهم بعض (النفعيين) الذين لم يروا فيها سوى تلك العلاقة المادية، فحملوا أمتعتهم وغادروا إلى بلدانهم الأصلية غير عابئين بما حصل، إلا أن الأصلاء، الذين يؤمنون بأن وجودهم في بلد ما مرتبط بإنسان ذلك البلد وترابه وذكرياته، وبالتالي بموقفهم

المبدئي والأخلاقي والإنساني، وهذا بالضبط ما حصل مع الشاعر العظيم، كالشاعر الصيني المبدع (غوانغ لي)، الذي انتظر بعينين صغيرتين حزينتين نبأ تحرير الكويت ليهب بحركة صينية سريعة، كعادة أبناء جلدته، ليبشر الملأ:

"بشرى... يا بشرى

من فم إلى فم

من بيت إلى بيت، إذ أن الشعب المحب للسلام قد انتصر.

من شارع إلى شارع، امتلأت الدنيا فرحاً وسروراً.

إن انتصار الشعب على الطغاة

هو منهج تاريخي،

من هتلر إلى صدام حسين.

لقد انتهى الاحتلال والاضطهاد،

لكننا نعرف أن طريق بناء المستقبل

أطول وأصعب،

وأن إصلاح القديم الطالح

أصعب من بناء الجديد الصالح".

***

ثم يزجي (لي) نصيحته الصادقة، كحكمة صينية قديمة مخلصة، إلى الشعب الذي أحبه وعاش معه:

"اتحدوا يا إخوتي،

خوضوا معركة أخرى،

معركة إعادة البناء،

معركة النهضة الكاملة.

بناء الوطن يحتاج إلى روح الاعتماد على النفس ومساعدة الأمم المخلصة. ولكن، حذارٍ من دخول النمر والأسد من الباب بعد طرد الثعلب والذئب من الباب. "هذا هو لي غوانغ بين، الشاعر الصيني العظيم، العظيم في موقفه، والعظيم في شعره، والعظيم في صدقه. إذ هكذا يكون الشاعر. فتحية لك، لي غوانغ بين، أيها الشاعر."

غزوان / دكتاتوران [196]

الغزو هو الغزو، والاجتياح هو الاجتياح، والهمجية هي الهمجية، والدكتاتور هو الدكتاتور سواء كان يرتدي جلد شاة أو بدلة عسكرية تنوء بالنياشين، سواء كان يمتطي جملاً أو دبابة. وهو قد يتواجد في العصر الحجري مثلما يتواجد في العصر الذري، وقد يطلع من الشرق مثلما يطلع من الغرب، ويطلع من الجنوب مثلما يطلع من الشـــمال، وقد يظهر في منغوليا مثلما يظهر في رومانيا، ويظهر في ألمانيا مثلما يظهر في روسيا، ويظهر في روسيا مثلما يظهر في بغداد.

وهو قد يجتاح الجنس الأصـــفر مثلما يجتاح الجنس الآري، ويجتاح الجنس الأسود مثلما يجتاح الجنس الأحمر، وقد يطحن الشعب الإيطالي مثلما يطحن الشعب الروسي، ويطحن الشعب الألماني مثلما يطحن الشعب العربي، وقد يحرق روما مثلما يحرق القاهرة، ويحرق باريس مثلما يحرق الكويت.

تذكرت كل هذا وأنا أقرأ قصة طويلة للكاتبة الروسية "نينا ماركوفنا (Nina Markovna)" بعنوان (الطريق إلى الحرية)، تتحدث فيها عن الاجتياح النازي للأراضـــي الروســـية إبّان الصـــراع بين الدكتاتورين الهائلين: أدولف هتلر

[196] - صحيفة الرياض 12-5-1991

وجوزيف ستالين، وذلك أثناء اجتياح بلدتها (دولفو) البعيدة 100 كم عن موسكو.

ومما جعلني أتذكر بذهول هو أن الكاتبة تتحدث عن ذلك الاجتياح وكأنها تتحدث عن اجتياح الكويت من قبل العراق، وكأن التاريخ يعيد نفسه بالفعل. فها هي تحكي مثلاً في سياق القصة عن صورة هتلر في أذهان الألمان قبل الاجتياح، وكأنها تتحدث عن (المهيب) في ذهن المواطن العربي والكويتي بالذات، إذ تقول: "حينما كانت ألمانيا وروسيا ملتزمتين بمعاهدة الصداقة التي وقعت في أغسطس – آب 1939م، بدأت الصحف الروسية والسينما تعرض صور الفوهرر (العطوف) وهو يقبل الأولاد الألمان الفاتنين، وظهر كثير من المطبوعات التي تمجده وتعلمنا التحية النازية."

ثم تتحدث الكاتبة في مقطع آخر وكأنها تنقل لنا صوت المذيع الكويتي (يوسف مصطفى) صباح الاجتياح، وهو يستغيث بالعرب: "صباح اليوم التالي، دوي صوت مذيع مذعور عبر الراديو معلناً: هوجمت بلادنا.. هاجمها الألمان." ثم تصف الهلع والاضطراب والارتباك الذي اعترى الشعب الروسي في فهمهم للغزو: "آخرون يبكون ويضحكون في آن واحد، ويرددون: أن الألمان إن لم يكونوا محررين فلن يجلبوا لنا إلا فجراً كاذباً."

وهذا ما ادعته بالضبط الحكومة العراقية مبررة اجتياحها للكويت. ثم تستمر ماركوفنا بوصف الاجتياح: "مرت ثلاثة أسابيع على الاحتلال، وأطل 20 نوفمبر فإذا بجارتنا تهتف: يا نساء الحي، إن رجالنا موقوفون في الساحة أسرى."

أما عن بدء القصف الجوي كطليعة للتحرير، تماماً كما حصل معنا، تقول الكاتبة: "قرابة الثانية فجراً من 14 فبراير، انطلقت صفارات الإنذار تدعو الناس إلى الملاجئ، وفي الشمال الشرقي توهج الأفق بلون وردي وبدا القصف." ثم تنتقل بنا إلى حوار بين مواطنين روسيين، يقول أحدهما للآخر: "أسمع أحدهم يقول إن درسدن قصفت بالقنابل." فقال سلافا: "إذا كانت تلك حرائق، فإن بلادي تحترق."

أما الأعجب من ذلك فهو أن الأمريكيين هم الذين حرروا بلدة الكاتبة، وها هي تقول: "شخصت إلى الطريق، فاتسعت عيناي دهشة، لأن الطريق كانت تموج بالرجال والعتاد من دبابات وسيارات ودراجات، وكان ذلك صباح الأحد في 15 أبريل 1945م. وكان لنا يوم خلاص وحرية، فهرعنا للطريق نهتف بالكلمات الإنجليزية التي نعرفها: الأمريكيون أصدقاؤنا، شكراً لكم، أنتم محررونا." فهل التاريخ يعيد نفسه والدكتاتوريون أيضاً؟

الفجر الجيد [197]

منذ لا أذكر شاهدت فيلماً هندياً (جميلاً)!! وهنا يكمن وجه الغرابة، ولكنني كنت أود أن أذكر لكم اسم الفيلم حتى تنقشع عنكم سحب الغرابة، على أمل أن تنقشع عنكم دوماً سحب النفط وسحب الغم وسحب الكآبة وما شابه ذلك.

السحب (الملوثة)... والفيلم أياه، ولكي لا أطيل عليكم، اسمه (نايا زمانا) أي (الفجر الجديد). وقد علّق بذهني الفيلم لأنه يبدأ بأغنية تلعن الطغاة المعتدين، وينتهي بشمس تطارد الظالمين وتمجد جمال الحياة.

وقفز إلى ذاكرتي اسم الفيلم ثانية وأنا ألتقط بلهفة لأول مرة جريدة (الفجر الجديد) للزميل الكبير يوسف العليان، كأول جريدة تصدر من (الوطن الجديد) بعد تحريره المجيد من الطغاة المعتدين. وحينما أصف العليان بالكبير، فلأنه كبير فعلاً بأخلاقه ومحبته وبرئاسته لجمعية الصحفيين الكويتيين إبّان عهدها الزاهر ولسنوات مضيئة، قبل أن تتسلل إليها بعض الوجوه الشائهة في غفلة من الزمن، والتي أصبح بعضها يطل، وللأسف الشديد، من نافذة (فجره) الجديد.

---

[197] – صحيفة الرياض 20-5-1991

وهذا بالضبط ما صفعني بصفحتها منذ تصفحها لأول مرة، وجعلني أحيل تفاؤلي إلى (تســـاؤل) قبل القيام بواجب التهنئة. وذلك لأننا، وبهذا الفجر الجديد للوطن الجديد وبعد تحريره، لا نريد أن نقع في (بلاوينا) الســـابقة مرة أخرى، تماماً كما فعلها قبله الصـــديق الدكتور محمد الرميحي، راعي (صـــوت الكويت)، بالاسم فقط لا بالنبرة.

فإذا ما أراد الأخ (أبوغانم) أن يصـــدمني بســـؤاله الجاهز، فأنا عندي جواب (صـــدامي) جاهز، طبعاً بكســـر الصـــاد لا فتحها. أما الأخ يوســـف، فكنت (كدت) أعذره قبل إنهاء هذه المقالة، لأنني وجدت إعلاناً بها، أي في الفجر الجديد، يطلب فيه كوادر (صـــحفية كويتية مميزة)، ولا أعتقد أنه يجهل أن هذه الكوادر ليست بمقدورها (مراجعة رئاسة التحرير بالجريدة) هكذا، لأنها حسب الإعلان (تجد بنفسها الكفاءة)!!

على أي حال، ليعذرني الزميلان الكبيران، فهما يعرفان جيداً أنني أحبهما كثيراً وأحب (صحفهما) السابقة. ثم إنني لا أريد أن يكون حولهما أناس ليسوا جديرين حتى بالبغضـــاء، لأنهم لا يعرفون الحب... و(لا يعرفون أي شـــيء أصلاً).

خبطة صحفية للقراء[198]

لقد كنت وما زلت أحترم كثيراً رســـائل القراء، وأعتبرها بلا نفاق قناديل الكاتب في مســـيرته الكتابية، ولكن لأنني لا أحب (التكشـــخ) بكثرتها كما يدعي الآخرون، ولو أن ما يصلني شخصياً من رسائل لا يتعدى أصابع الكف الواحدة، فأني أحتفظ بها في القلب وأقدر الجهد الذي قام به مرســـلوها وأثمن الطابع الذي وضعوا عليه.

ولو أن بعض القراء يرســـلون إلى كتاب (لا يرون) حتى (حق) الطابع الذي يضعونه (!!)، ولكن لضيق مساحتي هنا، فأني غالباً لا أتمكن من الرد عليها، ولو أنني، كما قلت، أخذ كل ما يجيء بها، سواء كان معي أو ضدي، خالفني أو وافقني، ومن ثم استودعها مكانها الطبيعي، وهو القلب، وأستمد من ضيائها مواصلة الدرب.

ومن هنا فليعذرني كل من أرســـل لي رســـالة منذ أن بدأت الكتابة هنا حتى يومنا هذا، مع تقديري الكبير لكل من (تجشم) عناء الكتابة، لأنها بالفعل عناء حقيقي لمن كتب الله عليه (الكتابة).

---

[198] - صحيفة الرياض 25-5-1991

وذلـك لأن دربهـا مليء بالأشـــواك والورود، والأغربـة والحمـائم، بالغزلان والوحوش، بحقول العشـــب وحقول الألغام، ولذا فلتعذروني جميعاً، لأنني مجرد ضـــيف راحل لا محالة، وســـأقول للجميع – آن ذاك – أحبكم جميعاً، جميعاً حقّاً، ولو رفضتم هذا الحب سأقول الوداع.

وبمناســبة الحديث عنكم أيها الأحبة القراء وعن رســائلكم أيضـــاً، أذكر أن صـــحيفة الأهرام قد نعت منذ أعوام كبير القراء، وهو كما فهمت أحد القراء الذين كانوا يراسلونها منذ خمسين عاماً.

وعن رســـائل القراء، أذكر أنني دخلت مكتب إحدى الزميلات في إحدى صـحفنا الخليجية، فوجدت (خيشـة) تسـتند على الجدار، ولما سـألتها عن سـر وجود (الخيشـة) في المكتب قالت لي إنها رسـائل القراء (سـأشـحنها!!) للبيت، فقلت لها: يالله، هـا أنا أكتب منذ أكثر من 15 عـاماً ولم يصـــلني في العام الواحد سـوى عدة رسـائل لا تتجاوز أصـابع الكف، فقالت: أليس هذا مقياس النجاح؟ فقلت لها: (بلا!!)

أمـا عن القراء، فـإنني أذكر أنـه جـاءني أحـد القراء يحمـل مقـالاً لنشـــره في الصـحيفة التي كنت أكتب بها، وحينما قرأت المقال شكرته وأثنيت على موهبته ووعدته بـــ (التوسط) في نشره، وحينما نهض وضع يده في جيبه وأخرج عشرة دنانير وقدمها لي. وحينما سألته عن السبب، قال لي: (حق الصحيفة)، فقلت

له: أي حق؟ فقال: أما تنشـــرون (بفلوس)؟! فقلت له: من قال لك ذلك؟ فقال: الصحيفة الفلانية، فأنا (أتعامل معها) منذ عامين، ولكنها (زادت السعر شوية فجئت لكم).

فقلت له – بحدة –: من قال لك إن الصـحيفة الفلانية تنشـر بفلوس؟ فقال لي: المحرر الفلاني الذي أســـلّم له مقالاتي. فقلت له: وهل كنت تدفع له كل هذه المدة؟ فقال: نعم. فقلت له: وأين ينشـرها لك؟ فقال: في صـحيفة القراء. وبعد أن أطرقت قليلاً، قلت له: وكم مقالاً نشر لك حتى الآن؟ فقال: عشرون مقـالاً خلال العامين. فقلت له: أفهم من ذلك أنك دفعت له 200 دينار حتى الآن؟ فقال: بلا... وأردف: ولكنه يا أخي رفع السعر هذه الأيام – آه! وبعد أن استبدني الغضب، قلت للقارئ: ما رأيك بـــ (400) دينار الآن دون أن تنشر أي شيء؟ فقال لي: كيف؟ فقلت له: هكذا، الكيف.

واتصـــلت من فوري برئيس التحرير الصــــحيفة الفلانية وقلت له: اسمع يا أســـتاذ، ما رأيك بخبطة صـــحفية يا أبا فلان؟! فقال: ولماذا لا تأخذها إلى صـــحفيتكم؟ فقلت له: أعني أنها خبطة على الدماغ وليســـت على (كذا عامود).

وبعد أن ضـحك طويلاً، أفهمته القصـة، وأرسـلت له القارئ، وبعد عدة أيام أفهمني القارئ أن رئيس التحرير قد أعاد إليه كل ما ابتزه المحرر مع مثيله نقداً من راتب المحرر اللص، مع قرار بطرده شرّ طرده.

نحت على الهواء الجاف[199]

الفضاء عباءة الكون وبشت الحكمة

البحرُ سماءٌ مقلوبةٌ تتقاطرُ على رؤوس المخلوقات من منخلِ الريح

الأمواجُ فيه أشجار بيضاءُ تُهرولُ في سهلٍ أزرق

الصحراءُ امرأة شقراءُ تستحمُّ طوالَ الوقتِ في العراء الكئيب

الريح اسطوانة اللغو و(كاسيت) الهراء

الرعد طبل (...)يقرع في أسماع الأبدية

الليل كحل الطبيعة

النخل باقة الجياع و(بوكيه) الفقراء ومائدة الطير

الجسور أودية تقوس ظهرها كي يعبر تحتها

سيلٌ من الدواب المعدنية التي يمتطيها أولاد الناس

العمائر رماح إسمنتية تطعن الغيم برفقٍ

وتنوح في جدائلها (المكيفات)

الطائرات جراد معدني يدخن غليون الغيوم

ويهبط في (براحة) من القار الجاف

النجوم نثارٌ فظيعٌ لقمرٍ مهشم قصفته الرعود

---

(199) - صحيفة الرياض 27-5-1991

النساء في هذي المدينة أقمارٌ بيضاء
ترتدي الهواء الأسود الفضفاض
أنا ليس لي أحدٌ سوى القصيدة
فإن أردت رؤيتي أيتها الشقراء
وجدتني بدونما عناء
دشداشتي الرياح
ونعلي الإسفلت
و(غترتي) السماء

الْمَسْرَحِيَّاتُ وَالْقِصَصُ الْقَصِيرَةُ السَّاخِرَةُ

تفيض البواليع.. وسقوط الجميلات

قصة قصيرة ساخرة:[200]

بالأمس فاضت في شقتها البواليع، وزحفت مياهها القذرة إلى غرفتها الحالمة. كيف تزحف المياه إلى غرفتها الحالمة؟ كيف لم تستطع أن تغيّر خريطة وجهها كما في كل يوم وتستمتع بمقطوعة "الفالس العظيم" التي تجهل تماماً مؤلفها؟ كيف؟! لكنها، على أية حال، سمعتها ذات مرة لدى إحدى صديقاتها العاشقات فاستحسنت فكرة اقتنائها.

وأمس أيضاً لم تستطع أن تستمتع كعادتها بالاسترخاء فوق السرير وتمارس الحلم. وأمس قيل إنها احتدت على عامل بدالة البلدية لأنه لم يوفر لها خطاً مباشراً إلى المدير ليوفر لها عاملاً جيداً لإصلاح البواليع.

البواليع... البواليع! صرخت في أذن المدير، رغم أنه وعدها بتوفير عامل ماهر، وأقفلت (على أذنه) بحنق الخط. وفتحت بعد ذلك الجريدة على صفحة التسالي، واستلقت كعادتها للحظة لتقرأ برج طالعها، وطوت الجريدة. وأمس ذُكر التقرير الإخباري الذي سُرِّب عن حالتها

---

[200] - مجلة البيان 1 نوفمبر 1978

المؤسـفة (جانيما) السـائق لزملائه سـائقي عائلات (الفريج)، وقيل إنه زوّر عليها مســـألة التقيؤ في الليل، وأنها أغرقت غرفتها بالعطر لتغفو في نوم السـلاحف. وجاء في حاشـية التقرير أنها انحدرت في الصـباح إلى شـقة شقيقتها الصغرى لتشكو لها آلام (الدسك)، ولتنتظر العامل الموعود. وقيل إنهن، لربما جزافاً، ثرثرن قليلاً عن (شياكة) لولو في الحفل، واستأن كثيراً من برودة الشيراتون، وانتقدن حُلي سبيكة غير المتناسقة مع لون بشرتها الباهت، وأطرين بإعجاب ظاهر إتيكيتية (...) "الميتر". ثم شـتمن بعد ذلك طعم (القريدس) الذي شبّهن طعمه بالجراد.

ثم اطمأنت إحداهن على صحة مريم، ولُعن بالطبع **البواليع**.

- كيف تفيض في بيتنا البواليع؟

قالت الصغرى، وهددت أنها ستكلم منيرة ابنة عضو المجلس البلدي بهذا الخصوص لإيقاف هذه (المهزلة)!!

- مهزلة...؟!

قالت الكبرى: بل جريمة لا تُغتفر بحق المواطنين، لا سيما (العائلات)، أردفت الصغرى!!.

جاء (جانيما) السائق مسرعًا يتبعه عامل البالوعات الذي ارتدى (بلاسوتا) أزرق، لونه العرق الناضح منه بمساحات شاسعة من البقع البيضاء ذات الرائحة الدبقة.

أنتم.. أنتم!

صاحت في وجهه الصغرى، وأمرته أن يتبعها إلى الطابق الأعلى حيث الكبرى. صعد معها بالطبع وهو يهمهم بلغة لا تفهمها هي.

هناك وقف متأملًا تدفق الماء القذر من فوهة البالوعة، ثم شمر على الفور عن ساعدين مفتولين يتران عرقًا أبيض، وأدخل أحدهما في البالوعة. بدأ يخرج على التوالي كتلًا متخثرة من الشعر، وقطعًا صغيرة من البلاستيك، وجذاذات من أمواس الحلاقة الصدئة. ثم أخذ يدس يده أكثر.

وكانت هي إذ ذاك ترمقه بنظرة ممتعضة يطغى عليها القرف والاشمئزاز، بينما هو مكبٌّ على إخراج أوساخها الخاصة. هي لم تستطع أن تسيطر على رغبتها المكبوتة في التقيؤ، حينما أفلتت خيطًا رفيعًا من القيء على ظهره، وأدارت وجهها بسرعة إلى المغسلة حيث أفرغت كل ما في جوفها من بقايا سهرة البارحة.

هو لم يمتعض من فعلتها تلك، وإنما واصل عمله كما يجب أن يكون، ولم يلتفت إليها إلا بعد شهقة عالية سقطت إثرها على

الأرض بعينين جاحظتين تطلبان النجدة. هنا أخرج يده الملوثة بأوساخها بسرعة، واتجه على الفور إلى جسدها المتداعي حاملًا إياها باتجاه الدرج (وكانت تشم حينذاك رائحة نفسها والعرق، وتتكئ على ساعد صلب لا يصلح للحلم).

ويعوي غزال الرياح!!

-1-

قصة قصيرة: [201]

غروبًا جاءت العجاجة وزووبعت في "بويتنا" الصغير المنسوج من شعر الماعز. اقتلعت الأوتاد، وكوّمت "البويت" على رؤوس إخوتي الصغار الذين كانوا يحتسون اللبن الحامض. أمي ساعتها أضاعت المطرقة وابتعدت عنا تبحث عنها، وصوتها كان – من خلال أزيز الريح القبيحة – ينهزنا بقسوة لم نعهدها من قبل:

»التفّوا حول الواسط أيها الجراء«!

أختي الصغيرة كانت تصرخ بصوت مرتجف يقطع نياط القلب، وأخي الأصغر منها أَلجمته المفاجأة، فعقدت لسانه وأخذ يصدر صوتًا خفيضًا أشبه بالفحيح.

أما أنا فقد كنت بين بين، أريد الصراخ، وأريد أن أثبت لها أنني قد أصبحت رجلًا بإمكانها الاعتماد عليه – على الأقل ريثما يحضر أبي من ممارسة "هوايته" اللعينة تلك التي يقتل بموجبها حيوانات البر الجميلة.

---

(201) – مجلة البيان 1 نوفمبر 1978

أنا – ولا أخفي عليكم – قد تغيّرت نظرتي لأبي منذ الأمس، حينما عاد وهو يحمل غزالًا جريحًا يئن ويشخب منه الدم. أبي قال بأنه جلبه هدية لي!! حينها سألته ببراءة تشوبها المرارة:

أبي، لماذا تقتل حيوانات البر الجميلة؟!

حدجني بنظرة حادة كالطعنة، وبعينين كعيني الصقر الذي طالما اعتاد أن يحمله في رحلات (قنصه)، وقال:

اسمع يا بني: إذا لم أقتل الحيوانات فسيقتلنا الجوع.

الجوع...؟! وهل الجوع صيّاد مثلك وله بندقية وصقر؟

ساعتها ضحك ضحكة مبتورة، وربت على كتفي، وقال:

– عندما تكبر يا بني، وتصبح صيّادًا مثلي، ستعرف تمامًا كيف تقاتل الجوع...

–2–

الزوبعة أخذت تهدأ شيئًا فشيئًا.

أمي عادت للتو لاهثة من تثبيت الأوتاد وشدّ الأطناب، وانكبت تنفض الغبار عن أختي الصغيرة التي تحوّلت – بفضل ما تراكم عليها من غبار – إلى شجرة برّية صغيرة.

أمي استدارت إلى الموقد وأشعلت النار، وجلست صامتة حزينة تكسّر بعض الأعواد الرفيعة وتلقيها في النار.

-3-

القمر كان يترنح قاب رمح عن الأرض أو أدنى، شاحبًا وحزينًا أكثر من أي وقت مضى. حاولت مرارًا أن أنام، ولكن هذا الصفير اللعين الذي تصدره الريح كان يوقظني كلما غفوت، ويذكرني بالعطش.

- أمي، أزيد ماء؟

نهرتني بقسوة وحزن:

- نم يا وليدي، سيأتيك غزال الحلم حاملاً على قرنيه قربة الماس، وسيسقيك حتى الارتواء.
- ولكن أبي لم يترك غزالًا في البرّ سوى غزالي الجريح. أمي، لماذا يقتل أبي الغزلان؟!
- لكي تأكلوا في هذا العام الممحل يا بني!
- ولكننا الآن نريد أن نشرب يا أمي، وأنت تقولين أن الماء سيأتي به الغزال، فكيف نأكل من يقينا في الحلم؟!

صمتت أمي كعادتها بحزن، ولكنني اقتحمت عليها الصمت:

- يمه، هل الجوع رجلاً، وهل له بندقية وصقر مثل أبي؟!!

- الجوع.. الجوع؟! تمتمت أمي بحيرة، وأردفت: نم.. نم يا ولدي، لئلا يسمعنا الضبع.
- وإذا سمعنا يا أماه؟!
- يأتي.
- وإذا أتى؟!

-4-

تململت كثيرًا في فراشي ولم أتمكن من النوم. أمي اتكأت على وسادتي تهدهدني ريثما أغفو، ثم أخذت تروي لي حكاية (السـعلوه) والأميرة. كدت أغفو تمامًا هذه المرة، ولكن...

أيقظني عواء رهيب خلف رواق البيت، كالملدوغ محتمياً بأمي.

ذئب؟! – ضـبع؟ – ماذا؟! – لعله الكلب (الفليت) الذي سمعت عنه كثيرًا من صبية القبيلة المجاورة.

انتفضـت أمي هي الأخرى واعتراها ذهول كبير، لكنها حملت أحد أعمدة البيت ووقفت أمام فراشـنا كجندي شـجاع. الحيوان، أفعى أمام البيت، بأذنين منتصـبتين ولعاب يفطر من فمه باتجاه الأرض، يصدر صوتًا كالمواء.

ركضت أمي باتجاهه وهوت عليه بالعمود، ولكنه انسحب ببلادة. تعقبته بالصراخ قليلاً، ثم عادت ترتجف واقتعدت وسادتي وهي تتأبط العمود.

بعد قليل، سمعنا ثغاء مريعًا للغزال المربوط بالطنب الأيسر الذي جلبه أبي هدية لي. أمي حينها لم تجرؤ أن تطمئن على الغزال، لأن همها كان منصبًا على حمايتنا فقط.

-5-

عاد أبي بعد قليل من الحادث خالي الوفاض. صرخت أمي في وجهه لائمة إياه على هذا التأخر الطويل، ثم حكت له بالطبع حكاية الكلب الغليث الذي داهمنا الليلة. غضب أبي كثيرًا، حمل بندقيته وغاب في الظلام.

سمعنا بعد ذلك طلقة بددت الصمت الرهيب باتجاه الوادي. عاد بعدها أبي متهللًا الأسارير:

- لقد قتلت الغليث!
- أين طعام الأولاد؟ – سألته أمي بحدة.
- (تنهد أبي بحزن ظاهر) لقد صادره شيخ القبيلة!
- ولماذا يصادره الشيخ؟

- ادعى بأنني كنت أصيد في حمى مواشيه – ولكنه أردف، وهو يدس يده في أبط الفروه: خذي هذا الأرنب، أشويه لهم، لقد أخفيته عنه.

-6-

في الصباح الباكر نهضت فرحًا لأطمئن على غزالي الجميل، ولكن والدي صرخ بي بغضب:

- ابتعد! أياك أن تلمس الغزال. لقد أصبح غليثًا هو الآخر.

ثم سدد بندقيته باتجاه الغزال.

- أبي، حتى غزالي تقتله؟!
- ابتعد، قال أبي.

ثم أطلق طلقة غاشمة استقرت في عنق الغزال، هوى بعدها صريعًا على الأرض، ثم أطلق عواءً مرعبًا باتجاه السماء. وسقطت مني دمعتان.

وبعدها ملأ أبي بندقيته بالرصاص واتجه إلى مضارب شيخ القبيلة!!

مسرحية قصيرة جداً[202]

ساخر:

- المكان: أي بقعة على خارطة الوطن العربي.
- الزمان: قبل الغروب، أو بعده... سيان!
- الإضاءة: معدومة.

- **المعلم سيد القصاب** :يقول عن صديقه (هايش الجنفان) إنه عربجي صايع، ضايع، جاموسة ما يفهمش في السياسة، ويلقبه جزافاً بـ(هايف) الجنفان.
- **هايش الجنفان** :يقول عن (سيد) القصاب إنه نصاب، ما يعرف كوعه من بوعه بالسياسة، ويلقبه جزافاً بـ(سيء) القصاب.
- **أبو محمود (سائق الطنكر)** :يقول عنهما إنهما بهايم، فش عندهم مخ بأمرة، شو معرفهم بهيك أمور.
- **باعمر البقال** :يقول لهم: "يا تسكتوا وإلا بانقوم... عوّرتوا رأسنا بالسياسة."

---

[202] السياسة 20 يوليو 1978

- بالطبع يحدث هذا حينما يعقد الأربعة مؤتمرهم اليومي لمناقشة قضايا الساعة، وهم يجلسون على صناديق (البارد) الفارغة بانتظار الغروب قبالة بقالة (باعمر) التي تقع في آخر العاير.
- وبالأمس تأزم الوضع بين الأصدقاء الأربعة إثر خلاف شديد لا (أيدلوجي)، كاد أن يؤدي بهم إلى كارثة، وذلك عندما جاء رجل أجنبي – (خواجا) على حد قول الشهود – ليسأل عن شقة للسكن في (حيهم)!

المنظر الأول والأخير:

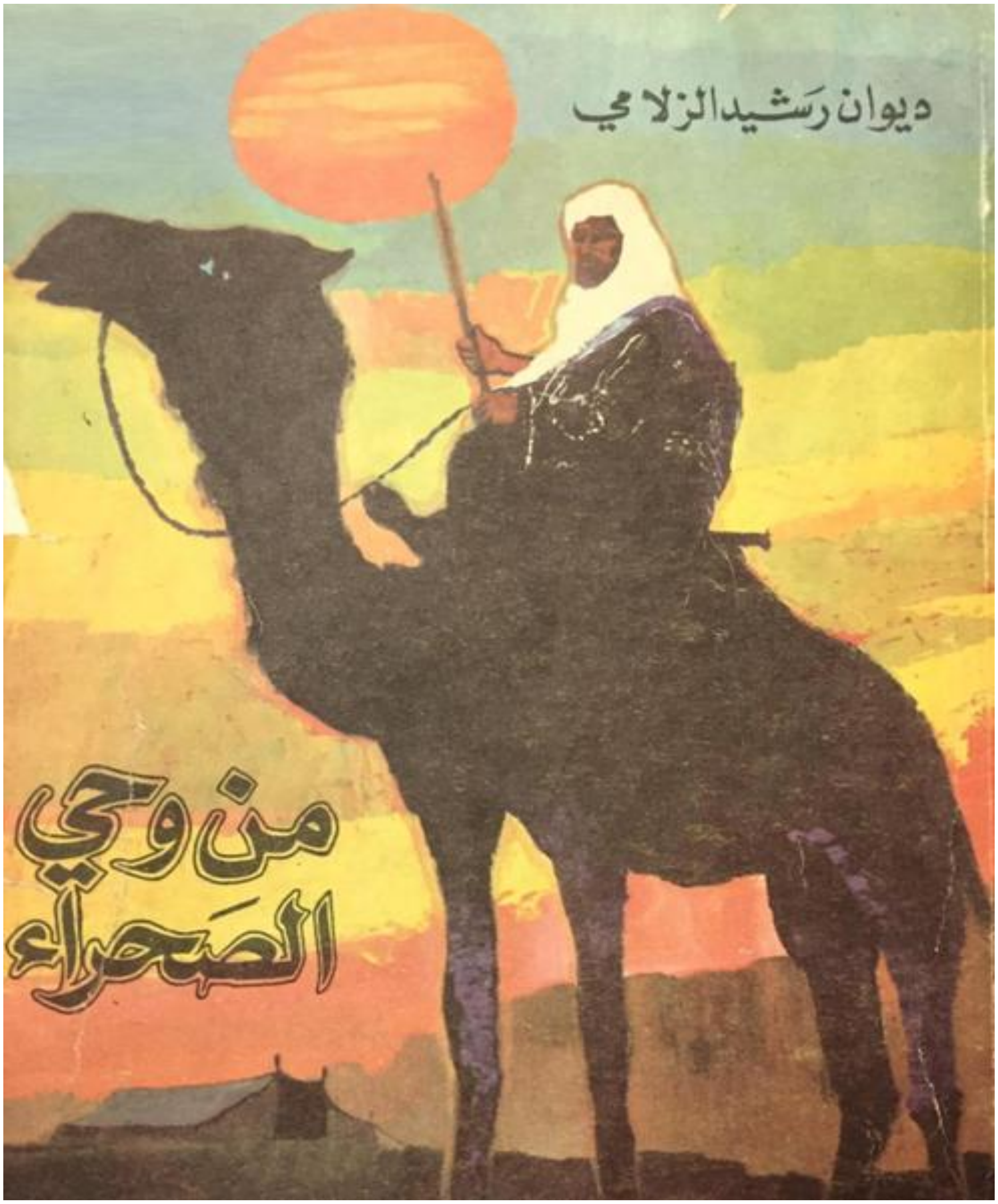
- "أنا أعرف"، قال سيد القصاب للخواجا.
- "بل أنا"، قال هايش الجنفان.
- "عندي"، قال أبو محمود.
- "بل عندي"، قال باعمر.

.. عندي، عندك، ما عندي"، واحتد بينهم الحوار ونهض كل منهم على مقعده

- ركض إلى ملحمته وأحضر ساطورًا سيد القصاب، قفز إلى (وانيته) وأحضر (عجره) هايش الجنفان، قطع الشارع مسرعًا وأحضر خشبة طويلة أبو محمود، دلف إلى بقالته وأحضر (مخمه) باعمر!!

- حينما التقوا في (ساحة الوغى)، وأهوى كل منهم على الآخر، تلفتوا فلم يجدوا (الخواجا) اللعين، ومن ثم تعانقوا بالأحضان!!

كُتُبٌ قَدَّمَهَا



ديوان من وحي الصحراء للشاعر "رشيد الزلامي" قدمه سليمان الفليّح عام 1974م



ديوان أمسية نادي الفتاة "خليج الخزامى" قدمه واشرف عليه سليمان الفليّح وإذ تعتبر أول أمسية للشعر الشعبي عام 1986م

ديوان من وحي الصحراء[203]

أنا اليـامني بـديـت القصـــيـدة ... خليتهـا من بين الأمثـال فردة

نزيهــة عن كــل نقــد بعيـدة ... وتصـــبح جنيه ما بها نوع خردة

ذوبتهـا تـذويـب نار الحـديـدة ... وتصـــير عند أهل التماثيل ورده

بهذه اللافتة الضـــوئية الجذابة، والتي لم تأتِ دعـائيتها إلا من باب العفوية الموصـــلة إلى مهرجان الشـــاعر الخاص، المؤطر بكل التأملات الجدية التي يركز عليها ويضـــمنها عالمه المتدفق، يفتتح الشـــاعر النبطي رشـــيد زيد الزلامي هذه النفحات الأصـــيلة الآتية من البداهة البدوية التي تحمل روح الصـــحراء، وتنقل تجربة هذه الروح إلى المدينة حيث يبني كل اختلاجاته وأحاسـيســـه على مرتكز راسخ :أصالة الكلمة ووشاحها العريق.

وهو لا يغور كثيراً في الأقدمية الزمنية التي يتبعها شـــعراء النبط في الصـــحاري العربية، ولا يرتفع أكثر عن الواقع المديني الذي يعيشـه، حيث يندمج فيه بغنائية أثرية تخص هذا النوع من الشـــعر، رغم أن الشـــعر النبطي مهدد بالانحســـار

203 ديوان شعري " وحيّ الصحراء" للشاعر رشيد الزلامي الصادر في العام 1974م ، ذكر الزلامي في الإهداء الخاص " الى الأخ سـليمان فليّح العنزي المحترم ، يسـرني أن اقدم لكم ديواني الأول هذا والذي كان لكم في اخراجه الفضـل الأكبر والذي لا أستطيع اقابله إلا بالشكر العميق مع التحية والتقدير – رشيد الزلامي– امضاء 1974/10/27

والتلاشي أمام الهجرة المستمرة لأهل هذا الفن، وأعني بذلك أهل البادية، إذ أن هذه الهجرة تنقل الشاعر إلى أجواء غير مألوفة، وتطالبه بتغيير الصور السابقة، مما يفقده الاعتيادية التي أكسبته خبرته الشعرية.

ثم إنه يبدأ بتأسيس مفاهيم جديدة تتكون أمامه كنتيجة لهذه الهجرة الجديدة، والشاعر النبطي عبر العصور كان هو الدائرة الإعلامية للقبيلة التي تنطق باسمها وتنقل صورها إلى القبائل الأخرى، بالإضافة إلى كون الشعر النبطي يؤرخ لهذه القبيلة ويبقى سجلها التاريخي الذي يتناقله الأبناء عن الآباء. كما أن القصيدة الواحدة كانت كفيلة بإشعال نار الحرب بين عشيرة وأخرى.

ومن هنا تأتي أهمية الشاعر الذي يقوم بدور المصور للواقع الاجتماعي الذي يعيشه في ذلك الوقت، وللطبيعة تأثيرها الساحر على شاعريته. فالصحراء بامتدادها وجبالها ورمالها ووديانها وسمائها، كانت مؤثرات تلمس قلب الشاعر، فتمنحه شحنة قوية تدفعه للتغني بجمال العيش، والتفاؤل بالحياة وحب الناس، بعيداً عن تعقيدات العصر وأوبئته النفسية.

ومع انتقال الشاعر النبطي إلى المدينة، بدأت القصيدة تنتقل إلى جوها الجديد الذي بدأت تتأقلم فيه، لا سيما إذا كان في النفس أصالة وروح عربية بدوية تمتد في الحياة الحديثة، لتأخذ كل ألوان التقدم والعصرية، وتتحول إلى الحياة المدنية بكل أشكالها ونهضتها، كما هو الواقع في الخليج العربي والجزيرة العربية،

حيث بقيت القيم والعادات والتقاليد الأصيلة راسخة في نفوس الحضر الذين كانوا فيما مضى هم أهل الصحراء، إذ أن هؤلاء هم الأصل الثابت، والقاعدة، والجذور لكل العرب.

ولهذا حافظ الإنسان الكويتي والسعودي على كل الأصول والعادات العربية الأصيلة التي انغرست في نفسه عبر العصور والأجيال المتعاقبة، بينما في العالم العربي اندثرت بعض العادات والتقاليد العربية، وحل محلها عادات لا تمت لأصالتنا بصلة. في المقابل، نجد أن أهل الخليج والجزيرة يرسخون العادات ويتوارثونها من السلف إلى الخلف، حتى في الأزياء.

ومن هنا نبغ كثير من الحضر في الشعر النبطي، ولا شك أننا نذكر بكثير من الاعتزاز فيلسوف النبط ابن لعبون، ومحسن الهزاني، وابن ربيعة، ومحمد القاضي، والأديب الشاعر عبد الله الفرج، والشاعر المعروف حمود الناصر البدر.

وفي السنوات الأخيرة، نبغ في الكويت مرشد البذالي وعبد المحسن الرفاعي، وهؤلاء الشعراء أعطوا الكثير لهذا الفن العريق، بجانب تمكنهم من اللغة والشعر، مثل الشاعر عبد المحسن الرفاعي الذي لم يترك مجالاً من مجالات الشعر إلا وطرقه: كتب النبطي، والمقفى، والمرسل، والحر، والغنائي.

وبين يدينا الآن ديوان جديد لشاعر لم ينشر من قبل، وهو رشيد الزلامي، إذ قال الكثير في عدة مناسبات، كما ألقى بعض قصائده في برنامج ركن الجيش .

ورشـــيد الزلامي متمكن من القصـــيدة المملوءة بالمعنى، متمرس في هذا الفن، حاور وساجل كبار الشعراء منذ صغره.

وعالمه الشعري مليء بالصور والمشاهد المختلفة التي تنتقل بالقارئ عبر أجواء متصلة في رحلة شعرية. فهو أحياناً العسكري النشيط الذي يؤمن بالنصر والمستعد لخوض المعركة، كما نراه يقف دائماً أمام سعادة رئيس الأركان العامة، يجسد فخره واعتزازه ويعقد عليه الأمل، وينقل للقارئ صورة القائد الفذ والمثل الأعلى لجنوده.

ثم ينتقل إلى الطرفة، ويرسم المثالية فيها، والغزل وعفته، والنصيحة، والحوار. وهذه الروح السريعة التنقل مكنت الزلامي من نقل الصور إلى بعضها، فهو أحياناً ينقل البادية باتساعها إلى المدنية عبر تهويماته الشعرية كبيئة يستلهم منها القصائد، وأحياناً يتفاعل مع صخب المدنية وحركتها الدائمة. فهو دائماً يتميز بسعة الخيال والفطنة، إذ أنه بلمحة خاطفة يدرك ما يبطنه بيت القصيدة في محاوراته مع الشعراء، فيقطع الدرب على محاوره بمعنى أعمق يحتاج فهمه إلى ذكاء أكثر. وهذا الذكاء في المحاورات ليس سهلاً تعلمه، بل هو جزء ينمو مع الشاعر منذ الولادة ويكبر كلما كبرت تجاربه.

والزلامي له طريقة عجيبة في توليد الحكمة من القصيدة، فهو لا ينفك يدعم قصائده بالأمثال التي يأتي بها من نفس المضمون، ولا يتعداه إلى سوابقه إلا نادراً، وإن تعداه لا يأتي إلا بما هو نادر.

وفي الختام، عزيزي القارئ، ليسمح لنا هذا الشاعر الشاب أن نتجول في عالمه الشعري أنا وأنت، والآخرين، لنتزود بهذا الفن الأصيل، فهو لون من ألوان تراثنا الشعبي. ولندلف الأبواب...

ديوان خليج خزامى [204]

باقة أزهار برية ناعمة، بهيون كأزهار برية تصرخ بأرجها الشجري الخاص، وتتأود في حفيفها العذب نسائم النقاء التي تتوهج في شجوها الخفي، اللآلئ الخلاء الرحب، ناصعة كسحاب المدى المتألق بين زرقة السماء وصفراء الصحراء، شجية كطيور الألفة التي تطلق أغاريدها عبر نثير الغيم الأبيض وانثناءات جسد الصحراء الغض لتهزه بالفرح المضيء، أنقية كالتربة البكر التي لم تتطهر سوى بـ(هتان) المزن في أولات المواسم، ولم تتعمد سوى بنهر أشعة القمر.

نزقة كالبرق، ومشعة كفجر البراري، متقدة كنار (الغضاء) في الليالي الصلفة التي تتجمد فيها قطرات الوبل بين الديم والغيم، لتسقط عقدًا من برد على جيد ليلة فضية باردة.

هادئون أحيانًا – حد الصفاء – الرضي، ومصطخبون كالبحر اللجب الذي يقذف كنوزه الأزليّة إلى الأعالي، لتتشكل نثارًا بانوراميًا رائع الألوان تصرخ في تشكّلاته نوارس الشعر، وتهدل في انكساراته حمائم البهجة. (جديديون) بأصالة، وأصيلون بحداثة جديدة. ونحن إذ نرحب بهم بهذا الحماس الحار، فلأنهم يشكلون لنا ما تشكله مزنة قادمة لـ(بداه)، يجادلون العقم والجفاف في

---

204 تقديم الشعراء من خلال ديوان (خليج خزامى) الصادر في عام 1986م كأمسية أقامتها " نادي الفتاة"–الكويت 1987/6/5 .

سني الفقر والفاقة، لذا لا نملك إلا أن نفتح لنسائمهم العذبة صدورنا المكتظة بالشجن، وليكن اتساعها لهم بحجم الفضاء... الفضاء.

صحيح أن لكل هذه الأزهار شكلها المتوحد من حيث النمو، الحلم، المكابدة، كونها تنبت على أرض جديرة بالبهاء، وصحيح أنه بالإمكان تنسيقها في الآتية كيفما نشاء لتعبر كل منها عن لونها الخاص (على حده)، وصحيح أنه بإمكاننا إعادة التشكيل حسبما تختلف الأذواق، ولكنه... ما أصعب جمعها من منابتها المختلفة بكف رشيقة حانية، ناعمة ملائكية، لا توقظها من سكنتها الجمالية الحالمة، ولا تشعرها بحركة نقلها من براريها القديمة لتنسقها بهذه الباقة الرائعة كما فعلت كف "نادي الفتاة". فشكرًا ومصافحة لهذه الكف الندية البيضاء، لأنها أول كف تقدّم لنا هذا الشميم العذب.

***

فهد عافت: صوت شعري يحتل مساحته المتألقة في ذبذبات الأثير، وذلك لاندفاعاته الشعرية الصارخة التي انطلقت نحو محاولة التفرد، هما أوغل فيه بعيدًا عن أصداؤه الضائعة في مدارات نائية، الأمر الذي شتّت عليه استكانة عوالمه المختزنة بالثراء. هو، بالإضافة إلى ذلك، صوت منبري قوي، حاد وطاقة قادمة مليئة بالاندهاش، لو اهتدت أقدامه إلى مشارف (الموقف – الشعر) وآمن

بفداحة أن تكون الكلمة سيفًا ووردة وغيمة، ولعله تلمس ذلك، لاسيما وأنه في مقتبل العمر.

***

فاتن عبدالعزيز: صوت – فاتن عبدالعزيز – عندما يأتي شبه تمامًا الغيمة الرهوة البيضاءِ التي لا يشي مشهدها إلا بالجمال والهدوء، والحلم، ألا إنها ما أن تصل فوق رأسك حتى تتفجر بالصواعق والبروق لتشكل زخة كثيفة تتدفق سيولها العرمة لتجرف كل ما ترسب من نتانة الأعراف والتقاليد إلى مستنقع العدم، ثم ما تلبث أن تتقشع لتترك أقواسا قزحية ترتديها عرائس المطر، التي ترقص في استشراف المستقبل في احتفالية رائعة. فاتن امرأة جعلت من سكين المطبخ قلما تشرح فيه النصف الآخر من وجهنا المعتم.

***

محمد عبيد العجمي: لعل أهم ما يميز محمد العجمي هو شساعة المحبة التي لا تحد، والتي غدت مناخًا عامًا تتفتح فيه كلماته ومساهماته الاجتماعية المتعددة، لاسيما في المناسبات الوطنية والقومية ومشاركاته الشعرية التي لم يكن يتصف بها مجايليه الشعراء النبط الآخرين. كما يتصف بروحه الوثابة للتخريب والتطوير ومد جسور الطيبة مع كل الناس، لذلك هو شاعر مخلص لتقدمه الشعري واحتلال مرتبته المتقدمة في ميادين الشعر.

***

مسفر الدوسري: بين الصهيل الحزين والهمس الشفيف، تنشد أوتار مسفر الدوسري الصوتية لتعرف تمازجين لحنيين يتصلان بسرية عجيبة (لنوح ربابه إلكترونية خافتة ودوي طبل نزف)، ينتهيان بعزف فطري على (بيانو ضخم). لذا تجد فيه الطفل والذئب، العاشق والجائع، الصعلوك والفنان الأرستقراطي. ومن هنا فإن مسفر يخضع مزاجيته الحادة إلى مناخه الشعري الخصب الذي جعل منه صوتًا شعريًا متفردًا في الساحة الشعبية، لهذا فهو شديد النزلاء للشعر، ولأشيء في عالمه قبل الشعر، وهو إلى حد ما أنموذج رائع لسلوكيات الشاعر الحقيقي الحديث الذي يسلح شعره بالوعي.

***

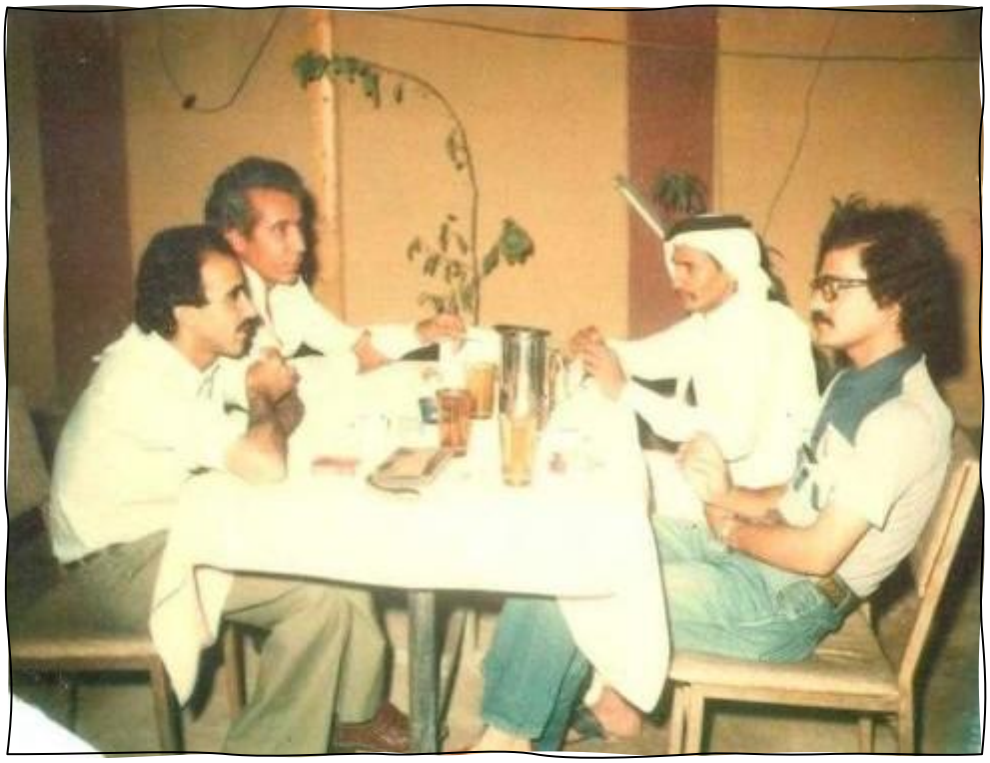
ناصر السبيعي: شبه ناصر السبيعي نسمة برية منعشة، (ليست على استعداد لأن تحدد لك مدة انتعاشك بها)، وليست معنية بالجهة التي تهب عليك منها، ولا بالجهة التي تمضي في مسارها – المهم أن تتركه، لتفر قبل أن تغلق عليه النوافذ والأبواب. وهو، بمعنى آخر، زهرة خزامى مضيئة، تجهل سر توهجها وتزهو بعبيرها النفاذ. ناصر شاعر يتميز بعفوية شعرية رائعة، ومثالية روحية حذرة، لذلك تأتي قصائده قصيرة، مختصرة، مليئة بالموسيقى والمفردة الحديثة والصورة المرهفة.

***

ابتسام يوسف النجادة: هرة هادئة في أوج التورد، تكسوها غلالة حزن شفاف لأنها اختزنت كل أوجاع الجذور، واكتشفت مبكرًا (عفونة الظل) ومعاناة الفراشات و(تعليب الأزهار). لهذا، ثارت على كل الأطر المتأكلة التي أُعدت لتحنيط الإنسان، وفرت بعبيرها النقي إلى شمس الخلاص لتواجه الدنيا بإشراقة الكلمات.

***

حمود البغيلي: هو من أوائل الأصوات التي خرجت على النغمة البكرية لنمطية (مضمون) القصيدة الشعبية، وسحبتها من طرف عباءتها لتقذفها في خضم الأحداث. في الوقت الذي كانت تتقوقع فيه تحت تلك العباءة (لتحوقل) باسم التراث!! حمود من أوائل الذين أشرعوا بيت النبط للهم العربي العام، وسمح لهذا الهم أن يلجأ إليه ليدافع عنه. وهو، بالإضافة إلى ذلك، ناظم جيد وشاعر قلّما يخلو منه ساحة الشعر.



سليمان الفليّح ومجموعة شعراء من فلسطين 1980

المحتويات

المجلد الثاني

يحوي على "المؤلفات الكاملة" من تراجم ودراسات وبحوث وكتب أخرى وهي ..

- الديوان الشعري الإنجليزي
- دراسة: العرف قانون الصحراء
- دراسة: القصيدة الشعبية وانعطافاتها المرحلية
- محاضرة :تماثلات الموت دون الشعر والشعر دون الموت
- محاضرة: تماثلات الشعر يعيد نفسه .. تماثلات بين العامية والفصحى
- السيرة الذاتية
- دراسة: الصعاليك
- كتاب حيّهلا (مجموعة حكايات شعبية)